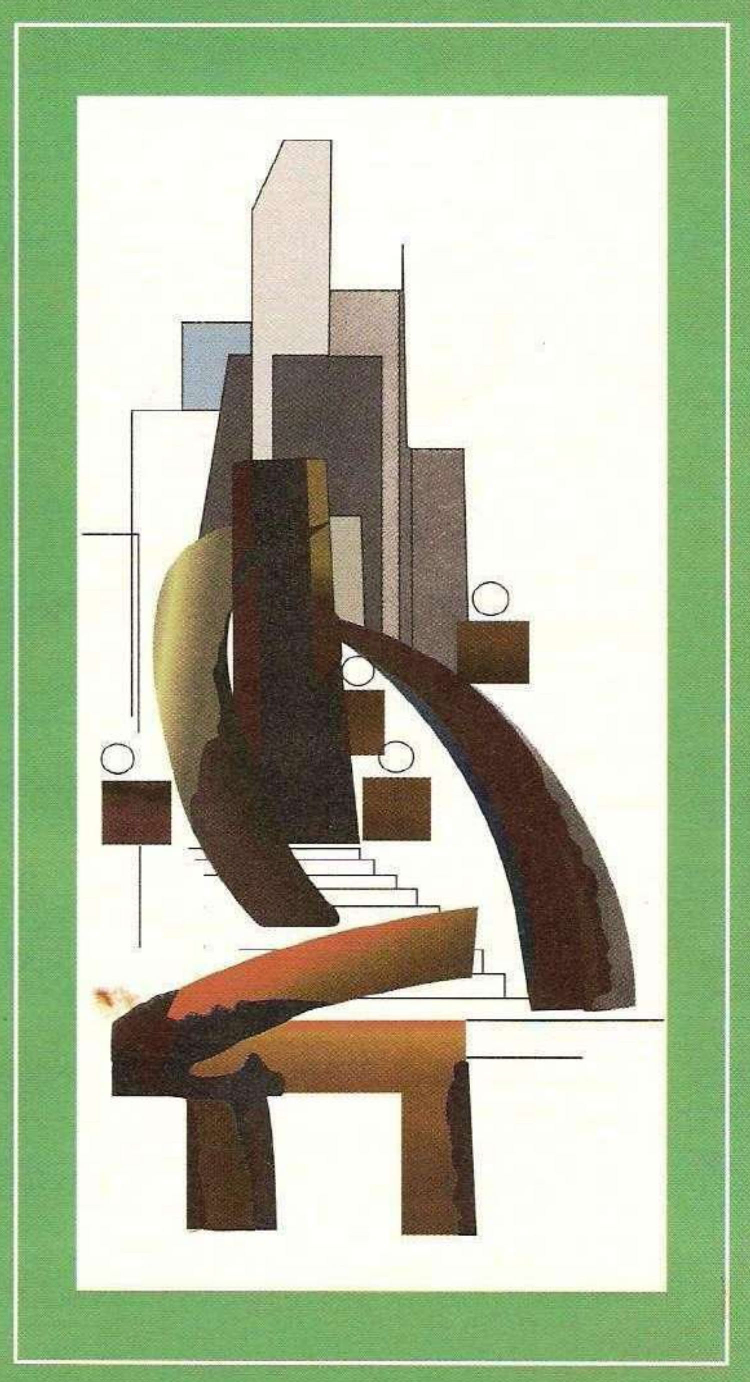
موريس أنجرس



منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية

تدريبات عملية

دار القصبة للنشر

موريس آنجرس

منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية

تدريبات عملية

طبعة ثانية منقحة

ترجمة

بوزيد صحراوي

كمال بوشرف

سعيد سبعون

الإشراف والمراجعة

مصطفى ماضي

ملك

دار القصبة للنشر

تدمك : 9961 – 64 – 462 – X

الإيداع القانوني : 2004 – 482

Initiation pratique à la méthodologie
des sciences humaines

تقديم

لا شك في أن أحسن ما ينير الباحثين والطلبة العرب في العلوم الاجتماعية، ويجنبهم السقوط في الأحكام التعسفية أو في السذاجة «العلمية» هو تسليحهم، ليس فقط بالمنهجية العامة، وإنما بتقنيات البحث الميداني وأدوات التحكم في استعمالها.

مشكلتنا نحن في عالمنا العربي، هو جهلنا لواقعنا المجتمعي المعيش لأننا لا نعير الاهتمام الكافي لتقنيات البحث الميداني التي تعتبر أساس المنهجية في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

نتكلم باسم مجتمعاتنا ونتخذ مواقف باسم شعوبنا وننتقد منظومتنا التربوية ونظامنا التعليمي ونقوم بالإصلاحات وإصلاح الإصلاحات دون الاعتماد على البحوث الميدانية ولا على الدراسات المونوغرافية ولا على استطلاعات الرأي.

إن التحكم العلمي في أي مجتمع يقوم أساسا بالاعتماد على ما سبق ذكره من أدوات وتقنيات علمية في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وعندما نسأل أنفسنا لماذا تقدم الغرب وتأخر العرب يقولون: سبب تقدمهم وتطورهم هو اعتمادهم على التكنولوجيا والعلوم الدقيقة.

ونحن نقول عكس ذلك، في بلاد الغرب اعتمدوا أساسا على العلوم الاجتماعية لفهم واقع مجتمعاتهم، واستعمالهم للعلوم الاجتماعية ارتكز أساسا على التناول العلمي والمنهجي لمعالجة ظواهر الحياة اليومية. وهذا لن يتم دون تقنيات البحث الميداني في العلوم الاجتماعية التي يتم التركيز عليها في الغرب وتهمش عندنا.

وعلى هذا فليس ثمة اختلاف من حيث تدريس العلوم الاجتماعية أو عدم تدريسها في جامعاتنا، الأهم هو الوعي بأهمية الاختلاف وجوهره، فهل ندرس العلوم الاجتماعية ليقال إن جامعاتنا تضم العديد من المعاهد التي تدرس هذه التخصصات والمنتشرة عبر كل المدن ؟ أم ندرسها للاستفادة منها في حياتنا اليومية ومن أجل معالجة مشاكلنا الراهنة والمستقبلية.

تعيش البلاد العربية اليوم تعددية حزبية حتى وإن هي محتشمة، واقتصاديات البلدان العربية دخلت الاقتصاد الحر، العولمة الاقتصادية وحتى «الثقافية» هي اليوم على عتبة ديارنا... أمام كل هذه التحديات... هل يعقل أن نفتقد إلى معاهد متخصصة في استطلاع الرأي وهل عملنا على فتح أقسام متخصصة تابعة لمعاهد السوسيولوجيا لتكوين محققين وتقنيين في استطلا[ع] الرأي ؟ لم نفعل ذلك.

كثيرا ما اشتكى الطالب والباحث باللغة العربية في العلوم الإنسانية نقص أو بالأحرى غياب المراجع بهذه اللغة في مادة المنهجية.

ونحن نقدم هذه الترجمة باللّغة العربية لمؤلف أنجرس فإننا نريد من وراء ذلك تحقيق هدف مزدوج، أولا وضع في متناول المشتغلين في ميدان العلوم الإنسانية في العالم العربي مادة المنهجية في تصميم البحوث في مجال العلوم الإنسانية، خاصة إذا علمنا أن الإطار المنهجي هو مستوى محوري في أي بحث اجتماعي. أما الهدف الثاني المتوخى هو تمكين هؤلاء المشتغلين في الوطن العربي من الحصول مباشرة على مادة المنهجية باللّغة العربية وبالتالي إثراء المكتبة العربية في مجال العلوم الإنسانية بالمراجع والمؤلفات القيمة في هذا الميدان.

فإذا كان العالم العربي قد خطى خطوات هامة في تعريب العلوم الإنسانية، محاولا بذلك خلق تراكم معرفي له مرجعيته الحضارية فمن البديهي أن يضع في متناول المتعلمين والباحثين في هذه العلوم الأدوات الأساسية وباللّغة العربية، وهذا من شأنه أن يضمن أكثر تفاعل واهتمام تجاه حقل العلوم الإنسانية عموما والعلوم الاجتماعية خصوصا عندنا في العالم العربي.

ووعيا منها بأهمية الرهان، فقد عمدت دار القصبة للنشر بنقل مؤلف موريس أنجرس إلى اللغة العربية. لابد من التذكير أن هذا الكتاب لقي رواجا كبيرا عند صدوره في كندا وإقبالا كبيرا لدى الطلبة والباحثين هناك، نظراً إلى كيفية عرضه لمادة المنهجية التي اتسمت بالوضوح والتبسيط واختياره لخطة تقديم مختلف مراحل البحث في العلوم الاجتماعية بصيغة تجعلك تصل حتما إلى مبتغاك عند قيامك ببحث ما في أحسن الظروف.

فالكتاب الذي بين أيدينا يتميز بغزارة معلوماته في مادة منهجية العلوم الإنسانية، حيث حاول المؤلف أن يجعل القارئ المهتم بشؤون البحث في مجال العلوم الإنسانية ملما بكل ما من شأنه أن يخدم بحثه أو دراسته تلك من خلال التركيز على الإجراءات العملية التي تستوقف أي باحث. ولكي يجعل الاستيعاب أكثر عمقا عمد المؤلف إلى اختيار جملة من الأمثلة من الواقع الكندي لعله بها يوضح للقارئ مدلول بعض الخطوات بهدف معرفة ما العمل إجرائيا عند حالات معيّنة، وهذا ما جعلنا نفضل استبدال بعض من هذه الأمثلة وتكييفها على الواقع الجزائري لنمكن القارئ الجزائري على الخصوص والقارئ العربي على العموم من الإبقاء على قرب المسافة بينه وبين الواقع المشار إليه في النص، بالإضافة إلى تقريب الفهم والاستيعاب أكثر، ولكي ندخل القارئ في سياق اجتماعي يشعر بالانتماء إليه، وهذا ما يزيد – نعتقد – القارئ العربي من التلقي الإيجابي لهذه الترجمة.

يبقى لنا أن نشير في الأخير إلى مدى الأهمية التي يكتسيها مسعى الترجمة لمؤلفات ليس فقط منهجية العلوم الإنسانية، بل كل ما ينتج في ميدان العلوم الإنسانية باللغات الأجنبية حتى نعطي كامل الفرصة للطلبة والباحثين العرب من أن يكونوا على دراية بكل هذا الإنتاج ولا تتجاوزهم نتائج البحوث التي تجرى خارج رقعة الحدود العربية.

مصطفى ماضي

سعيد سبعون

الجزائر، أفريل 2004.

المحتويات

القسم الأول : المغامرة العلمية

الفصل 1
الروح العلمية

الفصل 2
خصائص العلم

القسم الثاني : الطريقة العلمية في العلوم الإنسانية

القسم الثالث: المرحلة الأولى من البحث: تحديد المشكلة

الفصل 5

الطرح

الفصل 6

العملياتية

القسم الرابع : المرحلة الثانية من البحث : البناء التقني

الفصل 8
بناء أدوات الجمع

القسم الخامس : المرحلة الثالثة من البحث : جمع المعطيات

الفصل 9

انتقاء عناصر مجتمع البحث

الفصل 10
استعمال التقنيات

القسم السادس : المرحلة الرابعة من البحث : التحليل والتأويل

الفصل 11
تحضير المعطيات

الفصل 12
تقرير البحث

قوائم الأطر، الأشكال التوضيحية، الرسومات البيانية والجداول

الأطــر

الأشكال التوضيحية

الرسومات البيانية

الجداول

الخطوات الممكنة في الكتاب

من الفصل 8 إلى الفصل 11

القراءات المطلوبة	تقنية البحث المختارة		
	ملاحظة في عين المكان	استمارة أو استبار	مقابلة البحث
الفصل 8	• «بناء إطار الملاحظة» • «ميزة أداة الجمع»	• «بناء وثيقة الأسئلة» • «ميزة أداة الجمع»	• «بناء مخطط أو دليل المقابلة» • «صياغة الأسئلة» • «ميزة أداة الجمع»
الفصل 9	• «مجتمع البحث » • «العينة والمعاينة» • «الملاحظة في عين المكان»	• «مجتمع البحث » • «العينة والمعاينة» • «الاستمارة»	• «مجتمع البحث » • «العينة والمعاينة» • «مقابلة البحث»
الفصل 10	« تخطيط عملية الجمع » • «قبل الجمع» • «السير» • «الملاحظة في عين المكان»	• «تخطيط عملية الجمع » • «قبل الجمع» • «السير» • «الاستمارة»	• «تخطيط عملية الجمع » • «قبل الجمع» • «السير» • «مقابلة البحث»
الفصل 11	« الترميز» • « التحقق من المعطيات المتحصل عليها» • « تحويل المعطيات والمراجعة» («المعطيات الكمية» أو «المعطيات الكيفية») • « تهيئة المعطيات» («المعطيات الكمية» أو «المعطيات الكيفية») • «الأخلاق في تحضير المعطيات»	« الترميز» • « التحقق من المعطيات المتحصل عليها» • « تحويل المعطيات والمراجعة» («المعطيات الكمية») • « تهيئة المعطيات» («المعطيات الكمية») • «الأخلاق في تحضير المعطيات»	• «الترميز» • « التحقق من المعطيات المتحصل عليها» • « تحويل المعطيات والمراجعة» («المعطيات الكيفية») • « تهيئة المعطيات» («المعطيات الكيفية») • «الأخلاق في تحضير المعطيات»

القراءات المطلوبة	تقنية البحث المختارة		
	التجريب	تحليل المحتوى	تحليل الإحصائيات
الفصل 8	• «بناء المخطط التجريبي» • «ميزة أداة الجمع»	• «بناء فئات تحليل المحتوى» • «ميزة أداة الجمع»	• «بناء السلالم الرقمية» • «ميزة أداة الجمع»
الفصل 9	• «مجتمع البحث» • «العينة والمعاينة» • «التجريب»	• «مجتمع البحث» • «العينة والمعاينة» • «تحليل المحتوى»	• «مجتمع البحث» • «العينة والمعاينة» • «تحليل الإحصائيات»
الفصل 10	• «تخطيط عملية الجمع» • «قبل عملية الجمع» • «السبر» • «التجريب»	• «تخطيط عملية الجمع» • «دراسة الوثائق» • «تحليل المحتوى»	• «تخطيط عملية الجمع» • «دراسة الوثائق» • «تحليل الإحصائيات»
الفصل 11	• «الترميز» • «التحقق من المعطيات المتحصل عليها» • «تحويل المعطيات والمراجعة» («المعطيات الكمية») • «تهيئة المعطيات» («المعطيات الكمية») • «الأخلاق في تحضير المعطيات»	• «الترميز» • «التحقق من المعطيات المتحصل عليها» • «تحويل المعطيات و المراجعة» («المعطيات الكمية» أو «المعطيات الكيفية») • «تهيئة المعطيات» («المعطيات الكمية» أو «المعطيات الكيفية») • «الأخلاق في تحضير المعطيات»	• «الترميز» • «التحقق من المعطيات المتحصل عليها» • «تحويل المعطيات والمراجعة» («المعطيات الكمية») • «تهيئة المعطيات» («المعطيات الكمية») • «الأخلاق في تحضير المعطيات»

عـناصــر الكـفـاءة	الـفـصـول
إظهار حيازة فكر علمي	1. الروح العلمية
تفسير خصائص العلم مع تبيان ما يفرق العلوم الإنسانية عن علوم الطبيعة	2. خصائص العلم
وصف خصائص البحث في العلوم الإنسانية	3. البحث
تفسير الجوانب المنهجية للبحث في العلوم الإنسانية	4. المنهجية
طرح مشكلة البحث	5. الطرح
إعطاء بعداً عملياتيا لمشكلة البحث	6. العملياتية
اختيار تقنية البحث	7. تقنيات البحث
بناء أداة جمع المعطيات	8. بناء أدوات الجمع

القسم الأول

المغامرة العلمية

يبدو البحث العلمي وكأنه مغامرة تجمع نشاطات وتجارب علمية مليئة بالمخاطر والمستجدات. لكن المغامرة في هذا المجال لا تتم صدفة، بل تخضع لمسعى خاص يتميز بالدقة والمنهج والموضوعية، وهي أيضا مغامرة تتطلب كثيرا، ومثيرة للاهتمام والحذر.

إنها تتطلب كثيرا لكونها تستدعي جهودا متواصلة وقدرة كبيرة على التخيل والمثابرة والتحكم في الذات. وهي مثيرة لأنها تولد فرحة الاكتشاف، والإحساس باكتساب مؤهلات وقدرات جديدة والسعادة بالتقدم، وأخيرا الارتياح الكبير عند تولي مهمة إنجاز مشروع كبير والوصول به إلى غايته المرجوة.

قبل الشروع في المغامرة ، على المرء أن يحضر نفسه لها وأن يسعى قدر الإمكان لمعرفة طبيعتها. عملية التحضير هذه هي موضوع القسم الأول من هذا الكتاب الذي يتضمن الفصل الأول منه تعريف الروح العلمية كسلوك خاص لابد من التحلي بها لتسهيل عملية البحث في المراحل اللاحقة. أما الفصل الثاني فهو يعالج خصائص العلم ونوع المعرفة التي يؤدي إليها والتعريف بلغة العلم وأهدافه والموضوعين الرئيسيين اللذين يقوم بدراستهما وهما : الإنسان والطبيعة.

الفصل 1

الروح العلمية

العلم هو المجال الوحيد الذي يسمح لنا بحب ما نهدم، وأن نجعل الماضي يستمر مع نفيه في نفس الوقت، كما نستطيع أن نوقر أستاذنا مع معارضته.
GASTON BACHELARD

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن:

- يصف الاستعدادات الذهنية الملائمة للنشاط العلمي؛
- يتبين أهمية الملاحظة في العلم؛
- يعرف لماذا نطرح أسئلة في العلم؛
- يعرف بدقة دور التجريد في التفكير العلمي؛
- يتبصر العلاقة بين المنهج والتنظيم خلال إنجاز بحث؛
- يحدّد التفتح الذهني في مجال العلم؛
- يفهم معنى الموضوعية في العلم.

تمهيد

لقد جرت العادة قبل شروع المرء في أي نشاط واتخاذ الموقف الذي يناسبه أن يستعد له ذهنيا حتى يضمن النجاح فيه لاحقا : فعند جلوسه أمام مقود السيارة، مثلا، فهو مطالب بالحذر قبل الانطلاق ؛ كما يعتبر التركيز ضروري بالنسبة إلى الطالب أمام ورقة الامتحان.

بالمثل يتطلب النشاط العلمي هو الآخر تحضيرا ذهنيا، ذلك لأنه لا يمكن أعتبار **العلم** مجرد مجموعة من المعارف التي ينبغي تعلمها، بل هو، إضافة إلى ذلك، نشاط منتج للمعرفة عن طريق البحوث والدراسات. إن الموقف والاستعدادات الذهنية الخاصة بهذا النشاط، والتي ينبغي أن يتميز بها كل **باحث علمي**، نسميها **بالروح العلمية**. إذا كان هناك ما يسمى بالروح الرياضية التي تتميز بها النشاطات البدنية والرياضية عموما، هناك أيضا الروح العلمية التي ينبغي أن تتشبع بها نشاطات البحث.

علـم
مجموعة منسجمة من المعارف المتعلقة ببعض فئات الظواهر أو المواضيع المنتجة طبقا لمنهج وطريقة خاصين، أي البحث.

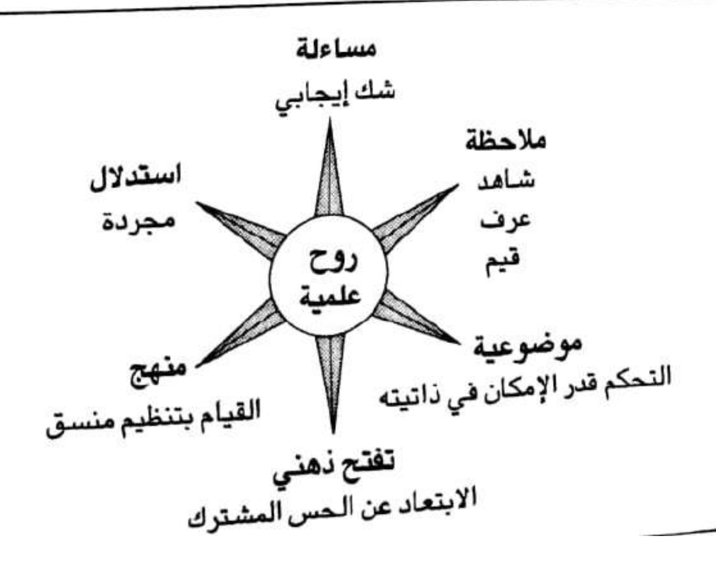
باحث علمي
شخص متخصص في ميدان من ميادين العلوم، يتعاطى البحث النظري أو الأمبريقي.

روح علمية
سلوك يتميز ببعض الاستعدادات الذهنية الأساسية بالنسبة إلى الطريقة العلمية.

فالملاحظة والمساءلة والاستدلال والمنهج والتفتح الذهني والموضوعية وغيرها من الخصائص الأخرى التي تتميز بها الروح العلمية (أنظر الشكل 1)، تكوّن في مجموعها تلك المكاسب التي تسمح بممارسة البحث العلمي بنجاح.

شكل 1

مميزات الروح العلمية



الملاحظة

ماهو الدافع إلى الملاحظة ؟ ما الذي يغذيها ؟ إنها، في البداية، الفضولية، التي لا تعني في العلم عدم السرية، بل هي مرادفة للرغبة الإيجابية في الاطلاع والتي يشعر بها كل شخص ولكن بدرجات متفاوتة، ثم تأتي بعد ذلك العناية والاهتمام اللذين يحملهما المرء تجاه الكائنات والأشياء التي تحيط به، وبهذا المعنى فإن الروح الملاحظة هي روح فضولية.

الميل إلى المشاهدة

يظهر الاستعداد الذهني للروح العلمية من خلال الميل نحو الاهتمام بكل ما يحيط بنا ؛ إنه الميل الأكثر شيوعا. من الذي لم يسبق له أن جلس في إحدى زوايا الشارع المكتظ بالباعة والزبائن، أو في بهو إحدى المقاهي أو في أحد المراصد المنعزلة في إحدى الغابات وهو منشغل بملاحظة شيء ما ؟ إن هذا الموقف لهو في الحقيقة دليل على وجود رغبة في الكشف عما تخفيه المظاهر الخارجية، وبالتالي فحص هذا العالم الذي لا نكوّن منه في الواقع سوى جزءا من الحقيقة. إن هذا الاهتمام الموجه نحو الأشخاص والأشياء، ماهو إلا خطوة أولى من جهد يحاول فهم محيطنا. للوصول إلى الفهم، فإن العلم، كما سنرى، قد أعدّ أدوات كثيرة. تأتي في مقدمة هذه الأدوات، **الملاحظة العلمية** التي تسمح، بما لها من جاذبية، باكتشاف وفهم بعض جوانب الظواهر التي مازالت إلى حد الآن مبهمة، والتي كانت في البداية خالية من أية فائدة.

ملاحظة
فعل فحص الظاهرة بكل اهتمام وعناية.

مراحل الملاحظة

تنمي الروح العلمية الميل نحو الملاحظة التي لا تتوقف عند مجرد اختبار الرؤية البسيطة للكائنات والأشياء. وقد قسم Selye (1973) هذا الميل إلى ثلاث مراحل مختلفة وهي : كوني ألاحظ معناه أنني أشاهد أو أعاين، أي أنني أرى شيئا أو شخصا ما موجود أمام بصري ؛ ثم كوني ألاحظ معناه أتعرف أو أحدد إن كان الشخص أو الشيء معروف أم غير معروف، أو لم تسبق مشاهدته من قبل، وأخيرا فكوني ألاحظ معناه أنني

أقوم بقياس، أو بمعنى أوسع، أقوم بتقييم الشخص أو الشيء. فكون الشخص أو الشيء «يقاس بكذا» أو أنه «يحمل الجنسية كذا» ماهي في الواقع إلا أمثلة حية عن عملية التقييم. هكذا أكون قد وضعت وحددت المقاييس التي تسمح لي بضبط قامة هذا الشخص وكذا جنسيته.

نفرض، مثلا، أنك وصلت إلى المقهى المتواجد في مكان عملك أو دراستك، وشاهدت من الوهلة الأولى أربعة أشخاص جالسون حول طاولة، ففي هذه الحالة تكون قد أنجزت الخطوة الأولى وهي المشاهدة، ثم تبين لك بعد ذلك أن اثنين منهما قد سبق لك وأن رأيتهما، وأن الشخصين الآخرين لم يسبق لك رؤيتهما، ففي هذه الحالة، وهي الخطوة الثانية، تكون قد تعرفت على اثنين منهما. أما في الخطوة الثالثة والأخيرة فإنك ستحاول معرفة إن كان ينبغي عليك أن تتوجه نحوهما أو تمتنع عن ذلك، فعندئذٍ تكون قد قمت بعملية التقييم، هذا التقييم يتم انطلاقا من اعتبارات ومقاييس عديدة، مثل الرغبة في التحدث معهما، درجة الإزعاج الذي قد تسببه لهما، الأهمية المحتملة لموضوع الحديث بينهما، إلخ.

إن كل هذه العمليات تتم في ذهنك في وقت قصير نسبيا، كما أنه لا يمكنك دائما إدراك كل هذه المراحل المتنوعة. فالإدراك إذا، والتعرف، ثم التقييم، كلها عمليات تجعل الملاحظة العلمية أبعد ما تكون مجرد مشاهدة بسيطة ؛ إذ يمكننا، في الحياة العادية، التوقف عند المرحلة الأولى والاكتفاء بها، أما في حالةالتزامنا بروح علمية فإننا مجبرون باجتياز المراحل الثلاث التي سبق ذكرها.

أهمية الملاحظة

كل علم هو بالضرورة موجه نحو التحقق من فرضياته في الواقع ؛ لذلك تأتي ملاحظة هذا الواقع في مركز اهتمام الطريقة العلمية. إن اكتفاء الملاحظة بالنظر إلى الأشخاص أو الأشياء دون مراعاة مدى تطابقها مع التجربة الحقيقية هو، من دون شك، مخالف للروح العلمية. إن هذه الأخيرة تسعى إلى معرفة الواقع أو بالأحرى تغييره، لهذا فهي منشغلة دائما بضرورة التحقق واختبار ما تتصوره على محك الواقع. هكذا تبدو ملاحظة الواقع لا غنى عنها لكل عمل يريد أن يقوم على أسس علمية. فالمؤرخ المغربي، ابن خلدون، الذي عاش في القرن 14، يعتبر المؤسس الحقيقي

التاريخ العلمي، لكونه أول من ركز بحثه التاريخي على ملاحظة «طبيعة الأشياء» (Lacoste 1966). إن الملاحظة بالنسبة إلى العلماء هي انشغال أساسي، ينبغي لتفكيرهم أن يظل متشبثا بها، بالضبط كما تتشبث أعين سائق السيارة بالطريق.

المساءلة

حتى لو قمنا بتطبيق الملاحظة المركزة والمتأنية، فمن المستحيل، في الواقع، أن نشاهد كل شيء في نفس الوقت أو نعطي نفس الاهتمام لكل الظواهر موضوع الملاحظة. إن الأسئلة التي تطرح قبل الملاحظة أو أثناءها هي التي توجه بكيفية أو بأخرى مشاهدتنا. باختصار، فالأسئلة هي التي تسمح لنا بانتقاء وتحديد الظواهر التي سيتركز حولها أو يتوقف عندها التفكير. هكذا، لو أخذنا المثال السابق وهو دخولك المقهى، فإذا كنت قد قررت مسبقا أنك ستجلس وحيدا أو مع أشخاص آخرين، فإن مشاهدتك لكل ما يجري في بهو المقهى سوف لا تتم بنفس الكيفية السابقة.

حب التساؤل

إن الملاحظة في العلم لا تتم دون تحضير؛ إنها تكون مسبوقة بسؤال أو بعدّة أسئلة، تدفع هي الأخرى من جهتها إلى التركيز على بعض الوقائع واستثناء وقائع أخرى. أثناء قيامنا بالملاحظة فإن الروح العلمية تبحث عن تجاوز مجرد المشاهدة البسيطة. إنها تشاهد الكائنات والأشياء وتتحسس الوقائع الجديدة وغير المألوفة بالنظر إليها عن قرب والتأمل فيها أطول مدة ممكنة. رغم ذلك، فإن الروح العلمية لا تتوقف عند هذا الحد، ذلك لأن السؤال الذي سيظل مطروحا هو : لماذا أخذ هذا الشيء أو ذاك هذا الاتجاه أو ذاك ؟ أو لماذا تتبنى هذه المجموعة الاجتماعية هذا السلوك أو ذاك، إلخ ؟ إنها باختصار الروح العلمية التي تحب التساؤل باستمرار.

مساءلة
فعل التساؤل حول ظاهرة ما.

إن المعرفة العلمية تنطلق من **المساءلة** التي تعتبر بمثابة المفتاح الذي لا غنى عنه لفتح أبواب المعرفة : «بالنسبة إلى الروح العلمية، فإن كل معرفة هي جواب لسؤال. إذا لم يكن هناك سؤال، لا يمكن أن تكون هناك معرفة علمية» (G. Bachelard 1967 : 14).

الشـك الإيـجـابـي

إن طرحنا للأسئلة يعني أننا نشك في سلامة الأسس التي تقوم عليها بعض الأشياء، أو أننا نريد أن نتساءل من جديد حول بعض المعتقدات أو الثوابت المقبولة من طرف الآخرين. مثلا : هل عرفت المجتمعات الغربية حقا ما يسمى بالثورة الجنسية ؟ أو هل يندمج حاليا المهاجرون إلى الكيبك (Québec) في المجتمع الذي يتخذ من اللغة الفرنسية ومن الثقافة الفرنكوفونية لغة وثقافة له؟ إن مثل هذا التساؤل هو الذي يمدنا ببعض الحرية في التفكير، وكذلك الأمر في العلم، فإن حرية التفكير تتميز بالشك بالمعنى الإيجابي للكلمة، أي أنها تتميز بالقدرة على عدم قبول أي شيء وكأنه مكسب أبدي. إن الشك لا يعني عدم الاعتقاد في أي شيء، بل الأصح في العلم هو التفكير في أن كل إثبات أو تأكيد سيظل مؤقتا ومن واجب العلماء ألاّ يتغاضوا عن ذلك. ولكي يكتمل عمل البحث بصورة جيدة على هؤلاء العلماء أن يتساءلوا ويستمروا في طرح الأسئلة دون توقف وذلك حتى يتمكنوا من تسجيل ملاحظات متعددة تكون معللة وموجهة من طرف تساؤلاتهم.

باختصار فإن الشك يسمح بطرح الأسئلة التي من شأنها أن تؤدي إلى الاكتشاف، وفي نفس هذا المعنى نستطيع الحديث عن فكر نقدي، أي الفكر القائم على التساؤل قبل قبوله لأية فكرة كانت. هذا لا يعني أننا سنتخذ دائما موقفا مخالفا لما توصل إليه من سبقنا، بل ينبغي الإيمان، وبكل بساطة، بأنه لا يوجد يقين مطلق في العلم (Popper 1990 و Lorenz).

أهمية المساءلة

إن التساؤل لا غنى عنه في البحث لأنه يمثل نقطة الانطلاق طالما أن الوقائع لا تكشف بنفسها عن خباياها ؛ فإذا ما استغنينا عن التساؤل الهادف والمصاغ بوضوح أثناء قيامنا بالملاحظة، فمهما كانت مدة ملاحظتنا لظاهرة ما ودقتها، فإنها ستكون خالية من كل قيمة مفيدة للمعرفة العلمية.

لنفرض، على سبيل المثال، أن شخصان يقومان بملاحظة نفس الظاهرة، وأن أحدهما قد وضع مسبقا تساؤلا حول ما سيشاهده. بالنسبة

إلى هذا الشخص فإن الملاحظة سيكون لها من دون شك معنى أعمق مقارنة بملاحظة الشخص الثاني التي تخلو من أي تساؤل مسبق، وبالتالي سينساها بمجرد مرورها.

باختصار، إن الاكتشاف يستحيل من دون بحث، أي دون مساءلة حول موضوع محل الدراسة، أو حول بعض الجوانب في الظاهرة التي ينبغي أن توضح. إن هذه المساءلة هي التي تسمح بتعريف مشكلة البحث وتحديدها.

أنظر الفصل 5، «تدقيق المشكلة».

الاستدلال

إن المساءلة المشار إليها أعلاه ليست اعتباطية ولا هي عفوية، بل هي نتيجة لفعل رزين ومتعقل وقائم على **الاستدلال**، وبالتالي فإن العقل يفرض نفسه كأداة مفضلة.

استدلال
فعل التصور عن طريق الذهن.

هل هناك من حاجة للقول إن الكائن البشري موهوب بعقل وأن هذا الأخير هو الذي يمنح له الأدوات الفكرية (intellectuels) الضرورية التي تسمح له بالتقصي والتساؤل عن طبيعة الكائنات والأشياء.

التجريد

إن القدرة على التجريد هي خاصية أخرى من خصائص الروح العلمية والاستدلال، إنها قدرة الفهم الذي لا نمنحه في الحال لما ندركه ؛ ففعل التجريد هو في الواقع القيام بعملية عزل جزء مكون لكل بواسطة التفكير، وذلك مثل فصل عنصر ما من عناصر الظاهرة واعتباره مستقلا عن العناصر الأخرى . فاللون الأخضر، مثلا، يمكن أن يكون منتوج لونين نسميهما أوليين، وهما الأزرق والأصفر ؛ كما يمكن معرفة شكل المربع أو الدائرة بصفة مستقلة عن مظهريهما الحقيقيين اللذين يبدوان عليهما في الأشياء. إن ما نقوم به في هذه الحالة إذن هو الرجوع إلى المصطلحات التي بنيت بمساعدة الاستدلال، والتي تتجاوز مجرد الإدراك العاجل. إن الحديث عن الديمقراطية، مثلا، أو عن عقدة أو ديب، هو بمثابة العودة إلى حقائق بنيت بفضل القدرة على التجريد، والتي من دونها ستظل بعض الظواهر مبهمة وغير مفهومة.

أهمية الاستدلال

إن الاستدلال المؤدي إلى التجريد هو مسعى أساسي في العلم؛ ومن غير الممكن لنا أن نتقدم نحو الاكتشافات العلمية إلا إذا قمنا بوضع الاقتراحات قصد مساءلة الواقع المراد ملاحظته. هذه الاقتراحات ستبقى دوما بمثابة تجريدات كثيفة ومتشابكة؛ زيادة على ذلك، فإن الاستدلال يسمح بتحليل الواقع وتأويله. كل مقولة علمية لا تنشأ إلا عند اختبار استدلالي يسعى لأن يبعث من اللاتنظيم الظاهر اقتراحات مجردة، وأن يعطي لهذا اللاتنظيم الظاهر نوعا من الانسجام.

المنهج

لوطرحنا أسئلة في العلم بمساعدة الاستدلال العلمي، ومن أجل ملاحظة أفضل فهذا لا يعني أننا نقوم بذلك وفق مسعى غير واضح، بل يتم ذلك **وفق منهج**، وهذا المنهج محدد هنا بمجموعة من الإجراءات والطرق الدقيقة المتبناة من أجل الوصول إلى نتيجة. إن المنهج في العلم مسألة جوهرية، كما أن الإجراءات المستخدمة أثناء إعداد البحث وتنفيذه هي التي تحدد النتائج.

وفق منهج
بصرامة وبرغبة في التنظيم.

هكذا ومهما كان الشخص الذي يقوم بالبحث، فهو مطالب باحترام المسعى الذي هو في الواقع طريقة دقيقة وصحيحة ومنظمة وفقا لمنطق غير مرن، وبكلمات أخرى فهو مسعى صارم، ولكي يكون مقبولا، وتترتب عليه نتائج ملائمة، فإن هذا المسعى يتطلب الصرامة. يوجد في العلم إذن مثلما هو الحال في ميادين أخرى، منهجا، وهو عبارة عن سلسلة من المراحل المتتالية التي ينبغي اتباعها بكيفية منسقة ومنظمة.

التنظيم

تعتمد صحة أي بحث علمي، وبدرجة كبيرة، على المنهج المستعمل والكيفية التي استعمل وفقها لدراسة الواقع. نعتمد في البداية على مجموعة الإجراءات والوسائل (سنتعرض لها لاحقا بشيء من التفصيل) المتكاملة والمتعاقبة والمتداخلة فيما بينها. كما نعتمد أيضا على النظريات، وهي جملة الاقتراحات الموحدة والمنسجمة، إضافة إلى أدوات القياس.

يجب أن تكون الطريقة العلمية منظمة ومرتبة، أما الروح العلمية فستتقيد بتصور التنظيم الذي يسمح لها ببلوغ الهدف المتوخى ؛ وبالتالي تكون الروح العلمية منظمة ومنهجية، وبهذا المعنى فهي تخطط وسائل إنجاز البحث وتهيكلها وتنسق بينها، أي أنها تقوم بتوطيد المنهج المعتمد وتمتينه.

أهمية المنهج

إن مجموع المساعي التي يعتمدها الباحث أو الباحثة تكشف وبمعنى واسع عن تصوره للبحث أو لمنهجه. إن هذا المنهج لايتحدد بكيفية غامضة، ولكنه يكون قائما على اقتراحات تم التفكير فيها ومراجعتها جيدا والتي تسمح له بتنفيذ خطوات عمله بصفة صارمة بمساعدة الأدوات والوسائل التي تضمن له النجاح، وفي نفس الوقت مدى صحة المسعى، أي الطريقة. إن هذين الجانبين، أي المنهج والصحة مترابطان، فإذا لم يكن المسعى منهجيا فإن النجاح سيكون سطحيا أو ظاهريا فقط.

لهذا ينبغي أن يتضمن تقرير البحث بالضرورة قسما حول المنهجية يتم فيه توضيح الطريقة المعتمدة، ذلك أن النتائج في حد ذاتها لا تعني شيئا بل إن الأساس المتين لبحث ما وصحته هما اللذان سيتم الحكم عليهما أساسا، انطلاقا من مدى ملاءمة المنهج ووسائل تطبيقه.

انظر الفصل 12، «المنهجية المستعملة».

التفتح الذهني

تتحدد السلوكات والأفعال والاعتقادات التي تتميز بها الحياة اليومية بما نسميه في غالب الأحيان «بالحس المشترك». هكذا، فالاعتقاد أن الفقراء يمكنهم الإفلات من الفقر في حالة قيامهم بجهد أو أن المهاجرين من دول الجنوب يمثلون حملا ثقيلا على اقتصاديات دول الشمال، يمكن أن يظهر للكثير على أنه مأخوذ من الحس المشترك، كما قد يلقن البعض الآخر أن الاوروبيين الذين هاجروا إلى أمريكا في القرنين 16 و17 إنما فعلوا ذلك من أجل هدف واحد، وهو الإقامة في أراض شاغرة ؛ في حين قد يتجه البعض الآخر أيضا، وبالضبط أولئك الذين يعيشون في عائلات يتقاسم فيها الأبوين، وبكيفية منسجمة، المهام الأسرية، إلى التصور أن الأمر يجري على نفس المنوال في جميع الأسر. إنه لم يتم تحليل (إثبات أو نفي) هذه التأكيدات، بالعكس فإن نقيضها هو الذي تم

البرهنة عليه. في بعض الحالات يبتعد الواقع عما هو معترف به عامة من طرف الجميع، في حين أن **تفتح الذهن** يتضمن فكرة احتمال عدم ملاءمة الواقع مع الأفكار الملقنة والمكتسبة.

تفتح ذهني
موقف يسمح بتصور طرق جديدة في التفكير.

على الروح العلمية أن تتقبل تجاوز الأحكام والحس المشترك المتفق عليه وأن تبتعد بقدر الإمكان عن العفوية في التفكير، إنها مطالبة بقبول وجود طرق أخرى لتصور الأشياء، غير تلك التي تعودت عليها.

التحكم في الذات

إن هذا الانفتاح على كل ما بوسعه أن يغير من تصوراتنا الأولية يتطلب جهدا للتحكم في الذات، وهذا ما يكتسي أهمية بالغة في العلم. لهذا ينبغي أن نتعود على ترك الأحكام المسبقة جانبا، وعلينا بقبول النتائج حتى ولو كانت مناقضة لأفكارنا المكتسبة.

من جهة أخرى، قد نكون مدفوعين إلى استخلاص النتائج دون أن نقوم، على الأقل، بتحليل وضعية ما، في حين وحتى يكون المسعى العلمي مثمرا، فمن المفيد جدا أن نتجنب التصورات العامة والتفسيرات العفوية الناجمة عن التنشئة والتجارب السابقة. إن المطلوب هو أن نبقى متفتحين على الملاحظات والنتائج المستجدة وغير المتعودين عليها.

أهميـة التفتح الذهـني

إن الابتعاد والتراجع عن الاعتقادات والطرق المتعود عليها في التعامل مع الأشياء والتفكير فيها هي خطوة ضرورية، لأن الأفكار المسبقة قد تحمل خطر إخفاء بعض الأبعاد الجديدة للظاهرة التي تجري ملاحظتها. إن الرواسب السابقة قد تحجب الفكر وتجعله غير قادر على رؤية كل ما هو جديد؛ وبحكم التواضع الذي تتميز به الروح العلمية، فعليها أن تكون دائما على استعداد لإعادة النظر في هذه الرواسب وأن تقبل بحقيقة عدم صحتها مقارنة بما هو موضوع الملاحظه، ولأجل هذا سيظل التفتح الذهني مهما.

إن هذا التفتح الذهني لا ينبغي أن يظهر فقط في بداية البحث، بل ينبغي أن يظل مستمرا طوال مدة إنجاز البحث ؛ قد يحدث وأن يجبر التفتح الذهني على رفض الاقتراحات الأولية، غير أن هذا الرفض لا يجب

اعتباره كفشل طالما أن هذا لا يقلل من فائدة البحث وقيمته . في الواقع، لابد من القول إن العلم يتطور وفقا لهذا المنوال إن لم نقل عن طريق رفض الأفكار أو دحض نتائجه السابقة. لقد ذهب Popper (1959)، أحد فلاسفة العلوم، إلى حد تقييم النظرية أو الفرضية العلمية على أساس مدى قابليتها لمبدأ الدحض أو عدم قابليتها ؛ كما يتصور تطور العلوم كتعاقب لا محدود لعمليات الدحض، وكمثال على ذلك يقول : مهما كان عدد البط الأبيض الذي كان بإمكاننا ملاحظته، فإن التأكيد على أن كل البط أبيض يظل غير مبرر لأنه من المحتمل وجود بعض البط الأسود الذي لم يكن في استطاعتنا ملاحظته. أما Kuhn (1972)، وهو أحد فلاسفة العلوم أيضا، فلم يذهب إلى حد الاعتقاد، كما فعل سالفه، بوجود دحض مستمر في العلم، حيث فسر مؤخرا كيف تنشأ الثورات العلمية. إنها تبدأ في الظهور عندما يتجرأ العلماء على سلوك ممرات غير الممرات أو الدروب المعتادة وذلك عندما يشعرون أنهم عاجزون عن إيجاد حل لظاهرة غير عادية ضمن النظرية والتجارب السائدة. إنهم بهذا «يصارعون» من أجل انتصار رؤيتهم الجديدة للعالَمْ.

باختصار، فإن الذهن المتفتح يبحث باستمرار وطوال مدة المسعى عن الانفصال عن الأفكار المسبقة. إن هذا المسعى يشبه إلى حد كبير مضمارا مليئا بالحواجز، حيث تمثل هذه الأخيرة الإغراءات الناتجة عن الأفكار الراسخة المتفق عليها عامة. إلا أن هذا لا يعني نفي كلي للمعارف العلمية السابقة، بل لا ينبغي قبولها دون أن تختبر. فالمعرفة العامة شيء والمعارف العلمية شيء آخر تماما ؛ والتفتح الذهني يتضمن ضرورة الاحتياط من الأولى وإعادة تقييم الثانية.

الموضوعية

موضوعية
ميزة من يتطرق إلى الواقع بأكبر صدق ممكن.

لقد كثر الحديث عن **الموضوعية**. فإذا كانت تعني بالنسبة إلى بعض الأشخاص الحياد، فبالنسبة إلى آخرين فإنها تعني الابتعاد عن المصالح الذاتية. لكن إذا كانت الموضوعية عادة مرادفة لعدم التحيّز إلى رأي أو إلى موقف ما، فهي، بصفة أخص، ميزة كل ما يصف شيء أو ظاهرة بصدق، أي كل ما يمنح تمثيلا مطابقا للواقع. فالموضوعية هي إذا بمثابة مثل أعلى يستحيل بلوغه. فعلا، وبالرغم من أننا نطمح إلى وصف صادق لما

نشاهده أو نسمعه، إلا أن ما نراه أو نسمعه يتم وفق كياننا المتعد
للشعور والإحساس والأحكام والتجارب والمعارف بما في ذلك العقل

الذاتيـة

حتى في العلم الذي يعتبر ميدانا للموضوعية، يتدخل منذ
عنصر الذاتية : إنها المصلحة. إن البحث العلمي يتطلب من
استخدام كل طاقته، الشيء الذي يجعل من الصعب عليه
مصلحته من هذا البحث. بنفس الكيفية، فإن المصلحة تمده بالد
للوصول بمشروع البحث إلى هدفه. بكلمات أخرى، فإنه لا يستطيع
أن يكون حياديا أمام الواقع، واتخاذه للحيطة والحذر من كل
الذاتية هو في حد ذاته خطوة أولى نحو الموضوعية. في هذا المعنى
الباحث أو الباحثة يحاول أن يتجاوز أبعد ما يمكن أفكاره
واستعمال كل الوسائل الموجودة تحت تصرفه، حتى يتجنب
أو التدليس الذي يمكن أن تكون النتائج التي يطمح إلى بلوغها عرضة

هل يعني هذا أن الكائن الموضوعي هو ذلك الذي يتنكر لذاتيته أو
الذي يمكنه كتمانها ؟ فالتنكر للذاتية سيكون بمثابة نكران الذات في
ذاتها أو نكران كل ما يحمل على حب القيام بالبحث مثلا. ذلك
التناقض. لهذا نقول عن التفكير العلمي إنه يتجه نحو الموضوعية
انشغال كل اللحظات، إنها تمثل جزءا من الانضباط الشخصي الذي
غنى عنه عند قيام أي شخص كان بالعمل العلمي. هكذا، فمن
الجميلة أن يروض الباحث ذاتيته ويجعل طاقته ومصلحته في
مشروع البحث الجاري إنجازه.

أهمـيـة النـقـد

على مستوى آخر، حتى لو كانت الروح العلمية تميل نحو الموضوعية
ليس هناك ما يؤكد أننا لم نسلك طريقا خاطئا. إن الحياد لا ينشأ من
وكذلك الأمر فيما يخص الحذاقة، كما أن صحوتنا ليست دائما
صدق. لهذا، ومن أجل ضمان حد أقصى من الموضوعية، يقبل الباحث
الباحثة أن يحكم على عمله من طرف زملائه، أي من طرف هؤلاء
يشتغلون في نفس الميدان العلمي. إن ما هو معترف به في

العلمية هو أن «التبادل المعمم للنقد» على حد تعبير بورديو، شامبردون وباسرون (Bourdieu, Chamboredon et Passeron 1968 : 112)، ضروري للإبقاء على درجات عالية من الموضوعية. إن انتقادات ما يمكن أن نتفق على تسميته بالمجموعة العلمية (communauté scientifique) هي التي تمنح، وبفضل المفعول الرجعي (rétroaction)، الشهرة لبعض أعضاء هذه المجموعة الذين اجتازوا اختبار الاعتراف النقدي من طرف زملائهم. لهذا لا ينبغي التخوف من تعليقات الآخرين وانتقاداتهم مهما كانت، بالعكس، ينبغي تقبلها، لأنها تمثل الضمان الأكثر يقينا لاستمرار موضوعية عمل ما، والذي تطمح إليه من دون شك كل روح علمية. هكذا نتقبل أنه يمكننا أن نسلك طريقا خاطئا في بعض الأحيان كما ندرك أيضا أن العلماء الآخرين يمثلون دعامة وليس عائقا في طريق نجاحنا.

خاتمة

إن الروح العلمية هي استعداد ذهني خاص يكتسب عن طريق الممارسة والتجربة. خلال المدة التي يستغرقها إنجاز البحث تكون مهمتنا الرئيسية هي تنمية القدرات الخاصة بالروح العلمية، وبالتالي تظهر كل النشاطات على أنها ضرورية وفي متناولنا ؛ فتدريب الباحث لروحه العلمية بهذه الكيفية يتطلب بالتأكيد جهدا معينا، و سيمنحه في المقابل كثيرا من السعادة والارتياح. كما يمكن للطريقة العلمية أيضا أن تستدرج الشخص الذي يتبناها نحو نظرة متجددة إلى العالم، وتسمح له أيضا بتنمية مؤهلات أخرى جديدة قد تخدمه في مجالات أخرى من مجالات الحياة. مهما كان نوع المهنة المرتقبة، وخاصة إذا كنا نحلم بمهنة علمية، فالوصول إلى امتلاك تصورات ذهنية جديدة هو بالتأكيد إثراء ذات قيمة وفائدة كبيرتين. في الأخير فإن الروح العلمية ضرورية لأي شخص مبتدىء كان أو محترفا يباشر أو يقوم بالبحث في العلوم.

رغم كل ما سبق ذكره، فإن السؤال المتعلق بالروح العلمية قد يظل قائما وهو : هل تؤدي هذه الروح العلمية حتما إلى اكتشافات وابتكارات واختراعات جديدة، أو إلى فكرة عبقرية ؟ أو هل يوجد هناك وصفات أو كيفيات ما تسمح باكتساب شهرة في ميدان العلم ؟ فالعلماء الذين بحثوا عن ذلك لا يبدو أنهم قد وجدوا الجواب الحاسم والنهائي، إذ لا يوجد منهج لخلق أفكار جديدة، أو مؤدي حتما إلى اكتشافات جديدة إلى حد الآن. لهذا

نجد البعض ممن يتحدث عن الحدس، في حين نجد ممن يتحدث ببساطة عن الأحلام (Séguin : 170). بهذا المعنى، لما نعتقد أننا توصلنا إلى إيجاد فكرة جديدة، فينبغي الارتباط بها أولا، ثم إخضاعها للمتطلبات الخاصة بالطريقة العلمية.

ملخص

تتميز الروح العلمية بستة استعدادات ذهنية وهي : الملاحظة، المساءلة، الاستدلال، المنهج، التفتح الذهني وأخيرا الموضوعية. ولكل واحدة من هذه الاستعدادات دور في هذه اللحظة أو تلك من لحظات البحث. فإذا كانت الملاحظة تسمح بالتحقق من الافتراضات، فإن المساءلة تساهم في تحديد موضوع البحث، وإذا كان الاستدلال هو الأساس في صياغة مشكلة البحث، فإن المنهج يتضمن الإجراءات التي تهدف إلى تنظيم البحث، وأخيرا، إذا كان التفتح الذهني يسمح بالابتعاد عن الأفكار المسبقة، فإن الموضوعية ستظل مثلا أعلى ينتظر بلوغه.

إن كل واحدة من هذه الاستعدادات تحث على سلوكات محددة. فالروح الملاحظة، مثلا، تتغذى من الرغبة في المشاهدة والمعاينة أولا، ثم التعرف ثانيا وأخيرا التقييم وفق المقاييس المختارة. أما روح التساؤل فتميل إلى طرح أسئلة عن الكائنات والأشياء وتستعمل الشك بكيفية بناءة وإيجابية، أما الروح الاستدلالية فإنها قائمة على حب التفكير والتمرن التجريدي لبلوغ الواقع بما في ذلك عناصره الأولية ؛ أما الروح المنهجية فتنظم وترتب لإنجاز العمل بأكبر دقة ممكنة ؛ أما الذهن المتفتح فيهتم باكتشاف مختلف طرق التفكير ويحاول التحكم في ردود أفعالها المألوفة والتي تحجب كل ما هو جديد في الوضعيات الملاحظة ؛ وأخيرا، فإن الروح الموضوعية تتوق إلى تقديم عرض عن ملاحظاتها بأكبر صدق وأمانة بمراقبة الذاتية.

إن كل هذه الاستعدادات لها نفس الأهمية، والعلم «مدين»، سواء في وجوده أو في تقدمه، إلى أشخاص عرفوا كيف يجددون طرق مشاهدتهم ومعاينتهم وتساؤلهم وتأملهم وتنظيمهم واكتشافهم وأخيرا التحكم في ذاتيتهم.

مصطلحات أساسية

- علم
- باحث علمي
- روح علمية
- ملاحظة
- مساءلة
- استدلال
- وفق منهج
- تفتح ذهني
- موضوعية

1. شاهد، تعرف، قيم، هي العناصر المكونة للاستعداد الذهني الخاص بالروح العلمية. ما هو هذا الاستعداد الذهني، وفيما تكمن أهميته بالنسبة إلى العلم؟

2. ما معنى الشك الإيجابي وإلى أي ميزة من ميزات الروح العلمية تنتسب هذه العبارة ؟

3. من أين تنحدر أهمية الاستدلال في العلم ؟

4. متى تكون الروح العلمية منهجية ؟

5. بماذا يسمح التفتح الذهني في العلم ؟

6. ما معنى إخضاع ذاتيته وإلى أي ميزة من ميزات الروح العلمية تنتسب هذه العبارة ؟

---

7. كيف تؤسس شهرة بعض العلماء ؟

8. حدد بدقة كيف نستطيع أن نربط العلاقة بين :

.ألاحظ وأتساءل ؛

.أتساءل وأستدل ؛

. أستدل وأكون منهجيا ؛

. أن تكون منهجيا وتتمتع بالتفتح الذهني ؛

.التمتع بالتفتح الذهني والميل نحو الموضوعية ؛

. الميل نحو الموضوعية والتحكم في الملاحظة.

[...] لا يجب الخلط بين المعرف و المعرف نهائيا، بمجرد أن الأول يقترح أو يشير إلى بعض المعالم الدلالية فقط [...]

THINÈS ET L'EMPEREUR

أهـــداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن :

- يحدد بدقة مختلف أشكال المعارف غير العلمية ؛
- يظهر على أي أساس تقوم المعرفة العلمية ؛
- يحيط بمفهومي الاستقراء والاستنباط ؛
- يشخص لغة العلم ؛
- يفهم دور النظرية ؛
- يحدد بدقة الأهداف الخاصة بالعلم : الوصف، التصنيف، التفسير والفهم ؛
- يصف موضوع علوم الطبيعة ويقارنه بموضوع العلوم الإنسانية.

تمهيد

ماهو العلم ؟ تحمل كلمة علـم عدة معاني ورموز. إن رؤيتنا
وهو يمارس نشاطه تجعلنا نتساءل في تعجب «ما هذا العلم ؟» في
الحالة يكون حديثنا منصبا على تلك المهارات والقدرات التي
الرياضي وهو يمارس نشاطه. كما قد يدل تساؤلنا هنا على تلك
الفنية التي يكون هذا الرياضي قد اكتسبها للوصول إلى هذه
نفس السؤال : «ما هذا العلم ؟» ! يمكن أن يقع على مسامعنا أثناء
لإحدى المحاضرات. ما نقصده هنا هو امتداد وشساعة مجالات المعرفة
كما يكون غرضنا من وراء طرح سؤال : «ما هذا العلم ؟» ! هو الكشف
مدى عمق ودقة هذه المعاني والرموز والدلالات والمقاصد. باختصار
مجموع المعارف المتوفرة والموظفة في أي ميدان كان، عادة
إليها أو تحدد بكلمة علم. هكذا، فلو تم الترتيب وفقا لنظام فكري
لأصبح لدينا علم تربية الحيوانات، المعارف وعلوم السحر والتنجيم

إلا إننا في هذا الكتاب حددنا كلمة علم بأنه نشاط الهدف منه
انتاج، باستعمال وسائل خاصة به، معرفة تتميز عن المعارف الأخرى
وتختلف عنها. هناك عدّة أطروحات تحاول تفسير مصدر هذه المعرفة
وللعلم أيضا خصائص أخرى مثل لغة خاصة، أهداف محددة
بالإضافة إلى موضوعي دراسة : الطبيعة والإنسان.

أنـواع المـعـارف

هناك نوعان من المعارف : المعارف غير العلمية والمعارف العلمية

المعارف غير العلمية

يمكننا جمع مختلف أنواع المعارف غير العلمية في ثلاث فئات كبرى وهي
المعارف العادية أو الشعبية ؛ معارف الحرفة أو المهنة ؛ المعارف الدينية

إن هذه المعارف الناشئة عن مستويات إدراك مختلفة هي عبارة عن
مجموعات مختلفة من المعارف التي تم إنتاجها وتحويلها وفق شروط
مختلفة أيضا. يقترح كل نوع من هذه المعارف نظاما معينا لتفسير
الواقع، أو بعض مظاهره وأوجهه، وهو نظام منسجم ومتماسك إلى حد
ما، ومقبول أو صحيح إلى حد ما ومتنازع حوله إلى حد ما أيضا.

إن المعارف العادية ، مثلا، عادة ما تصل إلينا عن طريق التقليد، أي عن طريقة تفكير وتصرف موروثة عن الماضي أو عن طريق الاعتقادات الشعبية (croyances populaires) أو الخرافات (superstitions) أو الحدسيات، كما يمكن لبعض التجارب أن تكون أيضا مصادر لهذا النوع من المعارف.

كقاعدة عامة، معظم معارفنا وكيفيات تصرفنا (في تفكيرنا وأعمالنا) غالبا ما نستمدهما ونقتبسهما من هذه المعارف غير العلمية، ومنها أيضا نستمد تفسيراتنا للوقائع والظواهر التي تواجهنا ؛ تفسيرات تبدو لنا وكأنها مبنية، أو تظهر وكأنها مستندة إلى استدلال أو إلى بعض السلطات، التي لم يتم بعد إعادة النظر في حكمها ونفوذها.

إن هذه المعارف والتفسيرات التي تكوِّن ما نسميه بالحس المشترك يمكن أن تظهر فعالية كبيرة في الحياة اليومية، لكنها لن تكون ملائمة تماما للبحث العلمي. في الحقيقة إن هذه الأنماط لإنتاج واكتساب المعارف ماقبل علمية أو غير العلمية لم نشر إليها هنا بهدف نقدها ولكن للتمييز بينها وبين نمط إنتاج واكتساب المعرفة العلمية. هكذا، حتى الاستدلال الذي هو خاصية من خصائص الروح العلمية ليس في حد ذاته طريقة علمية دقيقة لفهم الواقع. بنفس الطريقة، قد يؤدي الحدس إلى اكتشاف علمي لا يمكن التنبؤ به ولا حتى بلوغه ولو بتوظيف واستعمال المعرفة العلمية.

المعرفة العلمية

معرفة علمية
نوع من المعرفة المتنامية باستمرار وهي موجهة نحو دراسة الظواهر والتحقق منها.

ظواهر
وقائع مدركة بصفة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الحواس والتي تمثل موضوع المعرفة العلمية.

إن **المعرفة العلمية** هي نوع من المعرفة يقوم على دراسة **الظواهر** التي يتم إدراكها في غالب الأحيان عن طريق الحواس، وهي : السمع، اللمس، الشم، الرؤية والذوق ؛ إلا أنه من غير الممكن ملاحظة هذه الظواهر دائما أو بصفة مباشرة ؛ إذ لا تقوى العين على رؤية كل ما يجري في المجال الرحب، كما أن الأذن قد لا تستطيع سماع أصوات متعددة والتمييز بينها في نفس الوقت، لهذا يصبح من الضروري في بعض الأحيان اللجوء إلى استعمال أدوات تسمح برؤية أكثر تفصيلا وبعدا، والاستماع بأكثر حدة وصفاء، والتذوق أو الشم أو اللمس بانضباط وإحكام أكثر.

من جهة أخرى، لايمكن رؤية بعض الظوهر أو إدراكها مباشرة، إلا من خلال أعراضها وآثارها. مثلا، يمكن معرفة النشاط الكهربائي

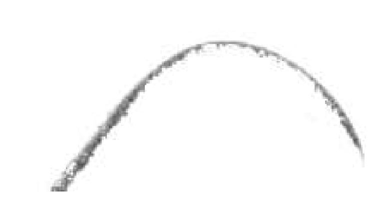
للقلب من خلال الرسم الذي يمدنا به المخطط الكهربائي للقلب (électrocardiogramme)، كما لا يمكن قياس معدلات الجريمة واتساع مداها وانتشاره إلا بالرجوع إلى استغلال المعطيات الواردة في محاضر الشرطة. هكذا، فالمعرفة العلمية تقوم، إذن، على أحداث ووقائع، أو على أعراض وأثار يمكن إدراكها، ويبقى علينا نحن التحقق من طبيعتها بواسطة الاختبار.

تحقق
إجراءات تأكيد الظواهر.

فعلا، إننا، في ميدان العلم، منكبون دائما على **التحقق** من طبيعة ما نعتقد أننا قد كشفنا عنه، لهذا نقوم باستمرار بسن إجراءات التحديد أو إنشائها والتحقق بهدف معرفة هذه الظواهر أكثر، ثم نقوم بعد ذلك بعرض هذه الإجراءات التي استعملناها نحن على علماء آخرين (بغرض نقدها وإثرائها)، أي أننا نسمح لهم بالتحقق من مدى صدقها ودقتها؛ وهكذا، فليس هناك معرفة علمية دون تفتح على التحقق أكثر فأكثر. ورغم أنه لا يمكن التحقق دائما وفي الحال من كل الإجراءات المصممة خصيصا لظاهرة ما، فإن القيمة العلمية لإدراك هذا التصميم وفهمه لا يمكن ضمانها إلا بعد التحقق منها. هذا يعني أن المعرفة العلمية تتطلب دائما حججا وبراهين.

تطور علمي
نمو مستمر للمعارف الخاصة بالعلم.

بالإضافة إلى هذا، فإن المعرفة العلمية تتميز **بتطورها** الدائم، إذ لا يمكن أن يتوقف انتشارها دون أن يؤدي ذلك إلى نفيها أو إنكارها، ذلك لأن هدفها هو زيادة اكتشافاتها حول الظواهر دون توقف، أي أن يؤدي كل اكتشاف إلى اكتشاف آخر وهكذا دواليك، وهذا هو ما يعبر عنه عادة بتراكم المعارف الذي لا نهاية له، أو ما يعرف أيضا بتتابع ثورات المعرفة. إن المعرفة العلمية تتطور وتتقدم دائما ولا يمكن أن تكتفي بما تم اكتسابه. فضلا عن ذلك، فكل باحث لا يبدأ من الصفر كما لو لم يتم (في مجاله) أي شيء من قبل. لقد عرف النظريات والاكتشافات السابقة، ويستعملها إما لتنقيتها وتصفيتها وتكرارها وإما للاعتراض عليها. بكيفية أو بأخرى فإن التقاليد العلمية لا تنفي أو تتجاهل أبدا التفسيرات الجديدة التي يتم أو يجري اقتراحها باستمرار. إن العلم، منذ انطلاقه في القرن 19، مازال محل إثراء مستمر بالمعارف التي ينتجها خبراؤه وممارسوه. إن هذا التطور لا يمكن أن ينتهي طالما يبدو الواقع أنه غير فان.



إطار 1.2

الديـن والعلـم

لكل من الدين والعلم نظام معرفي خاص به، فكل منهما يتوفر على مجموعة من الممارسات المرتبطة بمعارفه. فالدين، أيا كان، يقدم معارفه في شكل عقيدة، أي معرفة موحى بها من إله أو رسول، وهي غير قابلة للتحقق أو التمحيص، إلا عن طريق قناعة شخصية داخلية. هذه العقيدة معرفة كحقيقة مسلم بها. أما المعرفة العلمية فهي، بالعكس، مجموعة من الأفكار المتبناة والتي يمكن دحضها أو رفضها بعد التحقق منها.

لقد جرت العادة أن نقابل بين الدين والعلم. إذا كانت بعض الأديان قد شنعت العلم فإن بعض العلماء، من جهتهم، قد زعموا أنهم قد برهنوا على عدم وجود الله. لقد قل احتدام هذه الخصومات في الوقت الراهن لأن الكنائس أصبحت، من جهتها، تقبل في الواقع بشرعية العمل العلمي. من جهتهم، العلماء الكبار ليسوا أقل تدينا (من رجال الدين أنفسهم) ؛ والآن أصبح ينظر إلى العمل العلمي كنشاط مهني له متطلباته كأي نشاط مهني آخر، والذي لا يدخل بالضرورة في نزاع مع الاعتقادات الشخصية الدينية أو غيرها للباحث أو الباحثة.

مصدر المعرفة العلمية

ماهو مصدر المعرفة العلمية : هل هو الاستقراء أو الاستنباط أو هما معا ؟ تحاول **الابستمولوجيا**، باعتبارها فرع مختص بدراسة أسس المعرفة العلمية، الإجابة عن هذا السؤال.

ابستمولوجيا
دراسة نقدية لتكون العلوم، قيمتها وأهميتها.

أطروحة الاستقراء

تدعي إحدى المواقف المتطرفة في الابستمولوجيا أن المعرفة العلمية ناشئة أصلا عن التجربة، أي أنها ناشئة عن ملاحظة الواقع. ويؤكد أصحاب هذا الموقف أن العلم استقرائي. هكذا، انطلاقا من التأكيد السابق والمتكرر للظاهرة، يمكن القول، مثلا، إنه مع بلوغ هذا المؤشر السوسيو اقتصادي أو ذلك يمكن التنبؤ بأنه ستتولى السلطة، في بلد ما، حكومة غير ديمقراطية. إنّ ملاحظة الواقع هي التي تؤدي إلى هذا الافتراض، وبالتالي فإن هذا الافتراض لن يكون سوى مستقرأ.

استقراء علمي
استدلال مستمد من ملاحظة وقائع خاصة، بهدف استخلاص افتراضات عامة.

تمنح أطروحة **الاستقراء** إذن الأسبقية لجمع الملاحظات عن الظواهر بهدف الاستنتاج الممكن للافتراضات العامة المؤدية إلى بعض الانسجام. تنطلق هذه الأطروحة من اعتبار أن كل ملاحظ دقيق أو ملاحظة دقيقة، وإلى حد ما، بإمكانه القيام بالنشاط العلمي ؛ إذ يمكن أن نغرق في ملاحظة العديد من الوقائع دون أن يكون في مقدورنا استشفاف إمكانية تنظيمها، أو استشفاف أي تدبير نظري. هكذا، فمن السهل أن نجمع عددا لا بأس به من المعطيات حول سلوكات الطفل الذي يعاني مشاكل، مثلا، دون أن يكون في إمكاننا التقدم، ولو بخطوة واحدة، في فهم هذه المشاكل، لأنه من المستحيل تنظيم هذه المعطيات تنظيما محكما ومنسقا. يمكن القول إذن إن ملاحظة الظواهر لا تضمن تطور المعرفة العلمية.

أطروحة الاستنباط

استنباط علمي
استدلال مستمد من افتراضات عامة بغية التحقق من صحتها في الواقع.

في أقصى الطرح الابستمولوجي الآخر، هناك أطروحة **الاستنباط** التي تدعي أن العلاقات الممكنة بين الظواهر ماهي إلا بناءات فكرية يمكن التحقق منها في الواقع لاحقا. في نظر أصحاب هذه الأطروحة، العلم استنباطي ؛ إذ من الممكن أن نتخيل نظريا أن شعبا ما لا يمكن أن يحافظ

على نظام سياسي ما إلا إذا كان هذا النظام يساهم في وقف انتشار المشاكل الخطيرة في البلاد. انطلاقا من هذا **الافتراض** التجريدي سيتم لاحقا استنباط مجموعة من التأكيدات التي سنحاول التحقق منها عن طريق الدراسة الواقعية للوضع في مختلف البلدان. حسب هذه الأطروحة، فإن الافتراض يبنى أولا، ثم يتم التحقق منه لاحقا.

افتراض
عرض يعبر عن علاقة قائمة بين عنصرين أو اكثر بواسطة كلمات أو رموز.

إذا ما أردنا حصر الحديث، نقول إنه بإمكان أي شخص يظهر بعض قدرات التخمين أو فن الاستدلال أن يدعي أنه يمارس النشاط العلمي، مع احتمال إرجاء المواجهة مع الواقع إلى وقت لاحق، لأن الضرورة ليست مستعجلة. هكذا نرى إذن تعدد النظريات، التي تدعي العلمية، والتي ستؤدي في حال وضعها محل التطبيق إلى نتائج وخيمة. مثلا، أثناء الحرب العالمية الثانية، قام النازيون بإعداد نظريات انطلاقا من استدلالات منسجمة، إلا أنها غير مبنية، انهارت فيما بعد بمجرد دراسة الظواهر ذاتها.

محاولة إيجاد الحل

لو لم يكن العلم حاضرا في هذين الاتجاهين الابستمولوجيين (الاستقراء والاستنباط) لكان النقاش قد انتهى منذ مدة طويلة، والسبب هو أن العلم يتضمن دائما لحظات للاستدلال و أخرى للملاحظة. هل يسبق بعضها البعض الآخر ؟ من جديد، هنا يكمن كل النقاش ؛ إذ كلما تعمقنا أكثر في هاتين الأطروحتين الكبيرتين (الاستقراء والاستنباط) وتشعبت أبعاد تحليلاتنا لما يحملانه من مضامين علمية ونظرية، بهدف معرفة مصدر المعرفة العلمية، كلما اتسعت أكثر دائرة تصوراتنا، وازداد إدراكنا أن الأمر يتعلق بمشكلة يتعذر حلها. فقد اعترف برنار Bernard (1963)، وهو فيزيولوجي من القرن 19، بصعوبة الفصل الدقيق بين الاستقراء والاستنباط، بل ذهب إلى حد التساؤل إن كنا أمام نوعين متميزين من الاستدلال. هكذا، في الوقت الذي نعتقد أننا بصدد الاستقراء فقط، يمكن أن تتدخل محاولات التفسير الناتجة عن الاستدلالات السابقة ؛ والعكس، ففي الوقت الذي نعتقد فيه أننا بصدد الاستنباط، يمكن أن ينشأ الاستدلال الذي أقمناه دون أن يكون لدينا أي شك في الملاحظات التي قمنا بها سابقا.

إننا، في الواقع، أمام حركتين للفكر، تبدوان وكأنهما في علاقة مستمرة، وتقومان بأدوار متكاملة وأساسية في الممارسة العلمية. إن الباحث أو الباحثة يشتغل أساسا في إطار استنباطي، أو في إطار نظرية قائمة، أما ملاحظة الظواهر فتقتضي إعادة النظر باستمرار في بعض عناصر هذه النظرية، وربما إعادة النظر في النظرية ذاتها. يمثل الاكتشاف العلمي، بالتأكيد، خاصية استقرائية، ولهذا سيظل المسعيين ـ الاستقراء والاستنباط ـ ربما أكثر ارتباطا مما قد نتصور في أذهاننا ؛ لذلك يمكن أن نتصور أن المفاهيم والملاحظات ماهي إلا عبارة عن لحظات ضرورية في سيرورة البحث ويمكنها أن تتدخل في كل مراحله.

لغة العلم

يسعى العلم إلى تفسير الواقع ؛ وللقيام بذلك فإنه يقوم باستخدام الرموز والألفاظ التي تمكنه من الاستقراء والاستنباط، ولهذا لابد من الاستعانة بمفردات خاصة قادرة على وصف العمل العلمي بأكثر دقة ممكنة، ويمكننا بفضل هذه الألفاظ إعداد النظريات فيما بعد.

نوعية الألفاظ والمفردات

تعلمنا للعلم هو في الأساس، وإلى حد كبير، تعلمنا للغته. ولهذا، فإن أحد أهم أهداف هذا الكتاب هو تقديم جزء من المفردات المرتبطة بسياقات البحث. لماذا نحن مطالبون، مثلا، بعدم استعمال اللغة التي نوظفها في حياتنا اليومية ؟ في الحقيقة هناك عدد من الألفاظ العلمية التي نستعملها في لغتنا العادية : الوزن، الجمهور، الحظ، العينة، إلخ. إن العلم لا يتميز باستعماله للمفردات الغامضة. ولكنه يتميز بالأحرى بكيفية استعماله للكلمات، حتى ولو كانت هذه الأخيرة مستمدة من اللغة العادية. إنه يمنح لهذه الكلمات ميزة شكلية خاصة، لأنه يبحث عن **أحادية معنى اللفظ**. بعبارة أخرى، فإن كل لفظ مستعمل ... ... ألا يكون

أحادية لفظ
ميزة ما يحدد في معن...

هذين اللفظين يغطي نفس الواقع.

في نفس الوقت، فإن العلاقات القائمة بين الالفاظ المستعملة والتي نسميها بالتركيب بين الكلمات (syntaxe) ينبغي أن تكون ذات منطق بسيط وواضح. فلو تحدثنا، مثلا، عن السببية، ينبغي أن يكون مفهوما من طرف الجميع أن هناك على الأقل ظاهرتين تتسبب إحداهما في ظهور الأخرى. لهذا، فإننا لا نستعمل لفظ السببية إلا في مثل هذا النوع من العلاقة بين الظواهر. هكذا تعمل اللغة العلمية على إقامة **الانسجام** بين الالفاظ.

انسجام
علاقة منطقية بين الالفاظ المستعملة.

زيادة على ذلك، فإننا لا نستعمل الكلمة في العلم دون أن نحددها بدقة قدر الإمكان وبكيفية واضحة، وذلك من أجل تجنب الغموض بين معناها (العلمي) وبين استعمالها الجاري (العامي). إن **الدقة** هي ميزة أخرى من مميزات اللغة العلمية. إن هذا التعريف للألفاظ يعتبر جزءا ضروريا لتهيئة العمل العلمي أو إعداده، لأن كل هذه العمليات تهدف إلى إعطاء وضوح أكثر للغة المستعملة حتى يتسنى فهمها وتأويلها بكيفية واحدة من طرف أي شخص كان.

دقة لفظ
ميزة ما هو دقيق.

من المدهش القول إن العلم يستعمل لغة واضحة. بالأحرى يظهر العلم من الخارج أنه شيء غامض ومعقد كثيرا، والسبب هنا يعود إلى اللغة التي تبدو أنها خاصة به. ولكي نهتدي إلى ذلك لابد من التدرب والاطلاع أكثر، بالضبط كما لو كنا نحضر إلى احتفال ديني (لابد من معرفة قواعده) أو إلى منافسة رياضية، حيث لا نعرف شيئا عن القواعد الخاصة بها. إن الاطلاع على فرع علمي والإلمام به يتطلب إذن معرفة قبل كل شيء مفردات خاصة.

إن هذه اللغة التي تختلف عن تلك اللغة التي يتحدث بها ويكتبها المجتمع في استعماله اليومي تتطلب ترجمة حتى تكون سهلة وفي متناول أكبر عدد ممكن من الأشخاص ؛ وفي هذا الشأن يعمل المترجمون على جعل ما يجري في الميدان العلمي مفهوما من قبل الجمهور الواسع. إنهم (المترجمون) المبسطون للعلم، إنهم يقومون بالدور المهم كوسطاء بين العلماء والجمهور الواسع.

إطـــار 2.2

الشعر والعلم

إن لكل من الشعر والعلم لغة خاصة به، إنهما يتطلبان بعض المهارات والتدريبات لفهم وإدراك دلالتهما. فالفروق الدقيقة بين هذين الشكلين من اللغة يمكن أن تسمح بإدراك أكثر لخصوصية كل منهما ؛ غير أن هذا لا يعني أنه لا يمكن الاستعارة بين هذين النشاطين. إن الكلمة في العلم تذهب في اتجاه واحد، أما في الأدب أو الشعر فالكلمة تأخذ معاني متعددة. إن العلم يسعى للإقناع بواسطة وضوحه، أما الشعر فيجذب عن طريق إيحاءاته.

إن الجملة في العلم تستدعي العقل، أما في الأدب فبيت الشعر يتحدث إلى القلب ؛ في حالة العلم تختار الكلمات لدقتها أما في حالة الأدب فهي تختار لمعناها.

فقول الشاعر Nelligan «آه، كم سقط الثلج !»، يختلف عن قول رجل الإرصاد الجوي «بلغ سقوط الثلج مستوى 30 سنتمتر». فهاتين الجملتين لم يتم قولهما بنفس الكيفية ولا بنفس الهدف.

إن هذين النوعين من اللغة نابعان عن طريقتين مختلفتين لفهم العالم، وهما معا قابلان للتجربة الإنسانية. إن بعض العلماء لا يكتبون فقط في مجال تخصصهم بل إنهم يغامرون بالكتابة في الميدان الأدبي، وأحسن مثال على ذلك الفلكي (Hubert Reeves)، وعالم الاجتماع (Fernand Dumont).

النظرية

نظرية
مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها.

انطلاقا من تعريف المصطلحات وتحديد العلاقات الموجودة بينها يستطيع الباحث أو الباحثة بناء مجموعة من المقولات حول الظاهرة موضوع الدراسة، حيث تمثل هذه المجموعة من الافتراضات التي تريد تفسير هذا الجزء من الواقع موضوع الدراسة **النظرية**. فالنظرية، وعن طريق مجموع افتراضاتها، تلعب دورا أساسيا في العلم لأنها تساعد في توحيد وتوضيح ما يتم التأكيد عليه حول الواقع المدروس، وبالتالي تمنح الانسجام للميدان المعرفي بفضل ما تقترحه من تفسيرات يحتمل أن تظل محل اختبار دائم على محك الوقائع والأحداث. هذا هو، إذا، التوضيح الجيد لسيرورة الاستنتاج أو الاستنباط.

قانون
صيغة عامة تنص على ميزة شيء أو على علاقة بين الظواهر، ويتم التحقق منه وفق منهج محدد.

إن بعض النظريات تسمح بإقامة **القوانين**، وتقدم هذه المجموعة من القوانين عادة على أنها النظرية الخاصة بميدان دراسة معين ؛ فالقانون في النظرية هو بمثابة توضيح وتبيان للعلاقة الثابتة بين الظواهر المعنية. ففي الاقتصاد، مثلا، وحسب قانون العرض والطلب نقول إن هناك توافق بين العرض والطلب، إذا كانت كل الأشياء متساوية من جهة أخرى، وعليه فإن القانون سيكون بمثابة توقع مسبق للنتيجة.

إن النظرية بالنسبة إلى العلم هي بمثابة البوصلة للمكتشف. إنها دليل لا غنى عنه في اختيار المسالك والطرق التي سيعبرها الباحث، حيث تسمح له بتنظيم الملاحظات الكثيرة وتبرر الأدوات التي يستخدمها، وباختصار إنها توجه البحث. بعد التحقق منها وتدقيقها، تصبح النظرية عبارة عن نسق من المعلومات تسمح للباحث بأن ينطلق منها لفهم ووضع صياغات جديدة وتفسيرات أكثر عمومية وعمق. وهكذا، فمشاهير المنظرين في ميدان معرفي ما هم أولئك الذين استطاعوا إقامة نظرية مازالت تستعمل من قبل الباحثين الحاليين كمرشد ودليل.

أنظر الفصل 5، «إسهامات النظرية».

انطلاقا من خصوصيتها الاستنباطية والتجريدية بالضرورة، قد تبدو النظرية من الوهلة الأولى عسيرة، مما يؤدي إلى التطرق إليها وكأنها حلقة من التعريفات (المحددات) التي لابد من معرفتها، وأنه ينبغي النظر إلى هذه الأخيرة (المحددات) كأدوات يستعان بها للوصول إلى إدراك وفهم أحسن للظواهر الملاحظة. لهذا، فعند دراستنا لعنصر ما في النظرية، ينبغي أن نتساءل عما إذا كان سيسمح لنا حقيقة بالإدراك والفهم ؛ ولهذا تبدو النظرية كشعاع يضيىء جزءا من الواقع، وهكذا نتجاوز بكل بساطة التجريد مع الاحتفاظ بمصطلحات النظرية لأنها تتلاءم والصور التي كوناها عن الواقع، ووفقا لهذا الفهم الجيد، فإن النظرية تمثل جاذبية مؤكدة لأنها تؤدي بنا إلى الواقع الذي كان في السابق غامضا في أذهاننا.

إن وصف بعض النظريات بأنها جزئية أو متوسطة المدى، لأنها لا تنطبق إلا على مواضيع خاصة داخل فرع خاص، إنما يعود إلى كونها تحاول التركيز في تفسيرها على ظواهر خاصة. في التاريخ، مثلا، حاول بعض المؤرخين تفسير أسباب غياب بورجوازية الأعمال لدى الكنديين من أصل فرنسي في القرن التاسع عشر، إما انطلاقا من شرح بنية السيطرة الانجليزية منذ الغزو البريطاني، وإما انطلاقا من ذهنية الكنديين الفرنسيين في تلك الفترة. نفس الشيء يمكن قوله في الاقتصاد، إذ لدينا نظريتان حول دور الدولة في النشاطات الاقتصادية. إن هذه النظريات الجزئية تنشأ عن نظريات أكثر اتساعاً وخاصة بمجموع الفرع. ففي علم الاجتماع، مثلا، تسعى بعض النظريات الكبيرة مثل الوظيفية، الماركسية والفعلوية في نفس الوقت، إلى ترجمة الواقع في كليته وتقديم نفسها كنماذج للدراسة في مختلف أجزاء هذا الفرع وأقسامه.

في الأخير، فإن بعض النظريات تنبع من فروع خاصة وتسعى أن تكو[ن]
لها قيمة تفسيرية وتأويلية كبيرة في فروع كثيرة من فروع العلو[م]
الإنسانية، ولهذا نتحدث، مثلا، عن الاتجاهات الماركسية والوظيفية في
العلوم الإنسانية. إن النظرية، حاليا، مازالت تسعى لتكون أكثر شمولية
أي أن الأمر يتعلق بنظرية الأنساق التي نجدها سواء في الإدارة أو
البيولوجيا أو السياسة أو في ميادين أخرى.

أهـداف العـلـم

العلم هو أصلا نشاط لمعرفة الواقع. إن هدفه الأول هو معرفة هذا الواقع، ومن أجل ذلك يتعمق العلم أكثر فأكثر في المواضيع ويتجاوز سطحياتها ومظاهرها الخارجية. لهذا فهو مطالب بتثبيت القاعدة الهامة الآتية : التمسك بالتساؤل الدائم في مواجهة الحس المشترك الذي عادة ما يمثل عائقا بدلا من أن يكون عاملا مساعدا في فهم الظواهر. وسواء تعلق الأمر بباسكال (Pascal) الذي تساءل عن كره الطبيعة للفراغ وذلك حسب الحس المشترك السائد في تلك الفترة، أو بعلماء الإجرام الحاليين الذين يسعون لإعادة النظر في الإدعاء بفعالية عقوبة الإعدام فإن ما ينبغي أخذه بعين الاعتبار في كل الحالات هو المحافظة على ذهن متفتح ونقدي في مقابل وجهات النظر الأكثر انتشارا في فترة زمنية معينة، ففي هذه الحالة يصبح من الممكن القيام باختبار معمق للواقع.

انظر الفصل 1، «التفتح الذهني».

الوصف

إن أحد أهداف العلم الأكثر دقة هو النجاح في وصف الواقع، وبعبارة أخرى هو إنتاج جرد أكثر صدق ما أمكن حول خصائص الموضوع أو الظاهرة المطروحة للدراسة. سواء أكانت هذه الظاهرة ذلك المسار الذي يسلكه النيزك أو نشاط مؤسسة ما أو الظاهرة الانتحارية، فإن الباحث سيحاول التدقيق في مختلف عناصر الموضوع. إن **الوصف** هو إذا واحد من أهداف العلم.

وصف
تمثيل مفصل وصادق لموضوع أو ظاهرة ما.

التصنيف

إن العلم لا يكتفي بوصف المواضيع والظواهر، بل يبحث أيضا عن تصنيفها وترتيبها. وللقيام بذلك، فإنه يقوم باختصارها واختزالها في

بعض الفئات من العناصر وذلك بتجميعها حسب بعض المقاييس ومدى ملاءمتها، ذلك لأن بعض هذه المواضيع والظواهر يتميز بالتقارب أو التشابه إذا ما قيس بمواضيع وظواهر أخرى. وكذلك الأمر في علم النبات أثناء قيامنا بإعادة تجميع النباتات حسب عائلاتها النباتية؛ ويمكننا أن نذهب في نفس المسار في السوسيولوجيا أو الانثروبولوجيا، أثناء محاولتنا وضع نماذج للمجتمعات. كما يمكن أن تتنوع مقاييس التجمع حسب أهداف البحث ؛ يمكننا، مثلا، أن نصنف المجتمعات حسب المظاهر التكنولوجية أو الايكولوجية أو السياسية أو غيرها. يمثل **التصنيف** إذن جزءا من أهداف العلم.

تصنيف
تجميع أشياء أو ظواهر انطلاقا من مقياس واحد أو عدة مقاييس.

التفسير

إن العلم لا يتوقف عند وصف وتصنيف المواضيع والظواهر الملاحظة ؛ وفي الواقع فإن من بين أهدافه الأخرى، وربما الأكثرها جوهرية، هو الوصول إلى تفسير هذه الظواهر. لهذا يمثل **التفسير** القلب النابض للمسعى العلمي، ذلك لأن العلم يريد، بقدر المستطاع، أن يكتشف عن طريق الملاحظة العلاقات القائمة بين الظواهر، والعلاقة التي يبحث عنها أكثر هي بطبيعة الحال علاقة سببية، أي تلك العلاقة التي تجعل إحدى الظواهر سببا في وجود ظاهرة أخرى أو عاملا رئيسيا في ظهورها.

تفسير
كشف عن علاقات تصف ظاهرة أو عدة ظواهر.

الفهم

عندما يتعلق الأمر بدراسة الأشخاص، نجد بعض الباحثين من يضيف الفهم إلى الأهداف الأخرى للعلم كتصنيف الظواهر وتفسيرها، إلخ ؛ والبعض الآخر يعارض ذلك، مع محاولة كل طرف إعطاء مصطلح الفهم معنى خاصا. في هذه الحالة فإن **الفهم** يأخذ بعين الاعتبار الواقع المعيش للأشخاص موضوع البحث كما يعبر عنه هؤلاء. إننا نفترض إذن أننا سنوضح أكثر ظاهرة ما لو حاولنا معرفة كيف يعيشها ويدركها الأشخاص المعنيين بها عوض البحث عن أسباب تصرفاتهم خارج عنها. هكذا، فبالنسبة إلى أصحاب هذا الاتجاه، فإن ظاهرة الطلاق، مثلا، ستتوضح أكثر لو تفحصنا إدراك كل شريك لدوره عوض أن نختبر التقلبات الاقتصادية والسياسية في المجتمع ككل.

فهم
اكتشاف طبيعة ظاهرة إنسانية مع أخذ بعين الاعتبار المعاني المعطاة من طرف الاشخاص المبحوثين،

إن الأمر يتعلق بالمعنى الذي يعطيه المشتركون في الوضع
لتصرفاتهم وردود أفعالهم، وفي هذا الشأن يقول Aktouf (...)
قد نتعلم أكثر من مجموعة العمال لو قمنا بمشاركتهم في نشاطاتهم ...
ذلك يسمح لنا بفهم أكثر للديناميكية الداخلية للعلاقات الموجودة
بينهم. غير أن البعض يأخذ على هذه المنهجية افتقارها إلى الأسس...
ذلك لأنه من غير الممكن، وفي كل الأحوال، التظاهر بصرامة النتائج
المتحصل عليها.

وفي الواقع ينبغي على التناولات التي تهتم بالتفسير والفهم، أن تتكامل
فيما بينها، بدلا من أن تتعارض، ذلك لأنه وفي حالة أخذ كل منها منفصلة عن
الأخرى فإنها ستظل غير كافية وضعيفة (Pourtois و Desmet 1988 : 50).

علوم الطبيعة والعلوم الإنسانية

علوم الطبيعة
علوم تتخذ من المجالات الفيزيقية والحيوية موضوعا للدراسة.

يمكن القول بصفة عامة، إن العلم هو في الأساس موجه إلى دراسة
الطبيعة. ويشتمل هذا المصطلح على العالم الفيزيقي وكذا عالم الأحياء.
وبكلمات أخرى، فإن كل ماهو موجود أو منتج دون تدخل من طرف
الإنسان يمثل ما نسميه بالطبيعة، أما الفروع الخاصة مثل الفيزياء
والكيمياء والبيولوجيا، فقد وضعت أصلا لدراسة هذه الطبيعة. وسواء
سميت بالعلوم الطبيعية أو الصحيحة أو الدقيقة، أو مجرد علوم فإنها
حاليا تسمى **بعلوم الطبيعة**. هناك فروع أخرى متصلة بها مثل الفلك
الجيولوجيا، وأخرى جديدة تكونت عن طريق ما يسمى بالتوأمة مثل
الفيزياء الفلكية والكيمياء العضوية. لقد مثلت علوم الطبيعة طريقة عمل
يحتذى بها، لم تفتأ تتطور وتنمو بشكل معتبر إلى يومنا هذا.

علوم إنسانية
علوم تتخذ من الكائن البشري موضوعا للدراسة.

من جهته، يعتبر الإنسان موضوع دراسة لها خصائصها ومميزاتها
العلمية، والهدف من مثل هذه الدراسات التي تجري في مختلف فروع
العلوم الإنسانية، هو معرفة وفهم الإنسان ومعنى أو دلالة أفعاله.
تشتمل هذه العلوم التي كانت تسمى في السابق بعلوم الإنسان، ثم لاحقا
بالعلوم الاجتماعية، خاصة في العالم الانجلو سكسوني، على فروع عديدة
تقوم بدراسة الإنسان من جوانب متعددة : ففي علم النفس، مثلا، فإن
التركيز يكون بصفة خاصة على الظواهر النفسية، أما في علم الاجتماع
فإننا سنبحث خاصة عن تفسير الظواهر الاجتماعية ؛ أما في التاريخ فإننا

سنقوم بدراسة الأحداث والوقائع الماضية ؛ أما العلاقات السياسية والاقتصادية والإدارية فإنها ستكون موضوع اهتمام فروع علم السياسة وعلم الاقتصاد والإدارة.

طرق عملها

لكي نفهم طريقة عمل علوم الطبيعة فهما جيدا لابد أن نضع في أذهاننا أنها تتعامل مع الأشياء المادية ؛ فهي تحاول اكتشاف العلاقات بين الظواهر أو الأشياء المادية. ولملاحظة هذه الظواهر والأشياء بكيفية جيدة تستعمل هذه العلوم أدوات متطورة إلى حد كبير. إن بعض هذه الأدوات مثل المجهر يساعد في بسط معاني هذه الأشياء ومكوناتها، وتمكن الملاحظ من رؤية أدق حتى لأصغر الأجسام التي تتركب منها، والتي يستحيل علينا رؤيتها بالعين المجردة. كما يسمح لنا جهاز الاديوميتر (audiomètre) قياس الأصوات التي يتعذر علينا سماعها في الحالات العادية. إن هذه الأدوات والأجهزة الخاصة سمحت لعلوم الطبيعة بتنمية تجاربها وتطويرها وذلك بالعودة الدائمة إلى **التجربة**. بعبارة أخرى، فإننا نثير موضوعا أو ظاهرة بهدف دراستها (أو إعادة دراستها) بالرجوع عموما إلى **المخبر** الذي يمكننا من خلق شروط إنتاج هذه الظاهرة ومعالجة عناصرها. هكذا تصبح المادة والأداة والتجربة عناصر يتغذى منها نموذج البحث في علوم الطبيعة، هذا الأخير يوفر الشروط المثالية لتكرار التجربة كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

تجربة فعل إثارة ظاهرة بهدف دراستها.

مخبر محل مخصص ومجهز بهدف إجراء تجارب علمية.

إن العلوم الإنسانية لها هي الأخرى طريقة عملها ؛ ولفهمها لابد أن نضع في [illegible] كائنات بشرية. إن القضية هنا تختلف

استجواب هذا الموضوع وهو الكائن البشري. إن العلوم الإنسانية ليس
تقليداً أعمى لعلوم الطبيعة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار معيار
مواضيع كل منهما، حتى وإن كانت مجالات النشاط محددة في إطار علمي
ومع كل ذلك، فلا يوجد تعارض في الطريقة العلمية المتبعة في كل
الحالتين ما عدا بعض الفروق التي لا مفر منها أثناء المعالجة الفعلية
اعتبارا لخصوصيات كل موضوع.

إطـــار 3.2

مختلف فروع العلوم الإنسانية

إن أية محاولة لوضع قائمة تامة وصادقة لكل الفروع التي يمكن إدراجها تحت إسم العلوم الإنسانية، ربما ستكون عملية متهورة. فضلا عن ذلك لا يوجد تعريف واضح ومقبول عالميا للفروع التي يحتوي عليها قطاع العلوم الاجتماعية. ويمكننا في نفس الوقت الاحتراس من أن كل مواضيع الدراسة الخاصة بالكائن البشري، والتي يتم تناولها بكيفية علمية، هي بالضرورة فروعا للعلوم الإنسانية. وهكذا يمكن الإقرار أنها تضم الأنثروبولوجيا، علم الإجرام، الديموغرافيا، الاقتصاد، الاثنولوجيا، الجغرافيا، التاريخ، الحضارات القديمة، علم النفس، علم النفس الاجتماعي، الإبداع الفني، العلاقات الصناعية، علم السياسة، العلوم الإدارية، علوم اللغة، العلوم القانونية وعلم الاجتماع.

يضاف إلى هذا، وخلافا لممارس أو ممارسة علوم الطبيعة، فإن الباحث أو الباحثة في العلوم الإنسانية، هما من نفس طبيعة الموضوع المدروس (المبحوث). ولهذا ينبغي علينا مضاعفة الحذر حول ما نقدمه أو نذكر به حول تجربتنا الشخصية ذلك لأنها ليست بالضرورة هي نفس تجربة الآخرين. ولهذا ينبغي علينا أيضا تجنب منح الآخرين دوافعنا وحوافزنا الخاصة.

يضاف إلى ذلك أن الأشخاص أو الجماعات، ليسوا صورا يطابق كل منها الأخرى، فكل شخص هو عبارة عن مركز لتجارب أصلية، يجعله في النهاية فريد من نوعه. باختصار، هناك مجموعة من العوامل التي يمكن أن تتدخل في سلوك كل شخص وتصرفه، وهذا ما يجعل من مهمة مراقبة هذه العوامل مهمة صعبة للغاية. هذا يجعل الملاحظة، في هذه الحالة، أمرا معقدا منه لو تعلق الأمر بدراسة حيوانات من نفس الفصيلة أو دراسة عينتين من نفس المعدن. وإذا كان في إمكاننا بالنسبة إلى الحالة الأخيرة، إعادة إنتاج وتكرار التجربة كلما دعت الضرورة إلى ذلك لأن مكونات الموضوع ستظل هي عينها فإن الأمر بالنسبة إلى الحالة الأولى يختلف تماما، ذلك لأن التجربة المخبرية في هذا الميدان مازال استعمالها محدودا للغاية. ولكي تبقى متطابقة، فإن الوضعيات والمواضيع تتطلب سلسلة من المحاذير والشروط التي لا يمكننا المحافظة عليها دائما وبسهولة. وقد يكون هدفنا هو دراسة بعض السلوكات المحددة فقط، ولا تقبل بذلك إلا بعض العناصر وعن طواعية. لهذا لا يمكن إعادة إنتاج عن طواعية وضعيات تمت دراستها، واعتبار ذلك كما لو أننا اشتغلنا حول مواضيع فيزيقية.

بعبارة أخرى، فإن العالم المادي أكثر بساطة من العالم الإنساني. فالعالم الفيزيقي لا يمكنه إنتاج نفسه ولا إعادة إنتاجها. أما العالم الحي، فيمكنه ذلك، ولكن بدرجة أقل تعقيد من الكائن البشري. لهذا، فموضوع العلوم الإنسانية هو أكثر تعقيد من موضوع علوم الطبيعة، حتى ولو كنا، سواء في هذا الجانب أو ذاك، لانزال بعيدين كثيرا عن النفوذ إلى كل الأسرار. ذلك أن الكائن البشري يعطي معنى لأفعاله، وأن كل شخص هو ذات (أو هوية) أصلية وبالتالي مظهرا من مظاهر تعقد الموضوع.

الأكثر من هذا، حتى وإن كان من الممكن أن يخضع الكائن البشري للقياس، فقياس أفعاله وتصرفاته ليس أمرا سهلا، كما هو حال الكائن المادي في علوم الطبيعة. في هذه الحالة الأخيرة، فإنه من الممكن استعمال مجموعة من الأدوات التي لا تمدد المعاني فقط ولكنها تمدنا بقياسات

دقيقة للظواهر الأساسية المطلوب دراستها. أما في العلوم الإنسانية، فإن كانت بعض الظواهر قابلة للقياس مثل حساب تكاليف المعيشة أو الأجوبة عن استقصاء أو استبار ما، فإن ظواهر أخرى مثل الهوية الوطنية أو العقد، لا يمكن فهمها بالضرورة بواسطة قياسات كمية.

أيضا، إذا كانت العلوم الإنسانية تميل إلى التفسير، فإنها، في كثير من الأحيان، لا تسمح بالدراسة الدقيقة للعليات أو المسببات. في حين أن الأمر في علوم الطبيعة، وبفضل التجربة، منتشر إلى حد كبير، ولهذا يمكننا إثارة ومراقبة الوضعيات التي تسمح لنا بدراسة الآثار التي تحدثها ظاهرة ما في ظاهرة أخرى. أما في العلوم الإنسانية فقد تتداخل عدة ظواهر، مما يجعل من الصعب، بل من المستحيل، مراقبة الظواهر التي تسمح بعزل السبب أو الأسباب. وإذا كان من الممكن إعفاء بعض العوامل المفسرة لظاهرة ما، فإنه من النادر أن يحدث ذلك بالنسبة إلى علاقة بين سبب ونتيجة. في الأخير، فإن العلوم الإنسانية قد وضعت نموذجا أو نمطا لتحليل فهمي للظواهر يتم بواسطته أخذ بعين الاعتبار المعنى الذي تعطيه الكائنات البشرية لسلوكاتها ضمن مجموع التأويلات. أما في علوم الطبيعة فهذه المسألة غير مطروحة، لأن الموضوع (أو الكائن) لا ينتج معاني. وللمقارنة بين خصوصيات الموضوع في العلوم الإنسانية وخصوصياته في علوم الطبيعة أنظر الجدول الآتي:

شكل 2

الموضوع في العلوم الإنسانية وفي علوم الطبيعة

الموضوع في العلوم الإنسانية	الموضوع في علوم الطبيعة
1. له وعي بوجوده.	1. ليس له وعي بوجوده.
2. يعطي معنى لأفعاله.	2. لا يعطي معنى لأفعاله.
3. إنه من نفس طبيعة الملاحظ.	3. ليس من نفس طبيعة الملاحظ.
4. غير ممكن إعادة إنتاجه.	4. يمكن إعادة إنتاجه.
5. معقد.	5. بسيط.
6. يقبل قياسه جزئيا.	6. يقبل القياس.
7. يقبل بالتحليل التفسيري.	7. يقبل بالسببية.
8. يقبل بالتحليل الفهمي.	8. لا يقبل بالتحليل الفهمي.

ما عدى هذه الخصوصيات، توجد تشابهات بين مواضيع العلوم الإنسانية ومواضيع علوم الطبيعة. فالأرض، مثلا، قد عرفت تطورا، بالضبط كما عرف الكائن البشري تطورا تاريخيا سواء بشكل فردي أو جماعي. فالموضوعان لهما إذا تاريخانية. هكذا، بعدما اعتقدنا، ومنذ زمن طويل، أن دراسة الإنسان هي وحدها التي مازالت عرضة للتداخلات بين الملاحِظ والملاحَظ، فإننا نعرف الآن عن طريق نتائج بعض التجارب الفيزيائية حول الجزئيات أن حضور الباحث أو الباحثة يؤثر في دراسة الظاهرة. يوجد إذن تفاعل بين الموضوع والباحث في كلتا الحالتين، وبالتالي ينبغي علينا دائما أن نعيد النظر ما أمكن في علاقتنا بالموضوع وذلك لكي نتجنب الخلط في معرفتنا الموضوعية التي نسعى إليها. في الأخير فإن علوم الطبيعة، على الأقل فيما يتعلق بدراسة الأحياء، ولتكن الخلية، مثلا، لها موضوع يحظى ببعض الاستقلالية على غرار الكائن البشري. فالخلية يمكن أن تنمو، وأن تعيد إنتاجها. ومع ذلك فإن تعقدها قد تقلص كثيرا مقارنة بالخلية الإنسانية وخلية المجتمعات البشرية.

خاتمة

زيادة على كونه طريقة لفهم الواقع، فإن العلم قد فتح أمام مداركنا آفاقا جديدة وجذابة، يهدف من ورائها إلى تعليمنا دائما شيئا جديدا، سواء حول الطبيعة أو حول الإنسان (Chalmers 1991)، وبهذا المعنى فإن للعلم في المجتمع المتفتح على المستقبل مكانة هامة جدا.

لقد تطورت العلوم الإنسانية بعد علوم الطبيعة، والواقع إن موضوع دراستها (وهو الكائن البشري) يبين، بوضوح كبير، مدى درجة تعقد هذه العلوم خلال مسار تكونها. ولهذا لا يتعلق الأمر بتقليد العلوم الإنسانية لعلوم الطبيعة، بقدر ما يتعلق بعملها الدائم من أجل إظهار أصالتها. مع هذا، فإن نفس الحيرة والقلق مازالت ترافق الطريقة في العلوم الإنسانية. وفي الأخير، ورغم أنه من نفس طبيعة موضوع دراسته، فإن الباحث أو الباحثة في العلوم الإنسانية لابد أن يعطي اهتماما خاصا لتجنب إغراءات الحس المشترك.

ملخص

مصطلحات أساسية
- معرفة علمية
- ظواهر
- تحقق
- تطور علمي
- ابستمولوجيا
- استقراء علمي
- استنباط علمي
- أحادية لفظ
- انسجام
- دقة لفظ
- افتراض
- نظرية
- قانون
- علوم الطبيعة
- تجربة
- مخبر
- علوم إنسانية
- وصف
- تصنيف
- تفسير
- فهم

إن المعرفة العلمية هي شكل من أشكال المعرفة التي تختلف، مثلا، ع
المعرفة الدينية. إنها تركز على ظواهر تدركها الحواس، وتحاول عن طر
نشاطها البحثي أن تجعلها مفهومة. إنها تراكم لمعطيات يمكن التحقق م
والتي تعتبر هيكلها المعرفي.

يساهم العلم بحركتين، فهو من جهة يعمل على إقامة النظريات، الت
ماهي في الواقع إلا مجموعة من الافتراضات المترابطة تقابل بما يلائم
من وقائع ملاحظة، وعندئذ فهي تنبثق عن الاستنباط. كما قد يحدث للع
أيضا، وانطلاقا من الوقائع الملاحظة، أن يقدم افتراضات تجريبي
جديدة، وفي هذه الحالة يكون العلم قد انبثق أو نشأ عن الاستقراء. إن
يمكن الفصل التام بين هاتين الحركتين لأنهما في تفاعل مستمر. يضا
إلى ذلك أن للعلم لغة خاصة به، لها مفرداتها ونحوها، هذه اللغة تسعى
تكون أحادية، منسجمة ودقيقة.

إلى جانب ذلك، يطمح العلم أن تكون له معرفة معمقة بالواقع، ولكي
يصل إلى هذا الطموح، فإنه يحدد أهدافا معينة منها، مثلا، وصف
الظواهر، أي تحديد مختلف عناصر الموضوع الموجود تحت الدراسة
تصنيف الظواهر، أي تجميعها وفقا لبعض المقاييس. التفسير، أي عرض
الظاهرة عن طريق إدماج المعطيات التي تمت ملاحظتها. وأخيرا الفهم
والذي يهدف في العلوم الإنسانية إلى تحليل الظاهرة تبعا لمنظو
الأشخاص الذين يعيشونها.

هذا، وسيبقى العلم يتغذى من مجالين دراسيين كبيرين هما الطبيع
والكائن البشري. ففي علوم الطبيعة، فإن الموضوع المطلوب دراسته ه
موضوع مادي، ومن أجل تمديد حواس الباحثين حوله وتوسيعها، فقد
تجنيد كافة أنواع أدوات الملاحظة. زيادة على ذلك، فقد أصبح من السهو
بمكان إعادة تجديد التجارب، وكذا الوصول إلى قوانين عامة انطلاقا م
النظريات. أما في العلوم الإنسانية فإن الموضوع المطلوب دراسته هو م
نفس طبيعة الملاحظ. فبالاضافة إلى امتلاكه لهويته الخاصة، فهو يشتر
مع الملاحظ في كثير من الخصائص والمميزات، كما أنه منتجا للمجتم

ومنتوجا له في نفس الوقت، يؤثر ويتأثر بكل ما يجري في المجتمع بواسطة أفعاله وتصرفاته. لكل ذلك لا يستطيع الباحث في هذا المجال السيطرة على موضوع البحث سيطرة مطلقة كما هو الشأن في علوم الطبيعة. إن الإنسان يمتلك الإرادة التي تفتقر إليها الأشياء المادية، كما أن ردود أفعاله يصعب جدا تفسيرها ولا حتى تكميمها بالرجوع إلى السببية، وباختصار فإن دراسة الإنسان فيها تعقيدات كبيرة جداً.

أسئلة

1. تهدف المعرفة العلمية إلى دراسة الظواهر، ما معنى ذلك ؟
2. كيف نميز حركة الفكر لدى الباحث الذي توصل بعد عدة ملاحظات على أطفال في الساحة أثناء وقت الراحة إلى استخلاص بعض قواعد السلوك ؟ ماذا تعني عموما هذه الطريقة في التفكير وما مبرر وجودها في هذا المثال ؟
3. كيف نميز حركة الفكر لدى باحثة في منطقة ما تحاول اختبار تعاليم النظرية المفسرة لتأثير الطبوغرافيا في المسكن ؟ ما مدلول هذه الطريقة في التفكير عموما وما مبرر وجودها ضمن هذا المثال ؟
4. إذا ما حدثناكم حول نظرية العرض والطلب في ميدان الاقتصاد على هامش ما تعرفونه حول الموضوع:
   أ. ماهي الميزات التي يجب أن تتحلى بها مفردتي العرض والطلب حتى تكتسبان صبغة علمية ؟
   ب. ماهو مدلول كل واحدة من هذه الميزات وما مدى مساهمة كل واحدة في ميدان المعرفة العلمية ؟
5. ما الفائدة من النظرية في العلم ؟
6. قامت فرقة من الباحثين ببحث حول أعمال العنف عند خروج الجمهور بعد مشاهدة مباراة رياضية، وأشار هؤلاء الباحثين في تقريرهم إلى العوامل المؤدية إلى العنف، كما سجلوا معنى الكلام الذي كانت عناصر الجمهور تتحدث به عند خروجهم من الملعب، كما قدموا أيضا صورا شاملة عن كل جوانب السلوكات ذات العلاقة بالعنف. في النهاية توصلت دراستهم إلى الإشارة إلى ثلاث فئات كبيرة من السلوكات عند الخروج من المباراة الرياضية.
   - ماهي الغايات العلمية التي أجاب عنها تقريرهم ؟
   - وضح الجملة المتعلقة بكل غاية، مبينا صلة الجملة بالغاية.
7. قارن بين موضوع العلوم الإنسانية وموضوع علوم الطبيعة طبقا لثلاثة جوانب، وأعطي المعنى الذي يحمله كل جانب.

القسم الثاني

الطريقة العلمية في العلوم الإنسانية

إن اتباع طريقة علمية في العلوم الإنسانية يتضمن القيام باختيارات مختلفة طبقاً للهدف المنشود ؛ تدور هذ الاختيارات حول طرق تصور تنظيم وتوجيه البحث. يتضمن الفصل الثالث من هذا الكتاب مختلف الخصائص التي تسمح بتمييز بحث ما، مراحل إنجازه والمبادئ الأخلاقية المرتبطة بسيره.

إن القيام ببحث يتضمن أيضاً استعمال وسائل إنجاز متنوعة، منها ماهو عام ومنها ما هو خاص، والتي يشترط فيها أن تكون ملائمة لذلك قدر المستطاع. لهذا فقد خصص الجزء الرابع من هذا الكتاب لوصف المناهج النموذجية ومقاييس تصنيف تقنيات البحث ؛ كما تضمن أيضا مقدمة لإجراءات التقييم العلمي للبحث.

الفصل 3

البحث

إننا ننفق أموالا باهضة في البحوث العسكرية، أو من أجل الغوص في أسرار المادة، لكننا لا نكاد ننفق شيئا يذكر، نسبيا، من أجل معرفة حياتنا الاجتماعية.

MARC GUILLAUME

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن :

- يَعُدُّ الأنواع المختلفة للبحث ؛
- يحدد بدقة مقاييس وصف البحث ؛
- يصف حلقة البحث ؛
- يعرف المراحل الأربع العابرة للتخصصات في البحث ؛
- يفهم المبادئ الأخلاقية المتعلقة بسير بحث ما.

تمهيد

يعرف كل بحث علمي حسب بعض المقاييس الخاصة التي تتحدد على ضوئها خصائص البحث. وعلى من يقوم بالبحث العلمي أن يكون على دراية تامة وضرورية بهذه المقاييس. تتميز الطريقة العلمية بارتباط وثيق بين المستوى الفكري التجريدي وعملية البحث ذاته. يتم البحث إذن حسب حلقة يمكن أن تختصر في بعض المراحل الأساسية من خلال اتجاه مستمر لتعميق المعارف. لكن إذا كان البحث يجري بطريقة دائرية، أي حسب حلقة، فإنه ينظم وفقاً لمراحل دقيقة، وذلك مهما كانت فروع العلوم الإنسانية، وضمن إطار احترام القواعد الأخلاقية. وفعلاً فإن بعض الواجبات الأخلاقية المحددة هي التي تنظم مسار البحث في العلوم الإنسانية، وعلى الباحث أو الباحثة أن يحترم ذلك طوال مجرى البحث.

مقاييس تمييز البحث

هناك العديد من المقاييس المساعدة على تمييز **البحث العلمي**. كل واحدة منها تحمل معلومة حول طبيعة هذا البحث، مثل السن، الجنس والحالة المدنية وغيرها... والتي تعتبر كلها بمثابة مؤشرات تسمح بتحديد هوية الشخص المعني. إن مميزات بحث ما قد تُوحي بها نوايا الباحث أو الباحثة، نوع المعطيات المأخوذة، الفترة الزمنية المعتبرة، المجال الجغرافي والرمزي المقصود، مكان جمع المعطيات، العناصر المنتقاة، ميدان التخصص والهدف المتوخى.

بحث علمي
نشاط علمي يتمثل في جمع المعطيات وتحليلها بهدف الإجابة عن مشكلة بحث معينة.

القصد من البحث

يمكننا منذ البداية أن نميز بحثاً ما إنطلاقا من قصد صاحبه أو صاحبته. فالبحث الذي يكون هدفه العمل على تطوير المعرفة العلمية هو **بحث أساسي**. في مثل هذا النوع من البحث، فإن التطبيقات الملموسة مثل إيجاد دواء أو إيجاد حل لهذا المشكل الاجتماعي أو ذاك، لا تعتبر من الاهتمامات الرئيسية. إن هذا النوع من البحث كما يفهم من وصفه، يركز بالضرورة على أسسّ ميدان الدراسة، ويحمل في الغالب الميزة النظرية. يمكن أن نسعى مثلاً إلى تطوير التعريف الخاص بمصطلح ما، مثل مصطلح الرأي، أو نسعى إلى مراجعة مصطلح السوق من خلال تاريخ الإنسانية، كما يمكننا أيضا البحث عن استبدال نظرية بأخرى.

بحث أساسي
نوع من البحث يدور موضوعه حول النظريات والمبادئ القاعدية والذي يهدف إلى تطوير المعارف الخاصة بمجال ما دون مراعاة الانعكاسات التطبيقية.

بحث تطبيقي
بحث يهدف إلى تقديم توضيحات حول مشكلة ما بنية تطبيقها ميدانيا.

في المقابل، فإن البحث الذي يكون هدفه الأول الوصول إلى معارف بهدف حل مشكلة عملية هو **بحث تطبيقي**. إنه بحث موجه نحو هدف نفعي. إن أغلبية البحوث المطلوبة أو الموصى بها هي بحوثاً من هذا النوع. يمكن، مثلاً، أن يكون الأمر متعلقا بجرد قائمة الموارد الموجودة في إقليم أو مقاطعة لفائدة هيئة أو تنظيم متخصص في التنمية الاقتصادية، أو يتعلق بدراسة الآثار الناتجة عن نوع معين من التسيير المعتمد في مؤسسة، أو مقارنة المردود الدارسي للتلاميذ حسب المحيط الفيزيقي لكل قسم. في كل الأحوال فإن البحث يتجلى في بلوغ التوضيحات حول مشكل تطبيقي محدد سلفاً.

إن البحث فعل (recherche-action) هو نوع متميز من أنواع هذا البحث ؛ وفي هذا الطراز من البحث يكون الباحث أو الباحثة جزءاً من الوضعية على غرار الأشخاص الآخرين المعنيين بعملية البحث. لهذا السبب يقترح Gauthier (1992) إقامة نموذج ثالث بدلا من نوع أو نموذج فرعي من البحث التطبيقي. إن الباحث هنا لن يكون أبداً مجرد مشاهد يقوم بمشاهدة الظاهرة من الخارج، بل إن التمييز سيتلاشى بين فاعل الحدث وبين الباحث. في نفس هذا المنوال، فالباحثة التي تأتي أساسا لمساعدة تعاونية سكنية، والتي قد تصبح هي نفسها عضوا فيها، ستقوم لاحقاً بمشاركة الأعضاء الآخرين في إنجاز ذلك البحث.

إضافة إلى ذلك، وبغض النظر عن هذه التمييزات الشكلية، فإن الغاية من بحث ما لا يمكن تحديدها دائما بوضوح. قد ينطلق الباحث في بحث أساسي وهو يعرف أن هدفه النهائي يكتسي طابعاً ملموساً، مثلا علاج مرض السرطان أو بديلاً سياسياً. من جهة أخرى، قد تتقدم باحثة بمشروع بحث تطبيقي لأن ذلك هو الطريق الوحيد للحصول على التمويل، مع أن اهتمامها الحقيقي، من خلال هذا المشروع، يكون موجهاً نحو سؤال أساسي يمكن تناوله أو الاهتمام به من خلال تسجيله في مشكلة البحث. هكذا قد تكون الباحثة مهتمة، مثلا، بدراسة مسألة أساسية وهي تأثير وسائل الإعلام في الأشخاص ولكنها ستتعامل مع هذا الموضوع من خلال إجراء بحث حول الآثار التي تحدثها الحصص التي تتميز بالعنف مطلوب من طرف هيئة ممولة. ليس هناك إذاً مجال للاختلاف المطلق بين البحث الأساسي والبحث التطبيقي.

نوع المعطيات المتحصل عليها

يمكننا أيضا تمييز بحث ما انطلاقا من نوع المعطيات أو عناصر المعلومات المطلوب الحصول عليها. تنقسم هذه المعطيات في غالب الأحيان إلى نوعين : المعطيات الكمية وهي الأكثر شيوعاً. بصيغة أخرى، يمكن عد هذه المعطيات ووضعها في مجموعات كمية وإجراء الدراسة بأساليب رياضية. إن هذه المعلومات المطلوب الحصول عليها هي معلومات تكون قابلة للقياس وتسمح بإجراء العمليات الحسابية. إننا، في هذه الحالة، نتحدث عن **بحث كمي**. إنّ نمط جمع المعطيات هو الذي يضمن الوصول إلى نتائج مؤكدة. سواء كانت مشكلة البحث هي المردود الاقتصادي لحكومة ما، رضى المأجورين عن العمل أو قدرات الأشخاص الخاضعين لبعض الاختبارات، فقد جرت العادة أنه من الممكن جدا القيام بجمع المعطيات القابلة للقياس حول هذه المواضيع.

بحث كمي
عملية جمع معطيات تتوفر فيها ميزة القياس.

بالعكس، فإن بعض الظواهر الإنسانية الأخرى مثل الحب، الوحدانية، الإيمان أو نمط الحياة، يظهر أنه من الصعب تقييمها كميا، رغم ما لها من قيمة مؤكدة في معرفة الكائن البشري. إن **البحث** في هذا الميدان هو **كيفي** ويتم بواسطة جمع معطيات لا يفترض عادة قياسها. إنها حالة الدراسات التي تهتم، مثلا، بسيرة حياة الأفراد أو حياة المجموعة، بحدث تاريخي أصيل أو برؤى عن العالم. إن البحث الكيفي لا يسمح بمستوى الدقة التي يسمح بها البحث الكمي. ولهذا فعادة ما يشار إليه كأسلوب للكشف عن مشكلة ما، لا أكثر. لقد كان يفهم ضمنياً أنه كلما تطورت المعرفة حول هذه المشكلة كلما ازدادت إمكانية تكميمها أكثر، في حين أن ما يسود حاليا هو أن تنمية المعارف حول موضوع ما ليست بالضرورة مرتبطة بإمكانية قياسه.

بحث كيفي
عملية جمع معطيات غير قابلة للقياس.

هذا ما دفع بنا حاليا إلى منح اهتمام أكبر للبحث الكيفي نظراً إلى ما يملكه من قدرة في دراسة الظواهر التي لا يمكن فهمها بطريقة أخرى، مثلما هو عليه الحال فيما يخص ثقافة عشيرة ما، أو ثقافة مؤسسة ما، أوفيما يخص المعنى الذي يعطيه الأفراد لعلاقاتهم بالآخرين.

الفترة الزمنية المعتبرة

إننا نميز بحثا ما، أيضا، انطلاقا من الفترة الزمنية المتوقعة. فعلاً، يمكننا أن نهتم بموضوع في فترة معينة من تطوره أو في فترات مختلفة من تقدمه. غير أنه غالبا ما تتم دراسة ظاهرة ما في فترة معينة (أي في زمن وحيد ومعين)، لأجل ذلك نتحدث عن **بحث متزامن** (synchronique). سواء كانت الدراسة حول ظاهرة الفقر حاليا أو حول حدود دولة ما في مرحلة تاريخية مضت، فإن مثل هذه البحوث تهتم بدراسة الظاهرة في وقت معين، إذا فالبحثان متزامنان حتى ولو كان أحدهما آني والآخر تاريخي. إن البحث المتزامن هو الأكثر استعمالا في العلوم الإنسانية. غير أن البحث الذي يستطيع متابعة تطور ظاهرة ما زمنياً يشكل دعامة ثمينة جداً بالنسبة إلى المعرفة العلمية ؛ في هذ الحالة يسمى البحث **بالبحث المتعاقب**، (diachronique). فعلا إنه لا يمكن إبراز بعض العوامل المفسرة لظاهرة ما، في الواقع، إلاّ من خلال دراسة نمو هذه الظاهرة ؛ كذلك الأمر، مثلاً، بالنسبة إلى توسيع مزاولة الدراسة أو الحضور المتزايد للنساء في سوق العمل.

بحث متزامن
دراسة موضوع معين في مدة زمنية واحدة.

بحث متعاقب
هو نوع من البحث تتم فيه دراسة تطور موضوع معين خلال مدة زمنية متعاقبة.

إن البحث المتعاقب الذي يتابع هكذا تطور ظاهرة ما على طول فترة زمنية معينة، هو بحث ممتد. يمكننا في هذا السيّاق أن نهتم بأشخاص ونتابعهم لفترة زمنية طويلة نسبياً لملاحظة تطورهم. إن المسار المدرسي والمهني مثلاً لمجموعات من التلاميذ مختارة من مختلف الأوساط الاجتماعية يمكن دراسته على فترات قد تمتد إلى خمس سنوات أو عشرسنوات أو خمس عشرة سنة. غير أن الوقت المحدد قد يسبب بعض المشاكل ومنها : الاحتفاظ بالمعلومات أو المعطيات، مساهمة الأشخاص موضوع الدراسة، إمكانية متابعة أثرهم والتكاليف المالية لمثل هذه العملية. لهذا يبقى هذا النوع من الدراسة نادراً. إن البحث الممتد يمكن ممارسته أكثر على وثائق عندما تكون متوفرة. هكذا تسمح بعض النصوص بالكشف عن تاريخ جماعة ما أو إيديولوجية ما منذ نشأتها إلى غاية زوالها.

إن البحث المكرر (la recherche par panel) هو أيضا نوع من أنواع البحوث المتعاقبة، إلاّ أنّ ملاحظة نمو الظاهرة وتطورها في هذا النوع من البحث لا تتم بكيفية مستمرة، ولكن تتم ملاحظتها على فترات زمنية مختلفة، مثل ملاحظة نفس مجموعة الأشخاص على فترات زمنية متقطعة.

إذا كان يستحيل علينا الحصول على تعاون من قبل نفس الأشخاص لأكثر من مرة فإننا نستطيع تفادي هذه الصعوبة، وذلك بالقيام ببحث مع مجموعة من الأشخاص من سن مختلفة. بالتالي نكون بصدد ما يسمى بالبحث العرضي (recherche transversal). يسمح هذا البحث بمعرفة تطور الأفراد في علاقتهم بالظاهرة موضوع الدراسة، دون أن تكون هناك ضرورة لمتابعتهم من الناحية الزمنية. غير أن البحث العرضي يمكن أن يطرح بعض الصعوبات الأخرى حينما تتغير مدركات الظاهرة من شخص إلى آخر، انطلاقا من الاختلاف الموجود بين الأجيال والذي يعتبر عاملا ينبغي أخذه بعين الاعتبار. مثلا، لو لاحظنا أن مجموعة الأشخاص التي يتراوح سن أعضائها بين 15 – 24 سنة تشعر أنها مهتمة أكثر بالمحيط من المجموعة التي يتراوح سن أعضائها بين 35 – 44 سنة، فإننا نتساءل هل هذا النقص في الاهتمام يعود، مثلا، إلى أثر التقدم في السّن، أي أن كلما تقدم الفرد في السّن كلما قلّ اهتمامه بمسألة ما، أو إلى الأثر الذي تخلفه التربية باعتبار أن المدرسة لم يكن لها في السّابق خطاباً حول المحيط مثلما تفعله اليوم.

لتفادي بعض الصعوبات التي تطرحها البحوث الممتدة والعرضية يقترح Papalia (1989)، لدراسة تطور الشخص، ما يسمى بالبحث التسلسلي التقاطعي (la recherche séquentielle croisée)، الذي يتم فيه النظر إلى عناصر الدراسة العرضية لأكثر من مرة في مدة زمنية. هكذا فإن أثر الفرق بين الأجيال يمكن تقليصه مع السّماح بالاحتفاظ بفترة زمنية واسعة.

المجال الجغرافي أو الرمزي المقصود

إن المجال هو مقياس آخر يساهم في تمييز البحث. إن المجال الجغرافي له علاقة بالإقليم الذي يغطيه البحث، في حين يعود المجال الرمزي إلى دراسة المجموعات المتمايزة.

من وجهة نظر الإقليم المستهدف، يكون **البحث محليا، جهويا، وطنيا، دوليا**. هذا الأخير قد يمتد ليشمل أكثر من بلدٍ. يمكننا الحديث حتى عن بحث **عالمي** في حالة ما إذا قامت منظمة كمنظمة الأمم المتحدة، مثلا، بدراسة مشكلة ما تسود العالم. أما البحث الوطني فإنه يتم على مستوى

بحث محلي، جهوي، وطني، دولي أو عالمي.
هو نوع من البحث يتم القيام به على مستوى محلي ضيق أو على جزء مهم نسبيا من إقليم ما أو على مستوى وطن، أو على مستوى بلدين أو أكثر أو على مستوى عالمي.

بلد ما أو أمة ما ؛ من جهته، يتطلب البحث الجهوي تدقيقاً أكثراً، ذلك لأن مصطلح الجهة يمكن أن يشير إلى مجالات جغرافية لها أبعاد متنوعة جداً. نقول، مثلا، إن متيجة هي جهة من القطاع الجزائري (L'Algérois)، هذا القطاع الجزائري، مثل القطاع الوهراني، القطاع القسنطيني، القطاع الأوراسي، القطاع الصحراوي، يعتبر جهة من جهات الجزائر. أما إفريقيا فهي جهة من جهات العالم. إذاً المطلوب منا هو معرفة مدى اتساع نطاق البحث للإحاطة بمعنى كلمة جهوي أو حصرها. أما بالنسبة إلى البحث المحلي فإن مداه محصورا جداً، مثل قرية أو مجموعة سكنية صغيرة.

بحث مقارن
بحث يهتم بدراسة مجموعة من الأشخاص بهدف مقارنتها بمجموعة أو بعدة مجموعات.

من وجهة نظر المجموعات المتمايزة، فإن المجال يوصف بأنه رمزي، لأن الرجال والنساء، الشباب والشيوخ، مثلاً، يمكنهم العيش في نفس المقاطعة. إن دراسة الفروق الموجودة بينهم (الجنس، السن، إلخ.) تتم بواسطة **البحث المقارن**. بنفس الكيفية، فإن البحث ما بين الثقافات، والبحث بين الطبقات الاجتماعية هما بحثين مقارنين. إن البحث المقارن عادة ما يحمل بالفعل توضيحات غير منتظرة حول موضوع دراسته. لهذا أكدّ Langlois (1985) أنه من المفيد تطوير هذا النوع من البحث في الكيبك بهدف تجديد الدراسات حول المجتمع الكيبكي.

موقع جمع المعطيات

بحث ميداني
بحث يقرب الباحث أو الباحثة من مجتمع البحث محل الدراسة.

يُمَيَّز البحث العلمي أيضا بواسطة موقع جمع المعطيات أو مكانها. إن **البحث الميداني** يتضمن جمع المعلومات عن طريق الاتصال بالعناصر المعنية بالبحث. يمكن أن يأخذ هذا الاتصال بالعناصر المعنية أشكالاً مختلفة : فقد يتم عن بعد، أي عن طريق الهاتف، أو المراسلة، كما قد يتم مباشرة مثل إجراء لقاءات مع هؤلاء العناصر والقيام باستجوابهم، أو القيام بملاحظتهم في حياتهم اليومية.

بحث في مخبر
بحث يجرى في مكان مخصص لذ لك.

إننا نتحدث عن **بحث في مخبر** عندما تكون العناصر المنتقاة لعملية البحث مدعوة للذهاب إلى مكان معد خصيصاً لذلك وحسب ما تقتضيه حاجيات البحث، حيث يتم جمع المعطيات عن طريق الملاحظة أو التسجيل السمعي البصري أو أجهزة القياس أو عن طريق اختبارات مختلفة.

بحث يجرى على وثائق
بحث يستمد معلوماته من وثائق

إن **البحث الذي يجرى على وثائق** هو ثالث موقع لجمع المعلومات وثائق الأرشيف، تقارير البحث، معطيات إحصائية، وأخرى مستقلة من الدعائم التقليدية (كتب، بطاقات تسجيلية) أو مسجلة على الإعلام الآلي والتي يمكننا الحصول عليها في المكتبة أو عن طريق شبكة اتصال إلكترونية. إن البحث، مثلاً، حول تطور نسبة الفائدة أو نسبة البطالة له حظًا أوفر في أن يكون بحثًا يعتمد على وثائق يحتمل انها مسجلة في الإعلام الآلي، في حين أن بحثًا حول الحياة اليومية للتوارق المتواجدين في أقصى الجنوب الجزائري سيكون بالأحرى بحثا ميدانياً. أخيراً، إذا ما اردنا أن نخضع أشخاصاً للعبة ما لدراسة ردود أفعالهم، وقمنا بجمعهم في مكان أعد خصيصاً لذلك، فإننا نكون بصدد القيام ببحث في مخبر

العناصر المنتقاة

يجرى كل بحث علمي في العلوم الإنسانية على مجموعة بشرية معينة والتي قد تتكون من عشرات أو ربما من ملايين الأشخاص أو عناصر أخرى سيكون **بحثا شاملاً** إذا كان يشمل على المجموعة الكلية المستهدفة. البحث الذي يعتمد على الوثائق المتضمنة لمعطيات التعداد أو لتحقيقات وطنية يسمح عادة بهذا النوع من البحث. كما يمكن أيضا للبحوث الميدانية أو التي تجرى في المخبر أن تخضع للبحوث الشاملة. غير أنه وتبعا لكبر حجم المجموعة المستهدفة وكمية المعطيات المنتظر جمعها، فإن المسائل المتعلقة بالتكلفة وبوقت الإنجاز هي العناصر المقلصة للبحوث الشاملة.

بحث شامل
بحث يهتم بدراسة كل أفراد مجتمع البحث.

إذا لم يكن في وسعنا دراسة كل المجموعة البشرية المعنية، ففي هذه الحالة لابد من إجراء **بحث بالمعاينة** : والمطلوب هنا اختيار جزء فقط، والتأكد مع ذلك من أن هذا الجزء المنتقى يمثل المجموعة كلها ويسمى هذا الجزء المنتقى من المجموعة بالعينة.

بحث بالمعاينة
هو ذلك البحث الذي يجرى على جزء من مجتمع البحث.

كما يمكننا أيضا اختيار دراسة وحدة معينة فقط، إما شخصاً أو مؤسسة. في هذه الحالة نكون بصدد إجراء **بحث مونوغرافي** أو دراسة حالة. إن دراسة كيفية سير (fonctionnement) مؤسسة أو التحقيق حول حدث أو شخصية معينة أو حول شاهد مفضل هي كلها من هذا النوع من البحث. لهذا نتطلع أن يكون التعمق في دراسة الحالة منيراً لمختلف جوانب المشكلة موضوع الدراسة، كما نامل أن يكون العدد القليل من ناحية التمثيلية معوضا بشمولية الدراسة ومؤديا إلى خلاصات نموذجية وقابلة للتعميم على حالات أخرى.

بحث مونوغرافي
بحث يجرى على وحدة واحدة فقط من مجتمع البحث.

ميدان التخصص

إن لكل فرع علمي ميدان تخصصه، والبحوث تسمح بتطوير المعارف الخاصة بكل ميدان. لهذا فإن معظم البحوث العلمية تتم في إطار فرع علمي معين، وبالتالي يمكننا الحديث عن **البحث التخصصي**. مثلا يقوم الجغرافي بإجراء بحث في الجغرافيا، والأنثروبولوجي في الأنثروبولوجيا، والاقتصادي في الاقتصاد، وهكذا دواليك. غير أنه، وتحت ضغط مشاريع ضخمة من مختلف الأنواع، وكذا تحت ضغط لجان التحقيقات الكبرى ينشأ تعاون كبير بين العلماء من مختلف الفروع.

بحث تخصصي
بحث يجرى في تخصص واحد فقط

فإذا كان الأمر يتعلق فقط بجمع مختلف المتخصصين لإعطاء وجهة نظرهم الخاصة حول مشكلة محددة دون إجبارهم على الاتصال فيما بينهم فإن الحديث يكون إذن حول **بحث متعدد التخصصات** (pluridisciplinaire)، إذ يقوم كل طرف بعرض نتائج بحثه، مع الاطلاع نسبياً على نتائج بحوث الآخرين. هكذا سيكون الأمر إذا طلبنا من عدد من المتخصصين من مختلف فروع العلوم الإنسانية القيام على انفراد ببحث حول العنف. إنهم من دون شك سيصلون إلى خلاصات مختلفة ومتوازية يمكن بواسطتها الكشف لاحقاً عن تقاربات مهمة.

بحث متعدد التخصصات
بحث يقوم به باحثون وباحثات من تخصصين أو أكثر حول نفس الموضوع ولكن بكيفية منفصلة.

إننا لو طلبنا، حتى نحصر مساهمتهم أكثر، من هؤلاء الباحثين والباحثات أن يتواجهو فيما بينهم ويتبادلوا وجهات نظرهم النظرية منها والمنهجية فإننا سنكون بصدد الحديث عما يسمى **ببحث متداخل التخصصات** (interdisciplinaire)، وبهذا النوع من البحث يسعى الباحث للوصول إلى حلٍّ للمشكلة بواسطة شروحات متقاطعة، وروابط بين مظاهر سيكولوجية وسوسيولوجية وسياسية وغيرها. يتجلى المغزى إذن في نقاط الالتقاء بين الفروع من خلال عرض شامل للدراسة.

بحث متداخل التخصصات
بحث يساهم فيه تخصصين أو أكثر بصفة مشتركة حول نفس الموضوع.

من جهة أخرى، إذا كان البحث يهدف إلى خلق ممارسة ولغة مشتركة بين مختلف الفروع فسيكون **بحثا عابراً للتخصصات** (transdisciplinaire). إنه، بصفة خاصة، هدف المنظرين والمنظرات المنشغلين بمسائل ابستمولوجية، كما يعتبر أيضا هدف العلماء الذين يميلون إلى استعمال وسائل العمل الملموسة في العلوم الإنسانية. فمن خلال استبصارهم بالتشابهات بين مناهج وتقنيات مختلف الفروع، ...

بحث عابر للتخصصات
بحث يجرى قصد صياغة ممارسة وخطاب علميين مشتركين بين عدة تخصصات.

أن تكون مشتركة بين كل الفروع. فالبحث الذي يكون موضوعه، مثلا استعمال مصطلحات مشتركة بين عدة فروع لوصف الطرق التي نربي من خلالها الأطفال يمكن اعتباره بحثا عابراً للتخصصات، بالضبط مثل هذا الكتاب. غير أن هذا البحث العابر للتخصصات مازال في خطواته الأولى ويتوقف تقدمه على مدى الوعي بالمصالح المشتركة بين العلماء والمهتمين بشؤون الإنسان.

هدف البحث

انظر الفصل 2، «أهداف العلم».

بحث وصفي
بحث يهدف إلى تمثيل ظاهرة أو موضوع ما بكل تفاصيله.

بحث تصنيفي
بحث يسعى إلى جمع وترتيب عدة ظواهر وفقا لمقياس أو أكثر.

بحث تفسيري
بحث يهدف إلى إقامة علاقة بين الظواهر.

بحث فهمي
يكمن هدف هذا البحث في إدراك أو فهم المعنى الذي يعطيه الأفراد لتصرفاتهم.

يمكن أن نميز بحثا ما عن طريق هدفه. **فالبحث الوصفي** يعرض بالتفصيل خصوصيات الموضوع المدروس. أما **البحث التصنيفي** فإنه يحاول أن يجمع ظواهر مرتبطة بموضوع الدراسة وفقاً لمقاييس متنوعة؛ في حين يسعى **البحث التفسيري** إلى إبراز الروابط بين الظواهر المرتبطة بعضها ببعض؛ وكواحدٍ من أوجه هذا البحث، نجد البحث السببي الذي يهدف إلى إقامة العلاقة بين السبب والنتيجة بين الظواهر. أخيراً، إن **البحث الفهمي** يسمح بإدراك المعنى الذي يعطيه الأشخاص لتصرفاتهم. وكمثال على ذلك، وضع قائمة تشتمل على مختلف الأشخاص أو الهيئات التي أدت إلى اتخاذ قرار سياسي ما سيكون عملاً وصفيا؛ أما التمييز بين الهيئات حسب طبيعة التنظيم أو التمييز بين وظيفة الأشخاص ذوي السلطة سيكون عملاً تصنيفياً. أما محاولة الكشف عن الهيئة التي أثرت في هيئة أخرى أو العلاقات بين الأطراف الرئيسية فسيكون عملاً تفسيرياً؛ وأخيرا، إن محاولة التحري عن المعاني التي منحها الأفراد المعنيون لأفعالهم سيكون عملاً فهمياً.

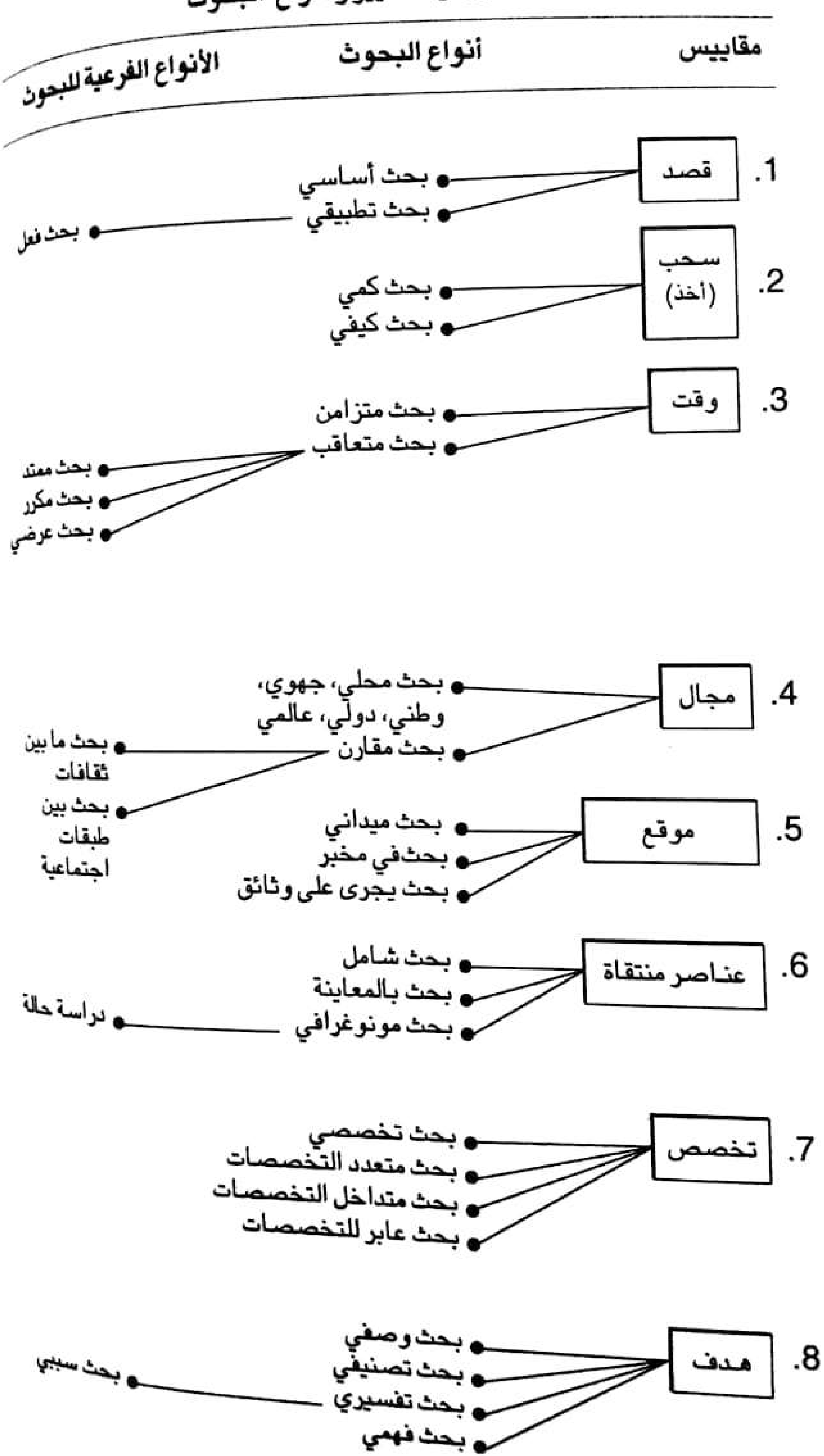
إن كل بحث في العلوم الإنسانية يمكن أن يتميز بالمقاييس الجوهرية الثمانية التي تم تحديدها أعلاه. كما يمكن لكل مقياس أن يرتبط بنوع معين من البحث مثلما هو موضح في الشكل (1.3) المشار إليه في الأسفل.

هناك مقاييس أخرى يمكن تحديدها لتمييز بحث ما. فلما يكون البحث متعلق بميدان أو ظاهرة جديدة أو ليست معروفة بما فيه الكفاية، فالحديث هنا يكون عن البحث الاستكشافي (recherche exploratrice) أو الريادي (recherche pionnière)، وهذا لتحديد المساهمة التي

ننتظرها من هذا البحث. وينبغي هنا ألاّ نخلط بين البحث الاستكشافي ومرحلة الاستكشاف التي تتميز بها كل البحوث والتي يتعود من خلالها الباحث على موضوع الدراسة. إن البحوث ليست استكشافية عادة ولكنها تهدف إلى التعمق في ميادين قد تم التطرق إليها في السّابق، ولهذا نسميها، اعتراضاً، ببحوث التحقق. فالباحث أو الباحثة هنا يكون على دراية كافية بموضوع الدراسة ويكون قد صاغ بعض التأكيدات حول الظواهر؛ يتعلق الأمر إذن بمحاولة التحقق من صحة هذه التأكيدات. لا تفوتنا هنا الإشارة أيضا، وعلى مستوى آخر، إلى البحث الانعزالي أو الفردي (recherche solitaire ou individuelle) الذي يتجه نحو الزوال أكثر فأكثر نظراً إلى اصطدامه بتكاليف مالية معتبرة ووقت أطول. وعلى العكس فإن البحث الذي تتولى إنجازه فرقاً متخصصة ما انفك ينتشر يوماً بعد يوم ؛ وفي نفس السياق، حتى لو كان البحث ينطلق فيه شخص واحدٌ فقط في البداية، إلا أنه يشارك فيه عادة الطلبة أو مساعدين في البحث، وكنتيجة لكل ذلك فإن البحث لم يعد مهمة فردية إلاّ نادراً.

شكل 1.3

مقاييس التميز و انواع البحوث



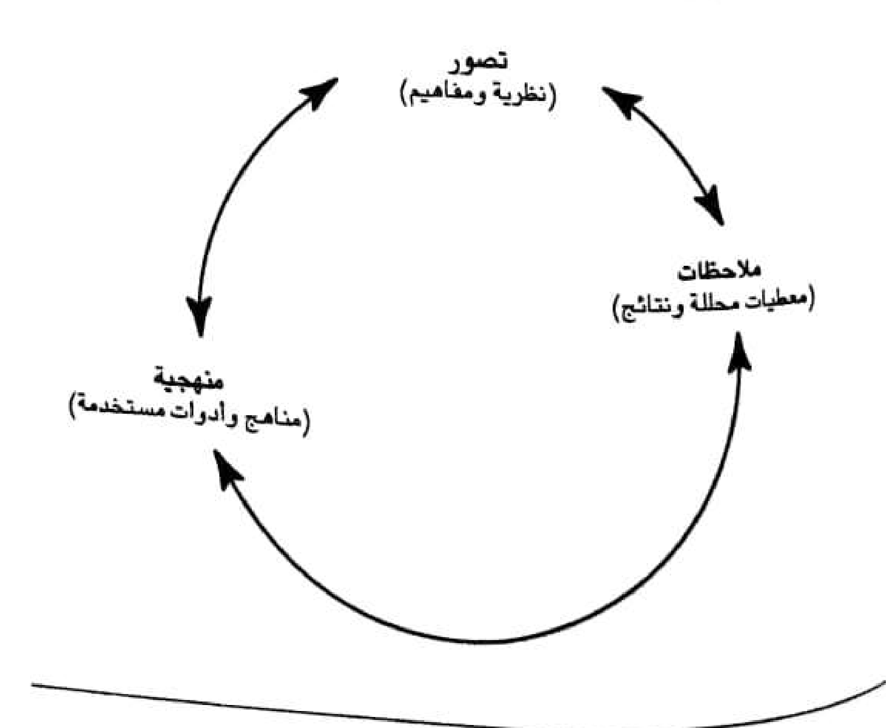
حلقة البحث

حتى نفهم حركة الفكر والنشاط العلمي يمكن لنا أن نقدمها في شكل حلقة. هذه الحلقة عبارة عن تتابع لفترات تأتي الواحدة بعد الأخرى والتي تعود إلى نقطة البداية لتنطلق من جديد. فبالنسبة إلى البحث، فهي حركة دائمة دون توقف تسمح للمعرفة العلمية بالتجدد. وعليه يمكن للمرء أن يقدم **حلقة البحث** بطريقة تفصيلية أو مختصرة. كأمثلة على ذلك يقترح Aktouf (1987) ست عشرة فترة في الحلقة ؛ أما Baker (1988) فيقسمها إلى إحدى عشرة فترة وحدد الأجزاء التي تمون البحث بالمعلومات وتلك التي تحدد أكثر ماذا يجب عمله، وأخيرا نجد Perry وPerry (1988) يقلصان النموذج إلى سبع مراحل فقط حيث أشارا إلى الوسائل التي ينبغي الاستعانة بها لتناول كل مرحلة. باختصار شديد، سنكتفي هنا بعرض المراحل الأساسية لسيرورة البحث التي يمكن حصرها في ثلاث فترات مترابطة فيما بينها كما يظهر ذلك في الشكل 2.3 وهي: التصور، المنهجية والملاحظات.

حلقة البحث
حركة دائرية للفكر والنشاط العلميين والتي تمر أساسا من التصور، من المنهجية ومن الملاحظات.

شكل 2.3

حلقة البحث



أثناء مرحلة التصور، يكون المرء مشغولاً بموضوع دراسة خاص ويقوم بإعداد مشروع البحث. وللقيام بذلك لابد أن تكون للباحث نظرة حول الموضوع العام للدراسة وذلك حسب تخصصه، السياسي بالنسبة إلى العلم السياسي، الاجتماعي بالنسبة إلى علم الإجتماع، الفرد بالنسبة إلى علم النفس، وهكذا دواليك. وزيادة على ذلك هناك نظريات تمثل شروحات وتفسيرات كبيرة مقترحة في ميدان بحثه والتي تساعده على تناول موضوع دراسته. فالنظرية تشمل على مفاهيم والربط بين هذه المفاهيم يساعد الباحث على تقديم اقتراحات للتحقق منها. إن هذه التأكيدات تأخذ شكل فرضيات تصبح محل تساؤلٍ لاحق.

انظر الفصل 6، «الفرضية».

لكن، وقبل الانتقال من مرحلة التصور إلى مرحلة الملاحظات، لابد من عبور مرحلة وسيطة أساسية، إنها مرحلة المنهجية. لو حاولنا إجراء مقارنة بين فكرة ممارسة رياضة ما ومرحلة تنفيذها (أي الشروع فعلاً في ممارسة هذه الرياضة)، لابد أن تكون لدينا معلومات حول هذه الرياضة وأجهزة ملائمة لممارستها ؛ نفس الأمر يحدث في العلم : بين مرحلة التصور ومرحلة الملاحظات لابد من توفر معلومات عن المناهج وأدوات جمع المعطيات الممكنة، وذلك بهدف جمع المعطيات والمعلومات الملائمة. إن هذه المرحلة الوسيطة في حلقة البحث هي إذاً مرحلة اختيار المناهج والتقنيات أو الأدوات. وبالفعل فإن المقاييس الثمانية لتمييز البحث (أنظر الشكل 1.3) تمثل مجموعة من المناهج والتقنيات الممكنة لتناول الواقع ودراسته.

أنظر الفصل 4.

أما المرحلة الثالثة من حلقة البحث فهي مرحلة الملاحظات، وفيها يقوم الباحث، وانطلاقا من الواقع، بجمع معطياته التي تُعلِمُهُ عما كان يتصوره. ثم يمر بعد ذلك إلى تحليل المعطيات التي جمعها، مما يسمح له بتأكيد أو نفي الفرضيات التي صاغها في مرحلة التصور. فالتحليل والنتائج التي يتم التوصل إليها ترجع الباحث إذن إلى المرحلتين الأوليتين من حلقة البحث. هكذا لابد إذا من إقامة مقارنة بين النتائج والنظرية المعتمدة في البداية، وكذلك مقارنتها بالمفاهيم التي ربما سيعاد فيها النظر. نتيجة لذلك، وفي نفس الوقت وعلى ضوء النتائج المتحصل عليها، يمكن للباحث إدراك أن التقنيات والأدوات التي استعان بها لم تكن ملائمة بما فيه الكفاية أو تحتاج إلى إعادة تكييف في المستقبل. هكذا يعود الباحث من جديد إلى مرحلة المنهجية، وقد يقرر مراجعتها من جديد.

إن هذا المسلك في حلقة البحث والذي ينطلق من مرحلة التصور إلى مرحلة الملاحظات يشير إلى التناول الاستنباطي للبحث. أما المسلك المعاكس للأول والذي ينطلق من مرحلة الملاحظات إلى مرحلة التصور فإنه يمثل الاقتراب الاستقرائي. ولهذا فإن حديثنا عن حلقة البحث معناه أننا نستطيع تكرار هذا المسعى إلى ما لا نهاية، وبالتالي الكشف أكثر فأكثر عن ميدان علمي ما والتعمق فيه. إن هذه المراحل تمثل المحاور الثلاثة التي تتطور حولها حركة الفكر والنشاط العلمي في سيرورة دائمة لإعادة التنظيم.

انظر الفصل 2، «مصدر المعرفة العلمية».

مراحل البحث العابرة للتخصصات

ينظم البحث حسب مراحل تمثل عدداً من المحطات التي تعطي بدورها الفرصة للباحث أو الباحثة ليقيم الأشواط التي قطعها والتأكد من أنه يسير في الاتجاه الصحيح، والتوجه فيما تبقى من مسعى البحث نحو الهدف المنشود. ولهذا يمكن تقسيم البحث إلى أربع **مراحل** أساسية عابرة للتخصصات والتي تمثل كل واحدة منها كلاً متميزاً، وهذه المراحل هي : التعريف بمشكلة البحث، البناء التقني، جمع المعطيات التي ينتج عنها تقرير المرحلة، ثم التحليل والتأويل اللذين سيتبعان بتقرير عن البحث. تسمى هذه المراحل بالعابرة للتخصصات لأنها تنسجم مع كل بحث يتم في العلوم الإنسانية أيا كان موضوع هذا البحث أو التخصص، وحتى لو تنوعت واختلفت المفردات أحيانا من تخصص إلى آخر، ومع ذلك سيجد الباحث نفسه مضطرا للمرور بنفس هذه المراحل الأساسية. إن المراحل الأربع العابرة للتخصصات، والمعروضة هنا، تمثل الأجزاء الأربعة القادمة من هذا الكتاب. بالإضافة إلى ذلك، وفي حالة ما إذا كان المطلوب من الباحث هو تبرير الطريقة التي يتم من خلالها إنجاز هذه المراحل للتمكن من القيام ببحث خاص فإنه سيكون مضطرا، في أول الأمر، لإعداد مشروع بحث.

مراحل بحث
فترات متتالية لنشاط علمي.

تعريف المشكلة

إن أول مرحلة في البحث هي مرحلة التعريف بالمشكلة. ففي ميدان البحث نسمي مشكلة كل ما يثير مساءلةً لا غنى عن دراستها. وتتضمن هذه المرحلة صياغة مشكلة البحث. إن الأمر يتعلق إذن بتحديد المشكلة

انظر القسم الثالث.

انظر الفصل 5.

وضبطها بهدف تحديد جوانبها المختلفة، ووضعها في إطار مسعو التفكيري. وباختصار فإن صياغة المشكلة تقود إلى طرح السؤال المتعلق بالواقع الذي نريد معرفته.

انظر الفصل 6.

ثم، وما دام كل بحث يهتم لاحقاً بالتحقق في الواقع من التساؤلات المطروحة، يمر الباحث بالضرورة إلى عملياتية (operationalisation) المشكلة. إن العملياتية أو الإجرائية هي تحديد المشكلة بأسلوب يسمح بالتحقيق أو التقصي الميداني، أي في الواقع. إن هذا التحديد لا ينبغي إهماله لأنه يمثل الأساس الذي تقوم عليه كل البحوث. وبالتالي فإن المصطلحات والمفاهيم المستعملة ينبغي تحديدها بكيفية تمكن من تحقيقها في صيغ ملموسة، أي ترجمتها إلى وقائع ملاحظة.

البناء التقني

انظر القسم الرابع.

أما المرحلة الثانية فتحتوي على البناء التقني للبحث. فبمجرد ما ننتهي من تحديد المشكلة التي نريد الإجابة عنها، ينبغي علينا معرفة كيف سنقوم بجمع المعلومات من الواقع حول هذه المشكلة. هناك العديد من تقنيات البحث أو تقنيات جمع المعطيات، لكل منها مزاياها وعيوبها. وعادة ما يتم اختيارنا لواحدة منها، حسب تحديدنا للمشكلة المراد دراستها والإطار الذي نستطيع العمل ضمنه.

انظر الفصل 7.

بمجرد تعود الباحث على التقنية التي تم اختيارها، ينطلق في بناء الأداة المناسبة لمشكلة بحثه. فمثلا، لو تم اختياره لتقنية الملاحظة، فعليه أن يُعِدّ إطار الملاحظة، أما إذا اختار تقنية المقابلة فعليه أن يضع دليلاً للمقابلة، أما إذا قرر إجراء بحثه بواسطة الاستمارة أو عن طريق السبّر فالمطلوب منه عندئذ هو تهيئة وثيقة الأسئلة التي تحتوي على الأسئلة المناسبة، أما إذا كان مطلوباً منه أن يلجأ إلى التجريب، فعليه إعداد مخططا تجريبيا، أما إذا وَجَدَ أن تقنية تحليل المحتوى هي التقنية الأنسب لموضوع بحثه، فالأمر يحتم عليه تحديد الفئات الضرورية، وفي الأخير عليه أن يعد سلسلة الأرقام أو الأعداد الملائمة إذا كانت التقنية المطلوبة هي التحليل الإحصائي.

انظر الفصل 8.

جمع المعطيات

تمثل عملية جمع المعطيات في حد ذاتها المرحلة الثالثة من البحث. انظر القسم الخامس
إنها المرحلة التي يدخل فيها الباحث حقيقة في اتصال بالواقع الميداني. ولكن يجب عليه قبل ذلك أن يحدد بدقة وحدات مجتمع بحثه (population)، أي الأشخاص أو العناصر الأخرى التي سيتحصل من خلالها على المعطيات والمعلومات الضرورية لبحثه. إن انتقاء وحدات المجموعة المستهدفة يحدده التعريف الذي وضع في المرحلة الأولى لمشكلة البحث. وعادة ما يتم هذا الانتقاء عن طريق المعاينة، وهناك طرقاً عديدة للقيام بذلك. انظر الفصل 9

بمجرد ما يتم تحديد العينة، لا يبقى أمام الباحث عندئذ سوى الشروع في جمع المعطيات. بواسطة تقنية البحث التي أقرها في المرحلة الثالثة. وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية الاستعمال الجيد لتقنية البحث لأنه كلما تم تناول الواقع المدروس بطريقة ملائمة ومتحكم فيها، كلما كانت المعلومات المتحصل عليها صحيحة وموثوق فيها. انظر الفصل 10

التحليل والتأويل

إن المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل البحث تسمى بمرحلة تحليل المعطيات وتأويل النتائج. فالباحث في هذه المرحلة يقوم باختبار المعطيات ويعطي معنى للنتائج المتحصل عليها. غير أن عملية الجمع هذه لا تمد الباحث سوى بمعطيات خام ومبعثرة وغير قابلة للتحليل في الحال ؛ ولكي تصبح قابلة للتحليل لابد عليه من تنظيمها، إذ من دون تصنيفها وتحضيرها مسبقاً فإن هذه المعطيات ستبقى عديمة الفائدة. لهذا يتطلب الأمر من الباحث تحضير المعطيات والقيام بحوصلتها لكي يتم لاحقاً استخلاص النتائج منها. انظر القسم السادس انظر الفصل 11.

بعد تحضير المعطيات، يستطيع الباحث القيام بالتحليل والتأويل والذي سيقدم حوله فيما بعد عرضاً ضمن ما يسمى بتقرير البحث. وتقرير البحث هذا هو عبارة عن عرض مختصر للصورة الشاملة للبحث. وانطلاقا من هذا التقرير يمكن الحكم على القيمة العلمية للعمل. يتضمن هذا التقرير عادة كل مسار البحث من صياغة المشكلة إلى النتائج، كما يتم فيه تحليل المعطيات التي جمعها الباحث وتأويل النتائج على ضوء تعريفه للمشكلة. انظر الفصل 12.

تقرير المرحلة

تتميز كل مرحلة من المراحل الأربع التي تم وصفها سابقا عن المراحل الثلاث السابقة، ولكنها تتطلب تنفيذاً لسابقتها. إن المراحل الأربع مرتبة ولا غنى عن أية منها لإتمام إنجاز البحث. وللتأكد من عدم الانطلاق في مرحلة ما دون تحقيق النجاح في المرحلة السابقة، فإن الباحث مطالب بتحرير تقرير جزئي بعد كل مرحلة، يسمى بتقرير المرحلة. إن هذا التقرير يسمح بتقييم مدى متانة المرحلة التي تم اجتيازها، والمرور بعد ذلك وبضمانات أكثر إلى المرحلة التي تليها. زيادة على ذلك فإن تقارير المراحل هذه يمكن أن تساعد الباحث كثيرا أثناء قيامه بتحرير التقرير النهائي للبحث، طالما أن كل واحد منها يصف جزءاً من المسلك المتبع في كل البحث. سيتم في هذا الكتاب، بعد الانتهاء من المراحل الثلاث الأولى، تقديم عرض حول العناصر التي ينبغي أن يشمل عليها التقرير المطلوب إنجازه في نهاية كل بحث.

انظر في نهاية الفصول 6، 8 و10.

مشروع البحث

إذا كان الباحث بصدد تحضير مذكرة أو رسالة بحث، فهو ملزم منذ الوهلة الأولى بتقديم **مشروع بحث**. في نفس الوقت، فإن الباحث أو الباحثة الذي يتقدم بطلب اعتماد، أوالذي يتقدم بطلب الحصول على رخصة الشروع في بحث، لابد عليه أن يسلم اقتراح إجراء بحث، أي يقدم وصفاً مفصلاً لمشروع البحث.

مشروع بحث
عرض كتابي يعطي وصفا مفصلا للبحث العلمي المراد إنجازه.

يتطلب إعداد مشروع البحث معرفة مسبقة لكل ما سيتضمنه هذا البحث، نقطة بنقطة. هذا يعني أن الباحث يعرف مسبقاً في أي اتجاه نظري سيضع نفسه، وماهي المناهج والتقنيات التي سيتبناها، وماهي الأدوات التي سيستخدمها، وماهو نوع المعالجة التي سيقوم بها للمعطيات التي سيتحصل عليها. كما يعني أيضا أنه أخذ الحذر المطلوب فيما يخص وسائل تقييم البحث. وفي الواقع، فمن الممكن أن يخصص تقريبا ثلث وقت البحث في إعداد مشروع هذا البحث ؛ ذلك لأنه قد يذهب إلى حد التنبؤ

الاعتبار حدود الإمكانيات الزمنية والمالية التي توفرها له الهيئة أو المنظمة الممولة للمشروع.

أخـلاق البـحـث العلـمـي

يتوجب على الباحث أو الباحثة أن يلتزم بعدد من الواجبات والمسؤوليات. إنه لا يستطيع القيام بكل ما يريد، وكما يريد، سواء من تلقاء نفسه أو بطلب من طرف أو أطراف أخرى دون أن يعرضه ذلك إلى انعكاسات سلبية. إن كل بحث يتطلب بالتأكيد، من الباحث أو الباحثة، الصدق والأمانة، ومن دون استقامتهما ونزاهتهما، فإن مصداقية مسعى البحث ستكون محل شك وريبة.

إن الباحث ملزم، أثناء القيام بالبحث باتباع القواعد التي تمثل في مجموعها ما يسمى **بالأخلاق** الخاصة بالعمل **العلمي** واحترامها خلال كل مسعى البحث. هناك مدونة أخلاقيات تعتبر بمثابة قوانين مكتوبة هي في طريقها إلى الانتشار أكثر فأكثر في كل التخصصات والفروع العلمية. بالموازة مع ذلك فإن ما يعرف بلجان الأخلاقيات ما انفكت تتكاثر في الهيئات والمؤسسات التي تجرى فيها البحوث. إن لجان المراقبة هذه تسهر على رفض البحوث التي لا تحترم القواعد الأخلاقية المعمول بها : إن هذه الإجراءات تهدف إلى ضمان تحقيق نزاهة أكثر في البحوث (ACFAS 1995). وتتعلق المبادئ الأخلاقية هذه بـ : أفراد البحث، سواء تعلّق الأمر بالأشخاص في حالة العلوم الإنسانية، الباحثين الآخرين، أو تعلّق الأمر بالباحثين الزملاء الذين ينبغي على الباحث أو الباحثة أن يكشفوا لهم عما قاموا به ؛ أو الجمهور بصفة عامة الذي ينتظر من هذا الباحث أو هذه الباحثة أن يقدموا تقارير أو ملخصات عن نشاطهم. لا يمكن عرض هنا سوى المبادئ الأخلاقية العامة. أما تطبيقاتها فستتوضح أكثر وبصفة ملموسة في الفصول القادمة التي تتعرض لمختلف مراحل البحث.

أخلاق علمية
مجموعة من المبادئ والواجبات الأخلاقية المرتبطة بسير نشاط البحث.

العناصر البشرية

إن وجود العلوم الإنسانية يرتبط بالاعتراف بحق المجموعة العلمية في دراسة العنصر البشري، بالضبط مثلما تم الاعتراف بحق دراسة المجالات المعدنية، النباتية والحيوانية. ومع ذلك فإن هذا الحق في دراسة العناصر البشرية يفترض احترام الأشخاص المشاركين في البحث :

احترام نزاهتهم، أي عدم استغلالهم واحترام حياتهم الخاصة وعدم إفشاء أسرارها وما قد يسببه ذلك لهم من قلق وحيرة؛ لهذا فالمطلوب من الباحث أن يقلل من ذلك ما استطاع.

احترام شخصية الأفراد

عندما يتعرض الأفراد المشاركون في البحث إلى عواقب سلبية من الناحيتين الجسدية والنفسية، فعندئذ نقول إن هؤلاء الأفراد قد استغلوا هكذا. فإن جمع الأشخاص حتى ولو كان عن طريق استعمال سلطة الباحث أو الباحثة ثم الضغط عليهم لإرغامهم على القيام بسلوكات مخزية ومنفرة والتي قد تكون، مثلاً، عكس القيم التي يتبنونها فهذا شكل من أشكال الاستغلال. زيادة على هذا، فإن ترك الأفراد جاهلين كلية أسباب مشاركتهم في البحث لدليل على عدم احترامهم المبالغ فيه. مع ذلك فيمكن تأجيل إظهار السبب الحقيقي لمشاركتهم في البحث إلى ما بعد إنجاز هذا الاخير، ذلك لأن معرفتهم بالسبب الحقيقي قبل إجراء البحث أو أثناءه من شأنه أن يضر بمواصلة البحث. يبدو ذلك ضرورياً لاسيما في حالة إجراء البحث في المخبر، لأن معرفة الأشخاص، منذ البداية، على ماذا سيتم تقييمهم قد يدفع بهم إلى تغيير سلوكاتهم وتعديلها؛ بينما القاعدة العامة هي أن يقدم الباحث للمشاركين في البحث، ومنذ الوهلة الأولى، سبب البحث وبالتالي سيتعاونون معه وهم على دراية بذلك. إضافة إلى هذا، ينبغي تجنب الحالات التي قد تترك آثاراً جسدية ونفسية سلبية لدى المبحوثين.إن الضغط على الأشخاص مثلا ودفعهم بالقوة إلى المشاركة في بحث ميداني عن طريق استعمال الابتزاز العاطفي أو اللجوء إلى سلطة الباحث سيكون بمثابة دليل صارخ على عدم احترام نزاهة الأشخاص، وبكلمات أخرى، فمن المفروض أن تعطى للأشخاص المبحوثين فرصة الموافقة الواعية بعد تلقيهم معلومات كافية وملائمة وأنهم يتمتعون بحرية في كل الأحوال للقبول بالمشاركة.

احترام الحياة الخاصة

نقول إن الباحث لم يحترم الحياة الخاصة عندما يكون عاجزاً على إخفاء هوية الأشخاص الذين قبلوا بالمشاركة في البحث، وذلك من خلال الكشف عن أسمائهم أو أسماء المجموعة الخاصة التي ينتمون إليها، حسب الحالة (مثل القرية، الجمعية،إلخ.). فالقاعدة في العلوم الإنسانية

هي إلا يبوح الباحث بهوية هؤلاء وأولئك الذين أرادوا عن طواعية أن يشاركوا في البحث ؛ وتتجلى ضرورة احترام هذه القاعدة فيما يتطلبه البحث من المبحوثين أن يكونوا أحراراً في التعبير التلقائي، وألا يتأثروا بما قد يتم الكشف عنه حولهم، أو بالصورة المتوقع نقلها عنهم. أما فيما يخص البحث الذي يجرى على وثائق فإن الأشخاص والمؤلفين الذين قد يشار إليهم، سواء كانوا من المتوفين أو من الأحياء، فينبغي معاملتهم باحترام، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بكتابات شخصية وخاصة.

زيادة على ذلك، تعتبرالسرية منتهكة لما يسمح البحث بالتعرف على المبحوثين. ولتجنب المساس أو الإضرار بسمعتهم، فينبغي إتخاذ كل تدابير الحذر الممكنة بهدف ضمان سرية أكثر للمبحوثين. هكذا في بحث يجرى على عيّنة فلابد من الالتزام بنشر فقط النتائج في صيغ عامة ؛ إذ لا يمكن الإشارة إلى الأفراد المشاركين في البحث بطريقة منفردة ؛ والاستثناء الوحيد المسموح به في الالتزام بالسرية يتعلق بالأشخاص المشهورين القدماء منهم والحاليون، شرط أن يكون البحث متطابقاً مع متطلبات الموضوعية لكل مسعى علمي. هؤلاء الأشخاص يقبلون حتماً، وانطلاقاً من وظائفهم، أن يشاركوا في كل تحليل يمكن أن يتم أو يجرى حول وضعية اجتماعية. لهذا فإن الأمر لا يتعلق بالتقليل من قيمتهم دون سبب معقول.

الاهتمام بتقليص العيوب

إن العيوب التي قد يتسبب فيها الباحث نتيجة الوقت أو التنقل الذي قد يفرضه على المبحوثين، لابد من تعويضها بالاهتمام الذي يثيره البحث لدى هؤلاء المبحوثين. إن هذا الاهتمام قد يكون ذو صبغة فكرية، مثل إرادة المساهمة في فهم أفضل للإنسان أو المساهمة في تطور العلم؛ كما قد يكون ذو صبغة عاطفية، ذلك لأن الأشخاص قد يظهروا ارتياحاً كبيراً لأنه يكون في إمكانهم التعبير عن جزء من ذواتهم الخاصة، وأنهم قد وجدوا، مثلاً، من يستمع إليهم باهتمام أثناء إجراء مقابلة بحث ؛ كما يمكن أن يكون هذا الاهتمام ذو صبغة مالية، ولكن ليس إلى درجة أن تكون هي المصدر الوحيد الذي يحثهم على المشاركة. هكذا، فإذا كان من السهل القيام ببحث، مثلما جرت العادة، مع الأشخاص الأقل ثراء، والمستعدين لتقبل ذلك فلابد بالمقابل من تشجيعهم ومكافأتهم

بأية صورة كانت. باختصار، مهما كانت المزايا الممنوحة للمشاركين في البحث فينبغي أن تكون موازية على الأقل للعيوب التي قد تحدث بعض المتاعب لهؤلاء المشاركين.

بصفة عامة، لابد من وجود ثقة متبادلة في إطار العلاقة الرابطة بين الباحثين والمبحوثين، ولن تكون عملية البحث ناجحة إلاّ باحترامها لهذا الشرط البالغ الأهمية. فعلى الباحث أو الباحثة أن يكون صادقاً في قناعته بالمساهمة الكبيرة التي يقدمها المشاركون في البحث، ولا بد أن يُمنح لهم ضمان حماية حقوقهم، بالإضافة إلى حصولهم على فائدة معيّنة من هذه التجربة. فإذا ما تمت إقامة هذا الاحترام المتبادل، فإنه سيضمن الصبغة الأخلاقية للعمل العلمي في العلوم الإنسانية.

المجموعة العلمية

إذا كان مطلوبا من الباحث أو الباحثة أن يكون صادقاً مع الأشخاص الذين يشاركون في البحث، فالأحرى به أن يكون كذلك مع أعضاء المجموعة العلمية. إن الأمر يتعلق هنا بزملائه، أي أولئك الذين يتقاسم معهم نفس ميدان النشاط. لهذا ينبغى أن يكون ذا شفافية أمام زملائه في البحث المكتمل، وناقداً للبحوث التي يقوم بإنجازها الآخرون.

شفافية
موقف الباحث أو الباحثة الذي يضع إجراءات بحثه في متناول زملائه.

يمكن للباحث أن يطمئن زملاؤه بنواياه الحسنة وباستعماله للمنهجية الأكثر ملاءمة وبتحليله الأكثر صرامة، إلا أن **الشفافية** تتطلب أكثر من هذا. لذلك لابد من نشر البحث وجعل معطياته في متناول الغير، وهذا يسمح بالتبادل العام للانتقادات كضمانة للموضوعية. إن العلم بهذا الشكل لا يُثمَّنْ أو يقيم إلاّ من طرف المجتمع، ومصداقيته لا تستمر إلاّ إذا قبل العلماء هذا النوع من لعبة التقييم المتبادل، وينبغي أن تذهب نزاهتهم إلى حد السماح للآخرين بالاطلاع على معطيات البحث، وهذا ما يؤدي بالتأكيد إلى الكشف عن الأخطاء الممكنة، ولكن إلى الكشف أيضا عن مواطن التضليل (De Pracontal 1986) مثل نشر معطيات خاطئة أو تزييف النتائج.

بناء على ذلك فإن الباحثين والباحثات لهم أيضا مسؤولية تقييم بحوث زملائهم ؛ فالواجب يحتم عليهم قراءة هذه البحوث بعين ناقدة ونزيهة، كضمان للتطورّ المستمر للعلم. إنهم يستطيعون، بعد معالجتهم العادلة لأعمال زملائهم، أن يطالبوا هم بدورهم أن تقيم أعمالهم بصدق.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

خاتمة

[illegible]

المؤسسات الاستشارية التي تدور في فلك هذه الهيئات استعانت بخدمات باحثين وباحثات في العلوم الإنسانية إلى حد جعل هذا النوع من البحوث يقل في الجامعات باعتبارها الإطار المفضل للبحوث الأساسية عن أي مكان آخر في المجتمع (Piotte 1985)؛ لهذا أصبح من الضروري على الباحثين أن يبتعدوا أكثر عن إلزامات الدولة أو المؤسسة الخاصة (Guillaume 1986).

إن النقاش حول البحث الحالي في العلوم الإنسانية يبين أنه متفرع: لقد اتخذ كل الاتجاهات ولم يبق مجمداً في مسعى واحد لتصور وإنجاز أعمال ما. مما جعل البعض من الملاحظين يسمي ذلك تفتحاً بين الباحثين والباحثات الذين لم يعودوا متقوقعين في برج عاجي متمسكين بنظرية راسخة، بل أصبحوا يتقبلون تبادل أكثر فيما بينهم، في حين يتخوف البعض الآخر من التشتت وقلة الانسجام الكلي للعلوم الإنسانية. هذا التفرع الكثيف سمح بإعادة ظهور البحث الكيفي الذي أهمل بسبب الانبهار الذي أحدثه البحث الكمي بفضل ميزته القياسية. لقد أصبح هناك اهتماما منصبا، أكثر من ذي قبل، على العناصر البشرية، وعلى ما تمنحه من معاني لأفعالها.

إن التفتح الكبير الذي أظهره الباحثون والباحثات في العلوم الإنسانية جعلهم واعون أن الانقسام بين فروع هذه العلوم أصبح أمراً مقلقاً (Cohen 1985)، الشيء الذي كثيرا ما يمنعهم من التناول الكامل لمواضيع بحوثهم. إنها دعوة صريحة من أجل العودة إلى البحث المتداخل التخصصات الذي يسمح لهم بتجديد تصوراتهم، واستدراجهم إلى أخذ بعين الاعتبار بعض المكتسبات التي حققتها التخصصات الأخرى. إن فكرة البحث المتداخل التخصصات هذه ظهرت منذ نهاية سنوات 1960، عقب الاكتشافات الفضائية التي تحققت في هذه الحقبة بفضل فرق متعددة التخصصات، ولكن البحث الجامعي والأساسي على الأقل لايبدو أنه قد تجاوز منذ ذلك الوقت إطار تخصص العمل. إذا كان الكل تقريبا أو الغالبية من الناس تؤيد فكرة تداخل التخصصات، إلاّ أن الأقلية فقط من العلماء تتداول ذلك النشاط انطلاقا من كون أعضائها قد تكونوا في فروع خاصة. مع ذلك ينبغي أن نأمل في

إجراء بحوث بالتعاون أكثر فأكثر بين التخصصات المتداخلة، أو حتى عبر تخصصات مختلفة.

ملخص

بإمكاننا تمييز البحث في العلوم الإنسانية وفقًا لثمانية مقاييس هي : حسب القصد من البحث، هناك البحث الأساسي والبحث التطبيقي ؛ وحسب نوع المعطيات المتحصل عليها، فهناك البحث الكمي والبحث الكيفي، وحسب الفترة الزمنية المعتبرة، فهناك البحث المتزامن والبحث المتعاقب ؛ وحسب المجال الإقليمي المأخود بعين الإعتبار، حيث يوجد البحث المحلي، الجهوي، الوطني، الدولي والعالمي، وحسب المجال المحدد رمزياً، وفي هذا الإطار يوجد أساسا البحث المقارن ؛ وحسب موقع ومكان جمع المعطيات، إذ يوجد البحث الميداني والبحث في مخبر، أو البحث الذي يجرى على وثائق، وحسب الأفراد والوحدات المنتقاة، حيث نجد البحث الشامل أو بالمعاينة أوالمونوغرافي، وحسب ميدان تخصص الباحثين والباحثات وطرق تعاونهم إذا ما كان هناك تعاوناً، وهناك البحث التخصصي، والبحث المتعدد التخصصات والبحث المتداخل التخصصات والبحث العابر للتخصصات ؛ وحسب هدف البحث، هناك البحث الوصفي، البحث التصنيفي، البحث التفسيري والبحث الفهمي. إن كل البحوث يمكن أن تميز بواحدة من هذه المقاييس الثمانية.

إن حركة الفكر والنشاط العلمي يمكن وصفها في شكل حلقة خاصة بالبحث تتميز بثلاث فترات زمنية هامة وهي : مرحلة التصور بمساعدة النظرية والمفاهيم، ثم مرحلة المنهجية بمساعدة المناهج والأدوات الملائمة، ثم مرحلة الملاحظات، أي مرحلة تحليل المعطيات واستنتاج النتائج. كل هذا يعني أننا نتصور ثم ننجز ثم نلاحظ ثم نعيد الدورة، وهكذا. هناك إذا علاقة متبادلة ومستمرة بين هذه المراحل الثلاث من مراحل البحث. ومن جهة أخرى، يمكن تقليص مراحل البحث العابر للتخصصات إلى أربع مراحل أساسية مع تمييز مرحلتين متتابعتين في كل واحدة منها. فالمرحلة الأولى هي مرحلة التعريف بمشكلة البحث وتتضمن صياغة أو طرح مشكلة البحث، ثم تحديد جانبها العملياتي. أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة الإعداد التقني، وتتضمن اختيار واحدة من

مصطلحات أساسية :

- بحث علمي
- بحث أساسي
- بحث تطبيقي
- بحث كمي
- بحث كيفي
- بحث متزامن
- بحث متعاقب
- بحث محلي، جهوي، وطني، دولي، عالمي
- بحث مقارن
- بحث ميداني
- بحث في مخبر
- بحث يجرى على وثائق
- بحث شامل
- بحث بالمعاينة
- بحث مونوغرافي
- بحث تخصصي
- بحث متعدد التخصصات
- بحث متداخل التخصصات
- بحث عابر للتخصصات
- بحث تفسيري
- بحث وصفي
- بحث تصنيفي
- بحث فهمي
- حلقة البحث
- مراحل البحث
- مشروع البحث
- اخلاق علمية
- شفافية

تقنيات البحث الأساسية والإعداد بالتالي للأدوات المرتبطة بالتقنية المفضلة. فيما يخص المرحلة الثالثة، فهي مرحلة جمع المعطيات. إذ تفترض انتقاء عدد من الأشخاص أو وحدات أخرى وذلك حسب طريقة المعاينة، ثم التوظيف الصحيح للتقنية المستعملة. أما المرحلة الرابعة والأخيرة، فهي مرحلة التحليل والتأويل. إنها تبدأ بتحضير المعطيات التي تم جمعها وتنتهي بكتابة تقرير البحث الذي يوضح تحليل المعطيات المحضرة وتأويل النتائج، والذي يقدم في نفس الوقت توضيحات حول السير الكلي للبحث.

إن الباحث أو الباحثة، مثل أي عامل أو عاملة في المجتمع لا بد عليه أن يحترم بعض المبادئ الأخلاقية، أي الواجبات الأخلاقية أثناء تأدية عمله، سواء كانت هذه المبادئ مقننة أم لا من طرف منظمة أو هيئة أياً كانت. كما يتوجب عليه أن يلتزم بالشفافية مع زملائه ويتقبل نقدهم بالكشف عن كل مسعاه في البحث. وعلى الباحث أن يبذل من جهته جهدا في نقد زملائه. أما فيما يتعلق بالعناصر البشرية المشاركة في البحث، فلا ينبغي المبالغة في إحراجها، أو الكشف عن حياتها الخاصة، كما يجب أيضا التفكير في التقليص من العيوب التي ربما تسببها لهم مشاركتهم في البحث وأن تعطى لهم ضمانات أن هذه العيوب لاتتجاوز المزايا المنتظرة. إن إقامة جو من الثقة والاحترام المتبادل هو واحد من شروط النجاح العلمي. في هذا الإطار، فإذا كان من حق الباحث أو الباحثة أن يقوم بالبحوث التي تهمه، فإن من حق الجمهور أيضا أن يطلع على النتائج. إن هذا التبادل (أو الذهاب والإياب) ضروري حتى تبقى القيمة الإيجابية للعلم في المجتمع وتستمر.

أسئلة

يفرض أنه تم إجراء بحث حول التغيب عن العمل. إعط التوضيح اللازم لتجعل منه :

أ) بحثا أساسيا ؛

ب) بحثا تطبيقيا ؛

ت) بحثا كميا ؛

ث) بحثا كيفيا ؛

ج) بحثا متزامنا ؛

ح) بحثا متعاقبا ؛

خ) بحثا محليا ؛

د) بحثا مقارنا ؛

ذ) بحثا ميدانيا ؛

ر) بحثا يجرى على وثائق ؛

ز) بحثا بالمعاينة ؛

س) بحثا مونوغرافيا ؛

ش) بحثا متعدد التخصصات ؛

ص) بحثا متداخل التخصصات ؛

ض) بحثا وصفيا ؛

ط) بحثا تفسيريا.

2. أ) يقوم شخصا ما بملاحظة سكان شارع ما ويسجل سلوكاتهم.

ب) ويتحدث شخص آخر مع زملائه عما يجب دراسته.

ت) يحاول شخص ثالث فهم معنى المعطيات التي تحصل عليها.

ث) يقترح آخر طريقة لتجسيد الظاهرة التي نريد أن نعرفها للتحقق منها في الواقع.

ففي هذه الأوضاع الأربعة للبحث المشار إليها. بين في أية مرحلة من مراحل البحث نحن موجودين، ولماذا؟

3. تخيل نفسك عضواً في لجنة أخلاقيات المهنة الخاصة بالعلوم الإنسانية وطلب منك تقييم مشروع بحث أرسل إليكم. ماهي الأسئلة التي يجب طرحها حول المشروع إذا ما أردتم التحقق من امتثاله للمبادئ الأخلاقية الخاصة بالبحث العلمي ؟

الفصل 4

المنهجية

[...] مهما كان موضوع البحث، فإن قيمة النتائج تتوقف على قيمة المناهج المستخدمة.

FESTINGER ET KATZ

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن :

- يميز بين المعاني المختلفة لكلمة منهج ؛
- يصف ثلاثة مناهج نموذجية في العلوم الإنسانية ؛
- يميز طرق التقصي في العلوم الإنسانية ؛
- يحدد بدقة المقاييس الرئيسية للتقييم العلمي لبحث ما.

تمهيد

ينبغي على الباحث أو الباحثة في العلم، أن يتصور بحثه بالتفكير في الوسائل التي سيستعملها في كل مرحلة من مراحله ؛ والمقصود هنا هو **منهجيته.** وانطلاقا من كون العلم في تطور دائم، فلا ينبغي من جهة أخرى تصور وجود منهجية مثالية أو نهائية. فإذا كان المنهج العلمي هو أساس مسعى الباحث أو الباحثة فإن مناهج أخرى ستوضح المسار الخاص الذي سيتبع على المستوى الملموس. هكذا، فإن تحديد مشكلة البحث سيؤدي إلى اختيار منهج كيفي أو كمّي، كما سيؤدي بالباحث، من أجل تناول موضوعه، إلى استعمال التجريب، التحقيق الميداني أو المنهج التاريخي. إن الباحث أو الباحثة سيتوجه أيضا، وفي مستوى ملموس أكثر، نحو استعمال التقنية المباشرة أو غير المباشرة أثناء قيامه بجمع المعطيات من الميدان. وأخيرا ينبغي أن يكون كل باحث متأكداً أن بحثه سيتم تقييمه في الأخير إيجابيا من طرف مجموعة الزملاء، ولهذا لابد عليه أن يتأكد من صحة نتائجه بإخضاعها للتقييم بواسطة المقارنة.

منهجية
مجموع المناهج والتقنيات التي توجه إعداد البحث وترشد الطريقة العلمية.

المنهج والمناهج

إن كلمة **منهج** ليست مصطلحا أحادي المعنى في العلم (Grawitz 1986). فقد نسعى إلى تجنبها (Gauthier 1992) ولكننا لا نستطيع تجاهلها طالما هي مستعملة. إن استعمالها عادة ما يكون مقروناً بنعت يحدد ماهو المنهج المأخوذ بعين الاعتبار : مناهج كمية، كيفية، منهج علمي، تجريبي، تاريخي، أو تحقيق ميداني، وذلك على سبيل ذكر البعض منها فقط.

منهج
مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدف.

المعاني المختلفة لكلمة منهج

انطلاقا من مستوى عام ومجرد جدا، ينبع المنهج من موقف فلسفي حول تصورنا للعالم الذي يحيط بنا. فمثلا إذا كنا نعتقد أن مصدر المعرفة يأتينا من الأشياء المحسوسة، فإننا نكون من أتباع المنهج الاستقرائي (inductive). بإمكاننا أن نقبل بفكرة أن يكون لكل باحث أثناء تناوله لبحث ما تصوراً من هذا النوع منذ البداية، سواء أظهر هذا التصور أو لم يظهره.

أنظر الفصل 2، «مصدر المعرفة العلمية».

أما إذا انطلقنا من مستوى أقل عمومية، وأكثر محسوسية، فقد تسعى باحثة ما، مثلا، ومنذ الوهلة الأولى إلى تقديم عرضٍ حول طريقة تفسير موضوع دراستها، ويكون ذلك بمثابة إطار لبحثها. فقد تستعمل المنهج الجدلي عندما تقوم بتعريف موضوع بحثها باعتباره يتكون من ظواهر متناقضة وذلك بهدف إظهار العلاقات المتناقضة والمتصلة في نفس الوقت. وعلى العكس من ذلك، فإن استعمال المنهج الوظيفي يتم لما تقوم بتعريف موضوع بحثها كموضوع يتكون من ظواهر مندمجة مع بعضها وفقاً لآفاق منفعتها المتبادلة.

وعلى مستوى ملموس أكثر، فإن كلمة منهج يمكن إرجاعها إلى طريقة تصور وتنظيم البحث. ينص إذن المنهج على كيفية تصور وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما. إنه يتدخل بطريقة أكثر أو أقل إلحاح، بأكثر أو أقل دقة، في كل مراحل البحث أو في هذه المرحلة أو تلك. فمثلا، ينشد المنهج العيادي، بالمعنى الضيق، أولاً هدفا علاجياً دون أن يتطلب ذلك استعمال وسيلة خاصة، حيث يهتم هذا المنهج أكثر بالنتائج دون أن يصف طريقة المعالجة بدقة، ويتمم تعريفه خاصة بالموقف الذهني تجاه الموضوع. وفي المقابل، يفرض المنهج التجريبي طريقة تصرف ما على مستوى الملاحظة، وأسلوب في معالجة المعطيات الناتجة عنها.

كما يمكن إرجاع كلمة منهج إلى ميدان خاص يتضمن مجموعة من الإجراءات الخاصة بمجال دراسة معين. مثلا، يملك منهج التحليل النفساني إجراءاً للتقصي خاصاً به. وعلى غرار المناهج الأخرى يتطلب المنهج التاريخي طريقة أو أسلوب معين في تقييم الوثائق المستعملة.

المصطلحات القريبة من مصطلح منهج

إن بعض المصطلحات الأخرى المستعملة عادة في العلم، يمكن أن تتقاطع جزئيا مع هذا المعنى أو ذاك لمصطلح منهج، لهذا نتحدث عن **التناول** (approche). قد يقال عن باحث ما إن له تناولا ماركسياً، مما يدل على أنه يستلهم من كارل ماركس (1818 – 1883) واتباعه الذين قاموا من بعده بتطوير نظريته. كما قد يقال عن باحثة ما إن لها تناولا سلوكيا، أي أنها تنتسب إلى مدرسة فكرية هامة في علم النفس تركز على دراسة السلوكات. ومع هذا، فإن اعتماد هذا الباحث أو ذاك على تناول ما لا يعني بالضرورة اتباعه حرفياً للنظرية المسترشد بها، بل الأصح أن نقول إنه

تناول
طريقة خاصة غير تقليدية في استعمال النظرية العلمية.

يستقي منها أكثر مما يستقي من غيرها. كما يمكننا الاستلهام من تعالي
شخص ما دون أن نسعى لنكون من اتباعه.

نموذج نظري
مجموعة من القناعات وطرق العمل المشتركة بين مجموعة من العلماء في مدة زمنية معينة.

وهناك مصطلح **النموذج النظري** (paradigme) الذي يحدد مجموع التصورات والممارسات التي يهتدي بها الباحثون. وحسب تخصصاتهم والمدارس الفكرية السائدة في مرحلتهم، فإن الباحثين لا يستعملون نفس النموذج النظري أو نفس الإطار، وهو مصطلح آخر معادل. يمكن اعتبار النموذج النظري كنموذج أعلى أومجموعة من المرجعيات النظرية والتطبيقية الخاصة بميدان معرفي معين، والتي يشترك فيها، خلال فترة زمنية معينة، الباحثون في هذا الميدان. إنه يسمح لهم بامتلاك نظرة خاصة حول الواقع وحول الأحداث.

إن المناهج، التناولات والنماذج النظرية، ليست لها حدوداً محكمة، زيادة على ذلك يمكن لنفس الاتجاه الفكري أن يؤثر وفي نفس الوقت في المناهج والتناولات وبعض النماذج النظرية. هكذا كان الأمر بالنسبة إلى التطورية التي اعتبرت كنظرية عامة تسلم بالتقدم الحتمي للبشرية.

المناهج الكمية والمناهج الكيفية

أنظر الفصل 11، «تحضير المعطيات».

من المتفق عليه، على مستوى الإجراءات، أن نميز في بحوث العلوم الإنسانية بين تلك التي تهدف إلى قياس الظواهر عن تلك التي تسمح بأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها أو عدها. لهذا تتطلب المناهج الكيفية والكمية مجموعة من الإجراءات المختلفة.

مناهج كمية
مجموعة من الإجراءات لقياس الظواهر.

إن **المناهج الكمية** تهدف في الأساس إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة. وقد تكون هذه القياسات من الطراز الترتيبي (ordinales)، مثل: «أكثر من أو أقل من»، أو عددية وذلك باستعمال الحساب. إن أغلبية البحوث في العلوم الإنسانية تستعمل القياس ؛ وكذلك الأمر حينما يتم استعمال المؤشرات، النسب، المتوسطات أو الأدوات التي يوفرها الإحصاء بصفة عامة. إننا نستنجد بالمناهج الكمية أثناء محاولة معرفتنا، مثلا، تطور أسعار الاستهلاك منذ عشر سنوات، نية التصويت في الانتخابات القادمة، الارتباط بين درجة التحضر ونسبة المواليد.

مناهج كيفية
مجموعة من الإجراءات لتحديد الظواهر.

أما **المناهج الكيفية** فتهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة. وعليه ينصب الاهتمام هنا أكثر على حصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها. لهذا يركز الباحث أكثر على دراسة

الحالة أو دراسة عدد قليل من الأفراد (Deslauries 1991). فعندما يحاول الباحث معرفة أطوار تعلم الطفل، أو الأحداث التي طبعت عشرية زمنية، أو تصورات الحب في بلدان مختلفة، فإنه يستعين في ذلك بالمناهج الكيفية.

لقد ظلت المناهج الكمية ومنذ زمن طويل مناوئة للمناهج الكيفية. تعتمد المناهج الكمية على صيغ رياضية للواقع، ونظرا إلى استعمالاتها العادية والمتكررة من طرف علوم الطبيعة فقد اعتبرت منذ البداية أنها أكثر صرامة وعلمية من المناهج الكيفية، حيث أدى هذا بالعلوم الإنسانية إلى الاعتقاد ولمدة طويلة أن نموها ومصداقيتها مرهونان باستعمال أكثر للتكميم في بحوثها. لقد استعانت بعض تخصصات فروع العلوم الإنسانية، مثل الاقتصاد، الجغرافيا، علم الاجتماع، علم النفس وعلوم الإدارة، بالرياضيات في دراستها للظواهر، لأن طبيعة موادها ومواضيعها تتقبل ذلك بكل سهولة. مع ذلك، فإنه لا يمكن إخضاع الظواهر الإنسانية دائما للتكميم. لذا فهي ملزمة أيضا باستخدام المناهج الكيفية التي تستعين أكثر بالأحكام، وبدقة ومرونة الملاحظة أو بفهم التجارب التي يعيشها الأفراد.

إضافة إلى ما تقدم، فإن الظواهر الإنسانية ومهما كانت دقة القياسات الكمية المستعملة في قياسها، ستظل محتفظة ببعدها الكيفي. فعندما يتحدث المرء، مثلاً، عن درجة الرضى عن العمل، أو درجة النزعة المحافظة (conservatisme) لدى مجموعة بشرية ما، أو الازدهار في دولة ما، وهي كلها ظواهر لها قياسات حسابية، فإن المصطلحات المستعملة هي من طبيعة كيفية وتعود إلى حقائق إنسانية لا تستجيب أبداً للقياسات الكمية التي تمت تهيئتها من أجل ذلك. فالرضى والنزعة المحافظة والازدهار مصطلحات تشير أصلا إلى تقدير الواقع، ويبقى الحساب ليس أكثر من مجرد تكميم.

إن الأهداف المتبعة والمواد المتوفرة هي التي تحدد إما درجة التكميم أو المسعى الكيفي الذي ينبغي اعتماده، لأننا عندما نريد قياس نوعية ظاهرة ما، فإن الأعداد في حد ذاتها لا تضيف شيئا مهما كانت دقيقة، وعكس ذلك، فإن وصفاً نوعيا مفصلا سيكون عديم الفائدة إذا كان المعطى الرقمي أكثر وضوحاً. يبقى الأهم في أخذ كل الوسائل الضرورية لتعميق موضوع الدراسة وتحليل كل جوانبه. إن هاتين العمليتين المنهجيتين الكبيرتين هما الآن مكسبين تشترك فيهما العلوم الإنسانية.

المنهج العلمي

إن ما نعنيه **بمنهج علمي** هو مسعى الباحثين والباحثات في كل ميادين العلم. وما نعنيه بذلك هو أنهم، وبغض النظر عن خلافاتهم حول المنهج الخاصة التي يستعملونها، يشتركون جميعاً في طريقة يفضلونها. هذه الطريقة لها نفس الهدف وهو: تعمق أكثر في المعارف حول العالم. وللقيام بذلك فإن كل عضو من المجموعة العلمية ملزم بإخضاع على محك الواقع كل استدلال نريد من خلاله معرفة هذا الواقع. هكذا يفرض المنهج العلمي في ملاحظة الواقع أقصى حد من الموضوعية الممكنة. هكذا، أيضا، تصبح الإجراءات التي تم اختبارها معترف بها من طرف هذه المجموعة على أنها تملك أكثر صلاحية من إجراءات أخرى لإقامة دراسة صحيحة وصارمة للواقع، كما تصبح أيضا جزءاً من المنهج. وسيتم النظر إلى مختلف جوانب المنهج العلمي في الأجزاء الأخرى من هذا الكتاب من خلال إعداد مراحل البحث العلمي في العلوم الإنسانية.

منهج علمي
طريقة جماعية لاكتساب المعارف القائمة على الاستدلال وعلى إجراءات معترف بها للتحقق في الواقع.

ثلاثة مناهج نموذجية في العلوم الإنسانية

إن تقديم مناهج نموذجية في العلوم الإنسانية من مجموع المناهج هو اختيار ربما تعسفي. كما يعني ذلك أيضا الاكتفاء ببعض الطرق التي تمثل نماذج معينة مراعاة لأسلوبها المتميز في تناول مواضيع الدراسة وتنظيم البحث. لهذا لابد من معرفتها قبل الوصول إلى تقنيات البحث. إنها المناهج الثلاثة التي تم اختيارها في إطار دروس منهجية البحث المسجلة في برنامج العلوم الإنسانية للمستوى الثانوي (وزارة التعليم العالي والعلم للكيبك 1989). ويتعلق الأمر بالمنهج التجريبي، المنهج التاريخي ومنهج البحث الميداني.

المنهج التجريبي

يهدف **المنهج التجريبي** إلى إقامة العلاقة التي تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر أو **المتغيرات**. ولإقامة العلاقة بين السبب والنتيجة فإننا نقوم بإجراء التجربة التي يتم خلالها معالجة متغير أو أكثر بتغيير محتواه عدة مرات، و يسمى هذا المتغير بالمتغير المستقل. إن هذه العملية تسمح بدراسة آثار المتغير المستقل في المتغير الذي يتلقّى تأثيره، والمسمى بالمتغير التابع. مثلا، يمكننا تغيير مستوى الصخب (وهو المتغير

منهج تجريبي
طريقة لدراسة موضوع بحث بإخضاعه للتجربة وجعله دراسة قائمة على السببية.

متغيّر
ميزة خاصة بالأشخاص، بالأشياء أو بالأوضاع.

المستقل) في مرأب من أجل دراسة تأثيراته في نجاعة العمل (متغير تابع) لدى الأشخاص الخاضعين لهذا الضجيج.

غير أن عوامل أخرى، أو متغيرات خارجية، يمكن أن تتدخل في التجربة الجارية، وتضر بالدراسة الدقيقة لآثار المتغير المستقل في المتغير التابع. هذه العوامل غير المرغوب فيها ربما تكون من أنواع مختلفة : مادية وخارجية، أو مرتبطة بالأشخاص المشاركين في التجربة هم أنفسهم ؛ والمطلوب في هذه الحالة، إذاً، هو عزل المتغيرات الخارجية والحفاظ على هذه العوامل ثابتة. ومن أجل تحكم أفضل وممكن في كل عناصر دراسة آثار الضجيج يتوجب علينا، مثلاً، ضبط كثافة الإنارة والقضاء على حركة الذهاب والإياب التي هي عناصر تلهية يمكن أن تشوه النتائج وتزيفها. لكن، ورغم الحذر المتخذ لإبعاد كل عامل يمكن أن يتدخل بين المتغيّر المستقل والمتغيّر التابع والتأثير في النتائج، فإننا سنبقى دائما غير متأكدين من التحكم التام في ذلك.

أنظر الفصل 6، «أنواع المتغيرات».

هكذا، فإن تنوع وتباين العناصر يمكن أن يؤثر في سير التجربة وتكون لهما أعراض على المتغير أو المتغيرات التابعة في موضوع الدراسة. وللتقليل من آثار العوامل الخارجية المرتبطة بالعناصر، يسعى المنهج التجريبي إلى توزيع العناصر إلى مجموعتين متساويتين حسب مقاييس مختارة مثل السن، التعليم أو حتى المهنة، ونقوم بعد ذلك بإدخال تغييرات على المتغير المستقل لدى مجموعة واحدة، والتي تسمى عادة بالمجموعة التجريبية، ثم نقوم بعد ذلك بإجراء مقارنة بين نتائج هذه المجموعة ونتائج المجموعة الأخرى، وهي ما تسمى بمجموعة الشاهد أو مجموعة المراقبة والتي لا يتم إدخال أي تغيير عليها. إن هذا الأسلوب في العمل يسمح للباحث بالتأكد من أن النتائج التي تحصل عليها مرتبطة بعملية إخضاع المجموعات للمتغير المستقل أو عدم إخضاعها وليست ناتجة عن عوامل مثل السن، التمدرس أو مهنة الأشخاص.

أنظر الفصل 8، «توزيع عناصر التجربة».

لهذا يتطلب المنهج التجريبي أساليب خاصة في تصور البحث والقيام به. هكذا يحاصر كل بحث ببعض المتغيرات التي لابد من عزلها عن العوامل الأخرى المحيطة بها. وأكثر من ذلك ينبغي أن تكون هذه المتغيرات قابلة للقياس لأن الباحث يستعين بالإحصاء في تحليل هذه

النتائج. بالتالي، فإن المنهج التجريبي، مثل أي منهج آخر، لا يمكن أن يطبّق في دراسة أية ظاهرة. فإذا كان يمكن استعماله لدراسة أثر مستوى الضجيج، مثلا، في أداءات العمل انطلاقاً من إمكانية تكميم هذه المتغيرات وقياسها، فالأكيد أن ذلك لن يكون ملائماً في الواقع عند دراسة أسباب ثورة التحرير الوطنية وعادات وتقاليد منطقة القبائل.

إطار 4

أصل المنهج التجريبي

إن علوم الطبيعة هي أصل المنهج التجريبي. ولمدة طويلة لم يستخدم هذا المنهج إلاّ لأهداف مادية، لأن الاعتقاد الذي كان سائداً هو أن هذا المنهج غير صالح للاهتمام بالإنسان. لكن، وبفضل الطب في العلوم المرتبطة بهذا التخصص، بدأ المنهج التجريبي يمتد تدريجيا إلى دراسة الأحياء ثم إلى دراسة الإنسان بصفة خاصة. بعد الفيزيولوجي Claude Bernard (1813 - 1878) الذي قام بصياغة القواعد الأساسية في كتابه مقدمة لدراسة الطب التجريبي، وسع علم النفس، بالاشتراك مع الفيزيولوجيا وسيلة التقصي هذه.

هكذا ظهر إلى الوجود أول مخبر علمي في علم النفس في ألمانيا سنة 1879. ثم جاءت بعد ذلك أعمال الفيزيولوجي الروسي Ivan P. Pavlov (1849-1936) التي كرست المنهج التجريبي وثبتته في دراسة الكائنات الحية بهدف تغيير سلوكاتها.

منذ ذلك الحين بدأ يؤذن أو يُسْمَحُ بالتجربة على الإنسان ولكن بتوفر بعض الشروط المعينة ؛ واستمرت البحوث في هذا الميدان منذ ذلك الحين معتمدة على هذا المنهج.

إن المنهج التجريبي يحمل بصمات علوم الطبيعة حيث يعتبر هو منهجها النموذجي. أما استعماله في العلوم الإنسانية فهو محدود لأسباب متنوعة. أولا، لأن ظواهر العلوم الإنسانية لا تحتمل القياس دائما كما يتطلبه تحليل النتائج التجريبية. ثانيا، لأن موضوع الدراسة، وهو في هذه الحالة الكائن البشري، لا يمكن إجراء التجارب عليه إرادياً وذلك على عكس موضوع علوم الطبيعة، لهذا فإن الأخلاقيات واحترام حقوق الأشخاص تتطلب رضى الشخص بالمشاركة في التجربة ولا تسمح بإجراء أية تجربة كانت. وأخيراً، فإن تعقد بعض الظواهر الإنسانية لا يمكن إرجاعه إلى العلاقة البسيطة الرابطة بين السبب وأثره. والأمر كذلك بالنسبة إلى معظم أحداث الماضي وكذا الظواهر التي تهم المجتمع كله.

المنهج التاريخي

يهدف **المنهج التاريخي** إلى إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية، معتمداً في الأساس على الوثائق والأرشيف. يتضمن المنهج التاريخي، كأي منهج، مسعى خاصا. ينبغي على الباحث في بادئ الأمر أن يقوم بجمع الوثائق المتنوعة ثم يقوم بتقييمها أو نقدها ؛ ولهذا النقد مستويين، أحدهما خارجي والآخر داخلي.

منهج تاريخي
طريقة لتناول وتأويل حادثة وقعت في الماضي، وفق إجراء البحث والفحص الخاص بالوثائق.

يتمثل **النقد الخارجي**، الذي يسمى أيضا بنقد الأصالة أو بنقد التنقيب، في إيجاد أصل الوثيقة، أي إرجاع الوثيقة إلى زمانها الحقيقي، ومعرفة كاتبها أو مؤلفيها، ومكانها الأصلي وكذلك تقييم حالتها، أي إدراك إن كانت تامة أم لا، فاسدة أم لا، بالكشف عن مواطن الزيف والنسخ والعثور على الأخطاء الممكنة.

نقد خارجي
إثبات أصالة وثيقة باستعمال إجراءات متنوعة وكذلك من خلال مساءلة خاصة بالمنهج التاريخي.

أما **النقد الداخلي** والذي يسمى أيضا بنقد التأويل أو نقد المصداقية، فيتضمن التحقق من المعاني الحقيقية التي تحتوي عليها الوثيقة، ولهذا يركز الباحث على المحتوى وعلى الأسباب التي دعت إلى إنتاجه. فيختبر، مثلا، المادة المنتجة، وبأي قصد ولأي غرض تم إنتاجها وفي أي إطار عام يمكن وضع ما كتب في الوثائق أو الوثيقة، وماذا يمكن أن يعني ذلك بالنسبة إلى المعاصرين من تلك الحقبة الزمنية. إن الباحث مطالب أيضا بمعرفة إن كانت الحوادث المروية قد تحدث عنها مؤلفون آخرون أم لا، وإن لم يكن هناك أي تناقض في الأقوال المروية وأيضا إن كان المؤلف شاهداً على ما كتبه في تقريره، أما إذا كان الأمر غير ذلك، فعلى أية معلومات يكون المؤلف قد اعتمد. بهذه الكيفية، يصبح من الصعب أكثر إساءة الظن في معنى الوثيقة وبعدها أثناء استعمالها المحتمل في تحليل الفترة التاريخية المعنية.

نقد داخلي
إثبات مصداقية محتوى الوثيقة باستعمال إجراءات متنوعة، وكذلك من خلال مساءلة خاصة بالمنهج التاريخي.

إن المنهج التاريخي يسمح إذن بتفحص الوثائق ؛ وأي تطبيق له يتوقف على اكتشاف وثائق أخرى جديدة والمحافظة على القديمة منها. باختصار، إن المنهج التاريخي ليس مجرد عملية بحث عن الوثائق بل يعتبر أيضا إجراءاً لإثبات أصالة الوثائق ولترميزها والحفاظ عليها (Belleau 1989). ومن جهة أخرى يمكن تطبيقه عند دراسة كل أنواع الوثائق مكتوبة كانت أم سمعية، بصرية أو سمعية بصرية والتي تم إنتاجها في ماض قديم أو ماضٍ حديث. إن الفضل يعود إذن إلى المؤرخين والمؤرخات في تجديد المنهج التاريخي وجعله في متناول كل العلوم الإنسانية.

أنظر الفصل 5، «نقد الوثائق وانتقاؤها».

منهج البحث الميداني

منهج البحث الميداني
طريقة تناول موضوع بحث باتباع إجراءات تقصي مطبقة على مجتمع بحث.

يتم اللجوء إلى **منهج البحث الميداني** عادة لدراسة ظواهر موجودة في الوقت الراهن. يطبق غالبا على مجموعات كبيرة من السكان يستطيع الباحث أن يأخذ منها بالتقريب كل ما يريد أن يكشف عن (Festinger et Katz 1974). إنه (منهج البحث الميداني) يسمح بدراسة طرق العمل والتفكير والإحساس لدى هذه المجموعات. انطلاقا من تنوع الاهتمامات، بإمكان الباحث أن يستعمل معظم تقنيات البحث. إن أهداف كل تحقيق خاص هي التي تحدد هل ستكون الدراسة فيما بعد وصفية، مثلما هو الحال في سبر الرأي العام، أو تصنيفيه مثلما هو الحال عند القيام بالتعدادات العامة، أو تفسيرية، مثل الدراسة التي تعتمد على طريقة تطبيق الاستمارة، أو فهمية، كما يجري في الدراسات التي تتخذ من المقابلة أو الملاحظة في عين المكان تقنية لها.

أنظر الفصل 7.

نظراً إلى كون هذا المنهج يطبق عموماً على مجموعات واسعة من الأفراد، مثل سكان بلدٍ ما، ويبدو من الصعب أو ربما من المستحيل الاتصال بهم كلهم، ماعدا ما يتعلق بالحكومات التي تمتلك الوسائل البشرية والمالية الضرورية للقيام بالتعدادات الكبرى، فإن منهج البحث الميداني يتم عادة عن طريق الاستعانة بالمعاينة وذلك بانتقاء جزءٍ من مجموع هؤلاء الأفراد. كما يمكن أن يجرى التحقيق كذلك على مجموعات صغيرة جداً والتي ليس من الضروري معاينتها دائما، مثل أعضاء نادي اجتماعي معين أو طلبة وطالبات هذا الفرع أو ذاك من الفروع الموجودة في مؤسسة معينة. وحتى في هذاالمجال، فإن طبيعة المعلومات المراد الحصول عليها قد تكون متنوعة جداً ؛ آراء، عادات حياة، مشاعر، سلوكات في مختلف أنواع الميادين. قد يسعى الباحث أيضا إلى دراسة العلاقات بين مختلف هذه الجوانب.

أنظر الفصل 9.

أنظر الفصل 9، «خطأ المعاينة أو الملاحظة».

إن سعة مجال التقصي بالنسبة إلى منهج البحث الميداني لا ينبغي مع ذلك أن تخفي محدوديته ؛ وعليه فهناك دائما إمكانية انحراف العينة عن مجموع الأفراد الذين تطمح إلى تمثيلهم. وفي نفس السيّاق ونظراً إلى كون معظم التحقيقات تضع في الحسبان هدف التكميم، فمن الممكن الا يعكس عنصر القياس المستعمل طبيعة الواقع المرئي إلاّ جزئيا. من جهة أخرى، هناك حداً لطول ونوع المشاركة التي يقبل بها الأشخاص من أجل

التحقيق، وهذا ما يلاحظ أكثر في حالة ما إذا لم تتم المقابلة وجهاً لوجه وتمت عن طريق الهاتف أو المراسلة. يكمن الخطر إذن في بقاء البحث على سطحية بعض الظواهر. أخيراً، فإن التحقيقات عادة ما تجرى على أشخاص يتم الاتصال بهم واحداً واحداً، مما يؤدي إلى إبعاد السياق الاجتماعي الذي تندرج ضمنه السلوكات المطلوب تحليلها فيما بعد.

إن خصائص المناهج الثلاثة (التجريبي، التاريخي، البحث الميداني) قد تم جمعها في الجدول رقم 4. لقد تم تقديمها بكيفية تسمح بإبراز خصائصها واستعمالاتها الممكنة في كل فروع العلوم الإنسانية مع مراعاة مشكلة البحث.

الجدول 4

خصائص المناهج النموذجية الثلاثة في العلوم الإنسانية

	منهج تجريبي	منهج تاريخي	منهج البحث الميداني
مقاصد	سببية الظواهر	إعادة بناء الماضي	متعددة حسب هدف البحث
وسائل	تجارب	نقد خارجي وداخلي للوثائق	تقنيات متنوعة لجمع المعطيات
مواضيع	ظواهر قابلة للقياس	ظواهر من الماضي	ظواهر سكانية

لهذا ينبغي اعتبار هذه المناهج النموذجية كوسائل بحث وضعت في متناول كل العلوم الإنسانية التي تسعى بدورها إلى الاستفادة منها وبالتالي إثراء حقل دراستها. إنها مناهج عابرة للتخصصات، مثل تقنيات البحث التي هي ليست وقفاً خاصاً على منهج أو آخر.

تقنيات البحث ومقاييس تصنيفها

تقنية بحث
مجموعة من إجراءات وأدوات التقصي المستعملة منهجيا

تقنيات البحث هي وسائل تسمح بجمع المعطيات من الواقع. فإذا كانت المناهج النموذجية تتضمن توجيهات عامة فيما يخص طرق معالجة موضوع دراسي معين، فإن التقنيات تشير إلى كيفية الحصول على المعلومات التي بإمكان هذا الموضوع أن يقدمها. وتمثل هذه التقنيات الوسائل الأساسية لتقصي الواقع الاجتماعي والتي يمكن تصنيفها في سبعة مقاييس و هي :

الاتصال أو غياب الاتصال، نوع الاتصال، شكل المواد المنتجة، مصدر المعلومات، درجة حرية المخبرين، محتوى الوثائق ونوع السحب.

الاتصال أو غياب الاتصال

يساعدنا المقياس الأول (الاتصال أو غياب الاتصال) على تقسيم التقنيات إلى مجموعتين متميزتين انطلاقا من اتصالنا بمجموعة الأفراد المستهدفة أو عدم اتصالنا بها. إذا كان الجواب بنعم فإننا نستعين بالتقنيات المباشرة التي تمكننا من الاتصال **بالمخبرين** والمخبرات، أي الأشخاص الذين يمكنهم مدنا بالمعلومات. يمكن أن يجري هذا الاتصال وجهاً لوجه أو بواسطة المراسلة أو الهاتف أو بأية وسيلة اتصال أخرى. أما إذا لم نتصل بالمخبرين فسنعمل بالأحرى على ما أنتجوه أوما هو مرتبط بهم (سواء تمت هذه الانتاجات من طرفهم هم أنفسهم، أو من طرف أشخاص آخرين ولكنها حول المخبرين) وفي هذه الحالة سنلجأ إلى استعمال تقنيات غير مباشرة.

مخبر
شخص من ضمن مجموعة الأشخاص الذين يستهدفهم البحث.

من البديهي أننا لا نملك دائما إمكانية الاختيار بين التقنية المباشرة وغير المباشرة وهذا حسب اهتمامنا بوقائع جرت في الماضي أو في الوقت الحاضر. وذلك مثلما هو عليه الأمر في حالة وفاة المخبرين (الأشخاص الذين نستقي منهم المعلومات) أوعند استحالة الاتصال بهم. يتطلب منا الأمر إذن استعمال تقنية تقصي غير مباشرة. وبالعكس، قد لا نجد أي مصدر للحصول على معلومات حول بعض الظواهر إلا بواسطة شهادة المخبرين. في هذه الحالة، تفرض التقنية المباشرة نفسها.

نوع الاتصال

إذا كان ينبغي علينا الرجوع إلى التقنيات المباشرة فإن هناك مقياس ثانٍ يوجه البحث في ثلاثة اتجاهات ممكنة وذلك حسب نوع الاتصال الذي نريد إقامته. إذ يمكن لنا أن نلاحظ، أن نستجوب أو أن نقوم بتجربة. إن التجربة لا تقصي بالضرورة الاستجواب والملاحظة، ولكن الوضع الخاص بانشاء التجربة هو الذي يعتبر أساسيا ومهماً. إنها الأنواع الثلاثة من الإجراءات التي تحتاج إلى تقييم حسب خصوصيات المخبرين ووسطهم والأهداف المنشودة من البحث. إن كل نوع من الاتصال يستدعي على الأقل استعمال تقنية خاصة.

شكل المواد المنتجة

إذا كان لابد علينا أن نرجع إلى التقنيات غير المباشرة، فينبغي القيام بتمييز حسب المادة المنتجة التي تهمنا. قد يتعلق الأمر بوثائق أو أشياء. وسيمدنا كل شكل، تبعا لطريقته الخاصة، بمعلومات معينة. يمكن أن تكون الوثائق مكتوبة، مسموعة، مرئية أو مسموعة ومرئية في نفس الوقت. أما الأشياء فيمكن أن تكون بقايا أو آثار من الماضي أو أشياء من الحياة اليومية. وهكذا فإن دراسة الشعوب التي ليست لها كتابة لا يمكن أن تتم إلا بدراسة الأشياء التي نستطيع العثور عليها. فعلم الآثار يدرس بالضبط الحضارات القديمة انطلاقا من الآثار المادية المكتشفة، في حين تدرس فروع أخرى طرق وأساليب حياتنا الحالية انطلاقا من الأشياء التي نمتلكها. غير أن غالب الأعمال تتم فيما يبدو على الانتاجات المكتوبة. أما محتوى الوسائل الجديدة مثل المذياع، التلفزيون، الأسطوانة والفيلم، فإنه يستخدم أكثر فأكثر كمادة للمعالجة.



مصدر المعلومات

سواء استعمل الباحث التقنيات المباشرة أو التقنيات غير المباشرة، فهو مطالب بإقامة تمييز آخر، وذلك حسب المصدر الذي يستمد منه معلوماته. قد نستطيع الحصول على معلومات من طرف أفراد معزولين أو من طرف مجموعات مكونة أو تعتبر كذلك. إننا لا نهتم بنفس الظواهر بموجب اعتمادنا على أقوال الأفراد الذين تم أخذهم وهم معزولين أو على أقوال أولئك الذين أخذوا من مجموعة واحدة أو من عدة مجموعات. هكذا تجمع الآراء، مثلا، من افراد مأخوذين واحداً واحداً، في حين أن اتخاذ المواقف فهي خاصة بالمجموعات، ولهذا لا يمكن دراستها إلا ضمن هذا السياق. غير أنه من الممكن في بعض الأحيان الاستفادة من هاتين الطريقتين معا لدراسة نفس الواقع. لنفرض، مثلاً، أننا نريد دراسة الاهتمام بمادة ما في القسم : فإننا سنطلب من كل شخص بمفرده درجة اهتمامه ثم نستجوب المجموعة ككل لنستنتج الاتجاهات الرئيسية. ثم نستطيع بعد ذلك مقارنة النتائج.

أما إذا استعملنا التقنيات غير المباشرة فيمكننا الاهتمام بالطبيعة الفردية أو الجماعية لكل مادة منتجة باعتبارها من إنتاج الأفراد المعزولين أو المجموعات المكونة. يمكننا، مثلاً، اعتبار وثيقة ما ذات منبع فردي عندما

تكتب من طرف شخص باسمه الخاص (قصة أو رسالة) أو وثيقة قد نجد فيها معلومات حول عدد من الأفراد يتم جمعها عنهم واحداً واحداً (تعداد). كما يمكننا اعتبار الوثيقة الصادرة عن المجموعة أنها مادة منتجة جماعيا، إذا كانت تعكس، كما هو معروف، مواقف وآراء كل الأعضاء المنتمين إلى المجموعة، (وعلى سبيل المثال نذكر هنا برنامج حزب سياسي)، أو تلك الممضاة من طرف شخص باسم مجموعة يعتبر جزءاً منها.

درجة حرية المخبرين

توجيهية،
عدم توجيهية،
نصف توجيهية،
حد أدنى أو أقصى أو نسبي من الحرية المتروكة للمشاركين في البحث.

إننا من خلال لجوئنا إلى التقنيات المباشرة فإننا نتدخل في حياة الأفراد. قد نريد تقليص هذا التدخل إلى حدّ أدنى لنترك أكبر درجة من الحرية في العمل أو التعبير للأفراد المتصل بهم. فمثلا يمكن أن نكون متواجدين في ميدان الدراسة ولكن بصفة خفية، وهنا يكون اختيارنا قد وقع على **عدم التوجيهية**. بالعكس إذا كنا نريد أن نوجه الوضعية في أدق تفاصيلها وحصر حتى نوع ردود الأفعال المرخصة، سواء كانت شفوية أو أخرى، فإننا سنختار **التوجيهية**. بين هذين القطبين توجد أيضا درجات مختلفة من الحرية متروكة للمخبرين، وهذا الطريق نحدّده ونعرفه **بنصف توجيهية**. مثلاً، لو طرحنا سؤالا على مخبر ولم يكن في استطاعته الإجابة إلا عن طريق أحد الاختيارين اللذين نقترحهما عليه، ففي هذه الحالة نكون موجهين. في حالة ما إذا أشرنا فقط إلى موضوع النقاش وتركنا للمُخبِر كل الحرية في الإجابة حسب طريقته الخاصة، ففي هذه الحالة نكون غير موجهين. أخيرا، إذا قمنا مسبقا بوضع أسئلة في صيغة مواضيع وتركنا كل الحرية للمخبر في الإجابة وفق فهمه، ولكن داخل حدود هذه المواضيع فيمكن وصف طريقة العمل هذه بنصف موجهَة.

محتوى الوثائق

عندما نستخدم التقنيات غير المباشرة، فإن التقنية تختلف تماماً باختلاف معالجتنا للوثائق ذات المحتوى الرقمي أو غير الرقمي. في بعض فروع العلوم الإنسانية فإننا غالبا ما نستعمل المحتوى الرقمي. إن تعريف المشكلة يقود إلى البحث عن أرقام مجمعة. مثلما هو عليه الحال في الاقتصاد والإدارة على سبيل المثال. أما في بعض الفروع الأخرى، كالتاريخ والأنثروبولوجيا، وحتى لو كنا نبحث عن قياس بعض العوامل، فإننا

يستعمل أساساً على وثائق ذات محتوى غير رقمي. فلو سعينا، مثلاً، للتقصي عن درجة جذب اللغة الإنجليزية لسكان الكيبك الذين لا يستخدمون اللغة الرسمية، باختبارنا لمعطيات رقمية حول اللغة المتحدث بها في المنزل، أو نبحث في وثائق غير رقمية مثل المذكرات المقدمة من طرف مختلف مجموعات الأشخاص الذين لا يتكلمون باللغة الرسمية حول المكانة التي ينبغي أن تحتلها اللغة الفرنسية في الكيبك في رأيهم. إن كل واحد من هذه المحتويات يحمل توضيحا خاصاً، ثم ينبغي علينا أن نحدد بدقة ماذا نريد «أو ماهو الشيء الذي نحن في حاجة إليه» بالنسبة إلى تعريف المشكلة، وبالنسبة إلى الإمكانيات الملموسة للجمع.

نوع السحب

أخيرا، سواء رجع الباحث إلى التقنيات المباشرة أو إلى التقنيات غير المباشرة، فإن المعالجة التي سيقوم بها، والتي سيُخضعُ لها لاحقاً المعطيات، هي التي تحدد نوع السحب الذي ينبغي اعتماده. إذا كانت أهداف بحثه، مثلاً، إبراز تكرارات ظهور ظاهرة ما أو وضع معدلات أو نسب، أو قياسات عددية أخرى، فإن المعطيات المحصل عليها تكون قابلة لأن تخضع لمعالجة من النوع الكمي. أما إذا كان هدف الباحث هو سرد، تصنيف أو فهم الظواهر، فستكون المعطيات المحصل عليها موضوعاً لمعالجة كيفية. فبيت القصيد إذن هو أن يتبنى الباحث تقنية بحث ملائمة تسمح بجمع المعطيات المناسبة.

إذا أردنا دراسة ظاهرة المعاكسة (drague) في مرقص، مثلاً، فمن الممكن دراسة ذلك كمياً أو كيفياً. ففي الحالة الأولى ينبغي علينا، عموماً، حساب عدد الأشخاص الحاضرين وعدد التفاعلات الناتجة عن لقائهم، أو لقاءاتهم، بعدها يمكن التصفية بحساب عدد المرات التي تمت فيها عملية المعاكسة هذه من طرف كل شخص ثم إقامة معدل لهذه العملية في الساعة، وهكذا دواليك. أما الأسلوب الكيفي فإنه يتطلب بالأحرى تدوين طرق عمل كل واحد أو واحدة من أجل الوصول إلى إبراز ثلاث أو أربع طرق أساسية للقاء الآخر، أو بتعبير أدق أنواع المعاكسات التي نستطيع لاحقاً وصفها بالتفصيل.

فالتقنية هي إذا وسيلة تقصي الواقع تتم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مثلما هو ملخص في الشكل 4 المشار إليه أدناه.

شكل 4

التقصي المباشر أو غير المباشر في العلوم الإنسانية



بصفة عامة، فإن التقنيات هي، نوعا ما مثل المناهج، وسائل للبحث، ولكن تتميّز بمستوى أكثر ملموسية. فانتقاؤنا لهذه التقنية أو تلك تتم بعد اختيارنا لمنهجها النموذجي. فالمنهج يسمح بتصور البحث، أما التقنية فتسمح باجرائه عملياً.

التقييم العلمي

للقيام بمتابعة مسعى بحثه بكيفية جيدة، ينبغي على الباحث أن يتأكد من ملاءمة منهجيته. للتذكير أكثر، وحتى يكون البحث علمياً، يجب على الباحث تبليغ منهجيته ونتائجه للباحثين الآخرين. يمكن لزملاء الباحث أو الباحثة عندئذٍ التحقق إن كانت الشروط الخاصة بسير البحث المعني قد تم احترامها. لهذا ينبغي عليه أن يبذل كل ما في وسعه لكي يضمن تقييماً إيجابياً لبحثه من طرف المجموعة العلمية لاحقاً. وللقيام بذلك لابد عليه أن يتحقق من صحة ودقة وصرامة بحثه عن طريق استعمال التقييم بواسطة المقارنة لبعض أنواع البحوث.

انظر الفصل ١، «أهمية النقد».

الصحة

إن **صحة** بحث ما تعود إلى مدى مطابقة المفردات التي تم اعتمادها في تعريفه بما تم استخلاصه حقيقة من الواقع المشاهد. هكذا، فإذا أردنا معرفة درجة الاهتمام بالرياضة بالنسبة إلى مجموعة من السكان (population) واعتمدنا فقط على ملاحظة عدد التظاهرات العمومية لهذا الاهتمام، فسنتعرض لنقد كبير ما دمنا لم نهتم إلا بجزء فقط من الظاهرة، ولابد من اللجوء إذاً إلى أنواع أخرى من الملاحظات للحصول على أكبر قدر من الصحة ؛ ونتيجة لذلك تُقيَّم صحة البحث انطلاقا من طبيعة الملاحظات في علاقاتها بالصياغات الواردة في التعريف. فكلما كانت المعطيات المتحصل عليها تشير بصدق إلى ما كنا نريد دراسته، كلما ازدادت صحة البحث. هكذا، إذا أردنا معرفة موقف مجموعة أشخاص من مجموعة أشخاص أخرى، فكلما تحصلنا أكثر على معلومات حول العلاقات السائدة بينهم (آراء، سلوكات) كلما كانت قاعدة دراستنا ذات صحة أكثر.

صحة
مطابقة بين معطيات متحصل عليها وهدف البحث.

التقييم بواسطة المقارنة

هناك طريقة أخرى لضمانْ الدقة والصرامة العلمية لبحث ما ظهرت في سياق تجدد الأهمية بالنسبة إلى البحث الكيفي. إنها طريقة **التقييم بواسطة المقارنة** (Pourtois et Desmet 1988)، وتتمثل هذه الطريقة في استعمال وسائل متعددة لترسيخ الصبغة العلمية للبحث. فالتقييم بواسطة المقارنة يركز أكثر على الاهتمامات الخاصة للباحث أو الباحثة،

تقييم بواسطة المقارنة
وسيلة للتقييم العلمي من خلال إجراءات المقارنة المتنوعة.

والمتمثلة خاصة في تطوير القيمة العلمية لعمله باستخدام المقارنة يمكننا إقامة هذه المقارنات وفقا للطرق السبع الآتية:

• يؤدي التقييم بواسطة المقارنة للمصادر إلى جمع شهادات من عدة مخبرين حاضرين في واقعة معينة، مثلا، والمقارنة بينهم للتعرف أكثر على مختلف التأويلات الممكنة.

• يسمح التقييم بواسطة المقارنة من طرف الملاحظين بالحصول على تقييم للمادة من طرف بعض المحللين وبالتالي ضمان تقارب التأويل أو تصحيح الفجوات التي يمكن الإشارة إليها.

• يدفع التقييم بواسطة المقارنة المنهجي إلى تناول موضوع الدراسة بأكثر من منهج واحد، أو بأكثر من تقنية واحدة بهدف أخذ بعين الاعتبار لأكثر من جانب واحد من المعلومات.

• يؤدي التقييم بواسطة المقارنة النظري إلى تطبيق أكثر من نظرية واحدة لتأويل النتائج.

• يتطلب التقييم بواسطة المقارنة الداخلي إظهار خصوصية كل مُخبر أو كل مصدر معلومات، أي أخذ في الحسبان، وحسب الحالة، الأصل الاجتماعي، الثقافة، المسار الشخصي أو سمات خاصة بكل واحد، مما يؤدي إلى تأويل أفضل للنتائج وإعطائها كل معانيها.

• التقييم بواسطة المقارنة الزمني والذي يتطلب أخذ بعين الاعتبار التغيرات في النتائج التي قد تعود إلى تطور الظاهرة مع مرور الوقت.

• يفرض التقييم بواسطة المقارنة المجالي الاهتمام هذه المرة بالمواقع، بالثقافات وبالظروف التي من الممكن أن توضح أكثر مختلف معطيات البحث.

إن هذه القواعد أو الإجراءات الخاصة بالتقييم يمكن أن تساهم في الدقة والصرامة العلمية لبحث ما يجب أخذها بعين الاعتبار خاصة أثناء القيام ببحث مونوغرافي أو دراسة حالة لتفادي الخاصية المتفردة للوضع. إن التقييم بواسطة المقارنة يسمح بضمان مصداقية ودلالة علمية أكثر لطريقة البحث.

خـاتمـة

يتوفر العلماء في العلوم الإنسانية على مجموعة واسعة من الوسائل الهامة التي تساعدهم على أداء بحوثهم على أحسن وجه. تمثل هذه المناهج والتقنيات ثروة حقيقية ينبغي استعمالها بطرق ملائمة ومفيدة. إنها غير ذات فائدة أو إنتاجية في حد ذاتها، ولن تكون كذلك إلاّ بعدما يقوم الباحث بتحديد مايريد الوصول إليه. أثناء ذلك يقوم العلماء بالمقارنة بينها ويختارون الأنسب منها للهدف المتوخى. إن المناهج النموذجية ليست الأفضل في حد ذاتها، وحتى لو كانت إحدى هذه المناهج تتميز بتوفرها على خاصية الطموح أكثر (وهو المنهج التجريبي) وذلك ببحثها عن السببية، فإن الأخرى، الأكثر حيطة وحذر (المنهج التاريخي)، تتميز بنقدها للوثائق. في حين تتميز الثالثة (منهج البحث الميداني) بالضخامة وباتساع حقلها. وتشكو كل هذه المناهج من مواجهة العديد من الحواجز التي يزخر بها مسلك الموضوعية الذي يفرض عليها بدوره التحلي ببعض التواضع. إن التفاعل بين الباحث أو الباحثة وموضوع بحثه يظل أساسياً في كل الحالات، وكل منهج يوفر نفس التحدي المتمثل في الإحاطة بطريقة ملائمة ومناسبة أكثر بهذه الصعوبات (Blanchet et coll. 1987). ينبغي النظر إلى هذه المناهج والتقنيات كأدوات عابرة للتخصصات، وفي خدمة مجموع العلوم الإنسانية. إن بعض فروع العلوم الإنسانية تحدد أحيانا نماذجها النظرية لما تدرك أن هناك مناهج وتقنيات أخرى لم تتعود عليها أو أنها تخلت عنها منذ زمن.

مصطلحات أساسية
- منهجية
- منهج
- تناول
- نموذج نظري
- مناهج كمية
- مناهج كيفية
- منهج علمي
- منهج تجريبي
- منهج تاريخي
- منهج البحث الميداني
- تقنية بحث
- مخبر
- توجيهية
- صحة
- تقييم بواسطة المقارنة

ملخـص

إن المنهجية هي دراسة المناهج والتقنيات المستعملة في العلوم الإنسانية. لكن ماذا تعني كلمة منهج ؟ رغم التنوع الكبير لمعنى هذا المصطلح، يمكننا حوصلة كل ذلك بالقول إن المنهج هو عبارة عن جواب لسؤال «كيف» نصل إلى الأهداف، في حين أن التقنيات تشير إلى الوسيلة التي يتم استخدامها للوصول إلى هذه الأهداف. ففي العلوم الإنسانية تستعمل بعض المناهج أكثر من غيرها وتمثل بكيفية أو بأخرى أنماطاً : المنهج التجريبي، المنهج التاريخي ومنهج البحث الميداني.

إن المنهج التجريبي، المستعار من علوم الطبيعة، يميل فقط إلى دراسة الظواهر القابلة للقياس ويسعى إلى دراسة أسباب هذه الظواهر في إطار التجربة التي يقوم أثناءها المجرب بمعالجة متغير مستقل ويلاحظ النتائج على المتغير التابع.

أما المنهج التاريخي الذي يرتكز أساساً على اختبار الوثائق فإن هدفه يتمثل في إعادة بناء الماضي. إن وسائل تقييمه لأصالة ومصداقية الوثائق المستخدمة هي النقد الداخلي والنقد الخارجي.

أما منهج البحث الميداني فإنه يسمح بدراسة المجموعات السكانية، باهتمامه بطرق وأساليب عملها وتفكيرها وإحساسها عندما تريد هذه المجموعات إبلاغها. إنه يستعمل وسائل متنوعة في تقصيه حقيقة ذلك، ومن بين هذه الوسائل، الملاحظة، المقابلة والاستبيان (الاستمارة) سواء كان ذلك مع الأفراد أو المجموعات المكونة.

إن تقنيات البحث تسمح بجمع المعطيات من الواقع ؛ وتوجد في إطار العلوم الإنسانية العديد من الإجراءات المتنوعة للتقصي مع المجموعات السكانية المستهدفة. فالاتصال قد يكون مباشراً أو غير مباشرٍ. ففي الحالة الأولى يقوم الباحث بجمع المعلومات من الأشخاص الذين يتصل بهم واحداً واحداً، أو من مجموعات ؛ ويمكنه القيام بذلك عن طريق الملاحظة، التحقيق أو التجربة. إن الاتصال بالمخبرين يمكن أن يكون موجهاً، نصف موجه، أو غير موجهٍ تماماً وذلك حسب درجة حرية التعبير أو الفعل الذي يسمح لهم بها الباحث. أما فيما يخص الاتصال غير المباشر، فإن البحث يعتمد على المواد المنتجة، الوثائق أو الأشياء التي يكون مصدرها الأشخاص أو المجموعات أو تلك التي تعنيهم أو تشير إليهم. أما عن محتوى الوثائق فيمكن أن يكون من طرازين : رقمي أو غير رقمي. ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن المعطيات التي يتم جمعها يمكن أن تكون من النوع الكمي أو الكيفي.

أخيراً، ومن أجل إضفاء المصداقية العلمية الكاملة على بحث ما، على الباحث أن يضمن صحته ؛ وتكمن فائدة صحة البحث هنا في مطابقة هدف البحث مع المعطيات المتحصل عليها. ففي البحث الكيفي، خاصة، يلجأ الباحث إلى استخدام التقييم بواسطة المقارنة، وهو عبارة عن وسيلة لتنمية الصرامة العلمية وتوسيعها من خلال المقارنات المتنوعة.

أسئلة

1. تستعمل العلوم الإنسانية المناهج الكمية والمناهج الكيفية. «ففي أي معنى يستعمل هذا التصريح كلمة منهج وما معنى النعوت الكمية والنعوت الكيفية ؟

2. ماهو المنهج النموذجي في العلوم الإنسانية الذي يتجه نحو اكتشاف سببية الظواهر ؟ إشرح.

3. إذا ما كنا نعمل على وثائق، فماهو المنهج الملائم الذي يُمكن من فحصها ؟ إشرح.

4. متى يمكن القول إن منهج البحث الميداني يتمتع بحقل تحليل واسع ؟

5. إذا قمنا ببحث حول أنماط التصرف وقمنا بملاحظة، دون أن نتدخل، سلوكات الأشخاص عند دخولهم الميترو، فبماذا يمكننا أن نميز التقنية المستعملة ؟ علل كل ميزة.

6. عندما نقرأ أن بحثا قد أجري وفق تقنية غير مباشرة وأنه اعتمد على الوثائق وأن هذه الأخيرة قد جيء بها من مجموعة أو مجموعات مكونة وأن المحتوى لم يكن رقميا ولكن استخلصنا منه معطيات كمية. فمن أية طبيعة هو هذا البحث ؟

في هذه الحالة هناك عدة إجابات ممكنة ولكن طبقا للمثال المذكور أعلاه علينا أن نبرهن أن كل العناصر المشار إليها في التقديم موجودة فعلا.

7. أردنا أن نقوم ببحث حول رضى عمال البناء.

أ. إلى ماذا ينبغي أن نتنبه بصفة خاصة لكي نتأكد من صحة هذا البحث ؟

ب. قدّم إجراء التقييم بواسطة المقارنة triangulation الذي يمكننا استعماله.

القسم الثالث

المرحلة الأولى من البحث :

تحديد المشكلة

البحث هو عملية الكشف عن شيء ما. وإن هذا الشيء الذي يدفعنا إلى العمل أو الفعل يسمى في العلم مشكلة. إن المشكلة إذاً هي مصدر التساؤل عندنا، وهي التي تشعرنا بالفراغ الذي يجب علينا أن نسده، وتحثنا في نفس الوقت على التوجه نحو الاكتشاف. وللوصول إلى ذلك يتعين علينا أولا أن نحدد بدقة الشيء الذي يهمنا وإيجاد الوسائل التي تمكننا من بلوغه. كل هذا يعتبر بمثابة مضمون المرحلة الأولى والتي نسميها بتحديد المشكلة.

ويأخذ تحديد مشكلة البحث عادة شكل «القُمْعْ»، تحتوي قمته على موضوع البحث المتسم بالاتساع والعمومية، أما قاعدته فإنها تتضمن الجانب الخاص الذي يهتم به التقصي فعلا. يوجد بين هذه القمة والقاعدة مجالا مخصصا للطريقة التي تتضمن التفكير، التوضيح والتجسيد والتي تهدف كلها إلى الإحاطة الجيدة بمشكلة البحث. وفي هذا السياق، المقصود بالتوضيح هو الطرح الصحيح لمشكلة البحث، وهذا ما يتضمنه الفصل الخامس بالتفصيل. أما التجسيد فالقصد منه هو جعل مشكلة البحث ملاحظة في الواقع وهذا ما سيتناوله الفصل السادس.

انطلاقا من هذا، فإنه كلما كانت المشكلة محددة بصفة جيدة، كلما كان البحث سهلا، حيث أنه لا يمكن إنجاز المراحل اللاحقة المتكونة من البناء التقني، جمع المعطيات، التحليل والتأويل بصفة مقبولة إلاّ على ضوء المرحلة الأولى لأننا سنرجع إليها طوال فترة البحث. وما تتطلبه المرحلة الأولى للبحث العلمي في العلوم الإنسانية من عمليات لإنجازها هو ملخص في الملحق 1 تحت عنوان «المراحل باختصار».

الفصل 5

الطرح

يُجمع كل المؤلفين على منح عملية اختيار الموضوع أهمية قصوى.
فسر النجاح في البحث عادة ما يكمن في انتقاء سؤال جيد وموضوع بحث جيد.

ANDRE' OUELLET

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن:

- يصف الطريقة التي تسمح له بإيجاد موضوع بحث؛
- يقيم قابلية انجاز البحث؛
- يشير إلى كيفية القيام باستعراض الأدبيات حول موضوع البحث؛
- يقوم بانتقاء نقدي للوثائق؛
- يطرح مشكلة البحث.

تمهيد

لما نريد القيام ببحث في العلوم الإنسانية، فإننا نريد التعمق في موضوع تمّ اختياره انطلاقا من فوائده أولا وعلى أساس إمكانيات إنجازه ثانيا، وذلك حسب الشروط والصعوبات المحددة. إن اختيار الموضوع وتقييم قابلية إنجازه يمثلان المرحلة الأولى من طرح مشكلة البحث. في المرحلة الثانية، وبمجرد اختيار الموضوع، لابد من التنقيب عن الأدبيات المتصلة به. أخيرا، وهي المرحلة الثالثة من طرح المشكلة، لابد من ضبط الموضوع المختار وتحويله إلى سؤال يتطلب الحل والذي يوجه التقصي في الواقع.

اختيار الموضوع

الموضوع هو الجواب الأول الذي نقدمه للشخص الذي يسألنا «حول ماذا تعملون ؟» فالإجابة يمكن أن تكون في البداية، مثلا، نسبة الفوائد في الجزائر، الفقر في مدينة من مدن الجزائر، الطوائف الدينية، انتباه التلاميذ في القسم، تعدد الزوجات في العالم العربي ؛ يتعلق الأمر إذن بصفة مختصرة بالموضوع الذي ننوي دراسته.

لإيجاد موضوع البحث، لابد، أولا وقبل كل شيء، من أخذ الوقت الكافي للتفكير في ذلك. هكذا نستطيع دراسة الاحتمالات المتنوعة. فالتفكير الكافي والعميق هو الطريقة الوحيدة لتجنب العودة إلى الوراء. ويقوم هذا التفكير أساسا على الفائدة التي نريدها من هذا الموضوع أو ذاك. فعلا، إذا كان للموضوع فائدة محدودة، أي يظهر أنه غير جدير بالاهتمام ولا يثير الفضوُلية، فمن المحتمل جدا أيضا ألا نستثمر جهداً كبيراً في البحث، ومن المحتمل أن يضيع منا كل حافزٍ وبالتالي لا نواصل المشروع إلى نهايته.

مصادر الإلهام

قد يحصل أن تظهر بعض المواضيع العامة، من الوهلة الأولى، أنها عديمة الفائدة ؛ لكن وبأخذنا الوقت الكافي لفحص مختلف الجوانب التي تحملها، قد نكتشف موضوعا ذو فائدة الذي كان من الممكن أن يمر هكذا

دون أن نتفطن إليه لو لم نختبره بدقة. فدراسة الماضي، مثلا، قد تظهر أنها غير ذي فائدة للبعض، ولكن موضوعا مثل موضوع السياسات السابقة لحكومات بلدان المغرب العربي حول اللغة والتعريب يمكن أن يصبح موضوعا شيقاً. باختصار، فإن الفائدة المتوخاة من دراسة موضوع ما، مهما كان نوع البحث، تمدنا بالديناميكية والطاقة الضروريتين. ويمكن إيقاظ هذه الفائدة بمختلف مصادر الإلهام : التجارب المعيشة، رغبة الباحث في أن يكون بحثه مفيداً، ملاحظة المحيط، تبادل الأفكار والبحوث السابقة.

التجارب المعيشة

قد تكون التجارب المعيشة مصدر إلهام لإيجاد موضوع بحث. فقد تكون متصلة بالعائلة، بالمدرسة، بالعمل، بمكان الإقامة، بالأشخاص الذين ربطتنا بهم علاقات، أو بالأحداث التي عشناها وهكذا دواليك. وقد تكون بعض هذه العناصر مرتبطة فيما بينها. فعلى سبيل المثال، العلاقة بين ساعات العمل المكافئ عنها والوقت المخصص للدراسة، أو مكانة الأشخاص ومحل إقامتهم. إن كل حالة معيشة يمكن أن ينبثق عنها موضوع بحث.

الرغبة في أن يكون البحث مفيداً

إن رغبة الباحث في أن يكون بحثه مفيداً قد تكون أيضا مصدر إلهام. حينئذ يطمح الباحث إلى جعل بحثه مفيداً للآخرين. يتعلق الأمر إذن بمنح اهتمام بالوسط، بالهيئات، كما يتعلق أيضا بالتحري عن الاحتياجات الممكنة والنظر إن كان في إمكانها أن تصبح موضوع بحث. يمكن أن يكون هذا، مثلاً، هيئة خدمات تريد معرفة زبائنها أكثر، منظمة تريد القيام بتحليل كيفية سيرها أو بلدية تريد فحص جزء من تاريخها، الخ.

إن موضوع البحث في هذه الأمثلة يأتي من ما يمكن تسميته بالطلب الخارجي، إلاّ إذا كان الموضوع الذي توقعه الباحث أو الباحثة يقوده إلى عرضه على منظمة لتهتم به. إن اختيار موضوع بحث نرى فيه فائدة بالنسبة إلى أشخاص آخرين يمكن أن يؤدي إلى فائدة مؤكدة ومستمرة خلال كل مسعى البحث.

ملاحظة المحيط

انظر الفصل 1، «الملاحظة».

يمكن أن تكون ملاحظة المحيط مصدرا آخر للإلهام. فالروح العلمية تتميز بملاحظتها للأشياء، خاصة عندما تأخذ الوقت للانتباه بدقة لما تشاهده يوميا بطريقة تلقائية. ومهما كانت النشاطات التي نشاهدها والأشخاص الذين يمارسونها وكذلك انتظامها، وما لم يصرح به عنها، فإنها قد تثير رغبة من أجل معرفة أكثر لهذا المظهر أو ذاك من التصرفات الإنسانية. فبعض الأصدقاء يتخلون عن دراستهم رغم أنهم ليسوا أقل موهبة من آخرين، أو صديقة تتفاعل بطريقة مدهشة، زملاء لهم قيم أو ثقافة مختلفة. هذه بعض عناصر ملاحظة المحيط والتي يمكن أن تؤدي إلى إبراز موضوع البحث. إن هذه الملاحظة يمكن أن تتم في إطار محيط أكثر اتساع كالمدينة أو المقاطعة أو البلد أو الكون. إننا نلاحظ، مثلا، أنه لا يوجد سوى قليلا من الأحزاب السياسية في بلد ما. إننا قد نتفاجأ من واقع بعض البلدان التي تتحدث عن السلام العالمي وتستمر دائما في التسلح أكثر، كما نندهش من النشاطات الإنسانية التي تلوث الكون أكثر فأكثر وباستمرار. كل واحدة من هذه الملاحظات يمكن أن تؤدي إلى إعداد موضوع بحث له أكثر أهمية. إذاً فملاحظة المحيط على المستوى المحلي، الوطني أو العالمي هو كذلك طريقا آخر للاستكشاف.

تبـادل الأفكـار

إن تبادل الأفكار مع الآخرين لا يقل أهمية عن الطرق الأخرى في العثور على موضوع بحث والتحكم فيه. يمكن للزملاء أن يوقظوا اهتمامنا بالحديث عن المواضيع التي لم نتنبه لها قبل ذلك. وبالعكس، يمكن أن نقدم لهم موضوعا، فسيكونون بمثابة دعم ثمين لنا، إما بدعم قناعتنا، وإما بأن يبينوا لنا الصعوبات. فعلى مستوى المحاضرة، فالأستاذ أو الأستاذة، نظراً إلى طبيعة تكوينه وخاصة معارفه السابقة بكيفية السير الشامل للبحث، من شأنه أن يشجع على المواصلة في إتجاه معين أو على العكس من ذلك، يمكن أن يدعو للتراجع عنه إذا كان الأمر يتعلق بطريق مسدود. إن هذا التبادل المتنوع في الأفكار يمكن أن يغذي مصلحتنا الخاصة أو يقنعنا نهائيا بالبحث في شيء آخر. إن تبادل الأفكار حول مواضيع بحث يسمح بالتفتح على آفاق جديدة، ومعرفة رأي الآخرين حول هذه الاقتراحات، والتوجه نحو موضوع يمكننا أن نشترك فيه فيما بعد عندما يتم البحث في

إطار فرقة. فعلينا، إذا، بتبادل الآراء مع الزملاء والأصدقاء حول مواضيع البحث المختارة.

البحوث السابقة

إن البحوث السابقة هي مصادر إلهام لا غنى عنها بالنسبة إلى الباحث أو الباحثة بالفعل، فإن كل بحث ماهو إلا امتداداً للبحوث التي سبقته. لذلك لابد من **استعراض الأدبيات**، أي معرفة الأعمال التي أنجزت من قبل حول الموضوع الذي يشغل بالنا والتي كانت محل مختصرات مكتوبة. فالأدبيات الموجودة **حول موضوع** ما، هي إذا طريق للاستكشاف. وقراءة النصوص الملائمة تسمح للباحث بالإحاطة بموضوع بحثه الخاص وضبطه بصورة جيدة. ستتطرق إلى كيفية القيام باستعراض الأدبيات في موضع لاحق من هذا الفصل.

استعراض الأدبيات
فحص معمق، منظم وشامل لما نشر حول موضوع ما

أدبيات حول موضوع
مجموعة وثائق ومنشورات متعلقة بموضوع معين

إن الباحث أو الباحثة الذي يملك عدة بحوث في حوزته يمكنه الاعتماد على هذه الانجازات الشخصية ؛ فأعماله السابقة وكذا قراءاته تدفع به إلى طرح تساؤلات جديدة، والقيام ببحث ربما يكون حول موضوع جديد. وهناك خمسة مصادر للمساءلة يحتمل أن يستلهم منها (Chevrier 1992) :

- موضوع لا توجد حوله إلا معارف محدودة أو لا توجد على الإطلاق ؛
- منهجية استعملت أثناء بحث سابق واكتشفت فيها أخطاء كثيرة ؛
- شك فيما يتعلق بإمكانية تعميم بعض النتائج على وضعيات وأفراد آخرين ؛
- خلاصات متناقضة حول نفس الموضوع ؛
- نظرية أو جزء من النظرية أو نموذج مستخلص منها أو تأويل ظاهرة لم يتم إخضاعها بعد للتحقق الأمبريقي.

باختصار، مهما كانت مصادر الإلهام، فينبغي للمصلحة الشخصية أن تكون حاضرة، لأن الموضوع المختار سيمثل اهتماما يوميا طيلة عدة أسابيع، وأن استمرار الحافز ضروري للشروع في بحث والقيام به بكل سرور ونجاح.

إطـــار 5

ميدان العلوم الإنسانية ومواضيع البحث الممكنة

إن ميدان العلوم الإنسانية، أي حقل التقصي الخاص به، واسع جدا. إنه الكائن البشري في علاقته بنفسه، بأشباهه. بقدر ما يتيح هذا الحقل دراسة الشخصية فهو أيضا يمتد إلى دراسة العلاقات العالمية، مروراً بالعلاقات بين إثنين إلى غاية معرفة مجتمعه. فالكائن البشري ينظر إليه من ثلاث وجهات نظر مختلفة : الفرد، تطوره وسلوكه، المجتمع، بنياته وسيره، العالم والظواهر الدولية. (université Havard 1978).

قد تُدرس المشكلة في العلوم الإنسانية من طرف فروع وتخصصات مختلفة. فلما تؤسس الحكومة لجنة تحقيق، مثلا، فغالبا ما تريد من وراء ذلك الحصول على وجهة نظر المتخصصين في مجالات عديدة. إن كل تخصص سياسهم بتوضيحه الخاص للمشكلة، و أن الدراسة واسعة المجال تتطلب، في حدود الإمكان، أن ينظر إلى المشكل من كل زواياه.

في نفس الوقت وخلال مجرى تاريخ العلوم الإنسانية كثيرا ما لوحظ أن موضوع ما يمكن أن يكون هدفا لبحث مرة في هذا الفرع ومرة في الفرع الأخر، ومرة أخرى موضوعا لعدة فروع في نفس الوقت.

وهكذا كان الأمر لمواضيع مثل المسألة النسوية، الأقليات العرقية والجريمة. مثلا، يمكن أن تدرس الجريمة من زاوية علم النفس (شخصية المجرمين) أو من زاوية اقتصادية (تكاليف الاعتقال) أو من زاوية سياسية (السياسات العقابية) أو من زاوية سوسيولوجية (الوظيفة الاجتماعية للاعتقال) أو من زاوية تاريخية (تطور العقوبات) أو من زاوية جغرافية (التوزيع العالمي للجريمة) أو من زاوية إدارية (تنظيم السجون) أو من زاوية دينية (تدنيس المقدسات) أو من زاوية أنثروبولوجية (التدابير العقابية لدى بعض الجماعات).

قابلية الإنجاز

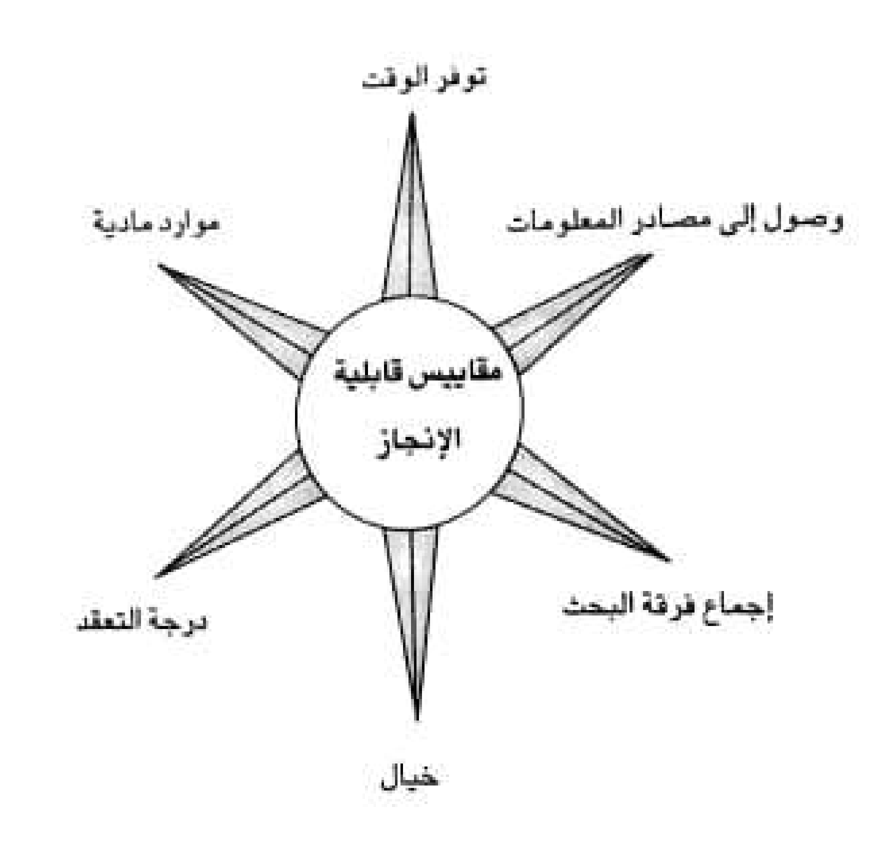
قابلية الإنجاز
ميزة ما يمكن إنجازه بالنظر إلى الموارد البشرية والمادية وكذلك الشروط التقنية والزمنية المحددة.

مقياس
عنصر يجب أخذه بعين الاعتبار عند تقييم الإمكانيات الخاصة بإنجاز البحث.

مهما كان اختيارنا للموضوع الأكثر أهمية وفائدة، إلا أنه سيبقى من دون قيمة إذا لم تتوفر شروط إنجازه. عند اختيار أي موضوع إذا، لابد من أخذ بعين الاعتبار **قابلية إنجاز** البحث. انطلاقا من ذلك لابد من التفكير فوراً في بعض **مقاييس** التنفيذ بمجرد اختيارنا موضوع بحث ما، وهذه المقاييس هي : توفر الوقت، الموارد، الوصول إلى مصادر المعلومات، درجة التعقد، إجماع فرقة البحث، الخيال. هذه المقاييس المبينة في الشكل 1.5 تمثل الإطار الذي يشير إلى الإمكانيات، ولكن أيضا إلى حدود المشروع.

شكل 1.5

المقاييس الخاصة بقابلية إنجاز البحث



توفر الوقت

مما لاشك فيه أنه يصعب على الطالب الجامعي الجمع بين الدروس وتحضير البحث خلال السداسي الواحد. فعدد الأسابيع محدود والحجم الساعي جد ثقيل. وكثرة الوحدات الدراسية خلال السداسيين السابع والثامن (السنة الرابعة) وتعدد العطل الرسمية والأعياد الوطنية والدينية، إلخ. لكل هذه الأسباب يستحسن على الطالب أن يستعد للبحث (مذكرة نهاية الليسانس) بعد انتهاء السنة الثالثة، أي اختيار الأستاذ المشرف والاتفاق معه على التحديد الأولي للموضوع المختار. هذا بالنسبة إلى طالب الليسانس، ونفس الشيء ينطبق على طالب الماجستير.

الموارد المادية

هناك مقياس آخر مهم، يتعلق بالموارد المادية التي ينبغي أن تتوفر لدى الباحث. تتطلب بعض مواضيع البحث تجهيزا خاصا، كالمختبر والتنقلات. فلا فائدة من الاستمرار أكثر في استكشاف الموضوع إذا كنا نعرف أنه سيتجاوز كثيرا حدود الموارد المادية المتوفرة لدينا. هذا لا يمنع مع ذلك من جعل المشروع جذابا بما فيه الكفاية بغية جلب المموّلين. إن معظم الباحثين يقدمون مشاريع بحوثهم بهدف جعل مموّلي صناديق الحكومة أو الخواص يهتمون بالمشروع وبالتالي الحصول على التمويل الضروري. هذه الطريقة معمول بها في المجتمعات المتقدمة وغائبة في مجتمعاتنا العربية ؛ وعليه يستحسن على طلبة المجتمعات العربية أن يختاروا مواضيع بحوثهم حسب حاجات ومتطلبات الهيئات والمؤسسات الحكومية والخاصة، أي أن يكون بحثهم في خدمة المجتمع.

الوصول إلى مصادر المعلومات

إن المقياس الثالث الذي يجب أخذه بعين الاعتبار أثناء اختيار موضوع البحث يدور حول إمكانية الوصول إلى الأشخاص والأماكن، أو الحصول على الوثائق الضرورية للبحث. مثلا، بعض المواضيع المتعلقة بالمداخيل والحساب الجاري، أو حتى النشاطات الجنسية هي مواضيع حساسة يمكن أن تثير الشعور بالحذر أو بالصدمة، مما يدفع بالأشخاص إلى رفض المشاركة في البحث. ولما نشعر أن الأشخاص يظهرون التردد فمن الأحسن إذا تعديل العنوان الأصلي للبحث. إن مجتمع البحث المستهدف قد يكون من المستحيل الاتصال به في ساعات أو فترات العمل ؛ وهذا ما نلاحظه على سبيل المثال عندما نريد الاتصال ببعض العمال المتنقلين، أو أولئك الذين لهم وظيفة ثانية. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض الأشخاص، وانطلاقا من عدم شرعية نشاطاتهم، لا يمكن الاقتراب منهم ولا يريدون ذلك، مثل أولئك الذين يمارسون البغاء أو أولئك الذين يتعاطون المخدرات. كما تتطلب بعض المواضيع الدخول إلى بعض الأماكن أو بعض المؤسسات، مثل المسجد، السجن أو المدرسة. لابد من التحقق إذاً منذ البداية إن كان من الممكن الحصول على الرخص الضرورية قبل المغامرة في التفكير حول اختيار موضوع من هذا

انظر الملحق 2، «العمل ضمن فرقة».

النوع. أما بعض المواضيع الأخرى فلا تتطلب أن تكون ذات علاقة مباشرة بالمخبرين، ولكن تتطلب الحصول على الوثائق الخاصة بهم. وإذا كنا في حاجة، مثلا، إلى الأوراق الشخصية للعائلة أو ملفات خاصة، فلابد من التقصي ومن دون انتظار عن وجودها وعن طريقة بلوغها. إن اختيار موضوع ما لا يتم إذن بطريقة غامضة ولكن بأخذ بعين الاعتبار للإمكانيات الملموسة لإنجازه.

درجة التعقد

لما نتدرب على البحث في العلوم الإنسانية، لابد من أخذ بعين الاعتبار درجة تعقد الموضوع الذي نريد معالجته. لابد من عدم اختيار الموضوع الذي يتطلب فحص عددا كبيرا من العناصر في نفس الوقت. هذا ما يقع، مثلا، عند محاولة الإلمام بكل ما جرى خلال فترة معينة، أو محاولة فهم كل أعمال الحكومة أو إرادة مواجهة، سواء بصفة فردية أو جماعية، إحدى التحديات الكبرى لعصرنا، مثل مشكلة التلوث البيئي أو تنظيم نسبة الولادة، التضخم أو مستقبل البلاد. لكن هذا لا يستبعد اختيار موضوع محدود من داخل أحد هذه المواضيع الكبرى. من ناحية أخرى، تتطلب بعض المواضيع منهجية معقدة والتي لا يمكن تعلمها في بضعة أسابيع أو التي تتطلب ممارسة طويلة الأمد مثل الملاحظة العيادية إلاّ إذا تم تقليص مجال استعمالها. وأخيرا، تستدعي بعض المواضيع ضبطا نظريا لا يمكن تجسيده إلا من طرف الدراسات السابقة في ميدان خاص من ميادين المعرفة العلمية. فمواضيع مثل أشكال الديمقراطية، الاغتراب في العمل، البنية النفسية أو القصور الحراري (entropie) هي مواضيع مشهورة في هذا المجال.



إجماع الفرقة

عندما يتعلق الأمر ببحث في إطار فرقة، ينبغي أن تكون المواضيع الممكنة محل مناقشة صريحة بين أعضاء الفرقة بهدف الوصول إلى إجماع. فالإجماع هو شيء يختلف عن انتصار هذا الشخص على ذاك أو هذه المجموعة على تلك، إنه وفاق يتم في إطار احترام الجميع من طرف الجميع في موضوع يُوحِدُ في الأخير مصلحة الجميع. هكذا، فالوقت المخصص لتبادل وجهات النظر ليس وقتا ضائعا. بل، على العكس من ذلك، إنه يسمح بالتزام واعي وإرادي لكل شخص، والذي يضمن الدعم المتبادل خلال كل

مراحل البحث. فالقرار بالأغلبية أو القرار المتسلط هو مهرب يخفي الاختلافات التي قد تظهر ثانية في أية لحظة. فالشخص الذي لا يستطيع التفاهم مع المجموعة، فالأفضل له تغيير الفرقة قبل فوات الأوان وهذا لصالح الطرفين. إن هذا الإجماع أمر مهم جدا حتى لو ظهر أن تحقيقه يتطلب وقتا طويلا. لهذا يجب إعطاء الفرصة لكل عضو للتعبير عن رأيه أو موقفه بكل حرية رغم أنه ليس في استطاعة أي شخص أن يقوم بذلك عفويا أو بكل سهولة. لابد أن يشعر كل شخص خلال المناقشات أنه مقبول بالفعل من طرف الآخرين، وأنه تم الاستماع إلى وجهة نظره. يجب أن يسود الإحترام المتبادل. فالانخراط النهائي للجميع في موضوع بحث جماعي يعود إلى الشرط السالف ذكره، وكذلك الديناميكية اللاحقة لكل عضو في فرقة البحث. فإذا صبر أعضاء الفرقة كثيرا من أجل إقامة إجماع في أعقاب هذه المرحلة، فإن ذلك سيزيد من تماسك هذه الفرقة وبالتالي النجاح في مواصلة أدائها للبحث بصورة جيدة.

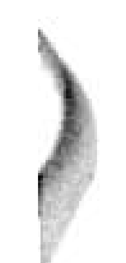
الخيال

يمكن للخيال أن يذهب في الاتجاه المعاكس للمعايير السابقة. فعلا يمكن أن يظهر في أول الأمر أن قابلية إنجاز بحث حول موضوع ما أمر يصعب جداً تحقيقه. والواقع أنه يتم تناول عددا كبيرا من المواضيع بكيفية غير مباشرة أو بكيفية مباشرة، لكن على شرط أن يتم تخيل الكيفية. مثلما عليه الحال في موضوع العنف في أخلاقنا. إذا كان من العسير أو حتى من الخطر الاتصال بأشخاص يتميزون بالعنف، فليس هناك ما يمنع من دراسة هذه الظاهرة بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال تحليل الحصص التي تبثها التلفزة، أو عن طريق وسائل أخرى ينبغي تخيلها. وفي نفس السياق، فليس بمجرد أننا نطلب من الشباب مباشرة إن كانوا يتصفون بالتمييز الجنسي، كي يتم الإلمام بظاهرة التمييز الجنسي بكيفية جيِّدة. كما قد يبدوا أنه من الأفضل العمل بكيفية غير مباشرة والطلب منهم كيف يوزعون مصاريفهم الخاصة أثناء خروجهم ولقائهم بزملائهم وكيف يتصورون هذا النوع من الأشياء بين الذكور والإناث. ويتوقف الأمر هنا على تصور عدة سيناريوهات ممكنة حول موضوع ما. فإذا كان أحدها في متناول الباحث فعندئذ تصبح دراسة الموضوع ممكنة.

استعراض الأدبيات

لما نريد اختيار موضوع بحث، فلا يمكن إهمال ماكتب عن هذا الموضوع وذلك حتى لو كانت البداية مجرد البحث عن التعريفات. إن محاولة الباحث التعرف على المعنى الحقيقي للموضوع محل الاهتمام والأعمال التي تمت حوله تهدف إلى تجنب الانطلاق الغامض في البحث. في هذا الإطار فإن المصادر المتواجدة في المكتبات تمثل سندا ثمينًا لا يمكن الاستغناء عنه. لكن قبل الخوض في عملية البحث الحقيقية، ينبغى على الباحث الاطلاع أولاًعلى النصوص والمنشورات والمؤلفات المتوفرة حول الموضوع ؛ وقد تأخذ هذه العملية عدة شهور من أجل التعمق في كل الوثائق الهامة. أما عندما يكون لديه وقتا أقل، فذلك سيحتم عليه قراءة المسألة بسرعة والاستعلام حول طبيعة الموضوع المقرر ومختلف جوانبه.

ولكي تكون العملية فعالة، ينبغي أن يتم استعراض الأدبيات حسب طريقة وثائقية خاصة. ولكن، وحتى تكون هذه الطريقة مفهومة جيداً، لا بد من أن نحدد مسبقا بدقة كيفية تنظيم الوثائق في المكتبة أو في مركز التوثيق وذلك باعتبارهما المكانين اللذين سيذهب إليهما الباحث لاكتشاف الأدبيات حول موضوع بحثه.



الوثائق الموجودة بالمكتبة

للسماح بالتعرف على الوثائق التي تتوفر عليها، تضع المكتبة (أو مركز التوثيق) دليلا عاما لما تمتلكه. يتم ترتيب الوثائق وفقا لثلاث طرق : إما بأسماء المؤلفين أو الهيئات، إما حسب العنوان وكذلك حسب الموضوع أو المواضيع المدروسة. لإقامة أو وضع مواضيع وثيقة ما، فإن الشخص المتخصص في علم المكتبات يقوم بفحصها بمساعدة المكتنز (thésaurus) وهو عبارة عن قاموس للمصطلحات المضبوطة والخاضعة لقوانين علم المكتبات. ثم يقوم بعد ذلك بتمييز الوثيقة الخاصة بواحدة أو عدة مواد رئيسية مستقطبة (vedettes–matière)، أي المصطلحات المختارة في المكتنز، والتي يبدو أنها توصف جيدا المادة المعالجة في الوثيقة. أما الدوريات والمجلات من كل الأنواع وكذا الجرائد فهي مرتبة بمعزل عن ذلك وفي فهرس يسمى بالمسرد أو بالثبت (index) أو ما يسمى هنا أيضا بالمادة المستقطبة التي ترشد الباحث للوصول إلى المقالات حول موضوع معين.

الطريقة التي يجب اتباعها

كي تتم عملية استعراض الأدبيات بصفة جيدة، لابد على الباحث أن يثري موضوع بحثه وذلك بتحضير قائمة للمفردات الأساسية باستعمال الكتب المرجعية أو بالاطلاع على فهرس الدوريات والفهرس العام ومصادر أخرى، بهدف وضع قائمة للوثائق التي لها علاقة بموضوع البحث، مع تحديد الوثائق التي لابد من قراءتها، ووضع العناصر المستنتجة من القراءات والتي سيحتفظ بها في بطاقات. يتم تقديم هذه العناصر في إطار منظم يسمح للباحث بتقليص الذهاب والإياب والتأكد من أنه قد حصر جيداً الأدبيات المتصلة بموضوع بحثه (Drolet et Létourneau 1989).

إثراء موضوع البحث

إذا كان موضوع البحث قد تم التعبير عنه إلى حد الآن بكلمة أو كلمتين فهذا غير كاف أبدا للذهاب إلى الكشف عن الأدبيات المتصلة بالموضوع، لأنه من المحتمل أن يغرق الباحث وبسرعة في تكديس الوثائق. فالعمل والعائلة والشباب هي، على سبيل المثال، جملة من المواضيع الكبيرة التي كانت محل كتابات ودراسات عديدة ؛ ولكي يقلص الباحث كثيرا من عملية التوثيق ينبغي عليه منذ البداية أن يصيغ موضوع بحثه بكيفية واضحة.

ويمكن أن نحصل بعد ذلك، إذا عدنا إلى المواضيع الثلاثة السابقة على: العمل بالسلسلة في المطاعم، الحياة العائلية في المدينة خلال القرن 19 أو تصورات المستقبل لدى الشباب الذين لايملكون ديبلوم الدراسات الثانوية. هكذا تم إثراء الموضوع لنبدأ بذلك في الالمام أكثر بالمعلومات التي تهمنا حول هذا الموضوع.

إيجاد قائمة للمفردات الأساسية

إن التفتيش في فهارس المكتبات يتم بمساعدة المواد المستقطبة. لابد أن يكون بحوزتنا إذن ما يكفي من المفردات المتصلة بموضوع البحث للاستفادة القصوى من الفهارس. هذا ما يتطلب الكشف عن الجوانب المتعددة للموضوع بغرض جمع مفردات أخرى وضمها إلى تلك التي تم استخدامها أثناء صياغة الموضوع. هناك العديد من الوسائل المرجعية التي يمكن استعمالها. القاموس اللغوي المألوف الذي يزود الباحث بتعريف أو بعدة تعاريف لكل كلمة في الموضوع ويكون تعريف هذه الكلمات مصحوبا

عادة بمؤشرات أخرى، مما يسمح بتوسيع أرضية الموضوع بمفردات ومؤشرات جديدة. كما تكون الاستعانة بقاموس للمترادفات مفيدة وتذهب في نفس الإتجاه. زيادة على ذلك، فإن مكتنز اللغة الفرنسية يسمح باكتشاف مجموعة من التعابير التي ترتبط بالموضوع. فإذا أخذنا موضوع العائلة كمثال، فبإمكان الباحث أن يضع قائمة للمفردات المتقاربة، مثل : الخلية العائلية، العائلة النووية، الأسرة، البيت، الدار أو المسكن، الوالدين، الأولياء، الأوصياء، الأم، الأب، إلخ. ونقوم بنفس الشيء مع المفردات الأخرى المتصلة بالموضوع. إنها المفردات الأساسية التي من الممكن أن توصلنا إلى المواد المستقطبة للفهارس الموجودة بالمكتبات.

استعمال الكتب المرجعية العامة

تتوفر المكتبة على عدة قنوات للكشف عن الوثائق. انطلاقا من المفردات الأساسية يستطيع الباحث أن يسلك أول طريق، وهو الاستشارة والمراجعة في عين المكان للكتب المرجعية العامة وذلك في قسم «المراجع». بالإضافة إلى القواميس المألوفة سنجد القواميس المتخصصة مثل قواميس العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية أو لفروع أخرى خاصة. ومن الممكن أن تحمل هذه القواميس عناوين مثل معجم المفردات (vocabulaire) أو المعجم (lexique). وعند دراستنا لها سنكتشف أيٍ من مفرداتنا الأساسية لها صبغة علمية لأنها فهرست وعرِّفت، بل وتجدها في بعض الأحيان قد جاءت مصحوبة بتاريخ مختصر عن استعمالها أو مشيرة إلى بحوث نتجت عنها. بصفة عامة، توفر الموسوعات (encyclopédies) كذلك معلومات تتجاوز مجرد التعريف، لأنها تبين في أي إطار تم تناول موضوع ما، من هم مؤلفوه، في أي فرع والاعتبارات النظرية التي تم الانطلاق منها. ومثل القواميس، هناك الموسوعات العامة أو المتخصصة في فرع معيّن.

الاطلاع على فهرس الدوريات

بمساعدة المفردات الأساسية الدالة أكثر ومن أجل تمييز البحث يمكن الاستعانة بطريق ثان، وهو فهرس الدوريات الذي يتكون من «مواد مستقطبة» تسمح بالحصول على مقالات حول مواضيع مختلفة. كما يمكننا التوجه نحو المجلات التي تساعدنا على تكوين فكرة عن التناولات والأطروحات الحالية حول السؤال المطروح وذلك من خلال المقالات القصيرة نسبيا. يحصي الفهرس كل المقالات المنشورة بلغة

الطريقة التي يجب اتباعها

كي تتم عملية استعراض الأدبيات بصفة جيدة، لابد على الباحث أن يثري موضوع بحثه وذلك بتحضير قائمة للمفردات الأساسية، باستعمال الكتب المرجعية أو بالاطلاع على فهرس الدوريات والفهرس العام ومصادر أخرى، بهدف وضع قائمة للوثائق التي لها علاقة بموضوع البحث، مع تحديد الوثائق التي لابد من قراءتها، ووضع العناصر المستنتجة من القراءات والتي سيحتفظ بها في بطاقات. يتم تقديم هذه العناصر في إطار منظم يسمح للباحث بتقليص الذهاب والإياب والتأكد من أنه قد حصر جيداً الأدبيات المتصلة بموضوع بحثه (Drolet et Létourneau 1989).

إثراء موضوع البحث

إذا كان موضوع البحث قد تم التعبير عنه إلى حد الآن بكلمة أو كلمتين فهذا غير كاف أبدا للذهاب إلى الكشف عن الأدبيات المتصلة بالموضوع، لأنه من المحتمل أن يغرق الباحث وبسرعة في تكديس الوثائق. فالعمل والعائلة والشباب هي، على سبيل المثال، جملة من المواضيع الكبيرة التي كانت محل كتابات ودراسات عديدة ؛ ولكي يقلص الباحث كثيرا من عملية التوثيق ينبغي عليه منذ البداية أن يصيغ موضوع بحثه بكيفية واضحة.

ويمكن أن نحصل بعد ذلك، إذا عدنا إلى المواضيع الثلاثة السابقة على: العمل بالسلسلة في المطاعم، الحياة العائلية في المدينة خلال القرن 19 أو تصورات المستقبل لدى الشباب الذين لايملكون ديبلوم الدراسات الثانوية. هكذا تم إثراء الموضوع لنبدأ بذلك في الالمام أكثر بالمعلومات التي تهمنا حول هذا الموضوع.

إيجاد قائمة للمفردات الأساسية

إن التفتيش في فهارس المكتبات يتم بمساعدة المواد المستقطبة. لابد أن يكون بحوزتنا إذن ما يكفي من المفردات المتصلة بموضوع البحث للاستفادة القصوى من الفهارس. هذا ما يتطلب الكشف عن الجوانب المتعددة للموضوع بغرض جمع مفردات أخرى وضمها إلى تلك التي تم استخدامها أثناء صياغة الموضوع. هناك العديد من الوسائل المرجعية التي يمكن استعمالها. القاموس اللغوي المألوف الذي يزود الباحث بتعريف أو بعدة تعاريف لكل كلمة في الموضوع ويكون تعريف هذه الكلمات مصحوبا

عادة بمؤشرات أخرى، مما يسمح بتوسيع أرضية الموضوع بمفردات ومؤشرات جديدة. كما تكون الاستعانة بقاموس للمترادفات مفيدة وتذهب في نفس الإتجاه. زيادة على ذلك، فإن مكتنز اللغة الفرنسية يسمح باكتشاف مجموعة من التعابير التي ترتبط بالموضوع. فإذا أخذنا موضوع العائلة كمثال، فبإمكان الباحث أن يضع قائمة للمفردات المتقاربة، مثل : الخلية العائلية، العائلة النووية، الأسرة، البيت، الدار أو المسكن، الوالدين، الأولياء، الأوصياء، الأم، الأب، إلخ. ونقوم بنفس الشيء مع المفردات الأخرى المتصلة بالموضوع. إنها المفردات الأساسية التي من الممكن أن توصلنا إلى المواد المستقطبة للفهارس الموجودة بالمكتبات.

استعمال الكتب المرجعية العامة

تتوفر المكتبة على عدة قنوات للكشف عن الوثائق. انطلاقا من المفردات الأساسية يستطيع الباحث أن يسلك أول طريق، وهو الاستشارة والمراجعة في عين المكان للكتب المرجعية العامة وذلك في قسم «المراجع». بالإضافة إلى القواميس المألوفة سنجد القواميس المتخصصة مثل قواميس العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية أو لفروع أخرى خاصة. ومن الممكن أن تحمل هذه القواميس عناوين مثل معجم المفردات (vocabulaire) أو المعجم (lexique). وعند دراستنا لها سنكتشف أيٍ من مفرداتنا الأساسية لها صبغة علمية لأنها فهرست وعُرِّفت، بل ونجدها في بعض الأحيان قد جاءت مصحوبة بتاريخ مختصر عن استعمالها أو مشيرة إلى بحوث نتجت عنها. بصفة عامة، توفر الموسوعات (encyclopédies) كذلك معلومات تتجاوز مجرد التعريف، لأنها تبين في أي إطار تم تناول موضوع ما، من هم مؤلفوه، في أي فرع والاعتبارات النظرية التي تم الانطلاق منها. ومثل القواميس، هناك الموسوعات العامة أو المتخصصة في فرع معيّن.



الاطلاع على فهرس الدوريات

بمساعدة المفردات الأساسية الدالة أكثر ومن أجل تمييز البحث يمكن الاستعانة بطريق ثان، وهو فهرس الدوريات الذي يتكون من «مواد مستقطبة» تسمح بالحصول على مقالات حول مواضيع مختلفة. كما يمكننا التوجه نحو المجلات التي تساعدنا على تكوين فكرة عن التناولات والأطروحات الحالية حول السؤال المطروح وذلك من خلال المقالات القصيرة نسبيا. يحصي الفهرس كل المقالات المنشورة بلغة

معينة في بلد ما وفي الخارج. إن فهرس النقطة المرجعية يعتبر بمثابة مثال حي عن ذلك.

يمكن أن تؤخذ المقالات المفهرسة من المجلات التي لها جمهوراً واسعاً أو من المجلات العلمية. فالمجلات الأولى لها اهتمام واسع، أما المجلات الثانية فهي متخصصة في هذا الفرع أو ذاك من تخصصات العلوم الإنسانية. فمجلة الثورة الإفريقية مثلا ذات الاهتمام العام لا تقوم بالمعالجة العلمية للموضوع، إلاّ أنها تمدنا بمؤشرات حول المسائل الحالية التي لا علاقة لها بالموضوع. وبالعكس، فإن المجلة العلمية تتجه في معظم الأحيان إلى المتخصصين، أو على الأقل إلى هؤلاء وأولئك الذين يتوفر لديهم حداً أدنى من المعرفة حول الموضوع. قد يقدم مقال ما حوصلة لبحوث عديدة تم القيام بها حول موضوع ما أو يقوم بعرض نتائج بحث خاص. هكذا نستطيع الكشف عن مدى فائدة قراءة هذا النوع من المقالات والتي قد تساعد في مد مشكلة البحث بجوانب عديدة (الأبعاد، الفرضيات، المنهجيات، إلخ).

إذا كان موضوع البحث، نظرا إلى طبيعته، كفحص ايديولوجية جريدة ما، يستوجب جمع معطيات من الوثائق، فلابد من التأكد في الحال من أنها منظمة في فهرس وأننا نستطيع الحصول عليها. كما توجد بعض المصادر الكبيرة العمومية منها والخاصة للمعلومات التي نجدها في المكتبات ومراكز الاتصال ومراكز التوثيق. أما فيما يخص الأحداث الجارية، فإن بعض مقالات الجرائد مثل الوطن *(El Watan)*، الخبر *(El Khabar)* وليبرتي *(Liberté)* قد صنفت في الفهارس.

الاطلاع على الدليل العام

يفضل الباحثون نشر بحوثهم ودراساتهم في شكل مقالات وملخصات عبر الدوريات والمجلات المتخصصة. تتناول هذه المقالات جوانب معينة من الموضوع المدروس. تأتي بعد هذه العملية عملية جمع هذه الدراسات والمقالات ونشرها في كتاب واحد. إن الاطلاع على الكتب حول موضوع ما، من شأنه إثراء معلومات الباحث .لذلك يتعلق الأمر بانتاج طريق ثالث وهو الدليل العام للمكتبة. فهذا الأخير مكون من مواد الاستقطاب، أو مواضيع الاستقطاب (vedettes sujet)

الاطلاع على مصادر مرجعية أخرى

لو أردنا الذهاب بعيدا في استعراض الأدبيات فيمكن تصور طريق أخرى للاستكشاف، منها : البيبليوغرافيات التي يتم وضعها حول موضوع معين، المنشورات الحكومية (التقارير، الحوليات، المعطيات الإحصائية على المستوى الوطني والدولي)، الوثائق الخرائطية، السمعية البصرية، الحوصلات والمختصرات حول الكتب والمقالات، المؤلفات الشاملة، الأطروحات والفهارس المتخصصة مثل : فهارس الهيئات الجماعية، إلخ. في الأخير، يضع عددا لابأس به من المنظمات الخاصة في متناول الجمهور بعض الوثائق مثل تقاريرها السنوية ومذكراتها. كما توفر وسائل الإعلام الإلكتروني مثل الراديو والتلفزيون كذلك مادة غير مكتوبة يمكن أن تستعمل كمرجع في استطاعتنا الاستماع إليها أو مشاهدتها.

وضع قائمة للوثائق المتصلة بالموضوع



أثناء تفحصنا للفهارس، علينا أن نسجل، كلما تقدمنا في هذه العملية، في ورقة كل الوثائق التي لها علاقة بموضوع بحثنا. كما ينبغي أن يكون تدوين الوثيقة أو الوثائق مضبوطاً قدر الإمكان حتى يمكن الرجوع إليها بكل سرعة وبسهولة. فبالنسبة إلى الكتاب، لابد من تسجيل رقمه في المكتبة (la cote)، أما بالنسبة إلى المقال في مجلة، فعلى الباحث أن يتحقق أن هذه الأخيرة موجودة في سلسلة المكتبة التي يتواجد بها، إلا إذا لم يشر الفهرس إليها. فإذا لم تكن موجودة، فعلى الباحث أن يلجأ إلى إمكانية الاستعارة ما بين المكتبات.

تعيين الوثائق المطلوب قراءتها

يتجسد التعيين في الاطلاع على مضمون الوثائق المحصاة، واستخراج ما يستحق منها الدراسة بعناية، والذي يندرج ضمن القراءات الأساسية عند القيام بإستعراض الأدبيات. يمكن أن نصل إلى هذا الهدف بمساعدة وسائل متنوعة. إذا تعلق الأمر بمقالات، فسنبحث في المجلات التي تحتوي عليها، ونقوم أولا بقراءة الملخص أو الموجز الموجود في بداية المجلة أو في نهايتها، وذلك لمعرفة إن كان ينبغي علينا مطالعتها.

إننا لا نجد مثل هذه الملخصات في المجلات غير العلمية، وفي هذه الحالة لابد من تفحص سريع لمحتواها. في كل كتاب أو مؤلف، فإن فهرس المحتويات هو الذي يعطينا فكرة عن مدى أهميتها إما بقراءتها كلها وإما قراءة فصلا واحداً فقط أو أكثر. أما فيما يخص باقي الأنواع الأخرى من الوثائق، فإن المطلوب في هذه الحالة هو أخذ ما يكفي من الوقت للتأكد من التحكم الجيد في المحتوى. في الأخير، فإن استشارة شخص كفء في الميدان لمراجعة القائمة التي وضعها الباحث هي بالتأكيد مفيدة لتوجيه البحث تفادياً لإهمال الوثائق الأساسية.

على الباحث عند قراءته لأية وثيقة أن يقوم بملء البطاقة البيبليوغرافية (fiche bibliographique) كما هو موضح في الشكلين 2.5 و3.5. إن هذا النوع من البطاقة عادة ما يقدم على الشكل الآتي :

يوضع العنوان المستقطب للموضوع في الأعلى على اليمين، أما إذا كان للموضوع عنواناً فرعياً فيوضع تحته مباشرة ؛

يوضع إسم من قام بملء البطاقة في الجهة العلوية من يسارها ؛

أما وسط البطاقة فيخصص للوصف البيبليوغرافي للمؤلف (الكتاب) أو المقال الذي تم الرجوع إليه، وعلى يمين هذا الوصف يمكن للباحث أن يسجل، الرقم المعطى للوثيقة من طرف المكتبة أو مركز الإعلام ؛ وبهذا يصبح أي رجوع إلى الوثيقة أمراً سهلاً جداً.

شكل 2.5

البطاقة البيبليوغرافية لكتاب

شكل 3.5

البطاقة البيبليوغرافية لمقال

مولود علي	علوم إنسانية
	اللغة والهوية
	خولة طالب الإبراهيمي
	«التعريب في الجزائر : موضوع صراع اجتماعي»،
	سلسلة تأملات، عدد 1، فيفري 1998،
	ص. 39–61.

وضع العناصر المستخلصة من القراءة في بطاقات

إن قراءة الوثائق الضرورية واستعراض الأدبيات لن تكون ذات فائدة إلاّ إذا استخرجنا الأساسي منها واحتفظنا به في البطاقات الوثائقية. فالبطاقة الوثائقية تحمل نفس العنونة (en-tête)، مثلها مثل البطاقة البيبليوغرافية مع اختصار الوصف البيبليوغرافي، فمثلا (اختصار الإسم العائلي للمؤلف وسنة النشر)، ويكون ذلك بطريقة واضحة حتى يسهل الرجوع إلى البطاقة البيبليوغرافية، مثلما يظهر في الشكل 4.5. كما أنها تستعمل كوسيلة مساعدة تذكر الباحث أين سجل أهم فقرات الوثيقة المحفوظة للرجوع إليها لاحقا. حتى لا تضيع معاني أقوال المؤلف يستحسن تسجيلها حرفيا، مع وضع كل ما هو مقتبس بين مزدوجتين، وتسجيل الصفحة التي أخذ منها الاقتباس. إن هذا العمل يفرض أخذ ماهو أساسي فقط من أقوال المؤلف. هذه الطريقة هي اقتصاد للوقت، بحيث تجنب الباحث صعوبة إعادة النقل الكامل للوثيقة.

هكذا سنجد في البطاقة الوثائقية أقوال المؤلف كما هي ؛ ونستطيع في بعض الأحيان التخلي عن بعض الفقرات ذات الأهمية المحدودة ولكن بشرط ألا يؤدي ذلك إلى ضياع مسار البرهنة، مما يستلزم علينا أن ندرج ثلاث نقاط للتوقف ما بين معقوفتين للإشارة إلى أن جزءاً من النص قد تم التخلي عنه. زيادة على ذلك، إذا أردنا إعطاء معلومات إضافية لفهم معنى كلمة أو عبارة ما فإننا نضعها بين معقوفتين. عندما تتطلب المعلومات

المأخوذة من نفس مصدر التسجيل في أكثر من بطاقة ونريد الاحتفاظ بها مرتبة، فإننا نسجل رقما على كل منها تحت إسم كاتب البطاقة.

شكل 4.5

بطاقة وثائقية

محمد شفيق	سطورا (1998)	تاريخ

ص. 169-170 «ولكن كان ينقص شيء أساسي : العلم الجزائري، زوجة مصالي أخبرتهم أنها حضرت علما خلال إقامتها بتلمسان. "أين هو العلم"» "تساءل المناضلون. "مخبأ عند أختي خيرة بتلمسان" [...] تناول مصالي سماعة الهاتف وطلب من أصدقائه التلمسانيين عمل المستحيل للإتيان بالعلم قبل موعد المظاهرة [...] وأخيرا جاء مناضل [...] حاملا معه العلم مطويا تحت ذراعيه. كم من جزائري يعرف أن العلم الوطني حضرته السيدة حرم مصالي بتلمسان ؟».

كثيرة هي الوثائق الخاصة التي يصعب تلخيصها كليا أو جزئيا. ففي هذه الحالة يستحسن اللجوء إلى ما يسمى ببطاقة إعادة الصياغة. ويمكن استبدال بطاقات إعادة الصياغة بالورقة المختصر إذا كانت الوثيقة ثرية. يتضمن مختصر القراءة المحرر بمفرداته الخاصة جوهر تفكير المؤلف الذي لا بد من الاحتفاظ به ؛ ويتميز هذا الجوهر بدقته واختصاره. ينبغي على الباحث أن يسجل كل ما يبدو له جدير بالإشارة في علاقته بموضوع بحثه حتى ولو كان لا يمثل جزءاً جوهرياً من النص. لما يتعلق الأمر ببحث علمي، فإن اختصاره يتمثل أساساً في تقديم السؤال أو الأسئلة الرئيسية المطروحة والعناصر المنهجية الجوهرية المستخدمة والنتائج الرئيسية التي تم التوصل إليها (Ouellet 1974).

إن البطاقات المملوءة تضع حداً لاستعراض الأدبيات التي يتضمنها أي بحث علمي. هكذا يتجنب الباحث المصطلحات غير الصحيحة والمواضيع غير المدققة وتجاهل ماتم عمله في السابق، وبذلك لايضيع جهده بدخوله مغامرة البحث دون أن يعرف إن كانت المادة الضرورية متوفرة. إن توفر الوثائق يسمح هكذا بتغذية التعاريف وطرق العمل

وقواعد السلوك التي تساعد الباحث في طريقته العلمية، وبالتالي فإن القراءات المسبقة تعطي الضمان للباحث وتسمح له بالتمهيد لبحثه من منطلق صحيح. والشكل 5.5 المشار إليه أدناه، يتضمن تذكيراً بالطريقة التي ينبغي اتباعها.

شكل 5.5

الطريقة المتبعة للقيام باستعراض الأدبيات حول موضوع ما.

1. حصر موضوع البحث في طرح مختصر جداً.
2. إيجاد قائمة من المفردات الأساسية أثناء الكشف عن مختلف جوانب موضوعه.
3. الذهاب إلى المكتبة أو إلى مركز الوثائق. الطرق التي يجب اتباعها.
   - استعمال الكتب المرجعية العامة لإثراء المعرفة حول المفردات الأساسية.
   - مراجعة فهرس الدوريات فيما يخص المقالات.
   - مراجعة الدليل العام فيما يخص الوثائق الأخرى.
   - مراجعة مصادر المراجع الأخرى عند الضرورة.
4. وضع قائمة الوثائق حول الموضوع بضبط المعلومات الشاملة.
5. تعيين الوثائق التي سيتم قراءتها بعد اختيارها.
6. وضع بطاقات بيبليوغرافية ووثائقية أو أخرى عند الضرورة.

نقد الوثائق وانتقائها

لما ندرك أن موضوع البحث المختار سيؤدي بنا لاحقا إلى جمع معطياتنا من الوثائق، فلابد من العمل في الحين على انتقاء هذه الوثائق وتقييم نوعيتها (Thuillier et Tulard 1993). إن الذي يسمح بتكوين فكرة دقيقة حول هذه النوعية هو المنهج التاريخي بفضل نقده الداخلي ونقده الخارجي للوثائق. هكذا سنرى إن كان لابد علينا إعادة توجيه البحث أم لا حسب أصالة ومصداقية الوثائق أو العكس. إذا كانت نوعية الوثائق مُرضية، وأن الموضوع يتناول فترة تاريخية معينة، فإنه من الضروري كذلك القيام بقراءات حول هذه الفترة بهدف تحديد مشكلة البحث تحديداً جيداً. ذلك لأنه كلما غصنا منذ البداية في الفترة المتصورة كلما سهل علينا العمل لاحقا.

انظر الفصل 4، «المنهج التاريخي»

النقد الخارجي

يستطيع الباحث عن طريق النقد الخارجي تقييم أصالة الوثيقة أو الوثائق ؛ ويتم الفحص هنا بمساعدة أربعة أسئلة :

- ماهي حالة الوثيقة ؟ قبل إعطاء تقييم عام للوثيقة لابد من التأكد إن كانت هذه الوثيقة كاملة، متلفة، مزورة أم لا، قابلة للقراءة أم لا بالفعل ستكون هناك فروقا دقيقة حول الحكم الذي سيصدر حول الوثيقة حسب طبيعة القطعة التي يقوم الباحث باختبارها. لا يستطيع الباحث أن يواصل عمله دون أي خطر إذا كان النص مبتوراً وكان عليه أن يستمر في اتجاه معين. زيادة على ذلك، فإذا كانت الوثيقة غير أصلية، أي عبارة عن صورة، فلابد من التحقق إن كانت صحيحة أو تعرضت لتعديلات.

- متى صدرت الوثيقة ؟ لابد أن تكون لدى الباحث المعلومات الملائمة لتحديد الفترة التي صدرت أثناءها الوثيقة. بعد ذلك سندرك إن كان في استطاعتنا الحصول على الوثائق الكافية بالنسبة إلى الفترة التي تتم ضمنها معالجة موضوع البحث.

- من هو أو من هم مؤلفوا الوثيقة ؟ لابد علينا من تحديد مصدر الوثيقة، لأنه ينبغي لنا أن نعرف أن كل وثيقة تعكس فقط وجهة نظر مؤلفها أو مؤلفوها أفراداً كانوا أو مجموعات خاصة. هكذا يكون في مقدورنا فهم أحسن لمعنى الوثائق التي ندرسها وتنوعها النسبي.

- أين صدرت الوثيقة ؟ إذا كانت معرفة الفترة التي صدرت أثناءها الوثيقة مهمة بالنسبة إلينا، فالمطلوب منا أيضا هو معرفة في أي مجتمع أو وسط صدرت فيه الوثيقة. هكذا سنتعرف على مدى سعة الوثائق وامتدادها.

النقد الداخلي

بفضل النقد الداخلي نستطيع تقييم مصداقية الوثيقة أو الوثائق عن طريق اختبارها بمساعدة ثلاثة أسئلة أخرى لمعرفة إن كنا سنحتفظ بها للبحث أم لا :

- ماذا تقول الوثيقة ؟ فأثناء قراءتنا لها نتوقف عند مختلف المواضيع التي عالجتها.
- لماذا عالجت الوثيقة هذه المواضيع ؟ نسجل هنا مواقف مؤلف أو مؤلفوا الوثيقة انطلاقا من مواقف المؤلفين حول المواضيع : مؤيدة، غير مؤيدة أو بين بين. ثم نقوم بعد ذلك بفحص القيم التي تم نقلها بواسطة الاتصال بطريقة ظاهرة أو خفية. إننا نبحث عن معرفة ما الذي أدى بالمؤلف أو المؤلفين إلى إنتاج هذه الوثيقة. باختصار هل هناك نوايا يمكن استخلاصها ؟
- في أي سياق تم إنتاج الوثيقة ؟ بعبارة أخرى، الوثيقة لا يتم إنتاجها صدفة، إذ لابد أنه وقع شيء ما دفع إلى انتاجها وبالتالي ينبغي الرجوع إلى الفترة وإلى المجتمع اللذين ظهرت فيهما هذه الوثيقة. مثلا، من المهم معرفة أن مسلسل أمريكي يكون فيه البطل طبيب العائلة تم إنتاجه في فترة كانت مسألة دولنة الطب (l'étatisation de la médecine) مطروحة في هذا البلد، وأن الحصة قد تم تمويلها جزئياً من طرف جمعية الأطباء الأمريكيين التي كانت تعارض مسألة الدولنة.

وبعد قيامنا بنقد مصادر الوثائق التي سيعتمد عليها البحث العلمي، يكون في استطاعتنا تأكيد إن كان بحثنا سيجرى على وثائق، وفي هذه الحالة سنقوم بوضع قائمة للوثائق التي سنحتفظ بها.

تدقيق المشكلة

لاشك أن اختيار موضوع البحث في حد ذاته يثير تساؤلات حول ما نريد معرفته، وأن استعراض الأدبيات يمكن أن يفتح منافذ أخرى في هذا الشأن. هكذا يصبح الموضوع **مشكلة بحث** عندما نقوم بطرح سؤال أو أسئلة حول هذا الموضوع ؛ تلك الأسئلة التي ينبغي أن نبحث عن إجابات لها في الواقع. إن المعرفة النظرية حول المشكلة المدروسة ستثري موضوع البحث بما تقدمه من مفردات وآفاق لتفسير مشكلة البحث وفهمها.

مشكلة بحث
عرض هدف البحث في شكل سؤال يتضمن إمكانية التقصي بهدف إيجاد إجابة.

الأسئلة الأربعة الرئيسية

لتدقيق مشكلة البحث هناك أربعة أسئلة رئيسية تفيدنا في تعريفنا لها بأكثر دقة : لماذا نهتم بهذا الموضوع ؟ ماالذي نطمح بلوغه ؟ ماذا نعرف إلى حد الآن ؟ أي سؤال بحث سنطرح ؟

لنأخذ كمثال موضوعين ما ونطبق عليهما الأسئلة الرئيسية. يتناول الموضوع الأول أحداث أكتوبر 1988 التي عرفتها الجزائر. أما الموضوع الثاني فيختلف تماما عن الموضوع الأول وهو مدة دوام العلاقة بين الأزواج المتزوجين (les couples mariés). لدينا إذا موضوعين يمكن البحث فيهما، وبالتالي لابد علينا من تحديد المشكلة الناتجة عن كل واحد من هذين الموضوعين بدقة أكثر.

لماذا نهتم بهذا الموضوع ؟

إن المطلوب منا هو تحديد القصد الذي جعلنا نختار موضوعا دون آخر. فاختيار أحداث أكتوبر يمكن أن يستلهم من الرغبة في معرفة أفضل لهذه الفترة الحرجة من التاريخ المعاصر للجزائر. أما فيما يتعلق باختيار مدة دوام العلاقة بين الأزواج المتزوجين فقد يكون الموضوع مستلهما من الرغبة في الوصول إلى مساعدة الأزواج الذين يواجهون صعوبات في معاشرة بعضهم البعض. بصفة عامة فإننا نهتم بهذا الموضوع أكثر من الآخر لما يحمله من معاني تتصل بشخصيتنا أو تتصل بالمجتمع الذي نعيش فيه، ذلك «لأن القيم تتحكم في البحث العلمي» (Gingras 1992 : 30). بعد توضيح القصد من تناول الموضوع المختار نستطيع طرح السؤال الثاني.

انظر الفصل 3، «القصد من البحث».

ما الذي نطمح بلوغه ؟

يتعلق الأمر هذه المرة بتحديد الهدف من البحث. إن القيام بالبحث هو أساسا لوصف الظواهر، تصنيفها، تفسيرها، فهمها، أو التركيب بين بعض هذه الاحتمالات. فيما يخص أحداث أكتوبر، مثلا، ربما نكون نسعى لتصنيف أنواع المواقف التي اتخذتها الجماعات في ذلك الوقت حول الأحداث التي جرت. أما فيما يخص مدة الدوام لدى هؤلاء الأزواج فقد نريد من خلالها تفسير ما الذي يربط بين أسباب معينة تؤدي إلى الزواج ودوام العلاقة بين الأزواج. بتدقيقنا أكثر لمشكلة البحث سيؤدي بنا ذلك إلى الإجابة عن السؤال الثالث.

انظر الفصل 2، «أهداف العلم».

انظر الفصل 3، «هدف البحث».

ماذا نعرف إلى حد الآن ؟

علينا الآن أن نشرع في تقييم المعلومات حول المشكلة التي جمعناها أساسا من خلال قراءتنا للأدبيات، وعليه يمكننا امتلاك معلومات ذات طبيعة فعلية (أي معطيات متنوعة) ومعلومات من نوع نظري (تفسيرات). كما يمكننا أيضا الحصول على معلومات من نوع منهجي (الكيفيات التي تم وفقها إنجاز البحوث السابقة) والتي ستساعد في المراحل الأخرى من البحث. لكن، انطلاقا من هذه اللحظة، فإن وفرة المعلومات عن المشكلة أو غيابها ستوجه العمل لاحقا بصفة خاصة. حول موضوع مثل أحداث أكتوبر، لابد علينا أن نذكّر بالأحداث الأساسية التي ميزت هذه الفترة والأحداث التي سبقتها والتأويلات التي تمت حولها والنظريات التي أثرت فيها. هكذا، عندما نقوم بتدوين ما كتب عن الموضوع فإننا نقوم في الواقع بتحرير **حوصلة السؤال**. حول موضوع مثل مدة الزواج، فالمطلوب منا في هذا المستوى استخلاص المعلومات التي جمعناها حول نسب الزواج والطلاق، حول شهادات مقدمة، حول محاولات تفسير عدم الاستقرار الحالي وهكذا دواليك.

حوصلة السؤال
تقرير موجز للمعلومات المتوصل إليها حول موضوع بحث.

بفضل هذه المعلومات فإننا نستطيع أن نكون في مستوى استخلاص ما يمكن أن يكون موضوع بحث بالمقارنة بما تم القيام به سابقا، وهكذا سنصل إلى السؤال الرابع والأخير والذي سيسمح بالتدقيق أكثر في مشكلة البحث بحصرها وجعل عملية انجازها ممكنة.

أي سؤال بحث سنطرح ؟

بعد توضيحنا للقصد من البحث والهدف منه والمعرفة التي اكتسبناها، نستطيع في الأخير صياغة مشكلة بحثنا في شكل سؤال. سيسمح هذا السؤال بحصر المشكلة الخاصة بالبحث بدقة ورسم نطاقها والقيام بالتقصي في الواقع. ففي حالة أحداث أكتوبر، يمكن أن يكون السؤال كالآتي : «ماهي الخطابات السياسية الأساسية التي سادت خلال هذه الفترة ؟» أما في حالة مدة دوام العلاقة بين الأزواج فيمكن للسؤال أن يطرح كالآتي : «بماذا نفسر المدة المتغيرة للارتباط بين الأزواج ؟» ينبغي اعتبار هذا السؤال في البحث الكيفي على أنه مؤقت (Deslauriers 1991 ،Chevrier 1992)، ذلك لأن كل مرحلة من المراحل اللاحقة يمكن أن تؤدي إلى إعادة النظر فيه.

إسهامات النظرية

إن رجوعنا إلى نظرية لها علاقة بمشكلة بحثنا يسمح لنا بتوضيحها وتوجيهها، لأن كل فرع علمي له نظريات لفحص موضوع الدراسة. تستخدم النظرية كدليل لإعداد البحوث نظرا إلى ما توفره من تأويلات عن الواقع. النظرية مهيأة لنوعين من الاستعمال (Ouellet 1982) :

انظر الفصل 2، «النظرية».

- بالنظر إلى التأملات والأفكار التي يكون المفكر قد وصل إليها، تضمن النظرية توضيحا وتنظيماً أوليا للمشكلة. يمكن أن تساعد النظرية إذن في تدقيق المشكلة.
- تقترح النظهية، بواسطة الاستنباطات المستمدة من افتراضاتها المجردة، ميدانا للكشف أو نوعا من العلاقة بين الظواهر التي ستدرس. تقترح، مثلا، نظرية تناقص المردوديات في الاقتصاد دراسة ميدان الإنتاجية ؛ أما نظرية الطبقات الاجتماعية، من جهتها، فتركز على تحليل علاقات الصراع والنزاع بين بعض المجموعات في المجتمع.

حينما نَستطلع، إلى حدّ ما، الأدبيات العلمية حول الموضوع سنشعر وكأننا أمام نظريات أو على الأقل تصورات مختلفة حول المشكلة. فالنظرية عادة ما يجري إعدادها تدريجيا من طرف مؤلف أو عدة مؤلفين وتنتقل إلى غيره بواسطة المقالات أو الكتب. تتطلب إذن إرادة معرفة كل جوانبها جهدا معتبرا من العمل. زد على ذلك، فإننا لا نستطيع معرفة كل مضامين النظرية إلاّ إذا كنا متخصصين في الميدان المعني. مع ذلك، إننا نستطيع في بحث أولي أن نستلهم من النظرية حتى ولو لم نكن على دراية بكل تشعباتها. يبقى فقط أن نكون حذرين في استعمالها والأخذ ببعض المصطلحات المباشرة المرتبطة بالمشكلة المتوقعة.

خـاتـمـة

يتميز ميدان العلوم الإنسانية بالاتساع وبتعدد مواضيع البحث. لكن قبل إجراء الاختيار في هذا الزخم الكبير من المواضيع الممكنة ينبغي على الباحث أن يتساءل إن كان الموضوع المنتقى له فائدة تكفي لضمان استمرارية التحفيز طوال مدة البحث.

إن البحث لا يكون ممكناً إلاّ بعد الإحاطة الجيدة بالموضوع. وكما يقول المثل الشعبي : الذي يكثر من المعانقة و التقبيل يؤلمه الاحتضان ! إن الذي يريد دراسة عدد كبير من جوانب الواقع دفعة واحدة سيواجه خطر عدم الوصول إلى أي شيء. على العكس من ذلك، فإن الإحاطة الجيدة بمشكلة ما وبحثاً ناجحاً يشجعان على القيام ببحث آخر حول الأوجه التي بقيت خفية أو غير مفهومة. وهكذا، تدريجيا، وقطعة فقطعة، تم تفسير جزءاً كبيراً من الواقع.

إن صياغة مشكلة البحث هي مرحلة مهمة تكشف عن روح المساءلة لدى الباحث أو الباحثة. فعلا، يتميز الباحث أو الباحثة بالتساؤلات التي يعرفان طرحها حول الواقع أكثر مما يتميزان بامتلاك المعارف المتراكمة.

انظر الفصل ١، «المساءلة».

ملخص

مصطلحات أساسية

- استعراض الأدبيات
- أدبيات حول موضوع
- قابلية الإنجاز.
- مقياس
- مشكلة بحث
- حوصلة السؤال.

يتم طرح مشكلة البحث في ثلاث مراحل.

أولا: لابد من اختيار الموضوع وذلك بعد تفكير طويل والتأكد من فائدته. هناك العديد من مصادر الإلهام التي تؤدي إلى الموضوع النهائي ومنها : التجارب المعيشة، رغبة الباحث في أن يكون بحثه مفيداً، ملاحظة المحيط المباشر أو الواسع، تبادل الأفكار والبحوث السابقة. لكن مهما كان مصدر الإلهام فإن الأهم يكمن في أن الموضوع المنتقى له فائدة كافية تجعل الباحث يشعر بالاستعداد للشروع بكل قواه في البحث.

لكن قبل الاختيار النهائي للموضوع لابد من تقييم قابلية إنجاز البحث، وذلك بأخذ بعين الاعتبار لبعض المقاييس مثل الوقت والموارد المادية التي يمتلكها الباحث، كذلك الوصول إلى مصادر المعلومات ودرجة تعقد الموضوع. في الأخير، فإن الخيال، بدلا من أن يكون عائقا، يمكن أن يساعد في تصور الطريقة غير المباشرة في تناول موضوع لم يكن ممكنا تناوله بكيفية أخرى. في حالة العمل ضمن فرقة بحث، فالمطلوب هو تحقيق الانسجام بين الأعضاء حول الموضوع المراد دراسته.

أما المرحلة الثانية من طرح المشكلة فتتضمن الاطلاع على الأدبيات حول الموضوع. ينطوي هذا على عدد من العمليات التي لابد من القيام بها : إثراء، في عرض مختصر، موضوع البحث وإيجاد قائمة للمفردات

الأساسية التي تغطي مختلف جوانب الموضوع، الذهاب إلى المكتبة بصفة متتالية بهدف استعمال الكتب المرجعية العامة، مراجعة فهرس الدوريات، وكذا الدليل العام والمصادر الأخرى الموجودة بها، وضع قائمة عن الوثائق المتصلة بالموضوع، تعيين الوثائق المطلوب قراءتها لاحقا، تسجيل أهم ما يحتفظ به على البطاقة.

إذا كان الموضوع المنتقى سيؤدي بنا لاحقا إلى تحليل الوثائق، فلابد من انتقائها في الحال وتقييم نوعيتها. للقيام بذلك هناك أسئلة تسمح بإقامة نقد خارجي، إنها تهتم بحالة الوثائق، تاريخ صدورها، مؤلفها أو مؤلفوها وفي أي مكان صدرت. هناك أسئلة أخرى تسمح بنقد الوثيقة داخلياً. إنها تهتم بما تقوله الوثائق والأسباب التي جعلتها تتحدث أو تحمل هذا الكلام وسياق إنتاجها. إن قيامنا بهذا النقد المزدوج الخاص بالمنهج التاريخي يسمح لنا بانتقاء الوثائق الحقيقية والتي لها مصداقية والتي لها أيضا علاقة بموضوع البحث المتوقع.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتتضمن تدقيق مشكلة البحث، أي طرح سؤال متصل بالموضوع وجعله جديراً بالتقصي في الواقع. هناك أربعة أسئلة رئيسية تسمح بتدقيق مشكلة البحث. الأول هو، «لماذا نهتم بهذا الموضوع ؟» يسمح هذا السؤال بضبط وتحديد القصد والأسباب التي دفعت الباحث إلى اختياره، الثاني هو، «ما الذي نطمح بلوغه ؟» حيث يحدد الهدف، أما السؤال الثالث، «ماذا نعرف إلى حد الآن ؟»، يؤدي إلى القيام بحوصلة السؤال حول المعارف المكتسبة خلال استعراض الأدبيات، أما السؤال الرابع والأخير هو: «أي سؤال بحث سنطرح ؟» والذي يسمح بالطرح الدقيق لسؤال البحث الذي سيوجه كل طريقة البحث المقبلة. لطرح هذا السؤال لابد من توفر الحد الأدنى من المعرفة بالنظريات التي لها علاقة بالفرع العلمي المعني، لأن النظريات، بتوفيرها لبعض آفاق التفسير والفهم، تضمن تصنيفا أوليا لمشكلة البحث وتنظيما لها .

أسئلة

1. تقول باحثة إنها استلهمت موضوع بحثها من قراءتها مقالات كتبها صديق لها من أستراليا تعرفت عليه من خلال مناقشة جرت مع أعضاء القسم الذي تنتمي إليه في الجامعة. يضاف إلى ذلك أن ما شاهدته مؤخرا في محيطها قد وجهها أيضا في بحثها.
فماهي مصادر الاستلهام بالنسبة إلى هذه الباحثة فيما يخص اختيار موضوع بحثها ؟ فسر.

2. إذا طلب منكم شخص ما رأيكم حول إمكانية القيام مع زملائه ببحث ميداني حول النساء العاهرات. اذكر بدقة الأسئلة الثلاثة التي ستتطرق إليها مع هذا الشخص بخصوص قابلية إنجاز هذا البحث ؟

3. استشارگم شخص يريد القيام باستعراض الأدبيات حول موضوع "آثار الاعتقال". اذكر لهذا الشخص ما الذي ينبغي عليه القيام به وكيف.

4. من أجل التعرّف أحسن على عادات الحياة التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات، يقوم أحد الباحثين بإجراء دراسته حول هذا الموضوع. إنه يسعى، وبصفة خاصة، إلى معرفة مصدرهذه العادات. يبدو أن البحوث السابقة قد اعطت الأولوية في تفسيرها لهذه الظاهرة إلى غياب أحد الوالدين أو حضوره في فترة شباب المدمن. أما الباحث، فيريد، من جهته، معرفة إن كان الأخ الأكبر أو الأخت الكبرى سببا في وجود بعض عادات الحياة لدى المدمن.
في إطار هذا التحديد الدقيق للمشكلة، كيف أجاب الباحث عن كل واحدة من الأسئلة الجوهرية التي كان قد طرحها ؟ علل إجابتك عن كل حالة. مثلا: «حول السؤال الأول المتعلق بسبب اهتمام الباحث بموضوع الإدمان على المخدرات، أجاب... وكانت نيته إذاً...»، إلخ.

5. لماذا نرجع إلى نظرية ما أثناء مرحلة تدقيق مشكله البحث ؟



الفصل 6

العملياتية

يمثل الإطار العملي عنصرا هاما [...] في البحث باعتباره المحدد لما نصبوا إلى تحليله بدقة للتحقق من فرضيتنا. سواء تعلق الأمر بالتحقق من الفرضية أو من الاستدلال العلمي، فلا بد من إنجازه، بأكبر دقة ومنطق ممكنين.

GORDON MACE

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن:

- يصيغ فرضية أو هدفاً من أهداف البحث؛
- يبرهن على مدى أهمية الفرضية أو الهدف من البحث في العلم؛
- يستخرج أبعاد المفهوم ومؤشراته؛
- يصمم تحليلا مفهوميا؛
- يفحص صحة الفرضية أو صحة هدف البحث؛
- يصمم اتجاه متغيرات الفرضية؛
- يضع إطاراً مرجعياً.

تمهيد

بمجرد طرح سؤال البحث، كمرحلة أولى من تحديد المشكلة، يبقى الانتقال إلى **عملياتية** هذه المشكلة للانتهاء من المرحلة الأولى من البحث. يتعلق الأمر هنا بالتعود على مختلف العمليات التي يجب القيام بها حتى يصبح سؤال البحث عبارة عن ظاهرة يمكن ملاحظتها في الواقع. تتضمن مختلف هذه العمليات أولا تحويل سؤال البحث إلى فرضية أو هدف. ثم، انطلاقا من الفرضية أو الهدف، نستخرج المفاهيم التي لابد علينا من تحليلها بغية منحها طابعها الملموس. يعتبر هذا التحليل المفهومي مرحلة مهمة في تحديد مشكلة البحث. بعد الانتهاء من تعريف مصطلحات البحث لابد من مراقبة صحة العمليات السابقة. في الأخير، لابد أن يتم أي بحث في إطار مرجعي يتضمن عناصر ينبغي أخذها بعين الاعتبار أثناء تخطيطه.

عملياتية

سيرورة عملية تجسيد سؤال البحث بهدف جعله قابلا للملاحظة.

إن سيرورة العملياتية تسمح بالانتقال من سؤال البحث المتميز أكثر بالعمومية والتجريد إلى السلوكات في حد ذاتها والتي نسعى إلى ملاحظتها في الواقع. هكذا ننتقل من الجانب المجرد إلى الجانب الملموس للبحث. إذا كانت نقطة الانطلاق عبارة عن سؤال فإن العملياتية تقود إلى تحديد عناصر من الواقع للإجابة عنه. بعبارة أخرى، كلما تقدمنا في المجال العملي لسؤال البحث، كلما اتخذت المفردات التي استعنا بها الصفة الملموسة والدقيقة، وكلما اقتربت أكثر من الواقع الذي نريد أخذ معلومات عنه.

الفرضية

تتضمن أول عملية لإضفاء طابع ملموس على سؤال البحث عادة الإجابة عنه في شكل **فرضية**. غير أنه وفي حالة ما إذا لم نستطع التنبؤ، فعندئذ سنعوض الفرضية بهدف البحث. إن الحدود الموجودة في العرض المختصر سواء كانت في إطار فرضية أو هدف البحث لابد أن تمتلك بعض الخصائص لتضمن صفتها العلمية. من جهة أخرى فإن الفرضية، نظرا إلى دورها الجوهري في العلم، قد تأخذ أشكالا مختلفة.

فرضية

تصريح يتنبؤ بعلاقة بين عنصرين أو أكثر ويتضمن تحقيق أمبريقي

خصائصها

الفرضية هي إجابة مقترحة لسؤال البحث. يمكن تعريفها حسب الخصائص الثلاث الآتية : التصريح، التنبؤ ووسيلة للتحقق الأمبريقي.

أنظر الفصل 5، «الأسئلة الأربعة الرئيسية».

التصريح

الفرضية هي عبارة عن تصريح يوضح في جملة أو أكثر علاقة قائمة بين حدين أو أكثر. مثلا الفرضية : «مستهلكي تذاكر اليانصيب في منطقة مونريال هم في غالبيتهم من أسر ذات مدخول سنوي يعادل 30 000 دولار أو أكثر» (Loto-Québec 1989 : 11) تقيم علاقة بين الحدود الآتية : المستهلكين، تذاكر اليناصيب، مداخيل مرتفعة، منطقة مونريال.

التـنبؤ

الفرضية هي أيضا عبارة عن تنبؤ لما سنكتشفه في الواقع. إذا رجعنا إلى المثال السابق نتوقع أننا سنجد عدداً أكبر من المشترين لتذاكر اليناصيب هم من بين الذين لهم دخلا مرتفعا مقارنة بمن هم من فئات الدخل الأخرى. الفرضية هي، إذا، جواب مفترض ومعقول للسؤال الذي نطرحه، وهو : «من هم مستهلكو تذاكر اليناصيب» ؟

وسيلة للتحقق

الفرضية هي أيضا وسيلة للتحقق الأمبريقي. إن **التحقق الأمبريقي** هو عملية يتم من خلالها معرفة مدى مطابقة التوقعات أو الافتراضات للواقع، أي الظواهر. إن التحقق الميداني، باعتباره واحدا من اهتمامات البحث العلمي، يتضمن إذن ملاحظة الواقع، والفرضية توجه هذه الملاحظة. إن الفرضية التي تجزم أن شراء تذاكر اليناصيب يزداد أكثر في البيوت ذات الدخل المرتفع تبين العلاقة بين استهلاك تذاكر اليناصيب والدخل ؛ ستتبين إذن صحة هذه العلاقة من خلال ملاحظتنا لها في الواقع.

تحقق أمبريقي
خاصية من خصائص البحث العلمي تحتوي على مقارنة الافتراضات بالواقع من خلال ملاحظة هذا الأخير.

باختصار، الفرضية هي أساسا عبارة عن تصريح يتنبؤ بوجود علاقة بين حدين أو أكثر، أو بين عنصرين أو أكثر من عناصر الواقع. يجب التحقق

أنظر الفصل 1، «أهمية الملاحظة».

من الفرضية في الواقع، وبهذا المعنى فهي تمثل ركيزة الطريقة العلمية [...]
ما يميز بين الفرضية والجملة المبتذلة وهذا ما يمثل طبيعتها نوعا ما، [...]
العلاقة المنتظرة بين الحدود المعلن عنها. يمكننا مثلا، أن نتحدث عن
الأحوال النفسية لدى مغنوا الروك ونوعية موسيقاهم دون أن نتنبأ
بالعلاقة بين هذه الأحوال النفسية والموسيقى، فهذه لا يمكن أن تكون
فرضية. كما لا يعني هذا أن البحث في هذا الموضوع هو من قبيل
المستحيلات، لكن لابد علينا أن نفترض علاقة بين الحدود.

هدف البحث

يمكن لهذه العملية أن تختلف جزئيا عن سابقاتها في حالة البحث الكيفي. ذلك بسبب أن البحث الكيفي عادة ما يحمل خاصية الريادة أو أنه يفحص الظواهرالتي يصعب قياسها، إنه لا يستطيع أن يتوقع دائما ما سيتوصل إلى اكتشافه لاحقا. حسب المؤلفين، تنحصر العملياتية في الإحاطة بسؤال البحث فقط دون صياغة الفرضية (Massé 1992) ودون تقديم افتراضات قابلة للتعديل (Deslauriers 1991). إذا استعملنا المنهج التاريخي بصفة خاصة، حسب بعض المؤرخين، فإن الباحث لا يستطيع أن يضع الفرضية إلا في نهاية بحثه (Gagnon et Hamelin 1979) ؛ ففي بداية البحث تكون لدينا فقط فكرة موجهة خاضعة لتحولات متتالية. بالنسبة إلى هذا النوع من البحث، أو البحوث الوصفية عامة، فإننا نقدم الإجابة عن السؤال في صيغة **هدف البحث** (Dixon, Bouma et Atkinson 1987) بدلا من تقديمه في صيغة فرضية. لا بد أن تتحقق الحدود المستعملة في هذه الصياغة بالضبط مثل تلك الحدود التي تتضمنها الفرضية.

هدف البحث
تصريح عن غاية للإجابة عن سؤال البحث، يستلزم القيام بتحقق أمبريقي.

حدودها

لو أخذنا فرضية أخرى مثلا : «ترتفع نسبة المواليد في المناطق الريفية منها في المناطق الحضرية». إن هذا التأكيد يحتوي على الخصائص الثلاث الأساسية : إنه تصريح يتنبؤ وقابل للتحقق. لو نظرنا عن قرب أكثر إلى الحدود المستعملة فسنلاحظ أنها غير مبهمة، دقيقة،

حدود غير مبهمة

ينبغي أن تكون الحدود المستعملة غير مبهمة، كما ينبغي عليها ألا تترك أي مجال للشك أثناء القيام بتأويلها. إن كلمة مواليد هي إشارة واضحة إلى الازديادات لدى مجموعة سكانية معينة. في نفس الوقت نستطيع أن نفهم بوضوح أننا نسعى إلى المقارنة بين نوعين من المناطق (الريف، الحضر). إن الوضوح في الحدود يميز كذلك الفرضية المشار إليها سابقا : مستهلكي تذاكر اليناصيب في منطقة مونريال هم في غالبيتهم من أسر ذات مدخول سنوي يعادل 30.000 دولار أو أكثر. نستطيع أن نفهم هنا أيضا ودون أية صعوبة الحدود الآتية : تذاكر اليناصيب، منطقة مونريال و الدخل.

انظر الفصل 2، «نوعية الألفاظ والمفردات».

حدود دقيقة

ينبغي أن تكون الحدود المستعملة دقيقة. في الفرضية المتعلقة بمستهلكي تذاكر اليناصيب استعملنا كلمة دخل بدلا من كلمة أجر من أجل تجنب عدم الدقة، وحتى إذا كانت هذه الأخيرة تمثل بعض الدقة فإنها تبقى غير دقيقة طالما أن دخل شخص ما لا يرتبط دائما بالأجر فقط، فقد يأتي أيضا من ريوع، من خدمات متنوعة أو من مصادر أخرى. إن استعمال كلمة دخل تسمح إذن بتجنب كل غموض. بالإضافة إلى ذلك، إذا استعملنا كلمة هواة تذاكر اليناصيب بدلا من المستهلكين فسيكون تحديدنا لمجتمع البحث المستهدف أقل بكثير. نفس الشيء في المثال حول نسبة المواليد، فإننا لم نستعمل مفردات المدن و القرى ليس لصعوبة فهمها فقط ولكن لعدم دقتها أيضا : فعلا، من يستطيع القول مثلا أين تنتهي المدينة ومن أين تبدأ القرية ؟ من أجل احتياجات التعداد حددت الحكومة الفيدرالية* خصائص للمناطق التي سمتها ريفية وأخرى حضرية، وباستعمالنا لهذه الأوصاف فإننا نشير إذن إلى شيء دقيق جدا. هكذا، باستعمالنا لحدود ليس فقط موحدة المعنى ولكنها دقيقة تصبح التصريحات أكثر قابلية للفهم وبالتالي التحقق منها فيما بعد. إن عملية توحيد المعنى (univocité) وهذه الدقة تسهلان هكذا تعريف كل حد ضروري أثناء العمليات اللاحقة.

* الكندية

حدود دالة

ينبغي على الحدود المتسعملة أن تكون ذات معاني. ما نعنيه من هذا هو أن حدود الفرضية تُعلمنا عن بعض الوقائع وكذلك عن بعض التصور لهذا الواقع. إن تصورات الواقع تنحدر من نظريات ساهمت في توضيح الفرضية وتوجيهها. وعليه فإن الفرضية في العلم مستنبطة عادة من نظرية توفر الإطار التفسيري للظواهر التي نريد دراستها. إن الواقع المعروف يمكن كذلك أن يؤدي إلى استقراء فرضية، فمثل هذه المعرفة تأتي من البحوث السابقة أو من الملاحظات الخاصة والمتأنية التي سلطها الباحث على الواقع. هكذا، فإن الفرضية الخاصة بالعلاقة بين الدخل المرتفع وشراء تذاكر اليناصيب يمكن أن يستمدها الباحث من نظرية تعترف بفرص أكثر للاستهلاك لدى الأشخاص من الطبقات الميسورة، أو بالأحرى من سبر سابق ليناصيب الكيبك أو من ملاحظة متأنية للكلام، من نوعية اللباس وطريقتها، من حجم المال الذي يصرف، وذلك بالتقرب مثلا من أشخاص يترددون على أكشاك اليناصيب الكيبكي* في حيّين من المدينة. يمكن قول نفس الشيء عن فرضية تغير نسبة المواليد حسب المناطق والتي يمكن أن يستمدها الباحث أو يستنتجها من نظرية حول الأنماط المختلفة للحياة وذلك بحسب درجة تمدن إقليم معين أو من ملاحظة الواقع بالانتقال من منطقة إلى أخرى. يشير كل حد في الفرضية إذن إلى تصور ما للواقع الذي يمكننا أن نتبين مصدره.

انظر الفصل 5، «إسهامات النظرية».

حدود حيادية

ينبغي على الحدود المستعملة أن تبقى حيادية. تعني بذلك أن حدود الفرضية لا يمكن صياغتها في شكل تمنيات ولا في شكل أحكام شخصية حول الواقع. فالباحث أو الباحثة، كأي كائن بشري، يحمل كشخص أحكام حول الواقع، لكن في العمل العلمي لابد من مراقبة أحكامه حتى لا يعقد أو يعرقل صياغة الفرضيات وذلك بهدف تحقيق أكبر قدر من الموضوعية. هكذا، فمن غير المقبول بتاتا أبدا أن تتواجد في المثالين السابقين تعابير مثل : «من الأفضل أن تكون المداخيل العالية...» أو «من

---

* نسبة إلى مقاطعة الكيبك بكندا.

المرغوب فيه أن يكون الأشخاص من مناطق ريفية». تهدف الفرضية إلى التحقق من الظواهر، وعليه لابد ألا تكون ملوثة بأحكام أخلاقية تسلط على الظاهرة الواقعة تحت الدراسة. لا نستطيع أن نلمح في المثالين السابقين أن شراء تذاكر اليناصيب من طرف الأشخاص الذين لهم دخلا مرتفعا هو شيء غير لائق، وبالمقابل فإننا لا نستطيع القول أيضا إنه لأمر مستحسن أن يكون للريفيين أكبر عدد من الأطفال. فكل مواطن أو مواطنة يمكن أن يكون له رأي خاص في هذا الشأن ولكن ينبغي أن يستثنى من ذلك الباحث أو الباحثة في عمله . هذه هي الضمانة التي تجعل الدراسة تتميز بأقل ذاتية ممكنة. في هذا الجانب يتطلب البحث فعل (recherche-action) أكبر دقة ممكنة. ذلك لأن الباحث أو الباحثة هو جزء مباشر من الوسط الذي يقوم هو نفسه بملاحظته.

أنظر الفصل 1، «الذاتية»

أنظر الفصل 3، «القصد من البحث»

أشكـالـهـا

يمكن صياغة الفرضية بكيفيات مختلفة. يمكننا أن نميز بين ثلاثة أشكال أساسية (Lasvergnas 1987) : الفرضية أحادية المتغير، (univariée)، الفرضية ثنائية المتغيرات (bivariée) والفرضية متعددة المتغيرات (multivariée).

الفرضية أحادية المتغير

تركز الفرضية أحادية المتغير على ظاهرة واحدة بهدف التنبؤ بتطورها ومداها. «الفقر يزداد في العالم منذ عشر سنوات» هو مثال عن فرضية أحادية المتغير ؛ وليس على الباحث سوى حصر كلمة الفقر وتقييمها. إن البحث في هذه الحالة لايعني أنه سيكون قصير بالضرورة ولكن سيركز أكثر على مراحل دون أخرى. نفس الحالة تظهر بالنسبة إلى الفرضية التي تجزم أن ما يكلفه فصل الشتاء لمدينة الكيبك يزداد منذ عشرون سنة ؛ وعليه سيأخذ البحث الميزة الوصفية.

الفرضية ثنائية المتغيرات

تعتمد الفرضية ثنائية المتغيرات على عنصرين أساسين يربط بينهما التنبؤ. إنه الشكل المتعود عليه بالنسبة إلى الفرضية العلمية التي تهدف إلى تفسير الظواهر. إن هذه العلاقة الموجودة بين عنصرين يمكن أن تظهر

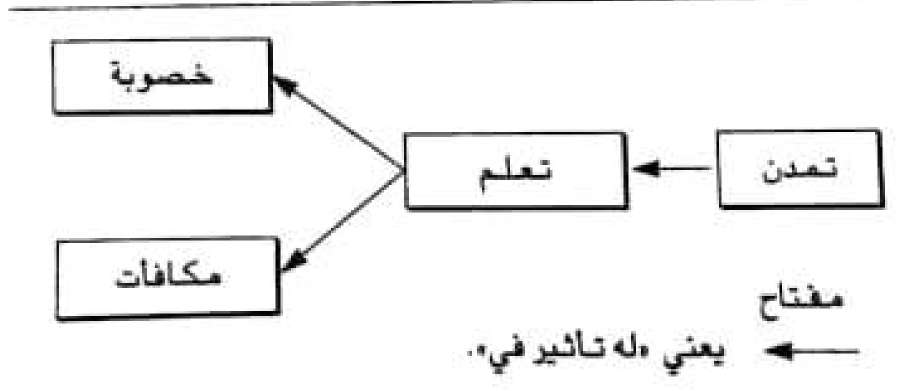
في شكل تغير مشترك (covariation)، بمعنى أن إحدى الظاهرتين تتغير بتغير الظاهرة الأخرى. هذا هو الأساس الذي قامت عليه الفرضية التي تربط بين نوع المنطقة ونسبة المواليد وتلك التي تتضمن العلاقة بين ارتفاع المداخيل والاستهلاك الكبير لتذاكر اليناصيب. إننا نتحدث، من الناحية الإحصائية، عن الارتباط (corrélation) بين هذين العنصرين. إن العلاقة ثنائية المتغيرات يمكن أن تكون، من جهة أخرى، علاقة سببية، انطلاقا من تقديم أحد العنصرين وكأنه سبب للآخر. هكذا يكون الأمر لما نجزم أن استمرار مدة زواج ما هو نتاج لتشابهات اجتماعية للزوجين.

الفرضية متعددة المتغيرات

تجزم الفرضية متعددة المتغيرات بوجود علاقة بين ظواهر متعددة. قد يصرح، مثلا، أن النساء اللواتي لهن نسبة خصوبة أكثر انخفاض هن الأكثر تعلماً والأكثر مكافأة والأكثر تمدنا. الخصوبة والتعلم والمكافأة والتمدن هي حدود مترابطة مع بعضها البعض ويمكن تقديم هذه الحدود الأربعة، على غرار الفرضية ثنائية المتغيرات، وكأنها مترابطة أو ضمن بعد سببي، أي أن ظاهرة ما أو أكثر هي سبب لظاهرة أخرى أو أكثر. هكذا، يمكن أن نفرض أن التمدن يرفع من نسبة التعلم لدى النساء، والذي بدوره يكون له أثر في الخصوبة وفي المكافآت. إن الارتباط، من جهته، لا يمكن أن يقترح إلا تغير متبادل بين هذه الحدود الأربعة دون الافتراض أن بعض الظواهر تسببت في ظهور أخرى. إن الشكل 1.6 يبيّن هذه الفرضية متعددة المتغيرات.

شكل 1.6

مخطط فرضية سببية متعددة المتغيرات



أهميتها

تلعب الفرضية في العلم دوراً يتعذر تقديره ؛ إذ يتم الانتقال بفضلها من الجانب التجريدي إلى الجانب الملموس للطريقة العلمية. قد تكون لدينا أروع الأفكار في العالم لتصور الواقع، إلاّ أن هذه الأفكار لا تكون لها قيمة إلاّ بعد نجاحنا في جعلها فرضيات، أي اقتراحات يسمح الواقع بإثبات صحتها. إن هذا الواقع الذي نتوجه إلى ملاحظته لا يؤكد بالضرورة ما جاء في فرضية الانطلاق، لكن بفضل صياغتها يمكن لهذا الواقع أن يأخذ معناه ومدلوله الحقيقي حتى ولو سارت هذه الفرضية في الاتجاه المعاكس للتنبؤ. يمكن إذن تأكيد الفرضية أو نفيها بواسطة المعطيات المتحصل عليها من الواقع، سواء كان ذلك في الحالة الأولى أو الثانية، فللفرضية قيمة في اكتشاف جزءاً من الواقع. في هذا السياق فإن الكثير من الاكتشافات العلمية قد تم التوصل إليها صدفة ونتيجة للملاحظات غير المتوقعة أو تلك التي تذهب في الاتجاه المخالف لفرضية الانطلاق. بالتالي، فإنه من غير المعقول للتفكير العلمي عدم التفتح على النتائج التي تناقض فرضيته. مع ذلك، فإننا لا نستطيع أبدا القول إن الفرضية صحيحة أو خاطئة، لأن هذا يعني التغاضي عن الميزة المؤقتة للاكتشافات العلمية والتي هي محل إعادة نظر باستمرار. زيادة على ذلك، فإن الظواهر الإنسانية تتغير وتتبدل مع الوقت، وهذا ما يدل على أن الفرضية يتم تأكيدها أو نفيها انطلاقا من التجربة السارية، أو بالملاحظة الجارية التي قد تؤكد افتراض الانطلاق أو تلغيه.

انظر الفصل ١، «أهمية التفتح الذهني».

باختصار، فإن الفرضية تصرح عن تنبؤ، أما هدف البحث فيصرح عن قصد، إلاّ أن الاثنان يؤديان إلى التحقق الأمبريقي باستعمال حدود لها معنى أحادي، دقيقة، دالة وحيادية. كما يمكن أن تُعرض الفرضية في شكل أحادي المتغير وثنائي المتغيرات أو متعدد المتغيرات، وتأكيدها أو نفيها بواسطة الوقائع سيكون له قيمة كبيرة على المستوى العلمي.

التحليل المفهومي

تحليل مفهومي
سيرورة تجسيد مفاهيم الفرضية أو هدف البحث.

إن **التحليل المفهومي** هو سيرورة تدريجية لتجسيد ما نريد ملاحظته في الواقع. يبدأ هذا التحليل أثناء شروع الباحث في استخراج المفاهيم من فرضيته (أو من هدف بحثه). يستمر هذا التحليل أثناء تفكيك كل

مفهوم لاستخراج الأبعاد أو الجوانب التي ستأخذ بعين الاعتبار. ثم يتم تشريح كل بعد وتحويله إلى مؤشرات أو ظواهر قابلة للملاحظة. يمكن بعد ذلك أن يصل الباحث إلى تجميع بعض المؤشرات لإيجاد قياس تركيبي وهو ما يسمى بالدليل. في الأخير، تأخذ بعض المؤشرات شكل متغيرات من أنواع مختلفة.

المفاهيم

مفهوم
تصورٌ ذهني عام ومجرد لظاهرة أو أكثر وللعلاقات الموجودة بينها.

إن بعض الحدود المستعملة لحد الآن في طرح السؤال أو الفرضية أو هدف البحث تأخذ صبغة **مفاهيم**. هذه الأخيرة ماهي في الواقع إلاّ تصورات ذهنية لمجموعة متنوعة من الظواهر التي نريد ملاحظتها. ويمكننا أخذ الفرضية الآتية كمثال توضيحي: «موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية» (Angers 1973 : 28). فالمفاهيم الرئيسية لهذه الفرضية هي مفردات موارد الزوجين والسلطة العائلية. فالسلطة العائلية هي مفهوم لأنها عبارة عن مختصر مجرد لظواهر عديدة قابلة للملاحظة والتي يمكن أن تمس أخذ القرارات والمقررين المعروفين أو التعود على المهام المنزلية في العائلة. يتعلق الأمر إذن «بتصورٌ ذهني» (représentation intellectuelle) (Ouellet 1982 : 123) نكونه حول واقع ما. إن كلمة فقير، مثلا، هي تجريد يلخص لنا في الواقع عددا من الأشخاص أو الأشياء، لهم ما يكفي من السمات المشتركة ويختلفون بالتالي عن الفئات الأخرى من الأشخاص أو الأشياء مما يُسهّل في تجميعهم تحت نفس التسمية. يجمع المفهوم إذن عدداً معيناً من العناصر في نفس الكلمة أو اللفظ.

درجتها التجريدية

كلما ارتفعت درجة تجريد المفهوم كلما تطلب ذلك القيام بعدد أكبر من عمليات التجسيد للوصول إلى مستوى من الواقع الملحوظ. فمن مفهوم البكر يمكننا أن ننتقل وبسرعة إلى التعيين بالرتبة في العائلة. إن الانتقال من المجرد إلى الملموس في هذه الحالة يكون بسيطا. نفس الشيء بالنسبة إلى مفهوم الدخل الذي يمكن تعيينه بسرعة بواسطة المعيار النقدي. قد لا يتم الأمر بنفس السرعة مع مفهوم الرضى في العمل، مثلاً،

والذي قد يشير إلى كل من المهام المطلوب تنفيذها، العلاقات بالزملاء، بالإدارة المسيّرة، بمحيط العمل، أوقات العمل وما إلى ذلك : بالتالي فإن عدداً من الوقائع الملموسة تكون مجتمعة تحت لواء هذا المفهوم. إن هذا المجموع المعقد يعطي معنى للمفهوم أثناء تجسيده في الواقع.

تعريفها المؤقت

بمجرد مايتم تحديدنا للمفاهيم التي نريد استعمالها، نقوم بإعطاء تعريف لكل منها. إن هذه العملية الأولى من التعريف المؤقت للمفاهيم تسمح بتبديد الغموض والشكوك وضبط موضوع البحث، مما يسهل العمليات الموالية. يمكننا مثلا في البداية أن نعرّف مفهوم السلطة العائلية أنه فعل أخذ القرارات الهامة داخل العائلة. إلاّ أن العمليات التقريبية غير كافية، لهذا وبمجرد الانتهاء من التحليل المفهومي ينبغي علينا إعادة النظر لإتمام كل تعريف. لابد من الإشارة هنا إلى أنه ليس من الضروري أن يتفق الزملاء حول تعاريف هذه المفاهيم التي يجب أن تكون سهلة الفهم بالنسبة إلى الآخرين، ولا تترك لديهم أي غموض.

أصلها

انظر الفصل 2، «مصدر المعرفة العلمية».

إن ملاحظة الواقع وكذا عناصر النظرية يمكن أن تساعد في تحديد الواقع الذي تتضمنه المفاهيم وتدقيقه. يسمي كل من Van Campenhoudt وQuivy (128–126 : 1988)، المفاهيم المستمدة من النظريات العلمية الموجودة بالمفاهيم النسقية (concepts systémiques) والتي يتم الحصول عليها بواسطة المنهج الاستنباطي، أما تلك التي يسميانها بالمفاهيم العملية المنعزلة (concepts opératoires isolés) فهي خاصة بتلك المفاهيم الناشئة عن ملاحظة الواقع والتي نتحصل عليها بواسطة المنهج الاستقرائي. إنهما (Quivy et Van Campenhoudt) يؤكدان أن المفاهيم العملية المنعزلة يصعب فصلها عن الأفكار والأحكام المسبقة، إلاّ أنها تبقى مع ذلك تحتفظ بقيمة علمية مؤكدة نظراً إلى مساهمتها هي الأخرى في تقدّم المعرفة العلمية. هذا هو المسار العادي الذي يسلكه البحث الكيفي.

أبعاد المفهوم

إنطلاقا من أن المفهوم هو تصور تجريدي فإن الشروع في تجسيده يتطلب تفكيكه إلى **أبعاده المختلفة** ؛ وعليه يتعلق الأمر هنا بفحص معانيه العميقة وتقبل فكرة أنه يشير إلى جوانب من الواقع يمكن أن تكون متنوعة إلى أقصى حدٍّ. إن هذه الأوجه المختلفة من الواقع هي التي تشكل الأبعاد أوما يسمى بمكونات المفهوم (Lazarsfeld 1965).

بعد
أحد مكونات أو جانب من جوانب المفهوم والذي يشير إلى مستوى معين من واقع هذا الأخير.

تفكيك المفهوم

يقدم التعريف المؤقت مساعدة قيّمة أثناء استخراج أبعاد مفهوم ما. لو بقينا مع فرضيتنا القائلة : «موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية» فإننا بذلك نقيم علاقة بين مفهومين رئيسيين وهما : الموارد والسلطة العائلية. في هذه الحالة يكون في إمكاننا استخراج عدد من الأبعاد لمفهوم موارد الزوجين وذلك انطلاقا من تحديدنا له كمجموع من الإمكانيات سواء أكانت ذات صبغة مالية أو فكرية، فيزيقية أو اجتماعية، يتمتع بها كل زوج والتي تميزه في نفس الوقت عن الآخر. إن هذه الصفات الأربع من الإمكانيات تصبح أبعاداً للمفهوم. من جهة أخرى، فإن مفهوم السلطة العائلية، والمعرَّف بأنه فعل ظاهري لعملية أخذ القرارات الهامة في العائلة، يتفكك إلى أبعاد مختلفة وذلك حسب ميدان النشاطات العائلية : اقتصادية، منزلية، اجتماعية، رعاية الأطفال وتربيتهم . إنّ التعريف الأولي للمفهوم هو الذي يقود إلى هذه الأبعاد. فلو تم تحديد مفهوم السلطة خلافا لذلك، فإن الأبعاد تكون هي الأخرى مغايرة تماماً. لو عرّفنا مثلاً مفهوم السلطة العائلية بأنه يمثل القدرة الشرعية للتصرف داخل العائلة، فستكون الأبعاد انعكاساً للميادين المعترف بها من طرف القانون الذي يسمح بممارسة السلطة على أعضاء العائلة.

تجزئة البعد

كل ما هو غير ملاحظ ولا يقبل القياس مباشرة سيبقى من صنف الأبعاد التي تمثل مستوى وسطي بين التصور التجريدي والعام من جهة، أي المفهوم، والواقع الملاحظ من جهة أخرى. يمكن استثنائيا تجزئة هذا المستوى إلى أبعاد فرعية (sous-dimensions) تقربنا من الواقع الذي



نريد ملاحظته لأنها تقلص أكثر مجال هذا الواقع الذي يشير إليه البعد. إن مفهوم التبادلات، مثلا، في دراسة حول علاقة الجوار، يمكن تفكيكه إلى أبعاد حسب نوع التبادلات، سواء تمت في شكل منافع أو خدمات أو معلومات. يمكن أن يكون لهذا البعد الأخير أبعاداً فرعية إذا ما أنصب اهتمامنا على طبيعة المعلومات المتبادلة : اقتصادية، منزلية أو اجتماعية.

مؤشرات بُعد المفهوم

لو رجعنا إلى مسار التحليل المفهومي الذي تم إلى حد الآن لوجدنا أننا قد استخلصنا من الفرضية حدود أو مفاهيم رئيسية، قمنا بتعريفها مؤقتا. ثم قمنا بعد ذلك بإبراز جوانب كل مفهوم، أو بدقة أكثر أبعاده التي ينبغي الاحتفاظ بها. أما الآن فينبغي ترجمة هذه الأبعاد إلى سلوكات أو ظواهر ملاحظة. إنه دور **المؤشر**.

مؤشر
عنصر لبعدٍ ما يمكن أن يلاحظ في الواقع.

لنفترض الفرضية الآتية : «يفسر الجو الاجتماعي لبلد ما نوع مجتمعه في مرحلة معينة». إن واحداً من الأبعاد المنتقاة لتخصيص (تمييز) هذا الجو الاجتماعي هو الوضع الاقتصادي الذي كان يسود أثناء الفترة المعنية. لابد علينا أن نبحث إذن في الواقع على علامات دالة والتي تسمى علمياً بالعلامات الملاحظة (observable) لهذه الوضعية الاقتصادية إذا كنا نريد حقا التحقق ولو من جزء من الفرضية. بمجرد تشخيص الظواهر الملاحظة القادرة على تقديم حوصلة عن الوضعية الاقتصادية نكون قد وجدنا مؤشرات هذا البعد. هكذا، فإن العناصر الملاحظة والمتعلقة بالتجارة، بسوق العمل، باحتياطات الدولة، بالموارد المستغلة، بمستوى المديونية، إلى غير ذلك تشير كلها بصفة ملموسة إلى الوضع الاقتصادي لهذا المجتمع. إن هذه العناصر يمكن أن تستغل كمؤشرات لبعد الوضع الاقتصادي، الذي يعود هو أيضا إلى مفهوم الجو الاجتماعي.

عـــددهـــا

يمكن أن يكون عدد المؤشرات كبيرا بالنسبة إلى كل مفهوم، ذلك لأنه يمكن ملاحظة كل بعد من أبعاده من خلال عدة مظاهر ملموسة. مما يتطلب اختيارها وفقا للوسط المدروس والحصول على العدد الكافي منها للتمكن من التحليل. إن مؤشراً واحد قد يكون خادعاً، لكن إذا كان هناك عدداً كبيرا

من المؤشرات فإن صلاحية البعد ستكون مضمونة. فلو أخذنا من الميدان السياسي، مثلاً، مؤشراً حول فعل دقيق للحكومة والمتمثل في قانون حول الإعلان وحيد اللغة (affichage unilingue) الواجب وضعه على واجهة المحلات التجارية مع أن بعض المواطنين لا يتكلمون هذه اللغة. إن هذا القانون يمكن أن يترك الاعتقاد أن هناك نظام ضد الديمقراطية يسود في هذا المجتمع، في حين أننا لو استعملنا عدة مؤشرات بالنسبة إلى بعد الممارسات الديمقراطية، مثل الانتخابات المنتظمة، صحافة لها حرية التعبير، الاعتراف بعدة أحزاب سياسية، الحق في محاكمة عادلة، نستطيع أن نصل إلى استخلاص عكس ما كان مفترضاً من طرف مؤشر واحد. تتوفر المؤشرات إذن على ميزة تسمح بالوصول إلى هذا الوجه الملموس لما نبحث عنه. إلاّ أن استعمال العديد منها هو الذي يضمن التقييم الموضوعي والدقيق للبعد وللمفهوم اللذين تتعلق بهما المؤشرات.

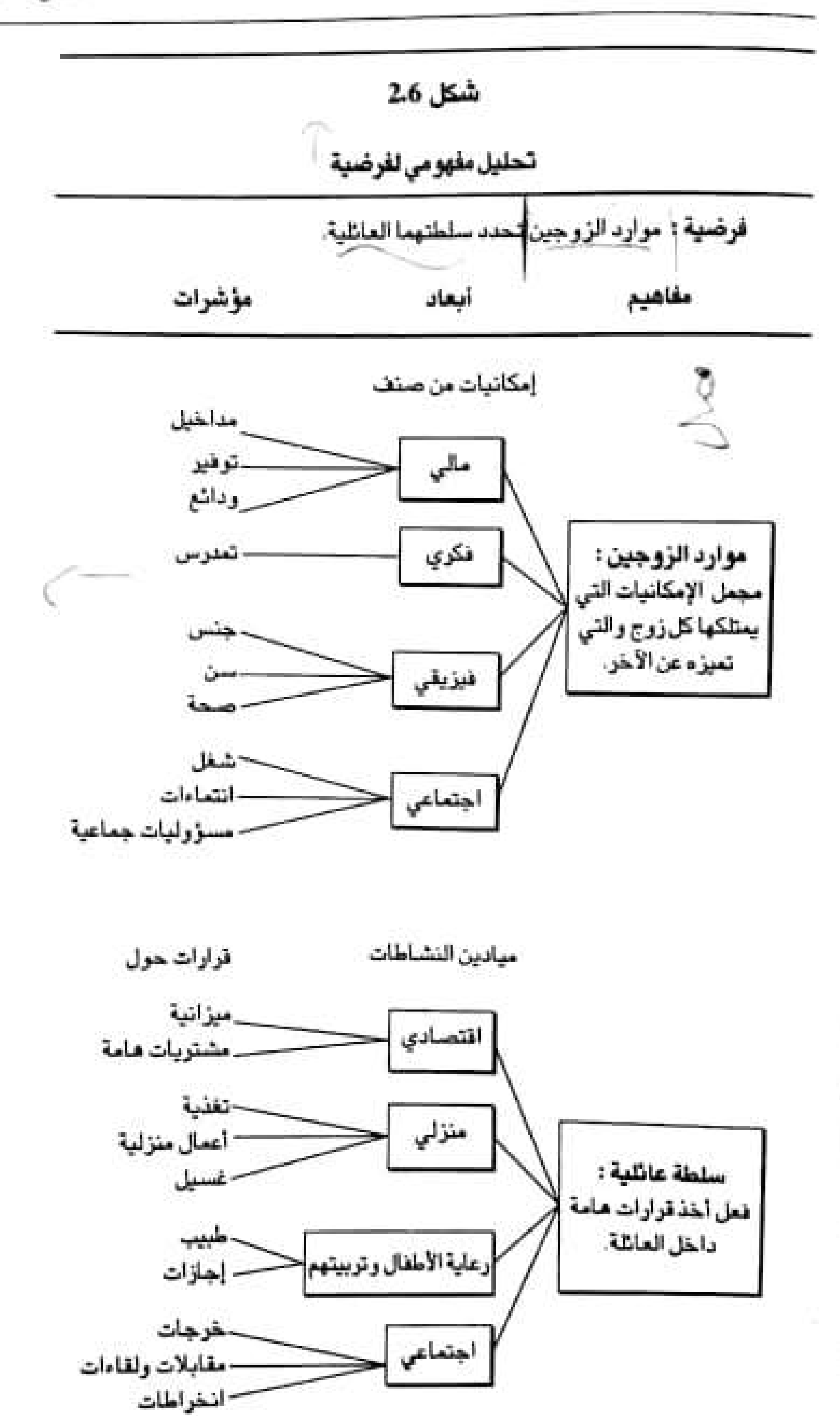
بـنـاؤهـا

لإيجاد مؤشرات كل بعد محتمل لابد على الباحث أن يطرح على نفسه في كل مرة السؤال الآتي: ماهي العلامات الملاحظة في الواقع والتي يمكن من خلالها تحديد هذا البعد؟ إننا بهذا نعود إلى معارفنا وإلى تجربتنا وإلى حدسنا. إننا نقوم بترتيب الظواهر الملاحظة التي تبدو دالة نظراً إلى عدم وجود قائمة للمؤشرات ذات الاستعمال المختلف؛ فينبغي اكتشاف المؤشرات بالنسبة إلى كل بعد.

لو أخذنا من جديد مثال السلطة العائلية، التي يتعلق واحد من أبعادها بالميدان المنزلي، فإننا نستطيع أن نستخرج كعلامات ملموسة القرارات المتعلقة سواء بنوع الغذاء أو كميته، أو بطريقة تأدية العمل المنزلي أو بتوزيع المهام؛ ونفس الشيء بالنسبة إلى غسل الألبسة والأواني وتحضير الوجبات، إلى غير ذلك. إنها كلها مؤشرات للقرارات التي تهم النشاطات المنزلية للعائلة. أما البعد المالي لموارد الزوجين فيمكن ملاحظته، مثلاً، عن طريق المداخيل، التوفير، الودائع، إلخ. أما البعد الفكري للموارد فيمكن أن نلمسه من خلال حاصل التمدرس. وقد تتطلب أبعاد أخرى مؤشرين أو أكثر لوصف واقعها.

شكل 2.6

تحليل مفهومي لفرضية



بعد ذلك نعيد النظر في المؤشرات المكتشفة على ضوء بعد ومفهوم الانطلاق ونبحث عن تقييم مستوى انسجامها. فهل تشير كلها، وبصدق جيدة، إلى ما نبحث عنه ؟ هل لابد علينا أن نضيف أو نحذف أو نعدلّ ؟ ثم، انطلاقا من هدف الشمولية، نسعى إلى التأكد من أن المؤشرات لم تهمل تغطية العناصر الأساسية للبعد. أخيرا، وانطلاقا من اقتصارها هذه المرة على واقع معين فعلينا أن نتأكد من أن مؤشرات بعد ما لا تتعدى إلى مجال بُعدٍ آخر يشير إلى واقع آخر. هكذا، فإن شراء غسالة الأواني، حتى ولو كانت هذه الغسالة تابعة للمجال المنزلي فإن لها، في مثالنا، علاقة أكثر بالبعد الاقتصادي، ذلك لأن الأمر يتعلق بقرار اقتصادي هام. وعليه فالحذر والانتباه لاختيار المؤشرات والمكانة المحددة لها هما اللذان يضمنان الانسجام المطلوب في التحليل المفهومي. يتضمن الشكل 2.6 سلسلة من المؤشرات التي تم إيجادها لأبعاد مفهوم موارد الزوجين وكذلك بالنسبة إلى مفهوم السلطة العائلية.

للوصول إذا إلى المؤشرات قمنا بتفكيك كل مفهوم مع مراعاة أبعاده حتى تصبح المصطلحات المستعملة مطابقة في تسميتها للظواهر التي نستطيع ملاحظتها في الواقع. إذا كانت هذه الملاحظة مستحيلة فهذا يعني أن المصطلحات ماتزال مجردة كثيراً، مما يعني أن مرحلة الأبعاد أو الأبعاد الفرعية، مادامت تجزئتها مسموح بها، لم يتم بعد الانتهاء منها. وفي هذه الحالة الأخيرة لابد من مواصلة التحليل لبلوغ المستوى الملموس والملاحظ. على العكس من ذلك، قد يحدث أن تكون لحدود فرضية ما في البداية صيغة ملموسة بما فيه الكفاية ولا تتطلب بالضرورة تحليلاً مفهومياً كاملاً. ذلك هو الحال مع الفرضيات التي تتضمن حدود مثل الجنس، السن، الدخل أو التمدرس، والتي يمكن استخدامها في بحوث أخرى كمؤشرات، كما يظهر في الشكل السابق. في هذه الحالات تشير المفردة إلى مستوى تجريدي منخفض كثيرا إلى درجة أنها تمزج بالفعل مع المؤشر لأنها تمنح الإشارة التي نستطيع من خلالها أن نلاحظه.

أنواع المؤشرات

هناك أنواع مختلفة من المؤشرات (Blais 1987). يمكن، مثلا، حساب الدخل والساعات، إنهما مؤشرين ذات التفيئة العددية (numérique)، أما التمدرس والتطورات التكنولوجية فيتم ترتيبهما، فهما إذا مؤشرين ذات

التغيئة الترتيبية (ordinale). أما الانتماء العرقي والديني فهما يقيمان تمييزات. وعليه فهما مؤشرين ذات التغيئة الإسمية (nominale). إن معرفة أنواع المؤشرات المستخدمة مفيدٌ جدا لمعرفة القياس الذي سيتم تبنيه في كل حالة. في حالة الدخل، وهو مؤشر عددي، فإننا نعرف أنه بإمكاننا وضع المعدلات وكل الأشكال الأخرى للحساب. أما في حالة التمدرس، وهو مؤشر ترتيبي، فإنه لن يكون في إمكاننا سوى إقامة علاقات تقديرية أو قائمة على الصف أو الرتبة. أما في حالة مؤشر العرق، وهو مؤشر إسمي، فإننا نكتفي بالتفريق بين الأشخاص وتسجيل وجود الأشخاص المنتسبين إلى عرقية معينة أو غيابهم.

إن المؤشرات تبين التجسيد الناجح للفرضية. ما دام القيام بالبحث يتضمن الذهاب للتحقق من بعض الاقتراحات في الواقع، لابد أن نستخرج اذن من هذه الأبعاد مؤشرات قادرة على إثبات هذا الواقع. هكذا، فإن المؤشرات تمثل الجانب المرئي أو على الأقل الظاهر للبناءات المجردة، ومعها تأخذ العملياتية الوجهة الملموسة والحاسمة.

تجميعها في أدلة

دليل
قياس كمي يجمع مجموعة من المؤشرات من طبيعة واحدة.

يجمع الدليل المؤشرات في قياس وحيد يهدف إلى إقامة نوع من الملخص لهذه الأخيرة. تمتلك هذه المؤشرات قدرة التجميع والذوبان في كل رقمي. مثلاً، إن كل واحد من المؤشرات المرتبطة بمفهوم السلطة العائلية الموضحة في الشكل 2.6، لو تم أخذه على انفراد فإنه يخبرنا عن أخذ القرار مرة واحدة في كل حالة معينة، فإما أن يكون الزوج أو الزوجة أو الزوجان معاً، الذي أو التي أو اللذين قررا هذا الشيء أو ذاك. لكن من الممكن أن نهتم بصفة خاصة بمعرفة من الذي له، في الأخير، السلطة في عائلة ما. لهذا ينبغي فحص مجموع القرارات الهامة التي تم اتخاذها مع أخذ بعين الاعتبار كل المؤشرات في نفس الوقت لوضع مقياس واحد للسلطة العائلية. وبجمعنا للملاحظات عن كل مؤشر بمساعدة نظام وزن عددي، يمكننا الإقرار إن كان الزوجين (couple) من النوع الذي تعود فيه السيطرة إلى الرجل في اتخاذ القرارات الهامة، أو من النوع الذي تسيطر فيه المرأة أو من النوع الذي له اتجاه مساواتي (égalitaire). هكذا نستطيع من خلال هذا المثال بناء الدليل الآتي: السلطة العائلية لدى الزوجين وذلك بتجميعنا لكل المؤشرات الخاصة بكل الأبعاد المتعلقة بالمفهوم.

انظر الفصل 11، «انشاء متغيرات جديدة (بناء دليل)».

من الممكن، عادة، جمع مؤشرات بعدٍ واحدٍ، مما يسمح بإعطاء صور شاملة عن المظاهر الملموسة لهذا البعد. يمكننا، مثلاً، جمع كل المؤشرات الخاصة ببعد الرضى في العمل ثم نحسب دليل درجة الرضى في العمل لكل شخص مدروس. إن كل المؤشرات ليست بالضرورة مُهيأة لتكون ضمن هذا الجمع، إما لأنها ليست من نفس الطبيعة، أو لأنها تقاس بصعوبة. لا نستطيع، مثلا، تجميع مؤشرات مثل السن ومكان ميلاد الآباء أو الانتماء إلى هيئة والتمدرس مع بعضها، لأنها ليست من طبيعة واحدة.

فالأدلة هي إذا مقاييس مركبة. إنها تتكون من تجميع لعدة مؤشرات في وحدة واحدة لها معنى، توضع عادة تحت تسمية البعد أو المفهوم.

أنواع الأدلة

من الممكن إنشاء أدلة انطلاقا من مؤشرات مختلفة أو من عناصر مأخوذة من محيطنا. توجد أدلة التلوث ذات أنواع مختلفة : التلوث الجوي، التلوث الأرضي وتلوث المياه، إلخ. في الميدان الاجتماعي هناك دليل معروف جدا، هو دليل تكلفة المعيشة أو أسعار الاستهلاك، ويبنى هذا الأخير انطلاقا من مؤشرات هي بمثابة الأشياء المستهلكة باستمرار والتي نتحقق بانتظام من تغيرات أسعارها وذلك بهدف وضع حساب شامل ومفصل. إن دليل سوق البورصة هو الآخر عبارة عن ملخص لمؤشرات ماهي في الواقع إلا تعبيراً عن تلك العمليات التي تتم في هذه البورصة خلال يوم أو شهر أو سنة. يمكننا في مثل هذه الحالات الحديث عن أدلة رسمية عكس تلك التي نصنعها من أجل احتياجات بحث معين.

سلالم
تقنيات تستعمل لمنح علامات للأفراد بهدف ترتيبهم.

تستعمل بحوث عديدة في العلوم الإنسانية أنواعاً أخرى من الأدلة تكون أقل مادية، والتي تسمى **بالسلالم** (échelles). تستعمل السلالم لترتيب الأشخاص أو مجموعات الأشخاص حسب إجاباتهم عن أسئلة تم إنشاؤها انطلاقا من مؤشرات مختارة. هكذا نقوم بتجميع مجموعة من المؤشرات المحولة إلى أسئلة ونحاول أن نقيم النتيجة الرقمية للشخص حسب أجوبته، وعليه نقوم بترتيبه في سلم يذهب من الزائد إلى الناقص أو من موقف متطرف بمعنى ما إلى موقف متطرف مضاد. نحاول، مثلا،

إطـــار 6

سلم التباعد الاجتماعي لـ Bogardus

إن أشهر مثال عن السلم (Grawitz 1986) في العلوم الإنسانية هو سلم Bogardus. تستعمل هذه الأداة لقياس التباعد الاجتماعي الذي يعبر عنه المخبرون بالنسبة إلى أشخاص يختلفون عنهم. لقد استعمل في البداية لدراسة التباعد بين المجموعات العرقية، ثم استعمل بعد ذلك لدراسة الفوارق بين الطبقات الاجتماعية والمجموعات الدينية (Baker 1988).

كان يطلب من المبحوثين في السابق نوع العلاقات التي يستعدون لإقامتها بمختلف المجموعات العرقية بهدف معرفة مدى تفتحهم تجاه هذه المجموعات : فيطلب منهم الرد العفوي بوضع علامة (×) أو الامتناع عن الإجابة عن قائمة تضم سبعة مواضيع أو أوضاع خاصة بالاتصال ما بين العرقيات. يتعلق الأمر بالنسبة إلى المبحوث بقوله إن كان يقبل أن يكون عضوا ما من مجموعة عرقية معينة :

1. صهراً قريبا عن طريق الزواج ؛
2. صديقا شخصيا في النادي ؛
3. جارا مقيما في نفس الشارع ؛
4. زميلا قريبا في العمل ؛
5. مواطناً من نفس البلد ؛
6. سائحا يزور البلد فقط ؛
7. يطرده من بلده.

لقد سمح Bogardus بترتيب كل مخبر حسب درجة التفتح على المجموعات العرقية الأخرى التي تم عدها : الإنجليزية، الإيطالية، الصينية وهكذا دواليك. على عكس السلالم الأخرى، هذا الأخير لا يعطي نفس الوزن لكل موضوع ولكنه يرتبه تدرجياً. إنه يفترض أن الشخص الذي يقبل بعضو من مجموعة عرقية أخرى كصهر فإنه سيقبل بالتالي بالوضعيات 2 إلى 6. أما الشخص الذي يرضى بالوضعية 4 فإنه يقبل بالوضعيات 5 و6 إلاّ أنه لا يقبل بالضرورة بالوضعيات 1 إلى 3. هكذا يستطيع الباحث أن يتنبأ ببعض الأجوبة بعد معرفة البعض منها. وأبسط المواقف هو أن يتوقع أن المبحوث الذي يرتب في الموضوع 7 ينبغي أن يكون قد امتنع عن المواضيع الستة السابقة. من الممكن إقامة إذا – في حالة السلم التدرجي أو التراكمي – بنية للتداخل دقيقة جدا.

إن السلالم ليست معادلات سحرية، ويبقى من الضروري فحص صرامتها بالنسبة إلى البحث المستهدف، لأنها ليست خالية من أحكام مسبقة وتعسفية. هكذا، فإن المواضيع السبعة المذكورة كان يمكن أن تكون مواضيع أخرى، بالتالي لم تكن المسافة أو التباعد بين كل واحد بالضرورة هي نفسها. زد على ذلك، فمن المسلم به أن كل مبحوث يعرف جيداً معنى الانتماء إلى ناد أو أنه قد سبق وأن كانت له فرصة في العمل عن قرب مع أشخاص آخرين. اجمالا، إن الإطار المفهومي هو الذي يحدد مدى صرامة استعمال سلم ما.

معرفة المواقف السياسية لمجتمع بحث معين في سلم ينطلق من الأشخاص الأكثر محافظة إلى الأشخاص الأكثر ليبيرالية. للقيام بذلك، نقوم بإعداد سلسلة من الأسئلة نستطيع أن نحددّ لكل منها وزناً يعبر عن كل إجابة مختارة ؛ ثم نجمع بعد ذلك نقاط كل الإجابات التي أمدنا بها مخبر ما. وهكذا نستطيع وضعه في السلّم، أي التعرف عنه إن كان محافظاً نوعاً ما أو ليبيرالياً.

يستعمل السلم إذن في البحث لتفيئة المبحوثين ويسمح بالتالي بفهم أفضل لدرجة وكثافة ردود أفعالهم عن أوضاع أو آراء تقدم لهم.

تتضمن المهمة في هذا المستوى المعين من البحث تحليل مجموع المؤشرات التي سيستعين بها الباحث لكي يحدد إن كان البعض منها يمكن تجميعه ليكون دليلاً أو عدة أدلة. لا يبقى بعد ذلك سوى إنشاء هذه الأدلة بعد الانتهاء من جمع المعطيات. انطلاقا من ذلك يكون في استطاعتنا أن نقرر مباشرة في بحث حول السلطة العائلية (أنظر الشكل 2.6)، مثلا، أننا ستقيم دليلاً حول جزء من هذه السلطة وذلك بتجميعنا لكل المؤشرات الموجودة ضمن بُعد النشاطات الاقتصادية أو النشاطات المنزلية. كما يمكننا أيضا في هذا المثال الدقيق أن نجمع كل المؤشرات المتصلة بالسلطة العائلية وإنشاء دليلاً لهذه السلطة المأخوذة في شكلها العام.

أنظر الفصل 11، «إنشاء متغيرات جديدة».

باختصار، الدليل هو قياس كمي تتم إقامته بمساعدة المؤشرات المختارة، ويتم تجميع هذه المؤشرات وتعطى لها قيماً مختلفة وذلك وفقا لما سيتم قياسه من مجموع السلوكات لدى الأشخاص المختارين.

المتغيرات

متغير
ميزة خاصة بأشخاص، بأشياء أو بأوضاع مرتبطة بمفهوم والتي يمكن أن تأخذ قيما متنوعة.

ليس هناك تعريفاً وحيدا **للمتغير**. غير أن علماء المنهجية يتفقون على حقيقة أن المتغير يرتبط بالمفهوم ونسميه كذلك لأنه يشير إلى شيء ما قد يأخذ قيما مختلفة. باختصار، ينحدر المتغير من المفهوم أو من مؤشرات ويجعل بالتالي الظاهرة قابلة للقياس. يمكن أن يشير مفهوم التعلم مثلا، من جملة أشياء أخرى، إلى القدرة على التذكر التي تصبح متغيراً، لأن مثل هذه القدرة يمكن قياسها انطلاقا مثلا من عدد الكلمات المحتفظ بها خلال فترة معينة.

قياس المتغيرات

تتقبل بعض المتغيرات القياس التصنيفي (mesure classificatrice). يشير متغير العرق، مثلا، مباشرة إلى التمييز بين مختلف المجموعات العرقية. إننا نقوم بالتصنيف أيضا لما نستعمل متغيرات مثل الدين، الجنس، المهنة، الانتماء السياسي، نوع المؤسسة، نوع الحكومة، وهكذا دواليك. أما المتغيرات الأخرى فتسمح بالقياس العددي (mesure numérique)، أي أنه يمكن استعمال الرقم سواء للتقييم أو العد أو لوضع النسب المئوية والمعدلات. فمتغيرات السن أو عدد الأطفال تسمح

بإظهار صور رقمية. كل المتغيرات المسبوقة بكلمة معدل مثل معدل النجاح، معدل البطالة، معدل الرضى، إلخ، هي من طبيعة المتغيرات التي تسمح بالقياس العددي. باستعمال المتغيرات، نستطيع القيام بقياسات تسمح بتقييم مختلف الظواهر. القياس هو أداة للوصول إلى أعلى درجة ممكنة من الدقة في الملاحظة. غير أنه لا يستطيع أن يعوض ضرورة اختيار المفاهيم الملائمة. لن تكون للمتغير، الذي هو بمثابة تمثيل ملموس للمفهوم، أية قيمة إلاّ إذا كان ترجمة لهذا المفهوم. فالمتغير إذا لا قيمة له في حد ذاته.

أنواع المتغيرات

عادة ما تقدم الفرضية على أنها علاقة بين متغيرين على الأقل. يمكن أن تجزم الفرضية مثلاً أنه كلما ارتفع مستوى تمدرس الأم كلما ارتفعت مثابرة إبنها على الدراسة ؛ ويمكننا تبيان هذه الفرضية فيما يأتي :

تمدرس الأم	+ ←	مثابرة الطفل على الدراسة

متغير مستقل
متغير يجب أن يكون له تأثير في المتغير التابع.

متغير تابع
متغير يؤثر فيه المتغير المستقل.

يمكننا أن نتبين، من خلال هذا الرسم العملي الذي يظهر بوضوح العلاقة بين المتغيرات، أن كل واحدٍ من المتغيرين لا يحتل نفس المكان في الفرضية. يقدّم أحد المتغيرين وكأنه السبب، إنه **المتغير المستقل**، أو ذلك الذي يعتمد عليه في تفسير الثاني الذي يمثل النتيجة، وهو ما يسمى **بالمتغير التابع**، أي الناتج عن فعل الأول. هكذا، فإن درجة تمدرس الأم، المتغير المستقل، تفسر أن بعض الشباب يتخلون عن دراستهم، المتغير التابع، قبل نهاية المرحلة الثانوية.

أنظر الفصل4، «المنهج التجريبي».

المتغير المستقل. إن المتغير المستقل، في المنهج التجريبي، هو ذلك المتغير الذي نتداوله لقياس التأثير في المتغير التابع. يمكننا تسميته كذلك بالمتغير السبب، السابق، النشط أو التجريبي. كما يمكننا الحديث أيضا عن المتغير المنبه عندما يتسبب المتغير المستقل في رد فعل يكون بمثابة الإجابة عن الموضوع من طرف العنصر المبحوث. نقوم بانتقاء المتغيرات المستقلة انطلاقا من الأسباب المتوقعة للظواهر الملاحظة. لو كانت الفرضية مثلا : «المنبه الصوتي يقلص من القدرة على التعلم»، فالمتغير المستقل أو المنبه، يمكن أن يكون الموسيقى التي نقوم بعزفها أم لا، أي التي نقوم بتغييرها والتي نقوم بتقييم آثارها.

المتغير التابع. إن المتغير التابع، الذي يمكننا تسميته كذلك بالمتغير الخاضع، اللاحق أو الناتج عن، هو ذلك المتغير الذي يجرى عليه الفعل من اجل قياس التغيرات. إنه يشترك في المنهج التجريبي مع عناصر التجربة التي تخضع للشروط المختلفة للمتغير المستقل. إن المتغير التابع هو الأول الذي يتم انتقاؤه عادة عندما نريد ملاحظة مختلف ردود أفعال العناصر ؛ فهو إذا محل تَغَير أثناء التجربة لأنه يخضع للمعالجة الخاصة من طرف المتغير المستقل. هكذا، كما سيوضحه الرسم القادم، فبمجرد الشروع في تفعيل الفرضية المشار إليها سابقا، نكون قد انتقينا كمتغير تابع شكلا من أشكال التعلم، أي القدرة على التذكر. بهذا سننتقل إلى قياس إن كانت هذه القدرة تتغير لدى المبحوث عند سماعه للموسيقى أو عدم سماعه لها أو حسب درجة ارتفاع الصوت أو انخفاضه، التي يعطيها إياه المجرب أو المجربة أثناء مهمة التذكر.

الموسيقى	←	التذكر

المتغيرات الوسيطة. إن الواقع الملاحظ يمكن أن يكون، مع ذلك، أكثر تعقيدا من مجرد العلاقة السببية الوحيدة بين متغيرين، مما يعني أن متغيرات أخرى، أي المتغيرات الوسيطة، يمكن أن تتوسط بين المتغيرات المستقلة والتابعة ؛ وعليه يمكن أن تشير النظرية أو الملاحظة إلى أن الانتقال من المتغير المستقل إلى المتغير التابع لا يتم مباشرة، بل يتطلب ذلك تدخل عاملاً آخر بين الاثنين. مثلا بين آثار المنبه الموسيقي والتعلم، هناك من دون شك مجالاً لإدخال مفهوم التركيز الذي سيخضع له التعلم. إن هذا المفهوم وبمجرد ما يتم تعريفه واستعماله، يمكن أن يسمح بعد ذلك بانتقاء العناصر التي لها نفس درجة التركيز وبالتالي إخفاء تأثير المتغير الوسيط الذي كان بإمكانه أن يعيق دراسة المتغيرين الأساسيين. ينبغي للعملياتية أن تحدد بدقة كذلك المتغيرات التي ستوضع في علاقة ببعضها، والمتغيرات الأخرى التي سيتم الاحتفاظ بها ثابتة.

إن التحليل المفهومي، هو إذا في صميم العملياتية بالنسبة إلى مشكلة البحث، إنه يمثل عملا أساسيا لتجسيد هذه المشكلة. يمنح هذا التحليل من جهة إطاراً مفهومياً يشتمل على مجموع المفاهيم المحتفظ بها والمحددة، ومن جهة أخرى إطاراً عملياً يشتمل على مجموع الأبعاد والمؤشرات

والدلائل والمتغيرات التي تم إنشاؤها، تسمح للباحث بالانتقال وبصفة نهائية من الجانب المجرد إلى الجانب الملموس لعمل بحثه.

طـرق المراقبـة

بعد الانتهاء من وضع الإطار المفهومي والعملي، لابد من التأكد من متانة هذا البناء ؛ ذلك لأنه، مثل حالة المنزل، كلما كان الأساس صلبا ومتينا، كلما كان البناء قوياً ومتراص. يتعلق الأمر إذن بمراقبة العملياتية، وإلا فسيتم ذلك عن طريق الانتقادات التي يمكن أن تبطل البحث. في التقييم العلمي للعمل، ما يهمنا في هذا المستوى، هو اختبار الصحة الداخلية والصحة الخارجية للتحليل المفهومي ضمن علاقته بالفرضية أو هدف البحث.

أنظر الفصل 4، «التقييم العلمي».

الصحة الداخلية

صحة داخلية
انسجام منطقي بين العناصر المحددة للبحث.

فيما يخص **الصحة الداخلية** فإن الأمر يتعلق بالتحقق من عدم ترك أي شيء للصدفة. هل تم تحديد كل مفهوم تحديدا جيداً، بمعنى يجعلنا على دراية تامة بما يشتمل عليه هذا المفهوم وبما سيُبعده ؟ وهل أخذ هذا التعريف في الاعتبار التحليل المفهومي للمفهوم ؟ ليس المطلوب منا إذا هو التفنن في صياغة تعريف عام، بل الأهم هو تعريف يسمح بالتقصي الأمبريقي، والذي سيكون صالحاً في الحدود التي نكون قد رسمناها له. هل المصطلحات المستعملة بالنسبة إلى الأبعاد والمؤشرات هي أحادية المعنى (univoques) وليست معرضة للغموض ؟ هنا أيضا لابد من الدقة الصارمة، لأن ذلك سيسهل العمل لاحقا أثناء ملاحظة الواقع. من جهة أخرى، يمكن أن يحدث أن باحثين آخرين أو باحثات أخريات يريدون ربما إعادة إنتاج الدراسة، ولأجل ذلك ينبغي عليهم فهم نسق التحليل المفهومي. لابد إذا من التفسير الواضح لكل المصطلحات. إذا ما قمنا باستعمال المتغيرات المستقلة والتابعة، فيجب تقديم العلاقات القائمة بين هذه المتغيرات في شكل رسم بياني عملي. إن هذه التدقيقات ستفيدنا كذلك عبر كل مراحل البحث، لأننا سنعود إليها للقيام بالعمليات الأخرى بصفة ملائمة. باختصار، هل تم تشييد كل البناء النظري بصفة جيدة ؟

الصحة الخارجية

صحة خارجية
تطابق بين ظواهر مدروسة ومصطلحات مستعملة في تعريفها.

تتعلق **الصحة الخارجية** بالعلاقات بين عناصر الدراسة التي تنطلق من أقصى التجريد إلى أقصى الملموس. هل للفرضية معنى ؟ على مستوى

المضمون، يجب على الفرضية الا تحمل أي غموض، و ينبغي ان يكون الافتراض معقولا. إن مبرّر وجودها (الفرضية) يعود فقط إلى فعل اختبارها في الواقع باعتبار أنها ليست اعتقاداً بقدر ماهي تنبؤ أو احتمال. هكذا تساهم الفرضية في تقدم المعرفة لكونها تؤدي إلى اختبار الواقع لفهمه أحسن.

يمكن لمتغير أو مؤشر قابلين للقياس أن يكونا دقيقين جداً. إلاّ أن هذه الدقة وحدها لا تكفي، إذ ينبغي عليهما حتماً أن يتميزا بالصحة. بمعنى أنه ينبغي أن يبقى المعنى بين المفهوم كفكرة مجردة والمؤشر كعنصر ملاحظ في الواقع نفسه دائما. بكلمات أخرى، إن درجة الصحة الخارجية ستكون بالأحرى كبيرة لما تضمن أن معنى الفرضية والمفاهيم التي تتكون منها يظل دوماً حاضراً في المؤشرات والمتغيرات التي ترشد ملاحظة الواقع. إن السؤال الأساسي الذي نطرحه على أنفسنا يمكن عرضه كالآتي : هل المؤشرات تعكس جيداً حدود الفرضية أو حدود هدف البحث ؟

ليس هناك جواباً قطعيا عن هذا السؤال طالما أن البحث لم يشرع فيه أو يعاد إنتاجه من طرف الآخرين، لكنه يجب أن ينال الاهتمام الكافي من طرف الباحثين والباحثات لكي يتأكدوا من وجود انسجام بين مختلف المراحل التي قطعوها بدءاً باختيار الموضوع، إلى تنفيذه، مروراً بمرحلة طرحه. انطلاقا من أننا نختار دائما المؤشرات الأقل رداءة للاقتراب من المفاهيم المجردة، مع علمنا أننا نهدف إلى بلوغ أعلى درجة من الصحة. فالمطلوب منا إذا هو أن نبقى حذرين إلى أقصى درجة، وأن تظل الأحكام التي نقدمها أحكاماً كيفية دائما. باختصار، فإن مراقبات الصحة لها أهميتها لأنها تسمح بإجراء مراجعة نقدية للتحليل المفهومي وتوضح بدقة كل المفردات والمصطلحات المستعملة، كما تسمح أيضا بالتأكد من بقاء المفاهيم والمؤشرات أو المتغيرات دائماً في فلك نفس المعنى.

الإطــار المرجعــي

بعد الانتهاء من صياغة الفرضية، تجسيدها ومراقبتها، تبقى بعض الجوانب التي ينبغي ضبطها لتثبيت معالم البحث. هذه الجوانب المتنوعة، مثل مجموعة الأفراد محل الدراسة، ووسائل الإنجاز، هي عناصر للتخطيط تهدف إلى توجيه الباحث في مواصلة عمله. حتى وإن كان الأمر لا يتعلق بتحرير مشروع البحث بأتم معنى الكلمة عندما نكون في أولى مراحل التدريب على الطريقة العلمية باعتبار أن التعرف عليه لم يتم بعد، أو أن استيعابه مازال ناقصا، فإن هذا لا يمنع من تحديد بعض

أنظر الفصل 3، «مشروع البحث».

المعالم الرئيسية التي ستكمل هذه المرحلة الأولى من البحث. إن هذه المعالم الرئيسية لها أهميتها لكونها تسمح بتحديد الفارق بين ماهو مرغوب فيه وما سيتم انجازه فعلاً. إننا نجمع كل هذا فيما يسمى **بالإطار المرجعي**.

إطار مرجعي
مجموعة موجهات خاصة بتخطيط البحث.

مجتمع البحث الذي سيكون محل الدراسة

إن أول عنصر للإطار المرجعي يخص مجتمع البحث الذي سيكون محل الدراسة. إن مصطلح مجتمع البحث (population) له هنا معنى واسعا، من الممكن أن تكون وحدات هذا المجتمع أفرادا (أشخاصاً) أو كتابات، وثائق سمعية بصرية أو أشياء أخرى. لضبط المجموعة المراد الوصول إليها لابد من طرح سؤالين اثنين : ماهي خصائص مجتمع البحث المستهدف ؟ ماهي الفترة من حياة الأفراد المطلوب ملاحظتها ؟

أنظر الفصل 9، «مجتمع البحث».

ماهي خصائص مجتمع البحث المستهدف ؟

إذا كانت لدينا فقط فكرة عامة عن خصائص الأفراد الذين سنجري عليهم الدراسة، الشباب، المناضلين أو الرياضيين مثلاً، يتطلب منا باقي العمل أن نضبط بدقة كبيرة هذه الخصائص لمعرفة مدى إمكانية الوصول إلى الأشخاص أو الوثائق في أقرب وقت ممكن. إذا كان الوصول إلى مجتمع البحث المستهدف مستحيلا أو متعذرا، فلا ينبغي الانتظار طويلا، وعليه لابد من الإسراع في إعادة توجيه البحث لتجاوز مسألة انغلاق الوسط وربح بعض الوقت وذلك بإدخال تعديلات على مجتمع البحث. إذا كان لابد من الحصول على رخص، فمن الأحسن الحصول عليها من الوهلة الأولى لتجنب تقلبات الوضع.

أنظر الفصل 9.

ذلك لأن ما يهم في هذا المستوى هو ليس معرفة إن كنا نحاول بلوغ كل مجتمع البحث المستهدف أو جزء منه فقط، حتى ولو كانت لدينا فكرة هامة عن ذلك. كل هذا السؤال سنتناوله لاحقا. أما ماهو مطلوب الآن فهو فقط تحديد الخصائص الرئيسية لمجتمع البحث المستهدف حتى يتم تشخيصه بوضوح والتحقق من مدى إمكانية بلوغه في الوقت المناسب.

ماهي الفترة من حياة الأفراد المطلوب ملاحظتها ؟

إذا ما فكرنا في الاتصال بالأشخاص، فقد يبدو بديهيا أننا نهتم بحياتهم الحالية. لكن عادة ما ننسى أننا نخاطب ذاكرتهم في حالة ما إذا

كنا نبحث عن جمع معلومات حول أحداث مضت. لهذا ينبغي أن نحد
بدقة فترة حياتهم التي نريد دراستها. أما إذا كانت الدراسة تجرى على
وثائق، فلابد من تحديد تاريخها وضبط الفترة التي نريد فحصها يتعلق
الأمر إذن بتعيين الفترات التاريخية التي نريد دراستها والخاص
بمجموعة الوثائق المنتقاة.

وسائل الإنجاز

إن العنصر الآخر المطلوب تحديده هو عنصر التخطيط الخاص بالوسائل التي نملكها للقيام بالبحث. إن تحديد هذه الوسائل بدقة يعني تجنب المشاريع التي لا تؤدي إلى نتيجة، مما يسمح بتصور أكثر عملي لما يمكن القيام به. في هذا المجال هناك سؤالين لتحديد الإمكانيات: ماهي الموارد المادية المتوفرة لدينا؟ وماهو الوقت المتوفر لدينا؟

ماهي الموارد المادية المتوفرة لدينا؟

يدور هذا السؤال حول معرفة الميزانية المتوفرة، خاصة إذا تولت هيئة ما تمويل المشروع أو كنا مدعمين ماليا. يضاف إلى ذلك قائمة المستخدمين التي تضم، زيادة على أعضاء الفرقة، المساعدين الخارجيين الذين قد تتطلبهم هذه المرحلة أو تلك من مراحل البحث. فضلا عن ذلك، يمكننا إحصاء التجهيزات المتنوعة التي يمكن استعمالها وتلك الوسائل المادية الأخرى الضرورية للبحث. ثم ننتقل بعد ذلك إلى السؤال الأخير والمتعلق بتخطيط الوقت.

ماهو الوقت المتوفر لدينا؟

إن التفكير في مدد الوقت التي ستخصص للبحث مهم جدا. علينا هنا أن نتأمل في عدد الأسابيع المتوفرة، عدد ساعات العمل بالنسبة إلى كل شخص، إذا كان العمل جماعيا. لابد من الانتباه عموماً إلى أهمية الوقت حتى لا يداهمنا حجم المهمة الملقاة علينا. في هذا الإطار، لابد من وضع رزنامة مناسبة لظروف البحث والالتزام ما أمكن بمتابعة تطبيق المواعيد المسجلة فيها حرفياً، مما يساعدنا، على الأقل، في عدم نسيان المواعيد الخاصة بكل مرحلة. من الأفضل أن يكون تسجيلها بارزاً، مع العمل على استغلال الاحتياطي من الوقت بدلالة مراحل البحث.

يعمل الإطار المرجعي إذن على إبراز عناصر تخطيط البحث. هذه العناصر عادة ما يتم تحديدها أثناء طرح موضوع البحث. يبقى أن الإطار المرجعي هو الذي يسمح بتنظيمها، مما يساعدنا على ضبط حدودها ورسمها مقارنة بما كنا نسعى للقيام به مثاليا، وبالتالي فإن الإطار المرجعي هو الذي سيمنحنا نظرة شاملة لما هو ممكن انطلاقا من الوسائل التي نملكها.

أنظر الفصل 5، «قابلية الإنجاز».

خـاتـمـة

إن العملياتية إجراء يمكن أن يتم بشكل فردي، لكن وأمام تعدد العوامل التي يجب أخذها كلها بعين الاعتبار، فمن الأفضل والمفيد أن تعرض النتائج على أشخاص آخرين. قد يشير علينا هؤلاء، من جهة، إلى ما بقي غامضا ولم ننتبه إليه، ومن جهة أخرى، قد يساعدوننا باقتراحهم علينا لاتجاهات جديدة. نظرا إلى غنى الواقع وكثافته، فمن البديهي ألا يكون في مقدور شخص ما بمفرده إدراك جميع جزئيات الكل، لهذا تكون حاجته إلى تجربة الآخرين ضرورية لتوسيع آفاقه. مهما كان هؤلاء الأشخاص الآخرين، باحثين أو مؤلفين، فإنهم في الأساس أناس من محيطنا المباشر يمكنهم مساعدتنا بما يبدونه من آراء حول تحليلنا المفهومي وإطارنا المرجعي.

بالإضافة إلى ما سبق، فإن العملياتية تعطي صرامة أكثر للطريقة المتبعة وتشعرنا أكثر فأكثر بامتلاكنا لموضوعنا وسيطرتنا عليه بعد أن قمنا بتشريحه وقياس كل مصطلح فيه ومنحه معنى دقيقا واتجاها في شكل فرضية أو هدف نريد بلوغه. بالتالي ندرك، وبكيفية ملموسة، أن بحثنا لا يجرى في متاهة غامضة، بل إننا نتوفر الآن على إطار واقعي للملاحظة التي سنجريها لاحقاً. في إمكاننا أيضا الرجوع إلى هذا الإطار باستمرار لأنه سيرشدنا إلى اختيار وسائل التقصي والتحليل اللاحق للمعطيات.

مـلـخـص

مصطلحات أساسية
- عملياتية
- فرضية
- هدف البحث

تتضمن العملياتية في البحث ترجمة الحدود المجردة التي استعملت في صياغة الموضوع إلى حدود ملموسة ستسمح بإجراء الملاحظة في الواقع. تتمثل الخطوة الأولى للعملياتية في الإعلان عن تصريح في شكل فرضية أو هدف للبحث. تصاغ الفرضية بهدف التحقق الأمبريقي لمعرفة

سلامة التنبؤ في الواقع، وينبغي أن تكون الحدود التي تكونها غير مبهمة دقيقة ودالة بالنسبة إلى بعض الوقائع الملاحظة وحيادية، أي خالية من الأحكام القيمية. إن الفرضية يمكن أن تأخذ شكل فرضية أحادية المتغير ثنائية المتغيرات ومتعددة المتغيرات.

- تحقق أمبريقي
- مفهوم
- تحليل مفهومي
- بُعْد
- مؤشر
- دليل
- سلالم
- متغير
- متغير مستقل
- متغير تابع
- صحة داخلية
- صحة خارجية
- اطار مرجعي

إن الحدود الأساسية للفرضية أو لهدف البحث هي مفاهيم ينبغي تحديدها لمعرفة مداها. إنها تصورات ذهنية تشتمل على مجموعة من الظواهر. إن تفكيك المفهوم يسمح بحصر أكثر دقة لهذه الظواهر، مما يؤدي إلى استنتاج جوانب الواقع التي تسمى بالأبعاد. انطلاقا من الأبعاد المستخلصة من كل مفهوم يكون في مقدورنا تحديد سلسلة من عناصر الملاحظة، إنها المؤشرات المطابقة لكل بعد. هذه الأخيرة تجعل من الممكن التحقق الأمبريقي من الفرضية أو من الهدف.

ويمكن بعد ذلك أن نجمع عدداً من المؤشرات في قياس وحيد، إنه الدليل الذي ماهو في الواقع إلاّ تلخيصا لبعد أو لمفهوم وذلك بحسب ضخامة التجميع. إلاّ أن الدليل قد يصبح سلما عندما يستعمل في تقييم مجموع الإجابات عن الأسئلة من أجل تحديد كل مخبر.

إن المتغير مرتبط بالمفهوم ؛ ويمكن، انطلاقا من طبيعته، أن يأخذ قيما مختلفة قابلة للقياس. هذا القياس يمكنه أن يقيم تمييزات فقط (الرجال / النساء) أو يسمح بإجراء حسابات (السن، الدخل، إلخ.). بما أن الفرضية تتضمن عادة علاقة بين مفهومين فإن ترجمتها الميدانية تؤدي إلى تخصيص نوعين من المتغيرات. المتغير المستقل، وهو المتغير الذي تقدمه الفرضية كسبب، والمتغير التابع، وهو ذلك المتغير الذي يخضع لتأثير المتغير الأول. إن هذه المتغيرات المستقلة والتابعة هي الزوج الكلاسيكي للمنهج التجريبي.

المطلوب بعد الانتهاء من التحليل المفهومي هو إعادة النظر في مختلف الحدود المستعملة وتداخلاتها للتأكد من الصحة الداخلية لبنائها. لابد من التأكد كذلك من وجود استمرارية عندما ننتقل من المفهوم إلى المؤشرات، وأن مجال المعاني لم يحدث عليه أي تغيير وأننا سنلاحظ بالفعل ماكنا قد تصورناه. ذلك ما تتوقف عليه حقا الصحة الخارجية للبحث.

بقي في الأخير وضع الإطار المرجعي من أجل انطلاقة سليمة. يتضمن هذا الإطار إشارات إلى مجموعة أفراد البحث المستهدفين وإلى فترة تواجد هؤلاء الأفراد، والتي هي محل اهتمامنا، بالإضافة إلى استعراض حالة الموارد المادية وكذا الوقت اللذين يكونان في متناولنا. إن هذه العناصر الأساسية لا غنى عنها في تخطيط البحث.

أسئلة

1. إقرا أولاً الجمل الأربع الآتية :

- من الأحسن الزواج بشخص من نفس الوسط.
- يوحد الزواج بين زوجين من نفس الأصل الاجتماعي.
- غالبا ما نتزوج بشخص يشبهنا.
- نستعلم حول الخصائص الاجتماعية للأشخاص المتزوجين.

أ) ماهي الجملة التي تأخذ صيغة هدف البحث؟ علل إجابتك.

ب) ماهي الجملة المصاغة في شكل فرضية ؟ علل إجابتك.

جـ) عين المفاهيم الموجودة في الجملة التي هي في شكل فرضية.

د) بيّنْ كيف تحمل هذه المفاهيم خصائص الفرضية، وقدم تفسيرا لكل حالة.

هـ) ماهو الشكل التي تحمله الفرضية ؟ علل إجابتك.

و) اختر جملة ليست فرضية وحدد بدقة ما ينقصها لتصبح فرضية وهذا من خلال الرجوع إلى مفردات الجملة.

2. صغنا الفرضية الآتية : «ينحدر الشباب المنحرفون من الأحياء المحرومة». إننا نعني بعبارة الشباب المنحرفون أولئك الشباب المنتمين إلى فئة عمر معينة، أي الذين يكون سنهم أقل من 18 سنة، كما تعني أيضا أن لهم سلوكات ذميمة مجسدة في أفعال خارجة عن القانون ؛ وتعني أيضا أنهم يعاشرون المخالفين للقانون وأنهم قد اعتقلوا مرة أو أكثر على الأقل. ونعني بالأحياء المحرومة تلك الأحياء التي تعاني على المستوى الاقتصادي البطالة ونقص في المساكن المأجورة، وعلى المستوى الاجتماعي نقص في الإعانات الحكومية وضعف في التنظيم الجماعي والتسلية. وعلى المستوى السياسي عدم التزام الأحزاب بالاهتمام بها، وعدم وجود ناطق بإسم الحي وقلة الاستثمارات العمومية.

كوِّنْ رسما بيانيا لهذا التحليل المفهومي، على غرار الرسم البياني الموضح في الشكل 2.6 :

أ) بتسمية المفاهيم ؛

ب) بمنح كل مفهوم بُعْدَهُ أو أبعاده ؛

جـ) بضبط مؤشرات أو مؤشر كل بعد.

1.3) ماهو نوع العناصر التي يجب تجميعها لإقامة دليل ؟

ب) ماهو الشرط الذي يسمح بجمع هذه العناصر ؟

جـ) ماهي الفائدة المرجوة من إقامة دليل عندما يكون ذلك ممكنا ؟

4.أ) في الفرضية الآتية : «يسبب ارتفاع نسبة الكحول في الدم ارتفاعا في عدد الأخطاء المرتكبة عند تنفيذ مهمة ما». ماهو المتغير المستقل ؟

ب) ماهو المتغير التابع ؟

جـ) ارسم المخطط البياني لهذه الفرضية.

5.اقترح أحد الاختصاصيين في المنهجية (Gauthier 1992 : 150) من أجل وضوح بيداغوجي أكثر تعويض تسمية المتغير المستقل بالعامل المثير، والمتغير التابع بالتغيير في حال موضوع الملاحظة. هل تؤدي هذه المفردات إلى وضوح أكثر ؟ إشرح.

6.يمكننا تلخيص الإطار المرجعي للبحث في أربعة أسئلة. ماذا يعني، باختصار، كل سؤال ؟

تقرير المرحلة الأولى

تحديد مشكـــلــة البـحث

المحتوى

1 . طرح المشكلة :

- موضوع مختار، نية، سبب أو أسباب الاختيار، هدف.
- حوصلة السؤال وسؤال البحث.

2 . الفرضية أو هدف البحث : عرض المفاهيم وتعريفها .

3 . مخطط التحليل المفهومي :

- مفاهيم، ابعاد، مؤشرات ؛
- توضيح بعض المصطلحات إذا اقتضى الأمر ؛
- تقديم أدلة عند الحاجة.

4 . الإطار المرجعي :

- مجتمع البحث المستهدف ؛
- وسائل الإنجاز.

5 . المراجع

- بيبليوغرافيا ؛
- أشخاص نتصل بهم إذا اقتضى الأمر ؛
- في حالة البحث الذي يجرى على وثائق، ينبغي تحديد هذه الأخيرة مع القيام بنقد داخلي وخارجي يبرر الاختيار.

ملاحظة

يكتب التقرير في شكل جمل، ماعدى النقطة 3 التي يمكن أن تسجل في ورقة خاصة مع النقطة 2 كما يشير إليه الرسم 2.6. ويمكن أن تستعمل هذه الصفحة فيما بعد كوثيقة استشارة لمعظم القرارات الهامة التي ستأخذ في المراحل الأخرى من البحث.

القسم الرابع

المرحلة الثانية من البحث :

البناء التقني

على غرار ما يفعل الحرفي أو الحرفية في تصوره الأولي للشيء الذي يريد صناعته، واختياره ثانيا الأدوات التي تسمح له بمعالجة مادته بطريقة أفضل، فإن الباحث أو الباحثة هو الآخر يقوم أولا بتحديد مشكلة بحثه ثم يختار بعد ذلك التقنية التي تسمح بجمع أهم المعطيات بالنسبة إلى هذه المشكلة. تتضمن المرحلة الثانية من البحث أولا اختيار تقنية معينة من ضمن مجموعة من التقنيات، والتي تكون أكثر ملاءمة مع جمع المعلومات فيما بعد. ثانيا، وعكس الحرفي الذي يستطيع، في أغلب الأحيان، ان يجد أدواته جاهزة حتى يتمكن من معالجة مادته، فإن الباحث أو الباحثة عادة ما يقوم بإعداد أداته لجمع المعطيات في إطار تقنية ما، ذلك لأن هذه الأداة تتنوع بتنوع طبيعة المشكلة موضوع الدراسة.

يتضمن الجزء الرابع من هذا الكتاب تقنيات البحث وكذا أسلوب إعداد أداة جمع المعطيات، أما تقنيات البحث الرئيسية المستعملة في العلوم الإنسانية فهي متناولة في الفصل 7، ولكل واحدة من هذه التقنيات مميزاتها الخاصة ولكن لها أيضا مزاياها وعيوبها. إن استعراض هذه التقنيات يسمح باختيار تلك التي تبدو أكثر تلاؤما مع تعريف مشكلة البحث ؛ وسيتم توضيح طريقة بناء أداة الجمع المطابقة لكل تقنية في الفصل 8. أما الأفعال التي يجب القيام بها من أجل إنجاز هذه المرحلة فهي ملخصة في الملحق 1 تحت عنوان «المراحل باختصار».

الفصل 7

تقنيات البحث

توفر العلوم الإنسانية العديد من الوسائل الملموسة لتقصي الواقع. يبقى أن اختيار إحداها يتوقف على أخذ بعين الاعتبار مزايا هذه الوسائل وعيوبها، مع مراعاة تعريف المشكلة.

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن :

- يصف كل واحدة من تقنيات البحث الست الأساسية في العلوم الإنسانية ؛
- يحدد بدقة طرق العمل المتنوعة ضمن كل واحدة من التقنيات الست ؛
- يذكر مزايا كل تقنية وعيوبها على حدة ؛
- يحدد التقنية التي ستكون أكثر تلاؤما مع مشكلة بحثه.

تمهيد

لقد وضعت العلوم الإنسانية، على غرار علوم الطبيعة، وسائل من أجل تفحص الواقع. فعلا، بمجرد تحديد مشكلة البحث بصفة نهائية يجب الانتقال إلى تنظيم عملية جمع المعطيات الضرورية للتحقق. تشبه هذه العملية الفرق الموجود بين مشروع السفر، من جهة، والذهاب الفعلي، من جهة أخرى، والذي يتطلب القيام ببعض الإجراءات ومنها على سبيل المثال تلك المتعلقة باختيار وسيلة النقل، أو الحجز لدى وكالة نقل معينة. فما عدى عمليات التكييف المتنوعة والممكنة، فإنه يمكن تقليص وسائل التقصي أو **تقنيات البحث** الخاصة بالعلوم الإنسانية إلى ستة أنواع أساسية وهي : الملاحظة في عين المكان، مقابلة البحث، الاستمارة أو سبر الآراء، التجريب، تحليل المحتوى وتحليل الإحصائيات. إن التقنيات الأربع الأولى المشار إليها، هي تقنيات مباشرة وانها تنتج **معطيات أولية**، أي معلومات لم تكن موجودة من قبل. أما التقنيتين الأخيرتين فهما تقنيتان غير مباشرتين وبالتالي فهما ينتجان **معطيات ثانوية** او معلومات مأخوذة من معطيات موجودة من قبل. يتوقف قرار تبني هذه التقنية دون الأخرى على التقييم الموضوعي لإمكانيات التقنية نفسها وحدودها وذلك انطلاقا من تحديدنا لمشكلة البحث، وعليه فإن معرفة مميزات وكذلك مزايا مختلف تقنيات البحث وعيوبها يعتبر أمرا أساسيا.

تقنية بحث
مجموعة اجراءات وأدوات التقصي المستعملة منهجيا.

أنظر الفصل 4، «تقنيات البحث ومقاييس تصنيفها».

معطيات أولية
معلومات جديدة ناتجة عن البحث.

معطيات ثانوية
معلومات انتجت آنفا ويجري استعمالها من أجل غايات البحث.

الملاحظة في عين المكان *

إن **الملاحظة في عين المكان** تقنية مباشرة للتقصي تستعمل عادة في مشاهدة مجموعة ما (قرية، جمعية، إلخ.) بصفة مباشرة وذلك بهدف أخذ معلومات كيفية من أجل فهم المواقف والسلوكات. تكون **الملاحظة منتظمة** عندما يتعلق الأمر «بوصف صادق للسلوكات والتنبؤ بها» (Sabourin 1988 : 51)، يمكن لعملية جمع المعطيات من خلال الملاحظة أن يسيطر عليها الطابع الكمي. يمكن كذلك للملاحظة في عين المكان أن تأخذ أشكالا عديدة : بالمشاركة أو من دون مشاركة، مستترة أو مكشوفة.

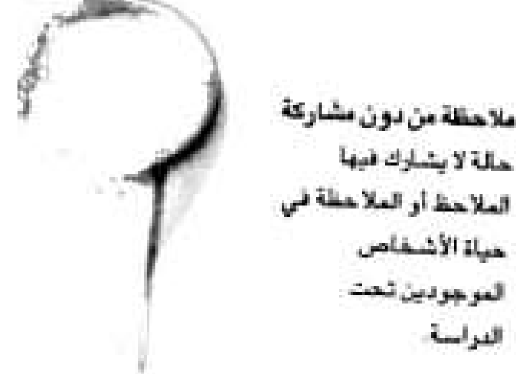
ملاحظة في عين المكان
تقنية مباشرة للتقصي العلمي، تسمح بملاحظة مجموعة ما بطريقة غير موجهة من أجل القيام عادة بسحب كيفي بهدف فهم المواقف والسلوكات.

ملاحظة منتظمة
تسجيل متكرر للسلوكات الظاهرية بهدف الوصول إلى التنبؤ بها.

الملاحظة بالمشاركة والملاحظة من دون مشاركة

ملاحظة بالمشاركة
حالة يشارك فيها الملاحظ أو الملاحظة في حياة الأشخاص الموجودين تحت الملاحظة

إن **الملاحظة بالمشاركة** هي مصدر ظهور الأشكال الأخرى للملاحظة في عين المكان. إنها تتطلب الاندماج في مجال حياة الأشخاص محل الدراسة مع مراعاة عدم تغيير أي شيء في الوضع. يعتبر الأنثروبولوجيون هم أول من مارس الملاحظة بالمشاركة من خلال عيشهم في وسط المجموعات البشرية بغية دراستها عن قرب ؛ أما علماء الاجتماع فإنهم يستعملون هذه الوسيلة للتقصي أثناء دراستهم للمسارات الفردية ضمن أوضاع معينة. منذ ذلك الحين شرع الاختصاصيون الآخرون في فروع مختلفة من العلوم الإنسانية في استعمال هذه التقنية للاقتراب من الواقع، لهذا مازالت هذه التقنية مفضلة أكثر من طرف الأنثروبولوجيين.



ملاحظة من دون مشاركة
حالة لا يشارك فيها الملاحظ أو الملاحظة في حياة الأشخاص الموجودين تحت الدراسة

إذا لم يكن من الضروري العيش في وسط الأشخاص محل الدراسة أو على الأقل البقاء معهم لمدة كافية كي نشاركهم حياتهم اليومية من أجل ملاحظتهم، فبإمكاننا أن نكتفي **بملاحظتهم من دون مشاركة** (Loubet del Bayle 1986). لهذا إذا كنا نريد أن ندرس فريقا رياضيا، فمن الممكن أن نكتفي بملاحظته من الخارج، أي أثناء المنافسات، مثلا. من ضمن الأشياء الكثيرة التي بإمكاننا تسجيلها، هناك الطرق التي يدخل من خلالها الأعضاء في علاقة ببعضهم البعض (لقد دخل هذا في علاقة بذلك ثلاث مرات)، مميزات هذه العلاقة (تعاون، تنافس، زمالة، عداوة)، الأحداث التي تقع (أوضاع استثنائية أو عادية)، أو حتى بعض العلاقات بين أفعال تمت مشاهدتها (الروابط بين الوظائف ضمن الفريق والعلاقات بين الأشخاص). في هذه الحالة يكمن الأمر دائما في التمسك فقط بما تمت مشاهدته وجرى تسجيله من الخارج، وألا نحاول الكشف بغير هذه الطريقة عن واقع المجموعة وكأننا أعضاء فيها أو أننا نعيش باستمرار في وسطها.

إن للملاحظة بالمشاركة طموحات أكثر من الملاحظة من دون مشاركة لأنها لا تهدف فقط إلى تقديم عناصر عن الوضع، بل إنها تطمح كذلك إلى استخراج المعنى الذي يمنحه لها الفاعلين الاجتماعيين. لهذا، زيادة على أن الملاحظة بالمشاركة تسمح برسم الصورة الشاملة للفريق الرياضي، فإنها تمنح كذلك إمكانية التعرف عن كيفية إدراك أعضاء الفريق لهذا الوضع، كيف يعيشون الأحداث، ما هو المعنى الذي تأخذه حياتهم من خلال

انتمائهم إلى هذه المجموعة، وبعض الاعتبارات الأخرى ذات الطابع الفهمي. من أجل هذا فإن الملاحظة بالمشاركة لا تكتفي فقط بالحقل المرئي، بل إنها تستنجد كذلك بوسائل أخرى مكملة للملاحظة، مثل مقابلة بعض المبحوثين وتحليل المادة المكتوبة المتوفرة. يكمن الهدف إذن في الوصول إلى الفهم المعمق للوضع ومعانيه حتى يكون في استطاعة التحليل الموالي إدراك التجربة المعيشة للأعضاء بهدف فهم الوسط الذي يعيشون فيه بكل شمولياته.

مدة استغراق الملاحظة

يمكن للملاحظة في عين المكان أن تتغير. قد يفرض علينا موضوع البحث، على سبيل المثال، أن نندمج ضمن المجموعة محل الدراسة إلى درجة تجعل أعضاؤها عاجزين عن اكتشاف هويتنا، وهذا ما يتطلب مدة زمنية طويلة ؛ في حين قد يتطلب موضوع بحث آخر إجراء الملاحظة في مدة قصيرة، / مثلما هو عليه الأمر أثناء ملاحظة حادثة تقع هي نفسها في مدة زمنية قصيرة. قد نهتم، مثلا، بملاحظة ما يقع خلال عرض خاص (فرقة موسيقية ما)، اجتماع غير عادي (عيد ميلاد الخمسين للزواج)، حادث فريد من نوعه (زيارة شخصية معتبرة) أو وضع نادر جدا (إسعاف أو مساعدة منكوبين). من جهة أخرى، قد يتعلق الأمر بالتعرف على نتائج حادثة معينة، في هذه الحالة يستدعي الأمر القيام بالملاحظة قبل وقوع الحادثة وبعدها. لكن، حتى في هذه الحالة، تبقى مدة الملاحظة محدودة نسبيا. كما يمكن للملاحظة أن تتأثر بالطابع المقلص لموضوع البحث الذي قد لا يهتم إلا بجانب واحد فقط من جوانب التفاعل بين المبحوثين. من أجل معرفة، مثلا، ديناميكية أخذ القرارات ضمن عائلة عندما يتعلق الموضوع باختيار مكان معين لقضاء العطلة الصيفية، في هذه الحالة بالذات يمكن أن نهتم فقط بالأوقات التي تثار أثناءها هذه القضية بين أعضاء العائلة. بصفة عامة، فإن المدة الزمنية هي أيضا عنصرا من العناصر التي تميز الملاحظة من دون مشاركة عن تلك التي تتطلب المشاركة.

ميدان الدراسة

تكون المجموعة البشرية التي ندخل في وسطها من أجل دراستها **ميدانا للدراسات**. من الممكن أن يتواجد موقع الملاحظة في أماكن مختلفة، غير أن معظم الدراسات الميدانية تجرى في الأماكن التي يتم

ميدان الدراسة
مكان إجراء الملاحظة.

التردد عليها أكثر، أي تلك الأماكن التي يعيش أو يعمل أو يتسلى فيها الأشخاص. من المعلوم أن هذه الأماكن في المجتمعات المصنعة تكون مميزة ومنفصلة أو متباعدة جغرافيا عن بعضها البعض، أما في المجتمعات التقليدية التي زارها الانثروبولوجيون فإن كل شيء يتم تقريبا في نفس المكان. إن هذا التمركز لمجموع النشاطات في نفس المكان لازال موجودا إلى يومنا هذا في أوساط بعض الطوائف الدينية أو ضمن المجموعات الزراعية. من جهة أخرى، فإن الملاحظات تجرى أكثر فأكثر في أماكن عمل الأشخاص، أي المعمل، المكتب والمتجر.

الملاحظة المستترة و الملاحظة المكشوفة

لا نستطيع أن نلاحظ من دون الاقتراب من مجموعة الدراسة، لكن كيف يمكن القيام بذلك دون أن نزعج من نلاحظ ما دمنا نبحث عن فهم الوضع في إطاره الطبيعي، أي العمل وكأننا غائبون ؟ في هذه الحالة يمكن اللجوء إلى **الملاحظة المستترة**.

ملاحظة مستترة
حالة لا يدري فيها الأشخاص الملاحظين أنهم محل ملاحظة

هناك طريقتين لإجراء هذه الملاحظة : إما أن نقوم بمشاهدة الأشخاص دون تمكينهم من مشاهدتنا، وإما أن نندمج في وسطهم لكن دون أن يدركوا ملاحظتنا لهم. وفي حالة تطبيق الملاحظة المستترة، فإن مكان الملاحظة غالبا ما يمثل في حد ذاته صعوبات كبيرة، ومن بينها، على الأقل، تلك المتمثلة في عدم إمكانية التنقل لمتابعة الوضع. في هذا السياق يمكننا أخذ مثال يدور حول دراسة سلوك العاملين بجناح الملابس الداخلية النسوية في محل تجاري كبير. يمكن للملاحظ، الذي يكون في هذه الحالة امرأة، أن يتمركز في المكان الذي يسمح له بمشاهدة كل الرفوف دون أن يثير انتباه العاملات. فإذا كان في إمكانه مشاهدة أشياء كثيرة فإنه قد يضيع مشاهدة أشياء أخرى أيضا. هكذا فإن الزبونة التي تقف في وجه البائعة قد تمنع الملاحظة من مشاهدة كل تفاصيل الميدان، كما قد تخرج العاملة عن حقل رؤية الملاحظة عندما تنحني لوضع الألبسة فوق رف ما، كما يمكن أيضا للأعمدة أن تمنع المشاهدة، إلخ. في نفس السياق فإنها قد لا تستطيع رؤية العاملات اللواتي يذهبن إلى المخزن أو يخرجن من مساحة الملابس الداخلية. إن هذا الوضع يتضمن صعوبات فيزيقية قد تزول في حالة استعمال كاميرا. غير أنه، زيادة على التكاليف التي تستلزمها، من الصعب جدا اخفاء كاميرا، كما أن هذه الأخيرة لا

تستطيع تصوير كل شيء، زيادة على ذلك فإن الملاحظة لا تستطيع أن تسمع ماذا يقال. هكذا قد يفلت منها جزءا مهما من المعاني. من جهة أخرى، قد يُطرح مشكلا أخلاقيا بالنسبة إلى الملاحظة، إذ يمكن لنتائج الدراسة أن تغير فيما بعد من ظروف عمل العاملات دون أن ينتابهن أي شك طالما أن الباحثة الملاحظة ظلت مجهولة من طرفهن.

دون أن تختفي، تستطيع الملاحِظة أيضا القيام بعملها كملاحِظة دون أن يتعرف عليها الأشخاص الملاحظين. في هذا الإطار بإمكان المديرية منحها منصب بائعة على غرار تلك التي تشاهد. يعتبر هذا نوع آخر من التستر. تتميز هذه الحالة بتقليص الصعوبات الفيزيقية وتلك المتعلقة بالسمع طالما استطاعت الملاحظة التحرك وبالتالي متابعة ما يجري. هكذا ستحصل على معلومات أكثر تفصيل وأكثر دقة وأقرب من الواقع المعيش للأشخاص محل الدراسة. غير أن هذه الطريقة تعيد طرح مسألة الأخلاق المهنية، لأنه من الممكن أن تنشأ عن الملاحظة الدقيقة والمستمرة علاقة صداقة بين الباحثة والأشخاص الملاحظين قد تؤدي ربما بهؤلاء إلى البوح ببعض الأسرار التي لا تقال إلا في إطار العلاقات التي تربط زملاء العمل. كما قد ينتج عن هذا النوع من استغلال الثقة والمناقض لدور الملاحِظة سلبيات عديدة مضرة بالبحث.

إن الملاحظة المستترة ليست الأكثر شيوعا أثناء تطبيق تقنية الملاحظة، لأنها تطرح أنواعا مختلفة من الصعوبات. غير أن هذا لا يعني تركها إطلاقا، يمكن تبريرها في بعض الحالات، ولا مفر منها في حالات أخرى، وهذا ما يقع، مثلا، في حالة جلسات عامة حيث يكون في إمكان أي شخص الحضور دون أن يحمل معه رخصة خاصة أو في الأوساط المغلقة التي لا تسمح بحضور باحث أو باحثة كما هو الحال لدى الطوائف الدينية أو في السجون. يبقى أن أهداف البحث والمدة الزمنية الممنوحة له هي من العوامل التي يمكن أن تبرر استعمال التستر. من جهة أخرى، وحسب أهداف البحث مرة أخرى، فيمكن تجاوز مشكل الأخلاق المهنية الذي تطرحه عملية التستر من خلال عدم الإعلان، فيما بعد، عن مكان جمع المعلومات وبالتالي ضمان عدم التعرف على هوية الأشخاص محل الملاحظة. كما يمكن أيضا إعلام الأشخاص المبحوثين أنهم كانوا محل ملاحظة والطلب منهم بعد ذلك السماح بتحليل المعطيات التي جمعت عنهم مع ضمان الكتمان.

أنظر في هذا الفصل «التجريب»

غالبا ما تستعمل الملاحظة أثناء التجارب في المخبر، وحتى لا نؤثر في المبحوثين أو نترك لهم فرصة رؤيتنا نتستر وراء مرآة ملونة، وفي هذا المجال نكون خارج الإطار الطبيعي. إن مثل هذه الطريقة تفرضها تقنية التجريب نفسها.

ملاحظة مكشوفة
حالة يعرف فيها الأشخاص الملاحظين أنهم محل ملاحظة

تكون **الملاحظة مكشوفة** أو مفتوحة بصفة عامة عندما لا نخفي نيتنا عن الناس. لا تتم الملاحظة بالمشاركة الكلاسيكية إلا بهذا الشكل. يتعلق الأمر بقبولنا من طرف الأشخاص المبحوثين بضماننا لهم سرية المسعى، مع تذكيرهم أننا لا نهتم إلا بالمجموعة ولا يهمنا الكشف عن هويتها فيما بعد. إنه غير مطلوب بالضرورة من الباحثة التي تقوم بملاحظتها في جناح الألبسة الداخلية، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، أن تتحول إلى بائعة من أجل القيام بالملاحظة المكشوفة، ولا يبقى عليها سوى أن تبرر بذكاء سبب تواجدها هناك حتى تتمكن فيما بعد من التنقل بكل حرية. زيادة على ذلك فإن الحذر من امرأة «أجنبية» قد يتقلص إذا ما تم التعرف على دورها وتم قبوله وكان سلوك العاملين موضوع الملاحظة عاديا.

من الممكن معايرة تدخل الباحث بين التخفي الكلي والتفتح الشامل عندما نأخذ بعين الاعتبار الحصول على معطيات ذات دلالة شاملة، صادقة ومقبولة أخلاقيا من طرف الباحث أو الباحثة (Laperrière 1987) في هذا المجال يمكن جدا للملاحظة في جناح الألبسة الداخلية النسوية أن تشير إلى اهتمامها بحياة العاملات في العمل دون أن تصرح أن العلاقات بين الأفراد تمثل انشغالها الأساسي. يهدف هذا التفتح الجزئي إلى عدم إثارة تغيير في السلوك من طرف الأشخاص محل الملاحظة عندما يكون الأمر متعلقا بالقضايا العرقية. بالتالي، فإن دراسة الحالة الحقيقية تتطلب في هذا المستوى بالذات عدم التصريح بالأهداف العامة.

هناك حالة أخرى وهي التي يكون فيها الباحث طرفا في الوسط الذي يريد ملاحظته، إنها حالة تلك البائعة التي هي طالبة في مجال البحث الاجتماعي، وتقوم في نفس الوقت بإجراء بحث في ميدان عملها مستعملة تقنية الملاحظة. فهي في الأساس عاملة، ويمكن أن تمارس ملاحظتها بصفة مكشوفة (مفتوحة) أو مستترة. أخيرا، يمكننا إضافة إمكانية القيام بالملاحظة الاستعادية (rétrospective) عندما نقرر

وصف حياة مجموعة كنا نحن أنفسنا أعضاء فيها. هكذا نتحول إلى ملاحظين بعد انتهاء الحادث.

المزايا والعيوب

تعتبر الملاحظة بالمشاركة النمط الأكثر اكتمالا للملاحظة في عين المكان، لكونها تمنحنا معرفة نابعة من داخل مجموعة الدراسة. إنها تسمح بمشاهدة الأشخاص في إطار حياتهم اليومية وليس فقط بما يتبادلونه من حديث حول ما وقع. تمنحها هذه الواقعية مكانة فريدة ضمن البحث في العلوم الاجتماعية، ليس فقط في دراسة القبائل المختلفة لكن أيضا تلك المتعلقة بالأوساط الاجتماعية المتنوعة، مثل المؤسسات أو الهيئات الشعبية مرورا بعلاقات الجوار أو التجمعات التلقائية (العفوية). غير أن ميدان الدراسة يبقى محدودا ولا نستطيع الاستماع إلى كل شيء أو مشاهدة كل شيء أو يتم قبولنا (كباحثين) في كل مكان. بالإضافة إلى ذلك، إننا غالبا ما نكون لوحدنا أثناء تسجيل مادة مبعثرة وتقييمها.

إدراك الواقع المباشر

تسمح الملاحظة في عين المكان بإدراك الواقع المباشر. عندما نكون متواجدين في الميدان تكون الفرصة متوفرة لمشاهدة كل ما يحدث، وفي مثل هذا الوضع، فإنه ليس من الضروري على المبحوثين أن يرووا لنا طريقة عيشهم طالما أنه في إمكاننا مشاهدة ذلك. هكذا نصل إلى مسعى تأويلي ومثمر يكون قائما على واقعية لا يمكن إنكارها. إذا كان هناك فارقا بين أقوال شخص ما وأفعاله، وهذا معقول جدا لأننا لا ندرك أنفسنا بصفة ملائمة دائما، فإن هذه الهوة ينبغي ألا تخفى عن الملاحظ أو الملاحظة الذكيين. مثلا، إذا ما ادعت بائعة مساحة تجارية أنها متفاهمة كثيرا مع رئيستها، فبإمكان الملاحظة مشاهدة ذلك عندما تراهما مع بعضهما ؛ زيادة على ذلك، إننا لا نضطر إلى الاعتماد على تقارير الأشخاص موضوع الملاحظة عند وقوع حادث طارئ وذو دلالة ما دمنا قد عايشناه. هناك إذا فعل إدراك الواقع المباشر وهو ما لا تسمح به معظم تقنيات البحث الأخرى.

الفهم العميق للعناصر

تتم الملاحظة في عين المكان في مجال محدد، أي في متناول امكانيات الملاحظ أو الملاحظة. فكلما كان الميدان محصورا كلما كان في استطاعتنا القيام بفحص أحسن. إننا نشاهد الأشخاص وهم متفاعلون ونعيد مشاهدتهم؛ نسجل المعلومات ونعيد تسجيلها، ثم نصل إلى تحليل سلوكات هؤلاء الأشخاص ونعيد تحليلها، وهذا ما يمكن أن يؤدي تدريجيا إلى العثور على العناصر الجوهرية التي يكون من الصعب إدراكها لأول وهلة؛ وعليه يمكن استنتاج ظواهر قد تفلت من وعي الأشخاص موضوع الملاحظة أنفسهم. كما قد تؤدي إمكانية التعمق في الوضع أيضا إلى إبراز فرضيات جديدة لم نكن نفكر فيها سابقا، أو تدقيق تلك التي تمت صياغتها. هكذا تستطيع الملاحظة أن تكتشف، على سبيل المثال، أنه يوجد في جناح اللباس الداخلي سلطة موازية لتلك التي تملكها الإدارة وأن هناك لغة خاصة ومتميزة قد نمت بين العاملات الدائمات، تلك اللغة التي تظل غير مفهومة لدى العاملات الموسميات، مع وجود تذمرات وتوترات مختلفة لم يستطع أي أحد التعبير عنها بكلمات. هكذا تستطيع الملاحظة النفاذ إلى جوهر الواقع أكثر طالما ظل هذا الواقع مجهولا من طرف الفاعلين أنفسهم.



بلوغ الصورة الشاملة

تسمح الأمثلة السابقة بإدراك أن الملاحظة في عين المكان تؤدي إلى تجاوز تحليل السلوكات الفردية. إنها تهدف إلى فهم كل الوسط المدروس؛ وتبحث في فهم ما يكوّن مجموعة الأشخاص والوسط الثقافي الخاص أو المجتمع الصغير، سواء تعلق الأمر، مثلا، بقرية، بمؤسسة أو بعائلة. نظرا إلى كون سلوكات كل واحد وكذا التفاعلات بين الأعضاء تكون محل ملاحظة في عين المكان، فإن فهم أبعادها ومعانيها لا تسمح به إلا الملاحظة، ومنه يمكن الالمام بالوضع بكامله. كما يمكن الحديث عن مجموع اجتماعي له قواعده وديناميكيته الخاصة. لأجل هذا وباعتمادنا على المثال السابق المتعلق بالسلطة الموازية في جناح اللباس الداخلي، يمكن للملاحظة أن تكتشف مجموعة من القواعد غير المكتوبة، والتي يجب على العاملاتِ الجديدات الخضوع لها إذا كن يطمحن في الحصول في يوم ما على منصب دائم. نستخلص إذن أن التفاعلات بين العاملات لا تقع صدفة بل إنها، على غرار كل الأوساط البشرية، تمارس ضمن الأدوار

الممنوحة والمحددة، أي أن قواعد معينة ستحترم، وسيتكون لدى العاملات تصورا شاملا للعالم. هذا لا يمنع، في هذا المجال أو ذاك، من تجاوز الحدود المرسومة من طرف الاتفاقيات وبالتالي وقوع تغيرات، غير أننا لا نستطيع فهم المعنى دون أن نتعرف على مظهر المجموعة. تسمح الملاحظة إذن بالحصول على رؤية شاملة للوسط.

اندماج أفضل للباحث أو الباحثة

تمنح الملاحظة بالمشاركة الفرصة للباحث أو الباحثة لكي يعيش داخل المجموعة محل الدراسة. مع مرور الوقت ستزول تدريجيا تلك الصورة التي كان يحملها عنا الأشخاص موضوع الدراسة في بداية الأمر بنظرهم إلينا كغرباء أو كأجانب، إلى أن يصلوا إلى اعتبارنا جزءا منهم. لهذا فإن اندماجنا في المجموعة إلى حد ما، سيسمح لنا بالتنقل بأكثر حرية والاطلاع على ما يحيط بنا والدخول إلى بعض الأماكن المخصصة لأعضاء المجموعة. هكذا سنتمتع بحرية أكثر في الحركة وبحرية أكثر في الاقتراب من عناصر مجال البحث. بعد قبول الملاحِظة في جناح اللباس الداخلي، فإنها تستطيع تتبع وتيرة عمل العاملات، وأن تظل معهن في أوقات الراحة، إلخ، حتى تنزع دورها كباحثة من أذهان المجموعة موضوع الملاحظة وهذا ما يسهل كثيرا عملها. لا يمكن تحقيق اندماج من هذا النوع من طرف باحثة تتقدم باستمارة فقط. يقع إذن تفاهما ضمنيا ووديا بين الملاحظ والأشخاص المبحوثين، ذلك ما لا تستطيع تقنيات البحث الأخرى تحقيقه.

تعاون بسهولة مع المخبرين

لا تتطلب الملاحظة أشياء كثيرة من الأشخاص محل الدراسة ؛ فلا تترجاهم في الإجابة عن جملة من الأسئلة أو إخضاعهم لبعض القواعد الخاصة، بل، كل ما نريده منهم هو أن يستمروا في أداء أعمالهم العادية كما كانوا يقومون بها دائما دون الاهتمام بدور الملاحظ. لا تتطلب الملاحظة بالتالي تغييرا في سلوكات الأشخاص لأن ذلك سيؤدي إلى وجود بعض الصعوبات أمام مساهمتهم. فلا يطلب منهم أن يقوموا بعمل استثنائي لفائدة الباحث أو الباحثة. كل ما يطلب منهم هو أن يقبلوا بحضور شخص أجنبي عن المجموعة، وليس عضوا فيها، وألا يهتموا به

بوجه خاص. فيما يتعلق بمثال البائعات في جناح اللباس الداخلي، فيرجى منهن أن يقمن بعملهن كما تعودن، فلا يغادرن مناصبهن أو يخضعن لاستجواب أو لتجربة تتطلب منهن تعاونا نشيطا. هكذا، فإن الملاحظة في عين المكان تحتاج فقط إلى قليل من مساهمة المبحوثين.

حالة طبيعية

إن الشخص محل الملاحظة غير مطالب بالانسحاب من وسطه الطبيعي وبأن يتوقف عن نشاطه لكي يقابل وجها لوجه الباحث أو الباحثة. ينبغي أن يظل إطار الحالة موضوع الدراسة طبيعيا وغير مصطنع ومحدد من طرف الأماكن والظروف العادية لحياة الأشخاص المفحوصين. إن وضعا كهذا سيعود لا محالة بالفائدة على البعد العفوي والأصيل للملاحظة. إن الشخص المعني بالبحث لا يكون خاضعا للباحث الذي يراقب حالة ما مؤقتة أنشئت خصيصا لأغراض البحث. على العكس من ذلك، إنه مدعو أن يسلك سلوكه العفوي كما تعود أن يفعل. كما أن فترة ملاحظته لمدة أطول قد تسهل هذه العفوية، حيث يندمج الملاحظ تدريجيا في الوسط المدروس. ما دام الإطار باقيا على طبيعته، فإن ردود الأفعال العفوية والإعلام سيكتسيان طابعاً جد متميز. في هذا السياق وعندما تطمئن البائعات في جناح اللباس الداخلي إلى طبيعة الملاحظة فإنهن سيعدن إلى وتيرة العمل العادية ومن الممكن جدا أن ينشطن بشكل عادي. هذا ما يسمح، من جهة أخرى، للباحثة أن تكون حقيقة شاهدة على حياتهن كما تجري بالضبط في مكان عملهن هذا.



معلومة من دون وسيط

انطلاقا من طبيعتها الخاصة، فإن الملاحظة في عين المكان تتطلب اشراك الباحث أو الباحثة نفسه وهذا ما يسمح له بالحصول على المعلومات مباشرة وبلا وسيط، وبالتالي استبعاد الخطر المحتمل وجوده من جراء الفارق بين أهداف البحث وما قد يظنه أو يفهمه المتعاونون. ونظرا إلى كون الباحث هو نفسه الذي يقوم بالملاحظة، فإن تحديد المشكلة وكذا أهداف البحث ستظل باستمرار قائمة في ذهنه. إذا كانت، مثلا، الباحثة في جناح اللباس الداخلي تركز على دراسة العلاقات ما بين الأعراق، فإنها ستقوم بتسجيل الأنظار التي تتبادلها البائعات مع تصنيفها حسب طبيعتها

العدوانية أو التواطئية. في حالة ما إذا قامت بتعيين معاونة لها لإجراء نفس الملاحظة وكانت هذه الأخيرة أقل دراية بهذين المؤشرين، فمن المحتمل جدا أنها ستهمل الكثير من المعلومات ذات العلاقة بالسلوك التواطئي بالرغم من درجة أهميتها في دراسة العلاقة بين العاملات.

ضيق المجال

تتطلب الملاحظة في عين المكان وسطا ذو بعد إنساني، مما يستدعي إبعاد المجالات الواسعة الأخرى وكذلك المجموعات الكبيرة من الأفراد، وتركيز الدراسة على مجموعة صغيرة للتمكن من الإحاطة بكل تفاصيلها. غير أن عيب التحليل الذي يتم على المجموعات الصغيرة يكمن في عدم إمكانية تعميم النتائج على المجموعات الكبيرة. مع ذلك، إذا بلغ التحليل مستوى معتبر من النوعية، فمن المحتمل ألا تكون الميكانيزمات التي يتم إبرازها فريدة من نوعها ولا هي وقفا على الوسط محل الدراسة، ويمكن استخدامها كمنطلق للكشف عن أوساط أخرى. هكذا يمكننا تجاوز حدود الحالة الخاصة إلى حد ما. إلا أن نتائج البحث حول وسط ما ستظل صالحة فقط لهذا الوسط طالما أن البحوث الميدانية الأخرى التي أجريت في أماكن أخرى لم تؤكد بعد على تعميمها.

هكذا، فإن دراسة العلاقة ما بين الأعراق في جناح اللباس الداخلي في متجر كبير ستؤدي إلى ملاحظات صالحة لهذا الجناح وليس بالضرورة للجناح المجاور أو لجناح مشابه له موجود في محل آخر. غير أنه إذا استمرت الدراسة مدة طويلة وكانت الباحثة قد لعبت دورها جيدا وكان للتحليل الموالي حدا أدنى من التعمق وكانت عناصر البحث قد أخذت كلها بعين الاعتبار، سيكون لهذا البحث لا محالة تأثيرات في البحوث الأخرى، نظرا إلى امكانية الاعتماد عليه كمنبع ومصدر لفرضيات ومعارف أساسية حول موضوع الدراسة. مع ذلك لا تستطيع الدراسة في حد ذاتها بلوغ التعميمات ولا تستطيع أيضا أن تطبق كما هي بالنسبة إلى مبحوثين آخرين وأماكن أخرى.

التكيف الجد ناجح للباحث أو الباحثة

من الممكن أن تؤدي الملاحظة بالمشاركة إلى تكيف جد ناجح للملاحظ أو الملاحظة إلى حد التعود على طرق عيش الأفراد محل الدراسة

أنظر الفصل 10، «الملاحظة في عين المكان».

وتفكيرهم وبالتالي إعاقته عن مشاهدة بعض الوقائع الدالة، مما يؤدي به إلى إهمالها واعتبارها مجرد وقائع عادية وليست جديرة بالذكر إلى درجة الاستغناء عن طرح الأسئلة الهامة التي تدفع بالبحث إلى التقدم أكثر. لهذا لابد من التحلي باليقظة في مثل هذه الأوضاع.

الغياب عن بعض الأحداث

إذا كانت الفائدة في ممارسة الملاحظة في عين المكان تكمن في معايشة الأحداث، فيبقى أن هذه الأخيرة لايمكن التنبؤ بها كلها، إذ من الممكن أن يحدث العديد منها في نفس الوقت وبالتالي تصعب مشاهدتها كلها، كما يمكن ألا تقع أثناء حضور الملاحظ أو الملاحظة. في نفس هذا السياق قد يمنع الباحث الملاحظ من ملاحظة ما يجري في المناسبات والاحتفالات والاجتماعات الخاصة كالزفاف والإشارات التي تحدث في السماء والظواهر السنوية... أو أن يكون في وضع لا يسمح له بالوصول إلى ذلك، وهنا يجب الانتظار والترقب حتى تحدث هذه الأشياء من جديد. أخيرا حتى مدة وقوع حادثة مثل جزء من مشوار حياة تضع حدودا أمام إمكانية الملاحظة. في جناح اللباس الداخلي، تطمح الباحثة باستمرار، علما منها أنه عادة ما يكون هناك احتفالا عند مغادرة العمل من طرف إحدى العاملات، إلى وقوع شيء من هذا القبيل خلال فترة تواجدها في الميدان لما لذلك من أهمية لملاحظة التبادلات ما بين الأعراق. غير أنه من الممكن جدا أن تفلت منها مثل هذه المناسبة. زيادة على ذلك، فإنه بإمكان العاملات رفض حضور الملاحظة إلى المناسبة، باعتبار أن مكانتها تختلف عن مكانة الآخرين، باختصار فمن المحتمل جدا أن يفلت جزءا مهما من الحياة الجماعية من ملاحظة الباحثة. لابد من الوعي بذلك إذا وأخذه بعين الاعتبار.

نقص تجانس المعطيات

يترصد الباحث الملاحظ أو الباحثة الملاحظة كل ما من شأنه إثراء معارفه حول الوسط مجال الدراسة متحصلا بذلك على كل أنواع الأفعال التي قد تمتد على سبيل المثال من طريقة اللباس لدى الأفراد إلى غاية طريقتهم في دفن موتاهم مرورا بأسلوبهم في تسيير الميزانية، دون أن يتغاضى عن معرفة اعتقاداتهم وأساليبهم في العمل. هكذا، وبعد الانتهاء من الملاحظة يكون في حوزة الباحث مجموعة معتبرة من المعلومات لا

تكون دائما قابلة للمقارنة وبسهولة نظرا إلى نقص التجانس في المادة المأخوذة من ميدان البحث، مما يضفي صعوبة كبيرة في الاعتماد على معلومة ما وتأكيدها بواسطة معلومة أخرى، ثم دمج كل المعلومات في سياق نظرة شاملة. في هذا الإطار فإن الباحثة التي تقوم بدراسة العلاقات ما بين الأعراق على مستوى جناح اللباس الداخلي تكون قد جمعت معطيات حول عدد من التفاعلات بين كل واحدة من البائعات وحول من يتناول الغذاء مع من ومن يساعد من في الأوقات الصعبة أو أوقات النشاطات المكثفة وحول من يطلب منه الأول القيام بالساعات الإضافية أو حول من يستنجد به الأول لتقديم نصائح، إلخ. كل هذه المعطيات قد تكون معلومات هامة حول موضوع البحث، لكن قد يكون من الصعب جدا ربطها في كل منسجم نظرا إلى تنوع الوضعيات، لهذا فإن حل هذه المشكلة العويصة يتطلب مهارة فائقة في التحليل. أخيرا، تجدر الإشارة إلى أن التنوع في المصادر وإن كان يمثل ثراءا وغنى، فقد يصبح في بعض الأحيان عائقا كبيرا.

ثقل مسؤولية الباحث أو الباحثة

نظرا إلى كون الباحثة أو الباحث هو نفسه الذي يقوم بإجراء الملاحظة فإن كل مسؤولية البحث تقع على عاتقه، وليس هناك أحد يتولى تصحيح أخطائه. هكذا، إذا كانت الميزة الفريدة للملاحظة في عين المكان تتمثل في عدم قابليتها للتبديل فإن ذلك يعود أساسا إلى خصائص الأصالة والتحليل والمهارة لدى الملاحظ أو الملاحظة. هذا هو ما يجعلها بالضبط أكثر هشاشة، وعليه فإن الملاحظة في جناح اللباس الداخلي تظل مرتبطة كثيرا بمدى مهارة الملاحظة في جعل البائعات يتقبلنها. زد على ذلك، فإن عدم تمكن الملاحظة، لأول وهلة، من الاقتراب الجيد من المخبرين الأساسيين الذين يمثلون مصدرا للمعلومات التي يتطلبها بحثها، سيكون مضرا بالبحث من دون شك. في الأخير، إن نجاح البحث سيقيم انطلاقا من نوعية التحليل المقدم. هنا أيضا، فإن الباحثة نفسها هي التي تكون معنية باعتبارها الشخص الوحيد الذي له الفضل في معايشة حياة المجموعة التي تريد فحصها. يتوقف إذن نجاح الملاحظة على الخصائص البشرية والمهنية للباحث أو الباحثة أكثر مما هي عليه الحال في المقابلات مثلا حيث يمكن إعادة النظر فيها أو استبدالها.

أنظر الفصل 10 «المخبرين الأساسيين».

أنظر الفصل 10، «صفات الملاحظ أو الملاحظة».

مقابلة البحث

مقابلة البحث هي تقنية مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد بكيفية منعزلة، لكن أيضا، وفي بعض الحالات، مساءلة جماعات بطريقة نصف موجهة تسمح بأخذ معلومات كيفية بهدف التعرف العميق على الأشخاص المبحوثين. المقابلة هي أفضل التقنيات لكل من يريد استكشاف الحوافز العميقة للأفراد واكتشاف الأسباب المشتركة لسلوكهم من خلال خصوصية كل حالة. ونتيجة لهذه الأسباب، تستعمل المقابلة عادة إما للتطرّق إلى ميادين مجهولة كثيرا أو للتعود على الأشخاص المعنيين بالبحث قبل إجراء اللقاءات مع عدد أكبر باستعمال تقنيات أخرى، وإما للتعرف على العناصر المكونة لموضوع ما والتفكير فيها قبل التحديد النهائي لمشكلة البحث. كما أننا نهدف من خلال استعمالنا لهذه الوسيلة ليس فقط إلى حصر الوقائع بل وإلى التعرف أيضا على المعاني التي يمنحها الأشخاص للأوضاع التي يعيشونها.

مقابلة البحث
تقنية مباشرة للتقصي العلمي تستعمل إزاء الأفراد الذين تم سحبهم بكيفية منعزلة، غير أنها تستعمل في بعض الحالات، إزاء المجموعات من أجل استجوابهم بطريقة نصف موجهة والقيام بسحب عينة كيفية بهدف التعرف بعمق على المستجوبين.

ويتقدم المستجوب أو المستجوبة في إطار مقابلة البحث بدليل الأسئلة التي يريد أن يطرحها على كل مبحوث. ينبغي ألا تكون مقابلة البحث جامدة، كما لا ينبغي أن تكون جد لينة، أي معرضة إلى ما يوحي به الوضع الخاص، إذ ينبغي منح المستجوب حرية الإجابة وفقا لما يراه مناسبا. كما ينبغي أن تكون المواضيع المطروحة للنقاش محضرة مسبقا، يضاف إلى هذا أن اختيار الشخص المبحوث أو المستجوب عادة ما يتم على أساس مطابقته لخصائص العناصر المكونة لمجتمع البحث والمحددة مسبقا لأغراض البحث.

أخيرا، وفي حالة ما إذا كانت المقابلة لها معنى بالنسبة إلى المبحوث، فلابد من القول أيضا إنها أنشئت لتلبي حاجيات الباحث بهدف إثارة رد فعل واحد أو أكثر من طرف المبحوثين، ثم إقامة تحليلا كيفيا يهدف إلى تجاوز الحالات الخاصة واستنتاج سمات مشتركة إن أمكن ذلك.

يضاف إلى هذا أن تقنية المقابلة يمكن أن تتنوع في ميادين استعمالها، وما يدل على ذلك هو تطور تقنية سيرة الحياة ومقابلة المجموعة.

سيرة الحياة ومقابلة المجموعة

إن **سيرة الحياة** هي نوع من المقابلة تستعمل بصفة خاصة من طرف المؤرخين، الأنتروبولوجيين وعلماء الاجتماع بهدف جعل شخص ما يروي كل حياته أو جزء هام منها مع أخذ بعين الاعتبار الإطار الاجتماعي الذي عاش فيه.

سيرة حياة
مقابلة بحث بهدف جمع ما يروى عن ماضي شخص ما.

مقابلة المجموعة
مقابلة بحث لمعرفة ردود أفعال مجموعة معينة من الأفراد الذين يشتركون في شيء ما.

فيما يخص **مقابلة المجموعة**، فإن أخذ المعلومات بشكل جماعي هو الذي يهم الباحث أو الباحثة، بدلا من معلومات مشخصة. ما يسعى إليه الباحثون في هذا السياق هو معرفة ردود أفعال المجموعة كمجموعة بمعنى اعتبارها ككائن، من أجل استخراج السمات أو الاتجاهات. سيتم التعامل مع كل عضو من أعضاء المجموعة كجزء من الكل، كما يتم الإصغاء إلى أقواله كتعبير واضح وصادق، إلى حد ما، عن موقف المجموعة. تظهر الفائدة من مقابلة المجموعة عندما نريد، مثلا، معرفة الاحتياجات والمطالب داخل تنظيم، حيث تتم دراسة كل مصلحة بصفة مستقلة.

سواء كان أعضاء المجموعة موضوع المقابلة يعرفون بعضهم البعض أو لم يسبق لهم أن التقوا مع بعضهم البعض، فإنهم يكوّنون مجموعة في حد ذاتها على أساس وجود شيئا ما يوحدهم، وأنهم بذلك يشتركون في واقع ما، ومن الممكن أنهم عايشوا نفس الحدث أو يشتركون في خاصية اجتماعية أو أكثر أو أنهم يريدون نفس الشيء، إلخ. وهكذا ينبغي أن يتوقف جمع هؤلاء الأشخاص على ما يجعل منهم مجموعة لأنهم معنيون بنفس القضية. إن المعلومات التي نتحصل عليها لا تهم كل فرد مأخوذ بصفة منفردة، بل معلومات تخص واقعا آخر ناشئ عن ديناميكية خاصة لمجموع الأشخاص الذين يتفاعلون بصفة جماعية لا تخص سواهم وذلك انطلاقا من معايشتهم لنفس الواقع.

المزايا والعيوب

تسعى مقابلة البحث إلى جعل المبحوثين يتحدثون بطلاقة وبعمق. يسمح هذا النوع من التقصي، لو قمنا به بصفة جيدة، بالحصول على معطيات كيفية هامة جدا، نظرا إلى الفرصة التي يوفرها من أجل إقامة علاقة ودية وحميمية بين الباحث والمبحوث، وبالتالي فإن هذه التقنية لها مكانتها الخاصة ضمن تقنيات البحث في العلوم الإنسانية. انطلاقا مما اكتسبه البحث الكيفي من اعتراف يقربه من البحوث الميدانية الرقمية، تبرز اليوم تقنية مقابلة البحث من بين أهم التقنيات التي توفر مادة غنية من حيث المعاني والدلالات، غير أنها، سواء أكان مصدر هذه المادة شخصا أو مجموعة، تقدم معلومات ناتجة عن تجربة وتأويل خاصين. هكذا يصبح من غير الممكن اعتبارها معلومات متواجدة خارج نطاق التفسيرات التي يقدمها المبحوثين. يضاف إلى هذا أن هذه المعاني والتفسيرات هي التي تزود التحليل بفائدة مؤكدة.

مرونة التقنية

طالما أن المقابلة تتم شفاهيا فإنه يمكن إخضاع أغلبية الأشخاص للاستجواب. كل شخص له نية حسنة، يستطيع أن يقول شيئا ما إلا إذا كان فهمه وإدراكه لطبيعة المقابلة سيئا، كأن يعتقد، مثلا، أن ما يقوله ستترتب عنه، لسبب أو لآخر، بعض العراقيل. لهذا ينبغي أن يعمل الباحث على توفير أحسن الظروف التي تجعل المبحوث يصرح بما لديه. زيادة على ذلك، ينبغي ألا يكون الباحث محصورا في إطار محدد بصرامة أمام الشخص المبحوث ؛ فعند عدم تمكن المبحوث من فهم السؤال نستطيع عند الضرورة إعادة صياغته من جديد، أو إعادة التعبير عن فكرة ما للتأكد من فهمه الجيد لها أو حثه عند توقفه المؤقت عن الحديث على مواصلته. انطلاقا من احترامنا لما يقوله الشخص المبحوث، نستطيع، بفضل مرونة تقنية المقابلة، إعانته بشتى الطرق ليعبر حتى عن تلك المواضيع الأكثر حساسية. نتيجة لذلك فإن الاستجواب ليست له ضوابط وحدود معينة ما عدا احترام أهداف البحث.

لو افترضنا أن مستجوبة ما تقوم بمقابلة امرأة مسنة حول تصورها للحب والزواج، وطرحت عليها سؤالا يطلب منها ذكر مميزات الزوج الجيد أثناء شبابها وكان من بين ما ردت به على هذا السؤال «أن يكون شابا حسنا». في هذه الحالة يمكن للمستجوبة أن تطلب من المبحوثة أن تشرح لها ما تقصده «بشاب حسن»، وبالتالي يصبح بإمكان الباحثة، أثناء المقابلة، أن تأخذ بعين الاعتبار العبارات وحتى الأوضاع غير المتوقعة والتي ستستعمل للتعمق في مشكلة البحث. هكذا تستطيع أن تستغل مختلف المنافذ التي توفرها أقوال المرأة المستجوبة، مثلا : دور المصاحب، الأخ أو الأخت، الذي كان عليه الحضور أثناء اللقاءات مع طالب الزواج، أو تأثير الوالدين في قرار الزواج. هكذا، باستعمالها للمرونة المطلوبة، ستتحصل الباحثة على كل المعلومات الهامة.

أجوبة متباينة

في اطار الاستجواب، مثل ذلك الذي يتم إثر مقابلة البحث، يمنح المستجوب الوقت الكافي والضروري للمبحوث لكي يجيب ويختار الكلمات التي يراها أكثر تعبيرا وملاءمة في إجابته. كنتيجة لما سبق تكون الاجابات أكثر شمولية، بحيث يكون كل شخص مستجوب قد أعطى كل

التوضيحات التي اعتقد أنها أساسية حتى يتم فهمه جيدا. هكذا يتحصل الباحث على معلومة أكثر تفصيلا مما لو استعان بالتقنيات الأخرى، ذلك لأن التباينات والخصوصيات المختلفة التي يقدمها كل شخص ستدل على مدى تعقد الظواهر. فالمستجوبة التي تطلب من المرأة المسنة ماذا كان يعني لديها الحب في شبابها وتعطيها الوقت اللازم وتحثها عند الضرورة على الإجابة، ستتحصل لا محالة على شهادة حية لا يمكن تعويضها، بحكم ما ستتميز به من ثراء في المعنى، مما سيسمح لها لاحقا بالقيام بتحليل كيفي ذو مستوى معتبر.

إثارة الاهتمام

إذا كانت لدينا النية الحسنة وكنا مهذبين، فإننا سنكون قادرين منذ البداية على إثارة اهتمام المبحوث بالمشاركة في مقابلة البحث. انطلاقا من الرغبة التي سيبديها المبحوث فإننا سنتحصل منه فيما بعد على مساعدة هامة، خاصة إذا قدمنا له الموضوع وكأنه في مستوى كفاءته أو كان يتطلب تقييما شخصيا منه باعتباره من بين الذين وقع عليهم الاختيار للاستجواب. يضاف إلى هذا أن ما يحث الناس أكثر على الإجابة، هو أن يتم الاتصال بهم في إطار يتميز بمستوى نسبي من الودية والسرية مما يمكنهم من التعبير عن مشاعرهم وتجاربهم الشخصية التي نادرا ما تتوفر لهم الفرصة للإدلاء بها خاصة أمام شخص يولي اهتماما كبيرا لما يقولونه، وهذا ما لا يقع في الحياة العادية إلا نادرا (Pinto et Grawitz 1967). المستجوبة التي تسأل تلك المسنة عن تصورها للحب والزواج أثناء شبابها، يمكن أن تبدأ في جلب اهتمامها بتقديم نفسها في هيئة مقبولة تدل على اهتمامها بما ستجده في الاستجواب الذي تجريه معها. هكذا سيحس الشخص المستجوب أن بإمكانه المساهمة في تقديم بعض المعارف، وأن بإمكانه أن يتحدث، وبكل راحة، في موضوع من غير الممكن ألا يهمه.

الإدراك الشامل للمستجوَب

في إطار مقابلة البحث يكون المستجوِب وجها لوجه مع المستجوَب. زيادة على الإصغاء إليه، فإنه يلاحظ حركاته، إيماءاته وردود أفعاله التلقائية، بالإضافة إلى تسجيل كلامه. فبإمكان الباحث إذا التقاط أشياء تتجاوز كثيرا الإطار الكلامي فقط. فعلا، فإن التعبير بالحركات والإماءات

يمثل أيضا جزءا من الخطاب الذي لابد أن يؤخذ بعين الاعتبار لأنه يسمح في نفس الوقت، وإلى حد كبير، بتقييم مدى صدق بعض الإجابات وصحتها، اندماج المستجوب وفهم الشخص ككل. لو افترضنا، في إطار المقابلة حول الحب والزواج، أن المستجوِبة قد لاحظت أن المستجوَبة قد ابدت توترا وقلقا بالرغم من الراحة والطمأنينة التي تظهرهما أثناء التعبير، فإن هذه الملاحظة تمكنها من التفكير في التغيير الآني للمسعى المتبع وذلك إما عن طريق تذكيرها بسرية معلوماتها وإما بجعلها تشعر أكثر بالاهتمام المحترم الذي توليه لكلامها. هذا يتوقف بطبيعة الحال على ما تراه سببا أو مصدرا لقلقها. لكن وفي حالة استمرار الصعوبة في إدلاء المستجوَبة برأيها، فعلى المستجوِبة أن تسجل ذلك وتأخذه بعين الاعتبار أثناء مرحلة التقييم الشامل للمقابلة.

الوعي لدى المجموعة

تسمح مقابلة المجموعة بالتعبير عن بعض الآراء، كما أنها تسمح بظهور بعض الغضب ؛ فالمشاركون يكتشفون الأعضاء الآخرين الذين يلتفون حولهم والمستجوب يسجل ماهو مشترك بينهم وما يفرقهم. ضمن التفاعلات المتعددة التي تقع، تظهر الميزة الخاصة بوجود المجموعة كمجموعة وهنا تسمح المقابلة ـ كما هي الحال أثناء مقابلة شخص واحد ـ بالحصول على معلومات غنية لا يمكن تعويضها، وهذا ما يدل على أن تواجد الأفراد في مجموعة ستنشأ عنه ديناميكية خاصة، لأن ما يقال وما يقع يتجاوز كثيرا حدود التصرفات الفردية التي كان من الممكن أن يتم التعبير عنها بطريقة أخرى لو تعلق الأمر بمقابلة تجري وجها لوجه. في الواقع فإن كل واحد يجيب عن الأسئلة في إطار علاقته بالآخرين وليس بصفة منعزلة. إن المستجوبة لا تحصل على نفس المعطيات حول موضوع الحب والزواج إذا ما سألت المبحوثة لوحدها أو بحضور زوجها، لأنه في الحالة الثانية ستبرز ظاهرة المجموعة. ذلك لأن مقابلة الزوجين ستنتج عنها رؤية جماعية نظرا إلى إدراكات كل واحد منهما للماضي في علاقته بعيشهما المشترك حاليا.

الأجوبة الكاذبة

يمكن أن تكون للمستجوَب أسبابا معينة تدفعه ليكذب أو على الأقل الا يقول الحقيقة. يمكن لبعض حالات الاستجواب أن تؤدي بالمخبر إلى

الاعتقاد أن بعض أقواله ستصل إلى مديره أو جاره أو موظف أو شخص آخر عن طريق المستجوِب، هذا ما يتسبب في إلحاق الضرر به. لهذا فمن غير اللائق إجراء الاستجواب في مكان العمل، مثلا، خاصة إذا كان ينظر إلى المستجوِب كشخص في خدمة المديرية وذلك بالرغم من كل الضمانات التي يقدمها حول أمانته ونزاهته المهنية. في حالة ما إذا كان الباحث يجهل هذا النوع من الحالات الذي يستدعي بعض التحفظات، فمن المحتمل أن تكون نتائج البحث كلها أو جزء منها مزيفة. هذا ما يمكن تصوره بالتقريب في حالة استجواب السيدة حول تصورها للحب والزواج حيث تكون الباحثة صديقة لأخت زوجها. هكذا، وبالرغم من كل الحذر المتوخى، فإننا لا نستطيع أن ننزع الشك من ذهن المبحوثة من أن كلامها سيصل يوما ما، بشكل إرادي أو غير إرادي، إلى أذن قريبتها. لهذا يمكن للاستجواب، في ظروف معينة، أن يتضمن كلاما غير معقول نظرا إلى الأقوال المزيفة عمدا من طرف المستجوَب.

مقاومات المستجوَب

حتى ولو لم تكن للشخص حجة تدفع به إلى الكذب، فأمام وضع جديد عليه، يمكن أن يلجأ إلى الدفاع عن نفسه ضد ما يعتبره مجهولا وذلك ليطمئن. يسمى هذا بلغة علماء النفس بميكانيزمات الدفاع. من جهة أخرى، وحتى يحمي نفسه، يمكن أن يلجأ الشخص إلى اتخاذ مختلف مساعي التجنب : العقلنة ، أي أنه يعطي الإجابة التي يظنها أكثر تلاؤما مع الظروف وليس تلك التي تمثل بحق ما يفكر فيه. القيام بإسقاطات(projection)، أي منح معاني بالنسبة إلى أقوال الآخر، غير أن هذه الاسقاطات لا تعكس في الواقع إلا آرائه واعتقاداته ونسقه القيمي الشخصي، في هذه الحالة ينسب إلى الباحث ما يرفض أن يتقبله لنفسه، أو القيام باندماجية (interjection) تنتج عنها طاعة الباحث وكأنه اختاره، أو التماثل للآخر بالإجابة حسب الفكرة التي يظن أن الآخر قد كونها عنه. تطرح ميكانيزمات الدفاع هذه مشاكل تقييم الخطاب الخاص بالمبحوث، لأنه لابد من التمييز بين الصحيح والخطأ أو بين المعقول والغريب، غير أن خطر أخطاء التأويل تظل قائمة. فالمستجوَبة في تصورها للحب والزواج يمكن أن تتخيل أن المستجوِبة لا تؤمن بالزواج، وبالتالي فإنها تقلص من قناعتها القوية خوفا من إحراج هذه المستجوِبة أو جعلها تنظر إليها بصفة غير لائقة.

ذاتية المستجوِب أو المستجوبة

لا نستطيع الجزم أن المستجوِب في مأمن من احتمال تزييف المقابلة من طرفه هو ذاته إذا لم يتفطن لذلك. فعلا فقد يمنح معنى شخصيا لما يقال ويمارس (Mucchielli 1969 :13). هكذا فعوض أن يسجل المستجوِب ما يقوله المخبر مباشرة، فسيفكر في أن هذا الأخير، بدلا من ذلك، إنما أراد أن يقول كذا وكذا. على غرار المستجوِب، يمكن للمستجوِب أن يقوم هو الآخر بالإسقاط : إنه لا يستمع لما يقوله الآخر، بل، أكثر من ذلك، لما يظن أن الآخر أراد أن يقوله. كما لو أن المستجوِبة، في مثالنا السابق، تسمع من المتحدثة إليها تقول إنها تزوجت على أساس الحب، مع أنها لا تؤمن به. لهذا يمكن أن يكون للباحثة تعريف مغاير للحب، ولكن ليس لها الحق في أن تحكم بشيء على التعريف الآخر.

نقص مجال المقارنة بين المقابلات

تسمح المقابلة للمخبر بأن يجيب كما يشاء. إن ثراء محتواها يؤدي في نفس الوقت إلى التباين من مقابلة إلى أخرى. فبالنسبة إلى سؤال ما، قد تكون إجابة شخص ما عنه مطولة، وتكون إجابة الشخص الثاني موجزة، وتكون إجابة الثالث مختلفة جذريا عنهما. ما يفهم من هذا إذن هو أن المقابلة تقودنا في اتجاهات متعددة وهذا ما يفسر النقص المتعود عليه في مجال المقارنة بين الشهادات المدلى بها. هكذا نلاحظ أن الباحثة التي قامت بعشر مقابلات، على سبيل المثال، حول تصورات الحب والزواج لا تستطيع بالضرورة أن تقارن بين كل الأجوبة المتحصل عليها عن كل سؤال حتى في حالة عدم تسرب أي شك في نوعية المادة المتوفرة لأنه تم التعبير عنها بطرق مختلفة. تعتبر هذه في حد ذاتها بمثابة حدود ملازمة للتقنية نفسها والتي لا يمكن تجاوزها، ومن جهة أخرى، وبالرغم من كل هذا، يمكن إقامة نقاط المقارنة، إلا أنها ستظل مقارنة تقريبية.

الحواجز الظرفية

من جهة أخرى فإن للمقابلة في البحث عيوبا أخرى أيضا بإمكانها عرقلة سيرها العادي. تكمن هذه العيوب في : مكان اللقاء، الوقت المختار حسب المدة المحتملة، ومكانة كل واحد ودوره وأخيرا، الأحكام المسبقة من شتى الأصناف (جنسية، عنصرية، إلخ). وعليه

فمن المحتمل أن تكشف المُخبرة عن سرها بأكثر سهولة لمستجوبة أثناء حديثها معها حول تصورها للحب والزواج منه لمستجوِب. وإذا كانت تعتقد أن الرجال لا يفهمون بعض الأشياء في الموضوع، وكانت وجها لوجه مع رجل، فإنها وبسبب ذلك ستميل إلى التخلي عن البعض من تفسيراتها.

الإستمارة أو سبر الآراء

استمارة
تقنية مباشرة للتقصي العلمي تستعمل إزاء الأفراد، وتسمح باستجوابهم بطريقة موجهة والقيام بسحب كمي بهدف إيجاد علاقات رياضية والقيام بمقارنات رقمية.

تعتبر **الاستمارة**، التي تعرف في شكلها الأكثر شيوعا بسير الآراء، تقنية مباشرة لطرح الأسئلة على الأفراد وبطريقة موجهة، ذلك لأن صيغ الإجابات تحدد مسبقا، هذا ما يسمح بالقيام بمعالجة كمية بهدف اكتشاف علاقات رياضية وإقامة مقارنات كمية. إن الاستمارة هي وسيلة للدخول في اتصال بالمخبرين بواسطة طرح الأسئلة عليهم واحدا واحدا وبنفس الطريقة، بهدف استخلاص اتجاهات وسلوكات مجموعة كبيرة من الأفراد، انطلاقا من الأجوبة المتحصل عليها. في هذه الحالة فإن الأسئلة ليست من نوع واحد مقارنة بتلك المستعملة في مقابلة البحث، لهذا وفي حالة وجود المستجوب فإن دوره لا يكتسي أهمية كبيرة. أما فيما يخص سبر الآراء، فإنه انتشر كأداة أساسية سريعة ودقيقة، ويستعمل بالأخص في مواضيع مثل قياس ردود الأفعال تجاه سياسات حكومية أو تجاه مترشحين للانتخابات. كما تستعمل هذه التقنية أيضا في البحوث المتعلقة بالتحفيزات لأغراض تجارية، التحقيقات النضالية أو البحث فعل أيضا. نظرا إلى استعمالاتهما المتعددة، فإن الاستمارة وسبر الآراء يمثلان وسيلة تقصي أكثر انتشارا في ميدان العلوم الإنسانية.

الفروق بين الاستمارة وسبر الآراء (الاستبار)

هناك ثلاثة فروق أساسية بين الاستمارة وسبر الآراء وهي : موضوع الأسئلة، مجموعة الأفراد المستهدفين وعدد الأسئلة.

موضوع الأسئلة

تستطيع الاستمارة أن تتناول أنواعا عديدة من المواضيع والتي تتراوح من أكثرها عمومية ومشتركة (مثل حياة الشخصيات العمومية)

إلى أقصاها سرية (مثل الحياة الجنسية)، من معرفة الوقائع إلى الاعتقادات، من الإدراكات إلى التقييمات. أما سبر الرأي، من جهته، فيشترك بالأحرى مع بحوث تقصي الآراء، بمعنى مساءلة الأفراد حول تقييم ما أو نية القيام بفعل معيّن.

مجموعة الأفراد المستهدفين

رغم أن السبر يتعلق عادة بالرأي، إلا أنه مرادف أيضا لتحقيق واسع المجال، قد يشتمل على بلد بأكمله، مثل الاستبارات الخاصة بالرأي العام السياسي التي غالبا ما يتم اللجوء إليها عند اقتراب المواعيد الانتخابية. مما يعني أن سبر الرأي مرتبط بتقنية احصائية تسمح بالاستعلام لدى مجموعة واسعة من الأفراد وذلك باستجواب عدد كبير منهم نسبيا. أما الاستمارة، على الرغم من أنها تهدف أيضا إلى الاستعلام عن مجتمع بحث معين، فإنها لا تغطي نفس المجال، لأن مجموعة الأفراد التي تستهدفها عادة ما تكون محصورة أكثر، سواء على المستوى الجغرافي أو على مستوى خصائصها. توجه الاستمارة إذن إلى مجموعة من الأفراد محدودة العدد نظرا إلى عدة عوامل، منها بالأخص محتواها.

عدد الأسئلة

تتضمن الاستمارة كقاعدة عامة، عشرات الأسئلة التي تتناول عدة جوانب من حياة الأفراد. إن طولها لا يسمح باتساعها. أما سبر الرأي فهو يتميز بالقصر، إنه لا يتجاوز عادة صفحة أو ما يزيد عنها بقليل. في الواقع، فإن الاهتمام الرئيسي للاستبار أي سبر الرأي، ينصب على استجواب أكبر عدد ممكن من الأفراد. إذ ما يقلص من اتساعه وطوله هو حجم التكاليف. باختصار، تتضمن الاستمارة عددا كبيرا من الأسئلة تغطي مواضيع متعددة ومتنوعة لا تطبق إلا على عدد يتكون من مئات الأفراد كحد أقصى. أما استمارة سبر الآراء (أي الاستبار) فتتألف من عدد قليل من الأسئلة تدور حول مواضيع الرأي وتخاطب آلاف الأشخاص. بعد تناولنا لهذه الفروق، فإننا سنتعامل مع الاستمارة والاستبار من دون تمييز فيما تبقى من هذا الفصل، إلا في الحالات الاستثنائية.

مختلف أنواع الاستبار (سبر الآراء)

سبر فوري
تقصي يتم في مدة زمنية واحدة.

هناك **السبر الفوري** أو المحدد زمنيا، والذي يجرى مرة واحدة في الزمن. إن الاستبارات الفورية عادة ما تقارن بعملية أخذ صورة فوتوغرافية لتثبيت حركة معينة في الوقت الحاضر والتي يجهل مصدرها ونهايتها. تعتبر هذه الدراسات المحددة زمنيا من جهة أخرى الأكثر استعمالا باعتبارها قليلة التكاليف ولا يأخذ إنجازها وقتا طويلا. أما **السبر المكرر** رغم أنه قليل الاستعمال فهو مهم جدا بالنسبة إلى تحليل التغيير. إنه يتمثل في استجواب نفس الأشخاص أكثر من مرة واحدة، مثلا قبل كل عملية انتخابية. يمكننا إذن متابعة الأسباب الممكنة للتغيرات في المجتمع من خلال دراستنا للتطور الفردي. يشير Blais (1987) إلى وجود ما يسميه **بسبر الاتجاه** والذي يقع بين السبر الفوري والسبر المكرر والذي يستعمل في بعض الأحيان عن طريق الجرائد. يشبه سبر الاتجاه السبر المكرر إلا أنه لا يقام على نفس الأفراد بقدر ما يعتمد على الدراسة التطورية عبر الزمن. وعادة ما يسمح سبر الآراء السياسي بالقيام بدراسات الاتجاه هذه لكونه يطرح نفس الأسئلة على نفس الناخبين بالرغم من عدم الاتصال بنفس الأشخاص في كل مرة. إذ يمكننا من متابعة صعود درجة شعبية الأحزاب السياسية وانخفاضها، حيث يمكن ربطهما بمتغيرات أخرى لنتمكن من تفسيرهما. إن الحدود الوحيدة الفاصلة بين هذا النوع من السبر وغيره تكمن في العناوين المتشابهة نوعا ما للأسئلة وخصائص المخبرين المتشابهة نوعا ما أيضا كما أننا لا نستطيع متابعة التطور الفردي لكل واحد منهم على حدة. من جهة أخرى، فهو وسيلة لدراسة التغير الاجتماعي والتاريخي.

سبر مكرر
تقصي يجرى أكثر من مرة واحدة على نفس الأفراد.

سبر الاتجاه
تقصي متدرج في الزمن، يتم في فترات زمنية مختلفة بطرح نفس الأسئلة تقريبا على أفراد مختلفين.

استمارة الملء الذاتي والاستمارة بالمقابلة

استمارة الملء الذاتي
وثيقة أسئلة تملأ من طرف المبحوث نفسه.

يمكن للاستمارة أن تملأ إما ذاتيا (أي من طرف المبحوث نفسه) أو من خلال المقابلة. تتمثل **استمارة الملء الذاتي** في توزيع الاستمارات، أي إعطاء نسخة لكل مخبر يقوم هو نفسه بملئها. تتطلب هذه الاستمارة من المبحوث أن يبذل جهدا كبيرا، لأنه يجب عليه قراءة الأسئلة وفهمها وتحضير الإجابة عنها. أما **الاستمارة بالمقابلة** فتتم عن طريق الطرح الشفوي للأسئلة وتسجيل الإجابات. هذا يتطلب من الباحث وقتا وتدخلا أكثر، وكذلك الشأن بالنسبة إلى الذين أو اللواتي يقومون بتقديم الاستمارة.

استمارة بالمقابلة
وجيز أسئلة يطرحها المستجوب الذي يقوم (في نفس الوقت) بتسجيل الإجابات المقدمة من طرف المستجوب.

المزايا والعيوب

يعتبر كل من الاستمارة والاستبار، أي سبر الآراء، وسيلة تقصي ملائمة بالنسبة إلى من يريد الاتصال بعدد كبير من الأفراد في وقت قصير بهدف الحصول على معلومات دقيقة وبسيطة غالبا ما تكون غير قابلة للملاحظة. من الأحسن التأكد أن المبحوثين لا يميلون إلى تزييف الوقائع وأنهم يتمتعون بالقدرات اللازمة للإجابة. إن الاستمارة أو الاستبار أداة هامة لما لها من إمكانيات لتكميم الواقع البشري على ضوء الخصائص والسلوكات والتصورات الذهنية الفردية المتنوعة. تكون المعلومات المتحصل عليها موجزة مع إمكانية وجود رفض للإجابة.

تقنية قليلة التكلفة

تعتبر الاستمارة أو الاستبار تقنية قليلة التكلفة نظرا إلى إمكانية ملء الاستمارات من طرف المبحوثين أنفسهم، وحتى لو وظفنا مستجوبين، فإن هؤلاء لا يشترط فيهم كل المواصفات المطلوبة بالنسبة إلى مقابلة البحث. ليس على هؤلاء سوى الطرح السليم والجيد للأسئلة التي تم تحضيرها مسبقا والتسجيل الجيد للإجابات والعمل على توفير الجو الملائم الذي يسمح للمقابلة أن تتم في جو يسهل للمبحوثين بالتعبير عن آرائهم. كما يمكن أن تكون لبعض وسائل الاتصال، مثل البريد والهاتف، مساهمة أكثر في تقليص التكاليف . لو افترضنا أننا نقوم بسبر حول الآراء السياسية للأساتذة الجامعيين، فالتكاليف تكون منخفضة نسبيا خاصة عندما نتصل بهم كتابيا أو هاتفيا.

سرعة التنفيذ

عكس ماهو عليه الحال في مقابلة البحث، وأكثر مما هو عليه في حالة الملاحظة في عين المكان، فيمكن ملء الاستمارة في وقت قصير نسبيا، قد يستغرق من خمس عشرة دقيقة إلى ساعتين وذلك تماشيا مع اتساع الموضوع. تتضاعف الفعالية في هذا المجال إذا ما استطعنا توزيع الاستمارات على المبحوثين عندما يتواجد هؤلاء في نفس المكان ويكون في وسعهم الإجابة عن أسئلة هذه الاستمارات في نفس الوقت أيضا. أخيرا، فإن الاستمارة والاستبار لا يمنحان للمبحوث فرصة صياغة أجوبته ما دام شكل الإجابات مقترح مسبقا. يتقلص الوقت أكثر خاصة في حالة الاستبار، باعتباره يمثل سلسلة قصيرة من الأسئلة.

تسجيل السلوكات غير الملاحظة

عندما يتأكد المبحوث أن بإمكانه الإجابة عن الأسئلة بصفة منعزلة مع ضمان سرية المعلومات، يستطيع أن يصرح بمعلومات حول تلك السلوكات الأكثر سرية مثل تلك المتعلقة بعلاقاته الزوجية أو تلك الأكثر شخصية، مثل موقفه الانتخابي. مثلا، يكون من الصعب القيام بملاحظة سلوكات الأساتذة الجامعيين التي تدل على عمق آرائهم السياسية، في حين تسمح استمارة مملوءة بالحصول على أهم المعلومات.

إمكانية مقارنة الإجابات

كون نفس الأسئلة تطرح على كل مخبر وبنفس الصيغة، وأن كل واحد منهم يمكنه أن يختار من ضمن نفس قائمة الإجابات، فإننا نستطيع القيام بالمقارنات بأكثر سهولة مما هو عليه الحال في مقابلة البحث، وكذا القيام بتجميع رقمي وحساب نسب مئوية في علاقاتها بهذا أو ذلك المتغير المتضمن في فرضية الانطلاق. هكذا، فكلما طبقت المعيارية على الأسئلة كلما اتسع مجال المقارنة. وفقا لهذا المنوال، يسمح الاستبار في البحث الذي تناول الآراء السياسية لدى الأساتذة الجامعيين، ليس فقط بمعرفة الميول والاتجاهات الانتمائية، بل وأيضا بمقارنتها وجعلها في علاقة بمميزات أخرى مثل : الجنس، العرق، مستوى المعيشة، العائلة، إلخ. يمكن إذن بفضل الأسئلة المتشابهة إقامة أشكال أو جداول إحصائية وربط المتغيرات ببعضها البعض وذلك بهدف مقارنة النتائج المتحصل عليها.

التطبيق على عدد كبير

زيادة على التكاليف المحدودة ووقت التنفيذ القصير نسبيا والميزانية المتساوية، فيمكن تطبيق الاستمارة وخاصة الاستبار على مئات أو آلاف الأشخاص أو أكثر. إذا كان لابد من الاتصال، مثلا، بأربعة مائة أستاذ جامعي، فيبدو واضحا أنه سيكون من الصعب القيام بمقابلة معمقة مع كل واحد منهم.

التزييف الإرادي للأقوال

قد يحدث أن تؤدي بعض الدوافع لدى المبحوثين إلى التصريح بأقوال مزيفة وغير صحيحة. وأول هذه الدوافع هو محاولة إعطاء صورة إيجابية عن أنفسهم. في هذه الحالة يقوم المخبر بتزييف الواقع نوعا ما ظنا منه أن ذلك سيرفع من شأنه. أما الدافع الثاني فيتمثل في إخفاء ما يظهر لهذا المخبر أنه غير مقبول. إذ يمكن أن يتعلق الأمر بسلوك منحرف أو القيام بممارسات غير تلك التي تعليها واجبات الأفراد تجاه المجتمع. حيث يمكن للمخبر أن يخفي شذوذه الجنسي أو إهماله لصحته. أما الدافع الثالث فيمكن أن يكون استراتيجيا. انه الدافع الذي يجعل المبحوث يفكر أنه إذا أجاب في اتجاه دون آخر، فهذا سيكون له انعكاسات على الإجراءات التي ستتخذ بعد نهاية البحث. مثلا، ميل المبحوث إلى المبالغة في تسويد الوضعية ظنا منه أن ذلك سيؤدي إلى القيام بإصلاحات في أقرب الآجال. لو رجعنا إلى الدراسة حول الآراء السياسية لدى الأساتذة الجامعيين، فمن الممكن جدا أن نجد واحدا منهم يحاول إظهار تحكمه في السياسة، في حين لم تكن هذه الأخيرة أبدا من اهتماماته، وآخر لا يريد التصريح أنه لن يقوم بواجبه الانتخابي، في حين يصرح الثالث أن أغلبية الاساتذة منخرطين في نفس الحزب السياسي الذي ينتمي إليه هو نفسه، لأنه يقصد من وراء ذلك إظهار شعبية حزبه.

عجز بعض المبحوثين

لكي يجيب المبحوث بنفسه عن الاستمارة ، فالأمر لا يقتضي منه معرفة الكتابة والفهم الصحيح للأسئلة فقط، بل يتطلب منه أيضا أن يكون متعودا على الإجابة كتابيا. في هذا المضمار فإننا نعلم، مثلا، أن الأمية لا زالت سارية على جزء هام من مجموع السكان ليس فقط في البلدان النامية بل أيضا في البلدان الأكثر تصنيعا. حتى ولو كانوا غير أميين فإن المبحوثين قد يواجهون بعض الصعوبات للإجابة عن الأسئلة. فعلا، قد تصاغ الأسئلة بكيفية تجعل بعض المفردات أو العبارات في غير متناول المبحوثين، إما لكونها ليست متداولة في الحياة اليومية أو لأن

المعلومات الموجزة

إن المعلومات المتحصل عليها عن طريق الاستمارة هي مختصرة وموجزة، لأن المخبر يعطي المعلومات الأولى التي تتبادر إلى ذهنه ويتقلص تفكيره إلى الحد الأدنى. تجدر الإشارة إلى أن هناك جانبا سطحيا لهذه الطريقة في العمل، غير أن مفعولها يتقلص عندما تكون الأسئلة متعلقة بالوقائع الدقيقة والمعروفة لدى المبحوثين. ومع ذلك يجب الاعتراف أننا إذا كنا نرغب في نوع من العفوية بدلا من التعمق فإن هذه الطريقة ستكون ملائمة أكثر. هكذا، في مثالنا المتعلق بسبر الآراء السياسية للأساتذة، فإنهم سيقدمون تقديرات عفوية ناتجة عن تأثير المكان والإطار المتواجدين فيهما. بالتالي، حتى لو تمكنا من تكوين فكرة عن الرأي العام لدى الاساتذة بفضل هذه الوسيلة فإننا لا نستطيع الوصول إلى عمق تفكيرهم.

رفض الإجابة

إن التكاثر الهائل للاستبارات منذ الستينيات قد أدى إلى نفور عدد كبير من المبحوثين منها، فالبعض أصبح يعمل على تحاشيها والبعض الآخر يشك في قيمتها. هذا ما أدى إلى تراجع نسبة مساهمة المبحوثين فيها من 80 % إلى حوالي 65 % في أمريكا الشمالية (Blais 1987)، وأن تردد سكان المدن هو أكثر من تردد سكان القرى، فبعضهم يرى في ذلك تدخل في حياتهم الخاصة، أو أنه مجرد تضييع للوقت والمال. إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة النتائج، طالما أن الذين واللواتي رفضوا الإجابة لا يتميزون بخصائص تختلف عن خصائص أولئك الذين قبلوا الإجابة عن الأسئلة. للاستمرار مع نفس المثال السابق، فإنه في حالة توزيع رفض الإجابة لدى بعض الأساتذة الجامعيين على برامج الدراسة بشكل متساو تقريبا فليس هناك مجالا للشك في تزييف النتائج. غير أنه وفي حالة تسجيل تمركز الارتفاع الكبيرفي نسبة الرفض في بعض التخصصات مقارنة بالأخرى، فمن الخطأ التفكير أن النتائج المتحصل عليها هي انعكاس للاتجاهات السياسية لدى كل الأساتذة الجامعيين.

التجـريـب

تجريب
تقنية مباشرة للتقصي العلمي عادة ما تستعمل تجاه الأفراد في إطار التجربة التي تتم بكيفية موجهة والتي تسمح بسحب عينة كمية بغرض تفسير الظواهر والتنبؤ الإحصائي بها.

إن **التجريب** تقنية مباشرة، عادة ما يستعمل لدى بعض الأفراد في إطار تجربة تتم بصفة موجهة، لأن مراقبة أدق التفاصيل المرتبطة بالوضع هي بمثابة ميزة خاصة بالتجريب. إنه يسمح بسحب كمي يهدف إلى إخضاع المعطيات للمعالجة الاحصائية. إن التجريب ليس منتشرا في العلوم الإنسانية بمثل ماهو عليه في علوم الطبيعة نظرا إلى صعوبة قابلية موضوع الأولى للتجريب. غير أنه يستعمل عندما نريد القيام بتحليل العلاقة بين السبب والنتيجة، ذلك لأنه يسمح بفحص تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع. بصفة أكثر واقعية، فإنه يسمح بفحص رد فعل الفرد على المحفز. عندما تكون المفاهيم الأساسية الموجودة في الفرضية قابلة للتحول إلى متغيرات يمكن قياسها، فإن الأمر يقتضي التفكير في اختيار التجريب.

عناصر التجريب الكلاسيكي

أنظر الفصل6، «أنواع المتغيرات».

يتضمن التجريب الكلاسيكي المتمثل عادة في العناصر المشتركة مع هذه العملية العناصر الآتية : متغير مستقل ومتغير تابع، اختبار قبلي ، أي قبل التجربة، واختبار بعدي، أي بعد التجربة، وكذا مجموعة تجريبية ومجموعة المراقبة أو المجموعة الشاهد.

المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة

لابد أن نشير أولا إلى أن المتغير المستقل يسبق المتغير التابع ونفترض أن للأول تأثيرا في الثاني. ولنأخذ على سبيل المثال قياس الفعالية العلاجية لدواء ما، فيمكننا عندئذ صياغة الفرضية كالآتي : «المنتوج (س) يخفف حقا الألم على الأشخاص (ص)». المتغير المستقل هو المنتوج (س) والمتغير التابع هو الآثار المتوقعة في الأشخاص. بعدها نقوم بالتحقق من هذه العلاقة المفترضة بين السبب والنتيجة.

الاختبار القبلي والاختبار البعدي

للقيام بهذا التحقق لابد من إجراء اختبارين على عناصر التجريب. يسمى أحدهم بالاختبار القبلي لأنه يتم قبل إدخال المتغير المستقل، فيما يخص المثال السابق، فهو قبل تقديم الدواء للتأكد بالضبط من

القياس الجيد لحالة عناصر التجريب في تلك الأثناء. ثم نجري اختبارا بعديا بعد تناول الدواء لقياس حالة عناصر التجريب من جديد. نتوقع أنه في حالة ما إذا كان للمتغير المستقل النتيجة المنتظرة، فإن الاختبار البعدي يكون بالضرورة مختلفا عن الاختبار القبلي. باختصار، يمكننا القول في هذه الحالة إن للدواء فائدة على الحالة الصحية لعناصر التجريب.

المجموعة التجريبية ومجموعة المراقبة

أنظر الفصل 6، «أنواع المتغيرات».

بما أننا نريد معرفة تأثير متغير مستقل واحد فقط، أي ذلك الذي وقع اختيارنا عليه، فعلينا أن نتأكد من أنه لا مجال لتدخل متغيرات وسيطة أثناء إجراء التجريب، في حالة مثالنا هذا. قد يكون أحد هذه المتغيرات الوسيطة الثقة الموضوعة في الطبيب الذي يقوم بوصف الدواء. تفاديا لمثل هذه الاحتمالات عادة ما توزع عناصر التجريب على مجموعتين متشابهتين (متعادلتين) إلى أقصى حد ممكن، إحداهما تسمى تجريبية لأنها خاضعة للمتغير المستقل، إننا نقدم إذن الدواء لأفراد هذه المجموعة. أما المجموعة الأخرى فتسمى بمجموعة المراقبة أو الشاهد لأنها لم تخضع للمتغير المستقل. ويعتقد أفراد هذه المجموعة أنهم قد تناولوا حقا الدواء، ولكن في الواقع فإن الطبيب لم يمنح لهم سوى بديلا غير مضر والذي لا يحمل إلا مظهر الدواء. هكذا يكون في إمكاننا عزل تأثير المتغير الثالث، مثل الثقة الممنوحة للطبيب، وإذا كانت هناك متغيرات أخرى يمكن أن تدخل فلابد من إضافة وسائل أخرى للمراقبة، ثم نقوم بعد ذلك بتحليل نتائج الاختبارين اللذين أجريناهما على المجموعة التجريبية ومجموعة المراقبة ومقارنتهما للتحقق إن كان للدواء التأثير المتوقع. وعادة ما تستعمل هذه التقنية من طرف الشركات الصيدلانية قبل القيام بعملية تسويق أي دواء.

أنظر الفصل 4، «المنهج التجريبي».

إن هذا المخطط التجريبي الكلاسيكي يخضع عادة لتعديلات وذلك حسب طبيعة التجربة والإمكانيات الملموسة للقيام بها. هكذا يمكن إنشاء بعض المجموعات حتى قبل إجراء التجربة، مثل أقسام التلاميذ، مجموعات عمال وعاملات أو أعضاء منظمات. في هذه الحالات فإننا لا نستطيع توزيع الأشخاص على المجموعة التجريبية ومجموعة المراقبة بصفة عشوائية ؛ وعليه لابد من أخذ المجموعة كما هي مؤلفة، مع اختيار

مجموعة واحدة وإخضاعها للمتغير المستقل. وهذا ما يمكن أن يؤدي بنا إلى إجراء الاختبارات أو القيام بالقياسات فقط بعد نهاية التجربة نظرا إلى أسباب تتعلق بالميزانية، بالوقت أو بآثار متعلقة بالاختبار القبلي والتي تعتبر مشوشة. كما قد نحصر عملنا في مجموعة واحدة باخضاعها للاختبارين القبلي والبعدي، لكن دون الاعتماد على مجموعة المراقبة. انطلاقا من درجة المراقبة المعتمدة فإننا نتكلم بالأحرى، وفي بعض الحالات، عن شبه التجريب أو التجريب القبلي الذي يحترم من جهة أخرى القواعد الأخرى للتجريب.

التجريب المثار، المسند أو المصطنع

تجريب مثار
حالة يتدخل فيها المجرب لإقحام المتغير المستقل.

إن التجريب الكلاسيكي هو **تجريب مثار** شأنه في ذلك شأن كل وضع تجريبي حيث يتمكن المجرب من السيطرة الكاملة على كافة العمليات. عادة ما تجري التجربة في المخبر، بمعنى في محل يعد ويجهز خصيصا لذلك العمل. من المعتاد أن تتم التجربة بالمخبر في الظروف المثلى والمناسبة للتجريب نظرا إلى كون المخبر هو مكان يسمح بمواجهة التأثيرات الخارجية وعزلها بصفة فعالة. هكذا، بتحكمنا في المتغير المستقل نتدخل مباشرة في وضعية التجريب ونبقي على العوامل الأخرى ثابتة. إن التجربة في المخبر هي وسيلة تقصي مفضلة في ميدان علم النفس.

تجريب مسند
حالة لا يستطيع فيها المجرب التحكم في المتغير المستقل.

عندما لا نستطيع التحكم في كل العمليات فإننا نكون بصدد **التجريب المسند**. يواجه الباحث هذه الحالة خاصة عندما يجري التجريب في الميدان أو الحياة الواقعية. لنفترض أننا نعلم أن حادثا ما سيقع، مثل مظاهرة أو تغيير معلن في برنامج أو في تنظيم ما، فيمكننا أن نبحث عن قياس التأثيرات. في سياق مثل هذا، فإن دورنا سيقتصر على التسجيل أكثر مما هو على الاستخدام أو التشغيل. مع هذا فإننا نعلم أن متغيرا مستقلا سيدمج وسنحاول، كما هو الشأن في المخبر، قياس تأثيراته الخاصة. نظرا إلى كوننا لا نتحكم في العوامل الأخرى المتواجدة بين المتغير المستقل والمتغير التابع، فإن الصعوبة القصوى تكمن في العزل الدقيق لتأثيرات المتغير المستقل. على غرار علماء آخرين في العلوم الإنسانية، فإن علماء الاجتماع بوجه خاص، يقومون بهذا النوع من التجريب في الميدان، لأن موضوع دراستهم غير قابل للدراسة في المخبر، ما عدا في حالة دراسة المجموعات الصغيرة.

عندما يستحيل التجريب ولكن نسعى في نفس الوقت إلى الحفاظ على مزاياه، فإننا سنتجه أكثر فأكثر نحو **التجريب المصطنع** مستفيدين في ذلك من التطور الذي عرفه الإعلام الآلي الجزئي (micro-informatique). نفترض أننا نريد معرفة كيفية سير نظام النقل في مدينة ما. بفضل هذه التقنية سننشئ نموذجا (وهي عملية تسمى صياغة نموذج) (modélisation). سنعيد إنتاج، ولو بشكل مبسط، النظام الواقعي للنقل في هذه المدينة. من خلال امتلاكنا لهذا النمط المعلوماتي (informatisé) يكون في استطاعتنا فيما بعد القيام بتغيير أو تبديل أحد المكونات أو عدد منها أوما يسمى بالمتغيرات بهدف دراسة التأثيرات (وتسمى هذه العملية بالمصطنعة simulation). إن هذه التقنية الواسعة الاستعمال في الاقتصاد والعلوم الإدارية مرشحة للتطور أكثر في المستقبل (Landry 1992، Moles 1995).

تجريب مصطنع
تقنية تجريب تتم عن طريق الإعلام الآلي باستعمال نماذج مبسطة عن الواقع

المزايا والعيوب

إن التجريب هو بمثابة وسيلة تقصي دقيقة وصارمة، تسمح بقياس تأثيرات بعض الظواهر في أخرى. يضمن إطار البحث المهيأ، والذي يتمثل عادة في المخبر، للباحث أو الباحثة إمكانية ملائمة لتركيز انتباههم على ظواهر جد محددة. لابد من أخذ بعين الاعتبار ظروف المخبر التي هي أصلا مصطنعة، مقارنة بتعقد أوضاع الحياة في الواقع، وتعقد المميزات الخاصة بالمتطوعين للتجربة وعدم ثبات المجموعات.

إقامة العلاقة السببية

بفضل إجراءاته المختلفة من أجل عزل الظواهر، فإن التجريب هو المنهج الذي يضمن أكثر إقامة العلاقة بين السبب والنتيجة بين ظاهرتين. لنفرض أننا نقوم بدراسة حول تأثير حضور الأب في نتائج أداء ابنه في نشاط ما. إن التجريب يسمح بإقامة علاقة سببية بين المتغير المستقل والمتمثل في حضور الأب أو غيابه، والذي يقوم بضبطه القائم بالتجربة، ودرجة نجاح الطفل في أداء نشاطه. فالتجريب إذا هو التقنية التي تسمح بقياس بطريقة أحسن علاقة تأثير عامل

التحكم في الوضع

إن وضعية التجريب، وخاصة ذلك الذي يتم في المخبر، تسمح، أكثر من أية تقنية أخرى، بالحصول على كل العناصر المعروفة عن الظاهرة المراد ملاحظتها بفعالية أكثر. في الدراسة حول تأثير الأب في نتائج أداء إبنه، علينا أن نتأكد أن كل المتغيرات الأخرى غير حضور الأب أو غيابه ونتائج أداء الإبن سوف تعزل أو تحذف. في هذا السياق سنختار، مثلا، آباء من نفس فئة السن، كذلك الشأن بالنسبة إلى الأطفال. سنحتفظ إذن بثبات التأثيرات المختلفة لمتغير السن في الأداء. هكذا سنتأكد، فيما يخص الأب، أن الأمر يتعلق حقا بالشخص الذي يقوم برعاية الإبن منذ ولادته للتمكن، في هذه الحالة، من الاحتفاظ بثبات نوعية تعرض كل منهما للآخر والذي بإمكانها تغيير التأثير مرة أخرى. إذا ما ظهرت جدوى تدخل متغيرات أخرى أو تسربت بين المتغيرين الأساسيين، سيتخذ المجرب إجراءات جديدة للتحكم في الوضع. إن المسعى التجريبي يوفر إذن ضمانات التحكم بأكثر فعالية مما توفره التقنيات الأخرى.

إمكانية القياس

من ضمن خصائص متغيرات التجريب أنها قابلة للقياس. إذ لا يمكن للقياس أن يكون سوى إسميا، مثل حضور الأب أو غيابه كمتغير مستقل في مثالنا السابق. يبقى أن التأثيرات في المتغير التابع ينبغي أن تكون هي الأخرى قابلة للقياس. هكذا فإن نتائج أداء الإبن أو البنت يمكن تقييمها بواسطة اختبارات نخضعها لها والتي تساعد على مشاهدة الفروق وحسابها إن كانت موجودة. في هذا المجال فإن مختلف الاختبارات الإحصائية التي تأخذ بعين الاعتبار نوع القياس المطبق على المتغيرات المعتمدة تستعمل أيضا في التحليل الذي يأتي مباشرة بعد السببية.

أنظر الفصل 11، «الاختبارات الإحصائية».

التبسيط الكبير للواقع

إذا كان كل بحث يسعى إلى تقليص الواقع بهدف الفحص الأفضل للأجزاء فإن شروط التجريب تتطلب، في معظم الأحيان، تبسيط هذا الواقع أكثر، لأن الهدف الجوهري من وراء ذلك هو إقامة علاقة بين متغيرين، وهذا يعني إزاحة كل العوامل الأخرى التي من الممكن أن تتدخل، بينما يتطلب الأمر أيضا معرفة مسبقة بكل هذه العوامل الأخرى،

ثم القيام بعزلها بصفة فعالة لكن الواقع، بما فيه من تعقيدات، يسمح بعزل بعض الظواهر فقط. من بين هذه الظواهر : الإحساس، الإدراك، الذاكرة وغيرها ممن لها علاقة بقياس نتائج الأداء. وعلى العكس من ذلك تتضمن الظواهر الأخرى التي لا تتجاوز المجال الفردي، مثل الرضى، التخوف، القلق أو السعادة عدة عوامل لا يمكن إخضاعها للتجريب بالرغم من الأهمية التي تكتسيها مثل هذه المواضيع لدى أغلبية الناس. زيادة على ذلك، يجب على السلوكات التي هي موضوع الدراسة أن تكون قابلة للقياس، أي لابد من توفر إمكانية التعبير عنها عدديا. تجدر الإشارة هنا إلى أنه من غير الممكن دائما تقليص الواقع الإنساني إلى مجرد معادلات رياضية مهما كانت درجة تقدمها. هذا ما يؤدي بنا إلى التقليص من درجة تعقد الظواهر كما هو الحال في دراسة مفهوم الإبداع ؛ كذلك الأمر في قياس الذكاء. بالتالي فإن بعض أنواع الظواهر تكون لها قابلية أكثر للتجريب رغم أننا لا نستطيع إعادة إنتاج كل أبعادها الواقعية. هكذا فإن دراسة تأثير الأب في نتائج أداء الإبن لنشاط ما يمكن أن يعطي نتائج هامة، إلا أن الوضع المصطنع الذي تم إعداده من أجل فحصه لا يمكن أن يحيط بمدى اتساع تعقد العناصر التي يحتمل تدخلها في هذا الوضع.

عدم تمثيلية عناصر التجربة

إننا لا نستطيع إجبار الأفراد على أن يكونوا جزءا من تجربة ما إلا في الحالات الاستثنائية، مثل أن نقترح عليهم التخفيض من سنوات اعتقالهم أو تلبية الحاجة الماسة لديهم كمنحهم امتيازات نقدية أو أخرى. بصفة عامة، يتعلق الأمر إذن، بأشخاص متطوعين. مع العلم أن المتطوع ليس بالضرورة نموذجا بالنسبة إلى الأعضاء الآخرين من المجموعة التي ينتمي إليها. إن المتطوعين للتجارب هم على درجة ثقافية معتبرة ويحتلون مكانة اجتماعية راقية وهم أكثر «ذكاء» وأنهم في حالة استحسان أو رضى اجتماعي أكثر من الأشخاص غير المتطوعين (Baker 1988). إن هذه المميزات الخاصة لا تجعل منهم ممثلين لجميع الخصائص التي يتمتع بها مجمل مواطنيهم. زيادة على ذلك : «في كثير من البحوث فإن عناصر التجربة هم طلبة من علم النفس، إنهم يمثلون فئة خاصة من الأفراد، إن النتائج المتوصل إليها معهم مبالغ في تعميمها على كل المجموعة السكانية

(Berthiaume et Lamoureux 1981 : 26). في حالة الآباء وأبنائهم الذين جاءوا من أجل التجربة في يوم السبت صباحا، مثلا، يمكننا طرح بعض الأسئلة حول تركيب المجموعة: من الذي قام باستدعائهم وعلى أي أساس ؟ من الذي له دافع كاف للمجيئ وإخضاع نفسه للتجربة يوم السبت صباحا، زيادة على ذلك أكان عليه أن يقنع ابنه مسبقا أو العكس ؟ إن المقصود هنا ليس نزع أية قيمة علمية للنتائج، بل، على العكس من ذلك، المقصود هو عدم التفكير أن هذه النتائج ستقدم بالضرورة الدليل النهائي أو القابل للتعميم. بالرغم من ذلك فقد نفكر في إمكانية احتمال التعميم طالما أن التجريب سيكرر من طرف باحثين وباحثات آخرين قبل تبنيه نهائيا.

عدم ثبات المجموعات

قد يحدث أن تنسحب بعض العناصر أثناء الفترة الممتدة ما بين بداية التجربة ونهايتها، لسبب معروف أو مجهول، لاسيما عندما تتطلب التجربة إجراء لقاءات عديدة. إن هذه الانسحابات تغير من التشكيلة الأصلية للمجموعات. إذا كنا نتطلع، مثلا، إلى القيام بمقارنة نتائج الأداء بين نفس العدد من الإناث والذكور بمرافقة أوليائهم، فإن انسحاب بعض الذكور، مثلا، سيؤثر في النتائج. إننا لا نستطيع التحقق دائما ومسبقا إن كانت المجموعة التجريبية ومجموعة المراقبة تتضمنان بعض الفروق، وهذا ما يجعل من الصعب إجراء مقارنة بين المجموعتين. من الممكن، مثلا، أن تتضمن المجموعة التجريبية حضور عدد كبير من الآباء المتسلطين مقارنة بأولئك الموجودين في مجموعة المراقبة. بالإضافة إلى هذا، فليس هناك ضمان أن يتصرف الفرد الموجود في وضع تجريبي كما يتصرف في الحياة العادية. فسيحاول أن يفعل كل ما بوسعه أولا لإظهار الصورة التي يعتقد أنها تمثله أكثر، وليس طريقة تصرفه العادية ولا سيما أثناء وجوده في وضع مثير جدا للشعور، مثل ذلك الذي يعكس العلاقة بالابن. أكثر من هذا، فإن الدوافع التي أدت بالعناصر إلى قبول الحضور إلى مكان التجربة يمكن أن تكون متنوعة جدا، وبالتالي تؤثر في تحمسهم للمشاركة. إن الأفراد في المجموعة التجريبية ومجموعة المراقبة ليسوا مستقرين دائما.

تحليل المحتوى

تحليل المحتوى

تقنية غير مباشرة للتقصي العلمي تطبق على المواد المكتوبة، المسموعة أو المرئية، والتي تصدر عن الأفراد أو الجماعات حيث يكون المحتوى غير رقمي، ويسمح بالقيام بسحب كيفي أو كمي بهدف التفسير والفهم والمقارنة.

إن **تحليل المحتوى** هو تقنية غير مباشرة تطبق على مادة مكتوبة، مسموعة أو سمعية بصرية، تصدر عن أفراد أو جماعات أو تتناولهم، والتي يعرض محتواها بشكل غير رقمي. إنها تسمح بالقيام بسحب كمي أو كيفي. إن تقنية تحليل المحتوى هي من دون شك أشهر التقنيات المطبقة في تحليل المعطيات الثانوية. إنها أفضل التقنيات لتحليل ليس فقط المواد المنتجة حاليا، بل محتوى المواد التي أنتجت في الماضي، لأنها تسمح بتسليط الأضواء على حادثة أو فعل فردي أو جماعي توجد حوله آثار مكتوبة. إن تحليل المحتوى هو الأداة الأكثر استعمالا بالنسبة إلى المؤرخين والمؤرخات وعلماء الاجتماع وعلماء السياسة وعلماء النفس المهتمين بدراسة الثقافات الأجنبية ووسائل الإعلام بصفة عامة (الآداب، الكتب المدرسية، المسلسلات التلفزيونية، حصص الأطفال، رسائل إشهارية، القصص والأغاني)، بدراسة الشخصية، الايديولوجيات وأشكال أخرى للتصورات لدى الأفراد والتنظيمات.

تحليل المحتوى الظاهري لوثيقة

محتوى ظاهري لوثيقة

ماهو واضح ومصاغ حقيقة في وثيقة.

إن الممارسة العادية للتحليل هي دراسة **المحتوى الظاهري** لوثيقة، أي ماهو معلن عنه بشكل واضح في الوثيقة، أي ما تعرضه الوثيقة حقيقة. مثلا، دراسة المحتوى الظاهري لبرنامج حزب سياسي يتضمن القيام باستخراج وإبراز المواضيع الأكثر تناولا، الكلمات الأساسية، المواقف والحجج المقدمة للتبرير، إلخ.

تحليل المحتوى المستتر لوثيقة

محتوى مستتر لوثيقة

ماهو كامن او مضمر في وثيقة.

هناك ممارسة أخرى لتحليل المحتوى وهي دراسة **المحتوى المستتر لوثيقة**. والمحتوى المستتر هو كل ما لم يتم التعبير عنه بشكل واضح في الوثيقة. تتطلب إذن دراسة المحتوى المستتر الكشف عما هو غير معلن عنه وفك المعنى الخفي للأقوال. بالفعل فإن المحتوى المستتر لا يقل أهمية عن المحتوى الظاهري لوثيقة إن لم نقل إنه يفوقه. يمكن أن يبين فحص المحتوى المستتر لبرنامج حزب سياسي أهمية كل موضوع من خلال المكانة المخصصة له. كما يظهر أيضا القيم أو الأسباب غير المعلنة المستمدة من المواقف والمواضيع الفرعية وتلك التي لم ترد في النص، إلخ.

تقنية مكملة

يمكننا الاستعانة بتقنية تحليل المحتوى كدعامة أو تكملة لاستعمال تقنيات أخرى. يمكن للمستجوب أو السابر الذي جمع معطيات أن يستعين بأدوات تحليل المحتوى بهدف تفيئة الأجوبة المتحصل عليها كرد على أسئلة منحت حرية كبيرة في التعبير للمبحوث . كما يمكن لأخرين استعمال هذه الأداة في التحقق الإضافي من التحاليل التي تمت باستعمال وسائل أخرى. في هذا السياق يمكننا، مثلا، استعمال الملاحظة بالمشاركة ومقارنة بعض الملاحظات من خلال إجراءتحليل لما امدتنا به المجموعة المدروسة. يمكن إذن استعمال تحليل المحتوى لأغراض متعددة، وإن مجال تطبيقه واسع جدا.

المزايا والعيوب

قد تتطلب تقنية تحليل المحتوى وقتا طويلا، غير أنها تسمح بالفحص المعمق للوثائق. وفي هذا الإطار يمكن إجراء مقارنة بين الوثائق أو دراستها في فترة زمنية معينة أو إقامة تحاليل متنوعة ؛ مع العلم أن هذا لا يعكس إلا جزءا من الواقع، أي ذلك الخاص بمؤلفه أو مؤلفوه.

تعميق الرمزية

إن تحليل المحتوى هو بمثابة أداة تعمق في الانتاجات ذات الأشكال المتنوعة والتي تمثل بصمات الحياة الفردية والجماعية. بفضل هذه التقنية، أصبح من الممكن فحص المجال الذهني لشخص أو لمجموعة أو لجماعة (collectivité) أو حتى ذلك الخاص بالكون طالما أن هناك دراسات لمحتوى العلاقات الدولية من خلال الصحافة أو وسائل الاتصال الأخرى. فعلى سبيل المثال، فإن تحليل محتوى الأغنية الفرنسية التي نالت شهرة كبيرة منذ الحرب العالمية الثانية، بغض النظر عن الأفضليات التي قد تكون لدينا بالنسبة إلى هذه الأغنية أو تلك، سيسمح بالتعمق في المعنى واكتشاف كيف أن الكلمات المستعملة والمواضيع المعالجة والأوضاع الموصوفة هي بمثابة رموز لسلوكات ومشاكل وآمال خاصة بتلك الفترة.

إمكانيات الدراسات المقارنة والتطورية

من الممكن أن يتم الحصول على المادة بطريقة تسمح بالمقارنة بين إنتاج مختلف المؤلفين ومختلف الجماعات. هكذا يمكننا دراسة

أنظر الفصل 3، «الفترة الزمنية المعتبرة».

الايديولوجية ونسق الافكار لجريدتين مختلفتين، لبرامج سياسية متعارضة أو لكتب مدرسية متنوعة والمقارنة بينها. إن تحليل المحتوى يمنح فرصة المقارنة بين الوثائق من حيث مواضيعها، مقاصدها وأهدافها. هذا يعني أنه في إمكاننا التواجد في أماكن مختلفة في نفس الوقت. هذا ما ليس في استطاعة التقنيات المباشرة تحقيقه إلا بواسطة استعمال إمكانيات ضخمة. يضاف إلى هذا إمكانية متابعة ظاهرة ما عبر الزمن من خلال وثائق مجمعة، مما يسهل الدراسات الممتدة (longitudinales) ؛ على عكس ما تسمح به التقنيات المباشرة. إن إمكانية دراسة التغير هي بمثابة ميزة جوهرية لتحليل المحتوى. تسمح هذه التقنية أيضا بإقامة السلسلات الزمنية التي لا غنى عنها في الدراسات التاريخية بوجه خاص. في هذا السياق يمكن إجراء مقارنة بين أشهر الأغاني الفرنسية منذ 1945 من خلال تحليل محتواها. يمكن لهذه المقارنة أن تتضمن، بالفعل، المواضيع والأوضاع المختلفة التي تثيرها الأغاني الإفريقية الشهيرة وكذا أغاني الأنتيل والأغاني البلجيكية والفرنسية، والكيبكية والسويسرية، وغيرها من الأغاني الناطقة باللغة الفرنسية. هكذا يمكننا استخراج أوجه التشابه والاختلاف بين بعض التجارب التي تعرفها هذه الشعوب. كما يمكن تطبيق تحليل المحتوى بشكل تطوري. يمكننا، مثلا، تجزئة تطور الأغنية الكيبكية إلى فترات تاريخية تمتد ما بين 1945 – 1995 ومن خلالها استخلاص بعض التحولات التي عرفها الكيبك المعاصر. إنها الميزة الأكثر جاذبية لتقنية تحليل المحتوى.

ثراء التأويل

تمكن تقنية تحليل المحتوى الباحث من القيام بدراسة متعددة لنفس الوثيقة. هذا يعني أن نفس الوثيقة يمكن أن يقوم بدراستها عدة محللين لكل واحد منهم هدفه الخاص من الدراسة واتجاهه في حل المشاكل المتنوعة. قد يهدف تحليل الخرائط الجغرافية التي أعدت منذ قرنين، مثلا، إلى التأمل في تاريخ تقنيات إنجاز الخرائط منذ زمن طويل. كما يمكنه، من خلال هذا الإنتاج، إبراز تطور مختلف البلدان فيما يتعلق بحدودها الاقليمية ؛ يمكن أخيرا، أن تستعمل بهدف العثور على بعض التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت وذلك من خلال مشاهدة الخرائط الاقتصادية

وتلك الخاصة بالطرق مثلا. في نفس السياق، يصبح من الممكن، من خلال دراسة أشهر الأغاني الفرنسية، استخراج ليس فقط تطور المواضيع الظاهرة، بل أيضا المواضيع الضمنية والمتعلقة بالمشاكل الاجتماعية الخاصة بكل فترة زمنية؛ كما يمكننا تحليل العلاقات بين الرجال والنساء، أو حتى التأثيرات الأدبية، السياسية، النفسية والاجتماعية للمؤلفين الموسيقيين. هنا نستطيع أن نتبين المسالك العديدة التي يستطيع المحلل أن يسلكها أثناء تحديده للمشكلة.

طول مدة التحليل

إن تقنية تحليل المحتوى تتطلب وقتا، بل وقتا طويلا. إن البحث على الوثائق سيستغرق وقتا معتبراً، يضاف إلى ذلك قراءتها وإعادة قراءتها، أو على الأقل قراءة جزء منها، و، أخيرا، الجمع البطيئ والمنظم للعناصر الدالة. في حالة ما إذا لم تكن هذه الوثائق متوفرة أو موجودة في المكتبة، فعلى الباحث أن يحضر نفسه إلى تنقلات عديدة تزيد من طول المدة الزمنية المخصصة للجمع. إن إعداد قائمة للأغاني المشهورة الناطقة باللغة الفرنسية منذ 1945، حتى ولو اقتصر ذلك على الكيبك، يتطلب وقتا للتفكير أولا في أماكن تواجدها، ثم الذهاب إلى هذه الأماكن، ثم الاستماع إلى عدد كبير منها وأخيرا تحليلها بصفة منتظمة مع مراعاة الفهم الجيد للمعنى. إن تحليل المحتوى يؤدي إلى اكتشافات مذهلة، لكن لابد من تخصيص الوقت الضروري لتفريغ الوثائق.

الابتعاد عن الواقع

لا تكفي وثيقة واحدة أو عدة وثائق في وصف كل الواقع لأن المؤلفين لا يحللون إلا جزءا من الواقع، أي ذلك الذي يعرفونه، وحتى في هذا المستوى فإنهم قد يهملون عن وعي أو عن غير وعي ما يبدو لهم أنه شيئا ثانويا ولا يستحق الذكر. فعلى سبيل المثال، فإن المخرج لمنتوج سينمائي قد يطلب من مصوره أن يأخذ بعض الصور دون أخرى وذلك حسب مقاصده، أي ماهو الجانب الخاص من الواقع الذي يريد أن تعكسه هذه الوثيقة؟ يضاف إلى هذا أنه إذا اكتشفنا، من خلال دراستنا لأشهر الأغاني الفرنسية خلال فترة زمنية معينة، بروز موضوع الحب المطلق والأبدي، فهل هذا يعكس صلابة العلاقة التي كانت تربط الأزواج في تلك الفترة أو أنه بالأحرى رد فعل لبداية تدهور في ميدان القيم المتعلقة بالوفاء، أو هل

يدل على إيجاد حيلة لأغراض تجارية محضة ؟ كما يمكننا أيضا أن نطرح أسئلة من هذا النوع، مثلا، فيما يتعلق بالخطابات حول قيمة العائلة الكندية الفرنسية ومكانتها بين الفترة 1840–1940 في حين أن ما يقارب المليون من الكيبكيين هاجروا إلى الولايات المتحدة في تلك الفترة.

التقدير السيء للمعطيات

يستحيل في بعض الأحيان إيجاد مصدر الوثائق وأصحابها، بالرغم من كل الاحتياطات المأخوذة أثناء القيام بالنقد الداخلي والنقد الخارجي. إذا كنا نميز بسهولة بين دفتر يوميات شخصي وخطاب سياسي حتى لو كنا نجهل هوية مؤلفيهما، فسيكون من الصعب علينا أن نعرف في الحالة الأخيرة إن كان الأمر يتعلق بمجرد خطاب عادي يلقيه نائب على ناخبيه أو إعلان عن سياسة حزب من طرف أحد قادته. إذا أضفنا إلى هذا، في الوقت الراهن، العدد الهائل من الوسائل والأشخاص المكلفين بتحضير خطابات السياسيين سيصبح من العسير الإحاطة بالتفكير الشخصي للرجل السياسي المعني بالأمر مثلا. هناك إذا حواجز في مجال التأويل الدقيق لقيمة بعض الوثائق المستعملة لأغراض البحث. لو رجعنا إلى مثال الأغاني المشهورة الناطقة باللغة الفرنسية وحاولنا الكشف عن درجة شعبيتها ومصدر الأرقام التي تبرهن عن ذلك. حتى يتسنى لنا ذلك، ينبغي علينا التحقق من عدد الجوائز المحصل عليها في مدة زمنية معينة. هل تملك كل محطة بث واحدة منها ؟ ألم تقم محلات بيع الأسطوانات بتضخيم عدد مبيعاتها أثناء حملاتها الإشهارية ؟ هل سجلت كل الأغاني الشعبية في أسطوانات ؟ كيف نعرف ما كان يحبه أو يفضله المستمعون فعلا ؟ هكذا نفهم أن التقييم الصحيح والمضبوط للوثائق ليس بالأمر السهل ولابد أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار.

تحليل الإحصائيات

تحليل الاحصائيات تقنية غير مباشرة للتقصي العلمي مطبقة على مواد أو وثائق متعلقة بأفراد أو جماعات وهي ذات محتوى رقمي تسمح بسحب كمي من أجل التفسيرات الإحصائية والمقارنات الرقمية.

إن **تحليل الإحصائيات هو تقنية غير مباشرة تطبق على المواد أو الوثائق المتعلقة بالأفراد (مثلا تعدادات مجموع السكان) أو بالمجموعات (مثلا حسابات هيئات مختلفة) والتي يكون محتواها رقمي، حيث تسمح بالمعالجة الكمية. يعتبر التحليل الإحصائي، على غرار تحليل المحتوى،**

تقنية تسمح بالاهتمام بمعطيات ثانوية واستعمالها لأغراض خاصة لأنها تحمل الإجابة عن مشكلة البحث. في هذا السياق سنسعى إلى معرفة السلوكات الجماعية للأشخاص أو المؤسسات أو هذه أو تلك الهيئة الحكومية، أكثر مما نريد معرفة سلوكات الأفراد كل واحد على حدة. بعبارة أخرى، فإننا نهتم بالظواهر ذات النطاق الواسع في المجتمع سواء كانت تتعلق بالأداءات الاقتصادية أو الظواهر الديموغرافية أو النشاطات الحرفية أو الخصائص الاجتماعية الاقتصادية لمجموعة ما. كل سؤال نطرحه ونريد التحقق منه لدى أجزاء واسعة من المجموعة السكانية يتطلب هو الآخر فحص عدد كبير من المعطيات التي لا تسمح بها سوى التحليلات الإحصائية، ذلك لأن مثل هذا العمل يتطلب موارد كبيرة، في حين أننا لا نستطيع بمفردنا جمع كل المعطيات الضرورية.

مصادر الإحصائيات

زيادة على الحكومات التي تعتبر أكبر منتج للمعطيات الثانوية لتحليل الإحصائيات (التعدادات، البطالة، تكاليف المعيشة، نسبة المواليد، إلخ.)، فإن هناك مصادر أخرى لها فائدة كبيرة بالنسبة إلى البحث (Gauthier et Turgeon 1992). تقوم الجامعات بصفة خاصة بتخزين مصادر المعطيات التي استعملت من طرف باحثيها وجعلها في متناول من هو في حاجة إليها ؛ كما توجد أيضا مصالح محترفة تقوم هي نفسها بإعادة تناول المعطيات المتحصل عليها، مثلا، من التعدادات ؛ في حين تقوم مصالح أخرى هي ذاتها بإعداد مصدر للمعطيات الأولية تباع فيما بعد إلى الهيئات المهتمة ؛ كما توجد شركات تقوم بمنح المساهمين فيها معطيات تكاد تكون هامة. من جهة أخرى، توجد مجلات متخصصة في هذه المهنة أو تلك، أو في هذا القطاع الاقتصادي أو ذاك يمكنها توفير معطيات أو منافذ للحصول عليها. أخيرا، هناك معطيات حول بلدان أخرى تكون متوفرة بفضل الوثائق التي تعدها منظمة الأمم المتحدة أو هيئات مثل منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) التي تجمع مختلف البلدان بما فيها كندا والولايات المتحدة وعددا معينا من البلدان الأوروبية.

فائدة المصادر

تظهر الفائدة من الإحصائيات في الطريقة التي تعرض بها عادة. قد تكون في شكل بطاقيات إعلام آلية (fichiers informatiques) لمعطيات موحدة، مما يسمح فيما بعد بتجميعها بشكل آخر وفقا لأهداف البحث. بالإضافة إلى ذلك، تكون البطاقيات مرفقة بطريقة الاستعمال، وبالمعلومات العامة حول البحث، من جراء ذلك يمكن النفاذ إما إلى مجموعة سكانية شاملة أو إلى عينة هامة عادة ما تكون ممثلة جدا لهذه المجموعة السكانية. هذا ما يسمح بإعطاء البحث بعدا غير مشكوك فيه.

معطيات موحدة
معلومات مرتبطة بكل عنصر أو فرد من أفراد مجتمع الدراسة أو العينة

المزايا والعيوب

يعتبر التحليل الاحصائي بمثابة أداة ثمينة بالنسبة إلى من يريد أن يعمل على مجموعات كبيرة من المعطيات الرقمية ذات الامتداد الزماني والمجالي. إنه يمثل اقتصادا للوقت وللأموال بشرط ألا تتعارض طبيعة المعطيات مع الأهداف المنشودة من طرف الباحث أو الباحثة. في نفس السياق ينبغي ألا تكون هناك هوة كبيرة تفصل بين تحديد المشكلة والمعلومات المعتمد عليها. تعتبر الوثائق الإحصائية إذن مصدرا للمعلومات لا غنى عنه في إتمام بحث معتمد على وسائل أخرى، إما بإضافة معلومات جديدة أو دعم ماهو موجود منها.

تكاليف منخفضة

عندما يتم جمع المعطيات وترتيبها من طرف أشخاص آخرين فإننا نتجنب بهذا مصاريف كثيرة. يتم الحصول عادة على هذه المعطيات من طرف هيئات عمومية ملتزمة بسياسة جلب المعلومات، مما يجعل تكاليف الحصول عليها منخفضة نسبيا. بدولارات معدودة يمكننا الحصول على معلومات حول التعدادات في كتيبات تحتوي على معطيات تخص مختلف المميزات الاجتماعية مثل الجنس، السن، الحالة المدنية، اللغة الأصلية، عدد الأطفال وسنهم، نوعية السكن، الدخل، الشغل، إلخ. كما يمكن بدولارات إضافية الوصول إلى بطاقيات إعلام آلية.

إمكانية إجراء الدراسات الواسعة والتطورية

بالإضافة إلى التكاليف الباهضة التي يمكن أن تتميز بها الدراسات الميدانية الواسعة النطاق، فهي تتطلب أيضا وقتا كبيرا. بالنسبة إلى من

يريد دراسة كل مجتمع البحث على المستوى الوطني أو الإقليمي أو البلدي أو على مستوى الحي، فالأفضل له أن يحصل على المصادر الإحصائية المعدة سلفا. في نفس الإطار إذا كان اهتمامنا منصبا على التغير الحاصل من شهر إلى آخر، أو من سنة إلى أخرى، أو من عشرية إلى أخرى، فإن كثيرا من المعطيات المتوفرة تغطي مدة زمنية طويلة جدا. يكفينا هنا أن نذكر على سبيل المثال تلك التعدادات التي تقوم بها الحكومة الجزائرية منذ أكثر من ثلاثين سنة والتي توفر هكذا مقارنات متدرجة عبر الزمن. يمكننا في هذا الإطار، مثلا، دراسة مجموع التراب الجزائري أو منطقة خاصة من خلال موضوعات التمدرس والتشغيل.

تكملة ملائمة لبحث لا يزال يجرى

يمكن للدراسة الإحصائية أن تلعب دور الدعامة لبحث معتمد على تقنية أخرى. لو قمنا، على سبيل المثال، ببحث على سكان مدينة الجزائر حول موضوع ما، وتساءلنا حول ما إذا كانت مجموعة المبحوثين تعكس فعلا مميزات سكان مدينة الجزائر عامة، فإن دراسة الوثائق الإحصائية الخاصة بالتعداد ستقدم لنا الإجابة عن هذا السؤال. هكذا، فإذا كانت نسبة الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 20 سنة تمثل 25 % من مجموع المبحوثين، فسيكون في إمكاننا التحقق إن كانت هذه الفئة العمرية تمثل تقريبا نفس النسبة ضمن المعطيات التي يوفرها تعداد الجزائر العاصمة، وبالتالي تكوين فكرة حول مدى صدق وزنها في بحثنا الخاص.

التعمق في بحث تم إنجازه

بمجرد توفر إمكانية الحصول على المعطيات بواسطة الإعلام الآلي لبحث تم إنجازه، فإننا نستطيع التعمق فيه. بعد التعرف على الظروف الضرورية التي أجري فيها، يكون في استطاعتنا أيضا إعادة بناء المتغيرات حسب متطلبات بحثنا. قد يظهر هذا الاختبار الجديد بعض العلاقات التي لم تكن في مجال اهتمام التحليل الذي تم القيام به. عند تحليل سبر الآراء السياسية، مثلا، يمكننا الربط بين الأسئلة التي لم يأخذها التحليل السابق بعين الاعتبار، كما يمكننا إعادة تنظيم بعض المتغيرات مثل متغيرات السن، والاستمرار هكذا في التحليل الأول مع الاستفادة من إمكانية الحصول على جمع معطيات أخرى من نوع رفيع.

الإحصائيات المبنية من طرف الغير

انطلاقا من أن المعطيات قد تم جمعها من طرف أناس آخرين ولأغراض غالبا ما تختلف عن تلك الأغراض الخاصة بالبحث فإن ذلك يطرح عددا معينا من الصعوبات وهذا بسبب أن الإحصائيات المتوفرة لا تتماشى أو تتطابق كلية مع عناصر تحديد المشكلة. لهذا لابد من تغيير البعض من أهدافنا الأصلية. فإذا كنا نريد، على سبيل المثال، القيام ببحث ميداني حول الأشخاص العاطلين عن العمل ولاحظنا أن التعريف الممنوح من طرف مصدرنا الإحصائي لعبارة بطالين لا يغطي كافة الأفراد الذين تشتمل عليهم دراستنا لأن هذه الفئة تم تعريفها من طرف المصالح الحكومية على أساس برنامجها الخاص بتأمين البطالين ؛ فأمام هذه الصعوبة ينبغي علينا إدخال تعديلات على مجتمع البحث المستهدف إذا أردنا الاستمرار في استعمال هذا المصدر الإحصائي.

أخطاء الجمع

يمكن أن تؤدي الطريقة التي تم من خلالها جمع المعطيات إلى نقائص وأخطاء متفاوتة الأهمية. مثلا، لا تحصي القائمة الانتخابية كل الأشخاص ؛ كما أن دقة المعلومات التي يمنحها الأفراد المبحوثين ليست مؤكدة. فلو سألناهم، مثلا، عن العدد الدقيق لمنتوجاتهم الزراعية، فإن بعض الكلمات، لأسباب معينة، ستتميز ببعض الغموض. قد يذهب بعض الأشخاص إلى التقليل من بعض الوقائع أو تضخيمها مثل الدخل، السن، المستوى الدراسي. إن بعض هذه الأخطاء لا يؤثر في الأرقام الشاملة، غير أن البعض منها يمكنه أن يمس بمصداقية التحليل الذي نريد القيام به.

نستنتج مما سبق أن لكل تقنية من تقنيات البحث مزاياها وعيوبها التي يجب علينا تقييم درجة تأثيراتها في البحث، كما أنه لا يمكن اعتبار أية تقنية جيدة أو رديئة في حد ذاتها. في هذا السياق فإن أهم مزايا كل تقنية من تقنيات البحث وعيوبها قد تم تلخيصها في الجدول الموالي.

جدول 7 :

خصائص، مزايا و عيوب تقنيات البحث

تقنيات	مميزات	مزايا	عيوب
الملاحظة في عين المكان	اتصال مباشر ملاحظة المجموعات شكل غير موجه سحب كيفي	إدراك الواقع المباشر فهم عميق للعناصر بلوغ صورة شاملة اندماج أفضل للباحث تعاون بسهولة مع المخبرين حالة طبيعية معلومة من دون وسيط	ضيق المجال تكيف جد ناجح للباحث غياب عن بعض الأحداث نقص تجانس المعطيات ثقل مسؤولية الباحث
مقابلة البحث	اتصال مباشر استجواب أفراد أو مجموعات شكل نصف موجه سحب كيفي	مرونة أجوبة متباينة إثارة الاهتمام إدراك شامل للمستجوب أخذ المجموعة بعين الاعتبار	أجوبة كاذبة مقاومات المستجوب ذاتية المستجوب نقص مجال المقارنة بين المقابلات حواجز ظرفية
الاستمارة أو سبر الآراء(الاستبار)	اتصال مباشر استجواب أفراد شكل موجه سحب كمي	تقنية قليلة التكلفة سرعة التنفيذ تسجيل سلوكات غير ملاحظة مقارنة الإجابات تطبيق على عدد كبير	تزييف إرادي للأقوال عجز بعض المبحوثين معلومات موجزة رفض الإجابة
التجريب	اتصال مباشر تجريب على أفراد شكل موجه سحب كمي	إقامة علاقة سببية تحكم في الوضع إمكانية القياس	تبسيط كبير للواقع عدم تمثيلية عناصر التجربة عدم ثبات المجموعات
تحليل المحتوى	اتصال غير مباشر تحليل وثائق شكل غير رقمي سحب كيفي أو كمي	تعميق الرمزية إمكانيات الدراسات المقارنة والتطورية ثراء التأويل	طول مدة التحليل ابتعاد عن الواقع تقدير سيء للمعطيات
تحليل الإحصائيات	اتصال غير مباشر تحليل وثائق شكل رقمي سحب كمي	تكاليف منخفضة إمكانيات إجراء دراسات واسعة وتطورية تكملة ملائمة لبحث لا يزال يجرى تعمق في بحث تم إنجازه	إحصائيات مبنية من طرف الغير أخطاء الجمع

خاتمة

تمثل تقنيات البحث الست التي تم تقديمها في هذا الفصل مجموعة من وسائل التقصي يلجأ إليها الباحث أو الباحثة في العلوم الإنسانية. تهدف كل هذه التقنيات إلى إعطاء أداة يتم من خلالها الوصول إلى الواقع بغية التحقق من الفرضيات أو أهداف البحث. كما أن اختيار إحدى هذه التقنيات يتم أساسا على ضوء الفائدة منها بالنسبة إلى تحديد المشكلة.

إلا أنه يمكن للوسائل المادية، من جهة أخرى، أن تقلص من فرص تطبيق بعض هذه التقنيات، مثل ضرورة الخروج عن حدود المدينة، أو عن طريق عدد الأشخاص الذين يمكنهم المساهمة أو صعوبات مالية أو توفر المخبر. كما يمكن للقدرات الشخصية أن تتدخل هي الأخرى في توجيه ميل الباحث إلى استعمال تقنية معينة دون أخرى. إذا كنا نشعر بالراحة في حالة تواجدنا ضمن مجموعة، ركنا نريد التعمق في الحديث مع شخص ما، وكنا نتمتع بقدرة في التنظيم، عندها يمكننا أن ننحاز إلى هذه التقنية أو تلك من التقنيات المباشرة. أخيرا، فإن غزارة المعطيات التي نسعى للحصول عليها ونوعها تدفعنا للاعتماد إما على تقنية معينة بدلا من أخرى أو استعمال أكثر من تقنية واحدة. عند الانتهاء من عملية الاختيار يتعين على الباحث إعداد الأداة المصاحبة للتقنية أو التقنيات. هذا ما نتناوله في الفصل اللاحق.

أنظر الفصل 4، «التقييم بواسطة المقارنة».

ملخص

لقد تمت في هذا الفصل معالجة ست تقنيات من تقنيات البحث. إن الاتصال بالمخبرين يتم عن طريق الملاحظة في عين المكان أو مقابلة البحث أو الاستمارة (الاستبار) أو التجريب، أما دراسة الوثائق فيمكن أن تتم عن طريق تحليل المحتوى أو تحليل الإحصائيات.

إن الملاحظة في عين المكان تمارس على مجموعة صغيرة من طرف باحث أو باحثة، يقوم أولا وقبل كل شيء بدور الملاحظ. كما يمكن القيام بالملاحظة في عين المكان دون المشاركة في نشاطات المخبرين أو عناصر البحث. يمكننا أن نختفي إما عن طريق عدم الظهور أمام الأشخاص محل الملاحظة أو بعدم الكشف عن سبب حضورنا (وجودنا) في

مصطلحات أساسية
- تقنية البحث
- معطيات أولية
- معطيات ثانوية
- ملاحظة في عين المكان
- ملاحظة منتظمة
- ملاحظة بالمشاركة
- ملاحظة من دون مشاركة

الميدان. كما يمكننا ،بدلا من ذلك، التفتح الكلي أو الجزئي على المجموعة إذا كان موضوع الدراسة يسمح بذلك. تكمن إحدى فوائد الملاحظة في السماح بمشاهدة الأشياء وهي تحدث، كما تسمح بالفحص المعمق لأفعال الأشخاص، بالإضافة إلى كونها تمنح أيضا فرصة بلوغ الصورة الإجمالية للمجموعة واندماج أفضل في الوسط، كما تسمح بعدم الطلب من المخبرين القيام بعمل أو فعل ما، وأن يكونوا في إطار طبيعي للحياة، وأخيرا، تسمح بالجمع الشخصي للمعطيات. على العكس من ذلك، فإن الملاحظة لا يمكن إجراؤها إلا في مجال ضيق، وأنه يصعب على المرء إجراء المقارنة بين المواد المجمعة، إضافة إلى وجود خطر احتمال تكيّف جد ناجح للباحث في الوسط محل الدراسة، كما يمكن للباحث أن يغيب عن بعض الأحداث الهامة، ورغم كل ذلك فإنه يتحمل كافة مسؤولية العمل.

- ميدان الدراسة
- ملاحظة مستترة
- ملاحظة مكشوفة
- مقابلة البحث
- سير حياة
- مقابلة مجموعة
- استمارة
- سبر فوري
- سبر مكرر
- سبر الاتجاه
- استمارة الملء الذاتي
- استمارة بالمقابلة
- تكيّف جد ناجح
- تجريب
- تجريب مثار
- تجريب مسند
- تجريب مصطنع
- تحليل المحتوى
- محتوى ظاهري لوثيقة
- محتوى مستتر لوثيقة
- تحليل الإحصائيات
- معطيات موحدة.

ومن جهتها تتطلب مقابلة البحث حضور الباحث الذي يقوم بطرح الأسئلة على المستجوب ؛ كما يمكن للمستجوب أن يطرح أسئلة على مجموعة أفراد. ما دامت تقنية المقابلة مقبولة من طرف المبحوثين بصفة عامة، فإن ذلك يسمح بالتكيف مع مختلف الأوضاع والتحدث مع أغلبية الأفراد المكونين للمجموعة والحصول على أجوبة نسبية، كما تمنح المقابلة للباحث فرصة إدراك المستجوبين في سياق كل أفعالهم وحركاتهم. أما في حالة مقابلة المجموعة، فإنها تسمح له بإدراك خصائص المجموعة. غير أن مقابلة البحث تتضمن بعض الصعوبات مثل تلك المتمثلة في تزييف الحقيقة من طرف المستجوبين، كما أنها تثير مواقف دفاعية من طرفهم أو تأويل مبالغ فيه، و أخيرا، نقص الانتظام بين المقابلات مع وقوع بعض الأمور غير المتوقعة أثناء اللقاء.

أما الاستمارة فتعرض عددا من الأسئلة المقننة أو الموحدة النمط على المبحوثين مع اقتراح أجوبة. إن سبر الآراء (الاستبار) الذي هو نوع من الاستمارة يطبق على المجموعات الكبيرة ويحمل عددا قليلا من الأسئلة متعلقة بالآراء. ويجب أن تملأ استمارة الملء الذاتي من طرف المبحوث نفسه، في حين أن الاستمارة بالمقابلة تبقى بين أيدي المستجوب الذي يطرح الأسئلة ويسجل الأجوبة. إن الاستمارة قليلة التكاليف ويتم ملؤها عموما بسرعة، كما تسمح بالوصول إلى ما لا يمكن ملاحظته، مع جعل الأجوبة قابلة للمقارنة وتطبق على عدد كبير من الاشخاص. غير أن تطبيق الاستمارة يعاني بعض العيوب أيضا، ومنها

خاصة نية بعض المبحوثين في المراوغة وعجز البعض منهم على الإجابة أو إعطاء أجوبة مختصرة جدا، في حين يلجا آخرون إلى رفض الإجابة عن أسئلة الاستمارة.

أما التجريب فإنه يتعلق بإخضاع عناصر بشرية لمتغيرات أو حوافز للتحقق من مدى تأثيرها فيهم. إن التجريب في شكله الكلاسيكي يتم في المخبر حيث يقوم الباحث بمهمة إثارته ومراقبته، في هذه الحالة، نقوم بإجراء اختبار قبلي واختبار بعدي على عناصر التجربة. فنقوم مسبقا بجمع البعض منهم في المجموعة التجريبية، أي المجموعة التي تخضع للمتغير المستقل والبعض الآخر في مجموعة المراقبة، أي المجموعة التي لا تخضع لتأثير المتغير المستقل ؛ كما يمكن أن يجرى التجريب في وسط طبيعي وعادي للحياة. غير أننا في هذه الحالة نتحول عادة إلى مسجلين لما يحدث ولذا نتكلم في هذا المجال عن التجربة المسندة. نستطيع أيضا العمل وكأننا في إطار تجريبي وذلك باستعمالنا للتجربة المصطنعة التي تتمثل في إعداد نموذج مبسط للواقع والذي نقوم بتحريكه أو تشغيله بفضل إمكانيات الإعلام الآلي. إن التجريب يسمح لنا بالقيام بدراسة السببية والسيطرة على كامل الوضعية وقياس الظواهر. بالرغم من كل هذا فإن التجريب ينشئ وضعا مبسطا للواقع، والعناصر التي تخضع له لا تكون بالضرورة ممثلة للمجموعة الكلية، كما يمكن أن تتميز كل من المجموعة التجريبية ومجموعة المراقبة بعدم الاستقرار.

أما تقنية تحليل المحتوى فإنها تسمح بفحص الوثائق غير الرقمية. في هذا الإطار يمكننا البقاء على مستوى تحليل المحتوى الظاهري أو ما يقال بوضوح في وثيقة ما. كما يمكننا أيضا البحث عن المعنى الخفي في الوثيقة ثم تحليل محتواها المستتر. تسمح تقنية تحليل المحتوى بالدراسة العلمية لما ترمز إليه الكلمات، الجمل، المشاهد الملتقطة بالكاميرات، الأعمال المصورة، إلخ. من جهة أخرى، فإنها تمنح فرصة المقارنة بين إنتاج المجموعات المختلفة، أي مختلف الأفراد، والقيام بالدراسة الممتدة في الزمن وإثراء مختلف التفسيرات التي أعطيت للظاهرة المدروسة. غير أن هذه التقنية تتطلب مدة زمنية كافية لكي يتمكن الباحث من الفحص الدقيق لكل وثيقة من الوثائق المحصل عليها. زيادة على ذلك، فإن الوثائق لا تمثل سوى جانبا من الواقع، ولهذا فمن الصعب في بعض الأحيان تحديد بدقة صحة نص معين وأصالته.

وعلى عكس التقنية المشار إليها أعلاه، فإن تقنية تحليل الإحصائيات تسمح بفحص الوثائق ذات المحتوى الرقمي. في وقتنا الحالي، تعتبر الاستفادة من البطاقية الإعلام آلية للبحوث التي تم إنجازها بمثابة طريق لاستعمال وثائق إضافية تفيدنا في التحليل. كما تمكننا هذه الطريقة أيضا من معالجة جديدة للمتغيرات والنتائج المتوصل إليها من خلال البحث السابق. إن أغلب المعطيات الثانوية تأتي عن طريق المؤسسات الحكومية والجامعات والمحترفين والمختصين في إعداد هذا النوع من المعطيات. تمنح المؤسسات الاقتصادية كذلك معطيات موحدة عادة ما تضمن درجة عالية من التمثيلية. يمكن إجراء تحليل الإحصائيات بتكاليف منخفضة، كما يمكن أن تكون الوثائق مشتملة على معطيات تهم العالم كله وتمتد على عشرات السنين. إن فائدة هذا النوع من التحليل تظهر أيضا في استكمال دراسة مشكلة بدأت باستعمال وسيلة أخرى، حيث تسمح البطاقيات الإعلام آلية من جهتها بمتابعة دراسة بدأها باحث آخر. إلا أن تقنية تحليل الإحصائيات ليست خالية من العيوب هي الأخرى بدليل أنه يوجد مثلا مشكل عدم تطابق أهداف الدراسة مع المعطيات المجمعة من طرف باحثين آخرين ولأغراض أخرى. كما تجدر الإشارة في هذا السياق إلى تلك الصعوبة المتمثلة في عدم التأكد دائما من صدق المعطيات على كل المستويات، إضافة إلى صعوبة تكييف الأرقام مع مشكلة بحث خاصة.

يجب أن يتم اختيار الباحث لأية تقنية تناسب بحثه وفقا لتقييم مزايا كل واحدة من التقنيات وعيوبها على ضوء مشكلة البحث التي قام بتحديدها أثناء المرحلة الأولى من البحث.

أسئلة

1. يريد باحث الحصول على شهادات من أشخاص في سن الستين فأكثر، والذين يكون أحد والديهم قد توفى قبل بلوغهم سن الثانية عشر، وذلك لحصر ما يترتب عن مثل هذا الحدث من تأثيرات في باقي مسار الحياة.

أ) ماهي تقنية البحث الأكثر تلاؤما مع هذا الموضوع ؟

ب) علل ذلك من خلال الإشارة إلى أحد خصائص هذه التقنية المطبقة في هذا البحث المميز.

جـ) حدد بدقة إحدى مزايا هذه التقنية المطبقة في هذا البحث المميز.

د) حدد بدقة إحدى عيوب هذه التقنية المطبقة في هذا البحث المميز.



2. تهتم إحدى الباحثات بقياس آثار درجة حرارة المحيط في نسبة السرعة لدى الأشخاص أثناء تنفيذهم لمهمة ما. أجب عن نفس الأسئلة المطروحة في السؤال رقم 1.

3. تهتم إحدى الباحثات بطاقم من البحارة وذلك لمعرفة مجرى الحياة في سفينة خلال بعض الأسابيع : الكشف عما يجري، ماهو إحساسنا عند قضائنا لمدة طويلة فوق الماء ؟ ماذا يمكن أن ينشأ من علاقات إنسانية ؟ أجب عن نفس الأسئلة المطروحة في السؤال رقم 1.

4. تهتم إحدى الباحثات بهؤلاء وأولئك ممن يكتبون كتبا يخاطبون من خلالها الوالدين حول طريقة تربية الأطفال، وذلك بهدف استنتاج التصور أو التصورات التي نحملها عن الأطفال في مجتمعنا. أجب عن نفس الأسئلة المطروحة في السؤال رقم 1.

5. يهتم أحد الباحثين بقياس ما يفكر فيه مواطنو بلده حول المجرمين والعقوبات المفروضة عليهم. أجب عن نفس الأسئلة المطروحة في السؤال رقم 1.

6. قدم في كلمات محدودة موضوع بحث وبين أنه بإمكاننا الاستعانة بتقنيتين من أجل إنجازه، وذلك بالإشارة إلى ما تساهم به كل واحدة منهما في فهم المشكلة محل الدراسة.

الفصل 8

بناء أدوات الجمع

في إطار كل تقنية من التقنيات، ينبغي بناء أداة خاصة لكل دراسة نريد القيام بها. لذا تتمتع هذه التقنية ببنية ومميزات تجعلها قادرة على الحصول على المعطيات الضرورية والكافية للدراسة.

MARC-ADÉLARD TREMBLAY

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة تحضير :

- إطار الملاحظة ؛
- مخطط المقابلة ؛
- وثيقة الأسئلة ؛
- مخطط تجريبي ؛
- فئات تحليل المحتوى ؛
- سلسلات رقمية.

تمهيد

تناولنا في الفصل السابق تقنيات البحث الأساسية في العلوم الإنسانية. غير أنه كي نستعملها لابد من بناء أداة لجمع المعطيات تكون مناسبة لمشكلة البحث المطروحة. انطلاقا من كون أداة جمع المعطيات تمثل نقطة التلاقي بين البناء المفهومي لمشكلة البحث من جهة والواقع المراد دراسته من جهة أخرى، فإنها تستمد وجودها من كونها تسمح للباحث أو الباحثة بالتوجه نحو الواقع لجمع المعلومات الضرورية للإجابة عن مشكلة بحثه.

لكل تقنية أداة خاصة لجمع المعطيات : فالملاحظة في عين المكان، مثلا، تتطلب إعداد إطار الملاحظة، أما المقابلة فتتطلب إعداد دليل المقابلة، وتستعين الاستمارة، وسبر الآراء أيضا، بما يسمى بوثيقة الأسئلة، في حين يتطلب التجريب المخطط التجريبي، ويلجأ تحليل المحتوى إلى إعداد فئات التحليل، وأخيرا، فإن تحليل الإحصائيات يعتمد على السلسلات الرقمية، أي التكميم. سنتناول في هذا الفصل كيفية بناء كل واحدة من هذه الأدوات.

بناء إطار الملاحظة

إطار الملاحظة

أداة لجمع المعطيات يتم بناؤها من أجل ملاحظة وسط معطى

يُعرّف **إطار الملاحظة** بأنه أداة تستعمل في جمع المعطيات أثناء إجراء الملاحظة في عين المكان، لأنه من غير المعقول أن نذهب إلى ميدان البحث دون أن نكون قد حضرنا أنفسنا مسبقا حول ماذا ستكون ملاحظتنا. باعتبار أن وجودنا في عين المكان سيجعلنا نشاهد أشياء كثيرة ومتنوعة في نفس الوقت، فإن استعانتنا بإطار الملاحظة يسمح لنا بفرز ما يستحق فعلا ملاحظتنا، من جملة الأشياء الكثيرة الأخرى. من البديهي أن يكون إطار الملاحظة هذا معتمدا على التعريف العملياتي للمشكلة المطروحة للدراسة. لهذا الغرض يجب أن يكون هذا الإطار متضمنا، بشكل أو بآخر، للمفاهيم والأبعاد والمؤشرات المتولدة عن عملية التحليل المفهومي ؛ ولبنائه يجب علينا حصر العناصر المنتمية إلى الوسط المراد ملاحظته والإحاطة التامة بهذا الوسط، وإقامة نظام لتسجيل الملاحظات. ينبغي، بالإضافة إلى ذلك، أن يكون محتوى تقديمه إلى المجموعة قد تم تصوره بصفة صحيحة وجيدة.

حصر عناصر الوسط الذي ستجرى فيه الملاحظة

قبل الشروع الفعلي في الملاحظة، من الضروري جمع كل المعلومات الممكنة حول الوسط المراد ملاحظته. بعد جمعها مع عناصر التحليل المفهومي، فإن هذه المعلومات ستستعمل كأساس لعملية بناء الأداة. تكون عملية البناء هذه سهلة أكثر عندما نتمكن من رسم ملامح الوضع موضوع الدراسة، وذلك من خلال إجابتنا عن الأسئلة الآتية :

- ماهي مميزات الموقع الذي نريد أن نلاحظه ؟ تتضمن الإجابة عن هذا السؤال وصف المكان، كيفية ترتيب الأشياء والجو العام الذي نشعر به. قد يتضمن هذا الجو السلوكات المسموح بها والسلوكات الممنوعة وتلك التي تشجع أو لا تشجع والمنتظرة أيضا. باختصار، إننا نريد التحكم في ميدان الدراسة.
- ماهو نوع الأشخاص الذين نلتقي بهم ؟ تتطلب الإجابة عن هذا السؤال الحصول على خصائص المشاركين والمشاركات، أي التعرف على سنهم، جنسهم، أصلهم العرقي، إلخ. وظيفتهم، أي طبيعة النشاطات التي يقومون بها وعددهم. كل هذا بهدف التعرف على كثافة التفاعلات والتداخلات.
- لماذا يتواجد هؤلاء الأشخاص هنا ؟ يتضمن هذا الأسباب الشكلية أو الرسمية لوجودهم في هذا المكان، كما يتضمن أيضا الأسباب شبه الرسمية أو المتنوعة التي يمكن أن تفسر جزئيا أو جوهريا سبب وجودهم والاتفاقات والاختلافات بينهم فيما يخص أسباب وجودهم.
- مانوع الأحداث المتوقعة ؟ يتضمن هذا السؤال نوع العلاقات المتوقعة التي تربط بين الأشخاص، ماذا يفعلون أو التعابير الشفوية، اليدوية أو الأخرى التي يقومون بها، كيفية أداء هذه الأعمال بالنسبة إلى كل شخص، مع من يتفاعل كل شخص. بعبارة أخرى، لابد من توقع أن كل شخص يقوم بأفعال ما بشكل خاص أثناء تفاعله مع الأشخاص الآخرين.
- ماهي الظواهر المتكررة ومنذ متى ؟ يتضمن هذا تاريخ المجموعة، تكرار مايحدث والميزة المثالية نوعا ما أو الأصلية للوضع.
- ماهي العناصر الأخرى التي يجب أخذها بعين الاعتبار ؟ يشير هذا إلى مختلف أوجه تعريف المشكلة التي لم تتناولها الأسئلة السابقة والتي ينبغي إدراجها بالضرورة في إطار ملاحظة الوسط بغرض تقييم هدف أو فرضية البحث.

- ماهي الفترات الملائمة للملاحظة ؟ يعني هذا تحديد الفترات التي تبدو أكثر ملاءمة لإجراء ملاحظة الظواهر الدالة للإجابة عن المشكلة التي تم تحديدها، إنطلاقا مما نعرفه عن الوسط وفي حالة ما يكون ذلك متوقعا.

إن الإجابة عن هذه الأسئلة السبعة ستكون سهلة إذا كان بإمكاننا القيام بالزيارة الاستطلاعية للوسط المراد ملاحظته. يمكننا هكذا التعرف على الظروف التي سيجرى فيها استعمال الأداة. سواء كانت لدينا فرصة زيارة المكان أم لا، فلابد علينا من تخزين كل المعلومات التي نملكها حول الوسط. إنها الأسئلة الرئيسية التي تسمح بالإحاطة بكل ما يمكن أن يتضمنه إطار الملاحظة في ظل تحديدنا لمشكلة البحث. غير أنه لا يمكن التقيد المطلق بهذه الأسئلة، بل يمكننا السمّاح بإضافات أخرى. هكذا يمكن أن تكون لبعض التوضيحات الأخرى فوائد، مثل معرفة هل الموقع خاص أو عام، وهل يسمح لأي شخص دخوله أم أن هناك شروطا معينة لدخوله، شأنه في ذلك شأن المشاركين أيضا، أي التعرف عليهم إن كانوا دائمين ومنتظمين أو مؤقتين أو هناك تناوبا، إلخ.

التحديد النسبي للوسط الذي ستجرى فيه الملاحظة

تجرى الملاحظة في المجتمعات الصناعية في شكل تجزئة المسار العام لحياة الأشخاص الذين هم موجودون تارة في العمل وتارة في البيت وتارة في مجالات الترويح أو الأنشطة المختلفة، إلاّ إذا اتجهنا نحو المجتمعات الصغيرة والمحدودة حيث تتم كل الأنشطة تقريبا في نفس الوسط، إذ يصعب علينا متابعة كل الأنشطة الخاصة لمجموعة من الأشخاص، حتى ولو تعلق الأمر بيوم واحد فقط. هذا راجع إلى كون أن كل شخص منهم ينتقل حسب الفترات الزمنية لليوم. هذا ما يجعلنا نميل إلى حصر موقع الملاحظة أو نشاط مستمر مع المجموعة. وكمثال على ذلك، مصلحة في مؤسسة ما أو فترات التدريب والمنافسة لفريق رياضي. أكثر من ذلك، عندما نركز على وضع ما فإننا نستطيع إعداد إطار منسجم وتدوين المشاهدات طبقا للنشاطات المرتبطة بهذا الوضع. من الضروري عدم تجاهل النشاطات الأخرى التي يمكن مشاهدتها، بشرط أن يكون استعمالها مرتبطا بمشكلة البحث.

نظام تسجيل المشاهدات

إن إطار الملاحظة هو في الأساس أداة لتسجيل المشاهدات المتعلقة بالظواهر التي تظهر ذات فائدة بالنسبة إلى مشكلة البحث. يتعلق الأمر في هذا الإطار بإعداد نظام لتسجيل المشاهدات يرتكز على الفرضية أو الفرضيات أو الهدف أو الأهداف التي تمت صياغتها، ويتم أيضا وضع مصطلحاتها في شكل عملياتي وتنفيذي. هكذا سنقوم بانشاء عناوين (أو أبواب) (rubriques) نقوم من خلالها بتسجيل الأهم الذي يجب الاحتفاظ به خلال إجراء الملاحظة. يمكن أن تنشأ هذه العناوين أو الأبواب من ابعاد أو مؤشرات التحليل المفهومي و من حصر عناصر الوسط المنتمية إليه.

التسجيلات الفعلية والتأملية

يقوم الملاحظ أو الملاحظة أساساً بتدوين نوعين من التسجيلات :

- التسجيلات الفعلية : وهي التي تقصي كل أنواع الأحكام مهما كانت (دَخَلَ هذا في علاقة بالآخر، وقام بالحركة كذا، إلخ.). كما تتضمن هذه التسجيلات مخططا للموقع ومعلومات عامة عن الأشخاص.
- التسجيلات التأملية : وهي عبارة عن تقديرات للملاحظات. يمكن تقسيمها إلى صنفين : تحليلية (لها علاقة بفرضية أو بهدف البحث) وشخصية (الشعور المتمثل).

يتم الرجوع إليها بعد ذلك وإضافة لها أيضا ملاحظات أخرى للتعمق أكثر في الوضع وفي الآفاق النظرية المتُطلع إليها. إننا نفترض في البحث الكيفي، عندما يكون في إمكاننا القيام بملاحظة الموقع أكثر من مرة، إعادة توجيه التسجيلات الفعلية، عند الحاجة، وذلك على ضوء التسجيلات التأملية التي أنشأناها.

شبكة الملاحظة ودفتر المشاهدات

تحفظ التسجيلات في شبكة الملاحظة أو في دفتر المشاهدات، وذلك حسب درجة الليونة المسموح بها طبقا لتحديدنا للمشكلة.

شبكة الملاحظة : إذا كنا في حاجة إلى أداة دقيقة جدا، بمعنى أنها قليلة الليونة، مثلما هو الشأن عندما نريد قياس الظواهر، فنقوم بإعداد شبكة للملاحظة كما يشير إلى ذلك الشكل 1.8. نشاهد في هذا المثال أن العناوين التي نجدها (من 1 إلى 10) تتطابق مع مؤشرات بُعْد تنظيم العمل،

ويُعَدّ السلوكات في العمل التي نسعى إلى دراستها. بصفة عامة، لا نكتب كثيرا في شبكة الملاحظة، و في هذا المثال، تتلخص العملية خاصة في رسم دوائر وفقا لما نشاهده.

دفتر المشاهدات. أما إذا كنا نحتاج إلى أداة أكثر ليونة، أي أكثر تفتحاً، لأن تحديد المشكلة يؤدي بصفة خاصة إلى تطبيق ملاحظة من النوع الكيفي مثلما هو الحال عادة عند ممارسة الملاحظة بالمشاركة، فإن الأمر يتطلب إعداد دفتر للمشاهدات بهدف تسجيلها. يتعلق الأمر بصفة خاصة عند استعمال هذا الأخير بتدوين المشاهدات الواقعية، لدى ينبغي علينا القيام بتحضير مجالا واسعاً مخصصاً لذلك كماهو مبين بصفة مختصرة في الشكل 2.8 وذلك من أجل العرض فقط. يمكن للتسجيلات التأملية أن تدمج تدريجيا وفق ظهورها أو أن تدون في مجال آخر من الدفتر. كما تجدر الإشارة إلى ضرورة التمييز بينها من خلال عنونتها، مثلاً، إذا كانت موجودة ضمن التسجيلات الأخرى وهذا حتى يسهل إيجادها عندما نرجع إليها فيما بعد.

شكل 1.8

مقتطفات من شبكة الملاحظة

تنظيم العمل

(من الأفضل ملؤها بعد ساعات من الملاحظة)

1. المكان في تنظيم العمل (وصف المهام)

المهمة في المنصب السابق	منصب العمل المدروس : المهمة	المهمة في المنصب اللاحق
____	____	____
____	____	____
____	____	____
____	____	____

(إحاطة)

2. يعمل تحت الضغط — يعمل حسب وتيرته الخاصة

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

3. توجد حركات زائدة — لا توجد أية حركة زائدة

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

4. لا يوجد وقت فراغ — هناك أوقات فراغ

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

5. الآلة تفرض الوتيرة — لا توجد وتيرة مفروضة

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المواقف أثناء العمل

تملأ عند الاقتراب من نهاية الملاحظة

(إحاطة)

6. إرهـــاق — راحـــة

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

ملاحظات : ____

7. سلوك الملل — سلوك حيوي نشيط

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

8. تقاعس عن العمل — اهتمام بالعمل

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

ملاحظات : ____

9. لا وجود لأي رضى عن العمل — رضى تام عن العمل

ملاحظات : ____

10. لا وجود لأي دافع — دافع كبير

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

ملاحظات : ____

شكل 2.8

مقتطفات من دفتر المشاهدات

الجوانب الفيزيقية لمكان العمل

1 ديكور

2 ضجيج

3. عوامل أخرى إن كانت (الدخان، البخار، النظافة، النظام، الحرارة)

4. تهيئة المجال (رسم مخطط وصفي)

5. بزّة أو لباس العمل

6. أدوات أو وسائل العمل



شكل 2.8 (تابع)

يوم العمل

(وصف الحلقة، الوقت بالضبط، النشاطات، وتيرة العمل، التأطير، مواقف الشخص الملاحظ ومواقف الآخرين اتجاهه.

7. الوصول

8. الشطر الأول قبل منتصف النهار

9. فترة الراحة الصباحية (المكان، الساعة، مع من، النشاطات)

10. الشطر الثاني قبل منتصف النهار

11. الغذاء* (المكان، الساعة، مع من، النشاطات)

12. الشطر الأول بعد منتصف النهار

13. فترة الراحة بعد منتصف النهار (المكان، الساعة، مع من، النشاطات).

14. الشطر الثاني بعد منتصف النهار

15. المغادرة

المشاهدات المكملة

أنظر الفصل 4
«التقييم بواسطة المقارنة».

تتطلب الملاحظة في عين المكان عادة إضافات، ذلك لأن بعض المعلومات لا يمكن رؤيتها مباشرة. لهذا، وزيادة على قيامنا بالملاحظة، نستعين بالمقابلة والتبادلات غير الرسمية أو بمطالعة الوثائق، وعليه يمكننا أن نجد في نهاية شبكة الملاحظة أو دفتر المشاهدات أو في ملحقاتها مكملا (un complément)، مثل سلسلة الأسئلة المشار إليها لاحقاً في الشكل 3.8. من أجل صياغة جيدة لمثل هذه الأسئلة أو فحص جيد للوثائق حول الوسط، يمكننا الرجوع في هذا الفصل إلى النصائح المقدمة حول بناء وثيقة الأسئلة، وحول فئات تحليل المحتوى. مع ذلك لابد من التذكير هنا أن هذه التقنيات الأخرى لا ينبغي أن تحل محل الملاحظة، بل يستعان بها كمكمل فقط عند الضرورة لأن تطبيق تقنية الملاحظة يتطلب التقليص إلى أقصى حد ممكن من تدخل الباحث أو الباحثة.

شكل 3.8

أسئلة مكملة لملاحظة

(في حالة عدم التمكن من الملاحظة، فإن الأسئلة تطرح في نهاية اليوم على الشخص الملاحظ)

1. ماهي السلعة التي تنتج هنا ؟ أو ماهي الخدمة التي تقدم هنا ؟

2. في أية مرحلة من مراحل العمل تضعون أنفسكم بالنسبة إلى الآخرين ؟

3. هل تلقيتم تكوينا خاصا للقيام بهذا العمل ؟ (إذا كان نعم) ماهو ؟

4. منذ متى وأنتم تقومون بهذا العمل ؟

5. ماهي الامتيازات الأساسية المرتبطة بهذا العمل ؟

6. ماهي الصعوبات الأساسية المرتبطة بهذا العمل ؟

يحدد بناء إطار الملاحظة الظواهر محل الملاحظة، وأن هذا الإطار المحدد على ضوء تعريفنا للمشكلة يسمح لنا بضمان تسجيل كل ما يمكن أن يكون ذا دلالة. وسيمنحه عدد التفاصيل المستقاة صدقا أكبر.

تحضير عرض البحث على المجموعة

في كل بحث يتصل فيه الباحث أو الباحثة بمجموعة من الأشخاص، يكتسي التناول أهمية بالغة من أجل ضمان مساهمتهم، كما ينبغي أن يكون عرض البحث دقيقاً وواضحاً، نظرا إلى كون مجموعات البحث تختلف في خصائصها، والتي تم اختيارها على أساسها، وبالتالي لا يمكن تبديلها بسهولة. تتطلب الأخلاق هنا أن تكون العلاقات واضحة وصريحة بين الباحث أو الباحثة والمبحوثين، اللهم إن كان للكتمان برهان مقنع. وللقيام بذلك لابد من:

- الإشارة إلى طبيعة البحث دون أي غموض؛
- إقناع المبحوثين بعدم كشف هويتهم في أي حال من الأحوال حتى لا يتخوفون من المساس بشهرتهم؛
- الإبلاغ بعدم الحكم على أي شخص كان، بل سينصب الاهتمام على كل الأشخاص؛
- ينبغي التصريح أن هذا البحث، إن كان هذا معقولا ومقبولاً، مفيدا لكلا الطرفين.

حتى لا ننسى أي شيء مهم أثناء عرض البحث على المجموعة، فمن المستحسن إعداد قائمة تتضمن ما سيقال في هذا الشأن.

بناء وثيقة الأسئلة

وثيقة الأسئلة أداة لجمع المعطيات، يتم بناؤها من أجل إخضاع الأفراد لمجموعة من الأسئلة.

إن **وثيقة الأسئلة** هي أداة الاستمارة والاستبار. يتم بناؤها على أساس الأسئلة المفترحة والمغلقة المستمدة من التحليل المفهومي باحترام بعض القواعد من أجل تفادي الأخطاء الناجمة عن الصياغة أو عن أنواع الإجابات المقترحة. لابد كذلك أن نأخذ بعين الاعتبار ترتيبها العام ضمن الوثيقة وتداخلها، وكذا طريقة عرض الاستمارة والتأكد من صلاحيتها.

حتى لو تم الاتفاق على أن تتضمن الاستمارة عددا كبيرا من الأسئلة، فلا ينبغي أن يكون مجموع الأسئلة مطولاً أو مبالغاً فيه. أما الاستبار الذي يوجه إلى الآلاف من الأشخاص، فيميل نحو الاختصاص إلى أقصى حد ممكن لا سيما عندما يتم عن طريق استعمال الهاتف وذلك لتفادي خطر إحراج المبحوث. لابد من التأكيد هنا أنه في حالة قيام المبحوث نفسه بملء الاستمارة، فسيكون أكثر تعاوناً كلما كانت أسئلة الاستمارة قليلة. غير أنه من الممكن أن يتقبل الإجابة عن عدد أكبر من الأسئلة عند تواجده مع أشخاصٍ آخرين في نفس المكان. أما في حالة استعمال الاستمارة بالمقابلة، فبإمكان الباحث أو الباحثة أن يُطيل مدة التحاور لساعة أو أكثر.

انظر الفصل 7، «الفروق بين الاستمارة وسبر الآراء (الاستبار)».

مصدر الأسئلة

يتم إعداد الأسئلة وفقا للمؤشرات المتولدة من التحليل المفهومي. بصفة أدق، يؤدي كل مؤشر إلى طرح سؤال أو أكثر. كما يكون كل جزء من وثيقة الاستمارة مطابقا لمفهوم أو متغير من فرضية. بصفة إجمالية يبقى الهدف الأساسي هو تقليص إلى أدنى حد ممكن الهوة الفاصلة بين كل مؤشر في البحث والسؤال أو الأسئلة التي تدل عليه في الواقع. هكذا يتجسد فن البحث في مدى قدرة الباحث أو الباحثة على الصياغة الجيدة للأسئلة.

نماذج الأسئلة المستعملة

إن نموذج الأسئلة الشائع في الوثيقة هو نموذج السؤال المغلق. إنّه يتوفر على اختيارين من الإجابة أو على اختيار أكثر اتساع، وفي هذه الحالة الأخيرة يمكن اقتراح عدة طرق للإجابة المحتملة. وأحيانا يمكن أن نستعمل أيضا نموذج السؤال المفتوح.

السؤال المغلق

تتكون الوثيقة أساسا من **الأسئلة المغلقة**، ويتطلب هذا النموذج اختيار المبحوث لإجابة خاصة من جملة قائمة إجابات مقترحة عليه. وفي هذا السيّاق لا يمكننا الإجابة كما نريد نحن، ذلك لأن نص السؤال يفرض جواباً دقيقاً. يمكننا التمييز بين نوعين من الأسئلة المغلقة : السؤال الثنائي التفرع (dichotomique) والسؤال المتعدد الاختيار (à choix multiple).

سؤال مغلق
سؤال يفرض على المبحوث أن يقوم باختيار جواب من بين عدد معين من الإجابات المقبولة المقدمة.

السؤال الثنائي التفرع. هو السؤال الذي يجبر المبحوث على الاختيار بين إجابتين فقط، أي بين صحيح وخطأ، أو بين نعم ولا. كمثال على ذلك، نقدم السؤال الآتي:

هل تمارسون الرياضة خارج دروس التربية البدنية الإجبارية؟

☐1 نعم

☐2 لا

السؤال المتعدد الاختيار. يمنح هذا النوع من الأسئلة للمبحوث جملة من الأجوبة المعقولة والممكنة. يمكن التمييز في هذا الإطار بين ثلاثة انواع أساسية:

• السؤال المتعدد الاختيار الذي يسمح بإجابة واحدة فقط. إذ، ما دمنا لا نستطيع توقع كل الإجابات المحتملة، فلا بد علينا دائما من إضافة فئة ما يسمى بـ «آخر (حدّد)»، وذلك للتأكد من أن كل مبحوث قد منحت له فرصة الاختيار. كمثال على ذلك نقدم السؤال الآتي:

ماهو السبب الرئيسي الذي جعلكم تتركون التعليم العالي؟

☐1 قلة الاهتمام بالجامعة

☐2 تهميش الأستاذ الجامعي

☐3 تدني مستوى التعليم

☐4 تدني الأجور

☐5 انعدام البحث

☐6 آخر (حدد) ________________________

____

• السؤال المتعدد الاختيار الذي يسمح بتعدد الإجابات، ويسمى هذا النوع من السؤال أيضا بـ سؤال "*cafeteria*". عندما يسمح السؤال بعدة إجابات فإننا نشير إليه بين قوسين لأنه عادة ما يعتبر استثناءاً في الاستمارة، وبالتالي فإن المبحوث لا يعرف ذلك إلاّ إذا قمنا بإخباره. كمثال على هذا نقدم السؤال الآتي:

لماذا تدخنون ؟ (يمكنكم اختيار أكثر من إجابة واحدة.)

☐ 1 تعوداً

☐ 2 تذوقاً

☐ 3 حاجة إلى ذلك

☐ 4 تحديا

☐ 5 تقليداً

☐ 6 آخر (حدد) ____________________

____

- وأخيرا، سؤال ترقيم عناصر الإجابة (items)، الذي يقتضي من المبحوث تقييم كل عنصر من مجموعة عناصر الإجابة هذه، أو ترتيب كل عنصر منها بالنسبة إلى العناصر الأخرى.

كمثال على ذلك نقدم السؤال الآتي :

من ضمن القائمة الآتية لقدرات عمل الشرطي، فأي منها تظنون أنها ملائمة للرجل، ملائمة للمرأة، أو ملائمة لهما معاً ؟

	1 للرجل	2 للمراة	3 للإثنان معاً
1. القدرة على كتابة تقرير	☐	☐	☐
2. القدرة على العمل حسب توقيت متغير	☐	☐	☐
3. القدرة على إيقاف المشبوه فيه	☐	☐	☐
4. القدرة على التحكم في المشاعر الشخصية	☐	☐	☐
5. القدرة على تمييز درجة خطورة فعل ما	☐	☐	☐
6. قدرة التكيف مع مستوى الضغط	☐	☐	☐
7. القدرة على الاستقلالية في الحركة	☐	☐	☐
8. القدرة على عدم التسرع في الحكم	☐	☐	☐
9. القدرة على فرض النفس	☐	☐	☐

هناك أيضا السؤال المتعلق بترقيم عناصر الإجابة بهدف الترتيب.

فمثلا:

ماهي الأهمية التي تمنحونها للقيم الآتية؟ (رقمها من 1 إلى 9 في الخانة الملائمة، بحيث يدل رقم 1 على القيمة الأكثر أهمية، في حين يدل رقم 9 على القيمة الأقل أهمية).

☐ عائلة

☐ دين

☐ مال

☐ عمل

☐ رفاهية

☐ ترويح

☐ صداقة

☐ حب

☐ جمال

يمكننا اللجوء إلى إعداد أسئلة ترقيم عناصر الإجابة عندما نقرر بناء دليل أو، بصفة أدق، سلّم.

السؤال المفتوح

سؤال مفتوح
سؤال لايفرض أي إلزام على المبحوث في صياغة إجابته.

يمكن استعمال **السؤال المفتوح** في الاستمارة، لكن بصفة محدودة. إن هذا النموذج، الذي يترك كامل الحرية للمبحوث لصياغة إجاباته، يجعل من الصعب، بهذه الكيفية، تكميم الإجابات ومقارنتها فيما بعد. لهذا فإن الاستمارة المثالية هي تلك التي لا تحتوي على أي سؤال مفتوح. لكنه ليس بإمكاننا توقع دائما كل احتمالات الإجابات، حيث تقوم فئة «آخر (حدد)» بإزالة هذه الصعوبة. قد يحصل بالتالي أن تتضمن الاستمارة بعض الأسئلة المفتوحة. لابد من تحديد مع هذا امتدادات الإجابة، إما بواسطة عدد السطور المخصصة للإجابة، إما بوضع معالم يتضمنها نص السؤال نفسه. تجدر الإشارة إلى الحديث في إطار الاستمارة بصفة أدق عن الأسئلة المفتوحة ذات الإجابات المختصرة أو ذات الإجابات المهيأة. كمثال على هذه الحالة الأخيرة نورد السؤال الآتي:

اذكر الصفات الأساسية للروح الرياضية ؟

قد يتطلب السؤال المفتوح إجابة مختصرة جداً، ذلك ما يظهر في حالة الطلب من المبحوث أن يدقق حدثًا ما، أو تبيان إحدى خصائصه، دون اقتراح إجابات مسبقة. كمثال عن هذا نطرح السؤال الآتي :

ماهو نوع الأفلام التي تحبها أكثر ؟

إن نماذج الأسئلة وأهم الأصناف التي يمكن استعمالها في الاستمارة أو الاستبار ملخصة في الشكل 4.8.

شكل 4.8

نماذج الأسئلة المحتملة في وثيقة أسئلة وأصنافها

نماذج	أصناف
أسئلة	أسئلة

مغلقة ← ثنائية التفرع
مغلقة ← متعددة الاختيار ← تسمح بإجابة واحدة
متعددة الاختيار ← تسمح بأكثر من إجابة واحدة
متعددة الاختيار ← تسمح بترقيم عناصر الإجابة

مفتوحة ← ذات الإجابة المختصرة
مفتوحة ← ذات الإجابة المهيأة

صياغة الأسئلة

يجب أن تهدف صياغة السؤال أولا وقبل كل شيء إلى جعله مفهوما من طرف كل المبحوثين. إن وضوح السؤال هو الضمانة المؤكدة كي تكون الأجوبة ملائمة. فمن المستحسن في مجال إعداد وثيقة الاستمارة، أن يجعل الباحث نفسه في مكان أولئك الذين يطلب منهم الإجابة عن الأسئلة. للقيام بذلك يُنْصَح بتحرير عدة صيغ لنفس السؤال، وبعد ذلك - أي بعد اختبارها - يقوم باختيار ذلك السؤال الذي لا شك أنه سيكون واضحاً ومفهوماً لدى المبحوث، مما يجعله يجيب عنه بكل صدق ووضوح، مبعداً بذلك الامتناع عن الإجابة. إذا توفرت أسئلة هامة وملائمة لبحوث أخرى، فلا حرج على الباحث من الاستعانة بها، وقد يتجاوز مجرد الاستعانة بها إلى القيام بمقارنات بين الإجابات المتحصل عليها. تجدر الإشارة إلى أن مصير مرحلة التحليل اللاحق مرهون بمدى اهتمامنا بكيفية صياغة كل سؤال. غير أنه مهما كانت جدية ودقة تحديدنا للموضوع، وأصدق وأحسن نوايا تعميق النتائج، فإن هذه الأخيرة لا تكون لها قيمة، إذا لم نحسن الصياغة والطرح الجيد للأسئلة. أما الآن فقد حان الوقت أن نشير إلى أهم التوصيات والنصائح في هذا الشأن.

- إننا عادة ما نستخدم عبارات التبجيل، إلاّ إذا كانت المبالغة في مثل هذه العبارات تقلق المبحوث، والذي غالبا ما يحصل عندما تكون فئة السن لكل من المبحوث والباحث متقاربة، أو عندما تتسبب عبارات التبجيل في خلق هوة من شانها أن تعرقل التعبير التلقائي للمبحوث.
- ينبغي أن يحتوي كل سؤال على فكرة واحدة فقط، وبالتالي نتجنب الأسئلة الغامضة مثل السؤال الآتي : « هل تشترون أسطوانات الأغاني الغربية والعربية ؟» لا يمكننا أن نعرف أبدا في مثل هذه الحالة إن كانت الإجابة ترتبط بالأغنية العربية أو بالأغنية الغربية أو بالإثنان معا. وعليه يجب علينا طرح سؤالين لوجود فكرتين.
- يجب أن تكون عبارات السؤال حيادية بهدف تجنب التأثير في المبحوث، لأننا إذا اقترحنا عليه شيئا ما فقد نؤثر فيه كما يوضحه أكثر السؤال الآتي : «هل صحيح أن السلْم في العالم مهدد؟»

بتركيزنا على كلمة صحيح فإننا نتوقع أنه سيجيب بنعم، أو على الأقل يكون محرر السؤال يشير إلى ذلك ضمنيا. قد يكون الاقتراح خفيا أكثر كما هو معبر عنه في السؤال الآتي : «بأية طريقة يثير المشكل الهام للبطالة إنشغالكم ؟» هكذا نفترض، بالنسبة إلى المبحوث، أن مشكل البطالة مهما دون أن نطلب منه التعبير عن وجهة نظره في سؤال سابق. كما قد نؤثر في المبحوث بطرحنا عليه سؤال ذو طابع أخلاقي أو اتهامي (إحساس بالذنب) وذلك مثل : «هل تذهبون للتصويت كما يفعل كل المواطنون المخلصون؟» من المؤكد أن يشعر الممتنع عن التصويت بالذنب عند تصريحه بالامتناع. فمن الأحسن أن نبين في مثل هذه الحالة أن أي موقف مهما كان هو مقبول في حد ذاته كأن نسأله مثلا : «أثناء الانتخابات بإمكاننا التصويت أو عدم التصويت : فماذا ستفعل في الانتخابات المقبلة ؟»

- يجب أن تكون العبارات بسيطة والنص خاليا من المفردات المتخصصة والمجردة. أثناء تحرير السؤال، ينبغي إذن توظيف العبارات والمفردات التي تمثل جزءاً من لغة المجتمع المدروس. قد نستعمل مثلاً كلمة مقْلاة عوضاً من فرن طبخ ، لأنها أكثر تداولا لدى مجتمع البحث، وهذا حتى ولو كانت الكلمة الثانية أكثر دقة في التعبير عن جهاز طبخ. فينبغي علينا أن نستعمل في حالة ما إذا كانت الاستمارة موجهة إلى مجموعات اجتماعية مختلفة، الألفاظ المشتركة بين هذه المجموعات حتى تكون مفهومة لدى كل المبحوثين. من جهة أخرى، سؤال مثل : «هل ينبغي علينا مضاعفة عدد (م.ص.) لصالح المستفيدين من علاج لمدة طويلة ؟ يمكن فهمه من طرف الاختصاصي في الميدان الصحي، إلاّ أنه سيبقى غير ملائم بالنسبة إلى العوام. لابد من تجنب في البداية استعمال الحروف التي تبدأ بها الكلمات أو رموزها في السؤال، بل ينبغي تسمية الأشياء بمسمياتها التامة، مثل عبارة مركز صحي بدلا من (م.ص.)، وحتى على هذا المستوى فإن عبارة مستشفى ستظل من دون أي شك أكثر وضوح بالنسبة إلى عامة الناس. كذلك الأمر بالنسبة إلى مصطلح المستفيدين الذي يشكل هو أيضا جزءاً من خطاب متخصص ومجرد يستعمل أكثر في ميدان الوظيف

العمومي أو الطب. في هذا المجال، لابد من التنقيح واستعمال عبارة المرضى بدلا من الأولى. يصبح السؤال وفقا لذلك كالآتي: «هل ينبغي علينا مضاعفة عدد المستشفيات للمرضى الذين هم في حاجة إلى علاج لمدة طويلة ؟»

- ينبغي أن يكون السؤال قصيرا قدر المستطاع وذلك لتجنب سوء الفهم. حيث كلما كان السؤال طويلا كلما كان في حوزة المبحوث عناصر يفهمها ويقيم علاقات بينها قبل إجابته. بما أن كل هذا يحدث في مدة زمنية قصيرة نسبيا، فلن يكون له لا الوقت ولا الرغبة في التوقف. ينبغي أن يسجل السؤال في سطر أو سطرين على أكثر تقدير.

- ينبغي أن يكون السؤال واضحاً لتفادي عدم الدقة. فأمام سؤال مثل: «ماهي المكانة التي يحتلها العمل في حياتكم ؟» إن المبحوث لا يعرف حول ماذا سيجيب، فهل سيكون جوابه عن الوقت المخصص لذلك ؛ أو عن الاهتمام الذي يوليه للعمل؛ أو عن الامتيازات التي يمنحها، إلخ.؟

- ينبغي أن يكون السؤال معقولا، أي ضرورة تفادي السبق والتذكر المبالغ فيهما. إن سؤال القصد نادرا ما يكون واضحاً. لا ينبغي الاعتقاد عندما نطلب من شخص ما: «ماذا تتوقعون أن تفعلوا أثناء تقاعدكم ؟» أو «ماذا تفعلون لو كنتم في مكان وقوع حادث مرور ؟» أن تكون إجاباته تنبئية حقا ؛ بل يكمن الخطر في تشويش معارفنا حول المبحوثين بحصرهم في وضعيات افتراضية، نظراً إلى وجود اختلاف بين ما يتوقع الشخص فعله في وضع ما وما سيفعله بالفعل في نفس الوضع. لا ينبغي أن نطلب من المبحوثين في نفس السياق، معلومات دقيقة حول أوضاع أو آراء بعيدة كثيرا عن الحاضر. حول مصاريف الاستهلاك، مثلا، من الأفضل أن تقتصر المعلومات على تلك المصاريف الخاصة بالأمس. بصفة عامة، يبدو أن الناس يميلون إلى تضخيم مداخيلهم السابقة. على هذا الأساس، فمن الأفضل الرجوع إلى أقصر مدة زمنية ممكنة في الماضي، إلاّ إذا لجأنا إلى استعمال التقنيات الخاصة بإعادة التذكر (remémorisation) خلال المقابلة. تكون هذه التقنيات ناجعة خاصة إذا أردنا القيام بسيرة حياة مبحوث ما.

ويلخص لنا الشكل 5.8 القواعد التي يجب اتباعها والأخطاء التي يجب تجنبها أثناء صياغة السؤال.

شكل 5.8

القواعد التي يجب اتباعها والأخطاء التي يجب تفاديها أثناء صياغة السؤال

القواعد التي يجب اتباعها	الأخطاء التي يجب تفاديها
فكرة واحدة في السؤال	الغموض
مفردات حيادية	الاقتراح والشعور بالذنب
مفردات بسيطة	عدم الملاءمة
الاختصار	سوء الفهم
الوضوح	عدم الدقة
المعقولية	القصد، السبق والتذكر المفرط

صياغة اختيارات الإجابات

تتألف وثيقة الاستمارة أساساً من أسئلة مغلقة. تقتضي هذه الأخيرة أن تكون فئات الأجوبة مُعَدَّة أو مُحضرة ولا يبقى للمبحوث بعد ذلك سوى أن يقوم بالاختيار. تتم صياغة هذه الأجوبة المسبقة وفق قواعد تسمح من جهتها بتفادي الأخطاء التي تؤثر سلباً في التحليل اللاحق. أهم هذه القواعد هي :

- ينبغي أن تكون كل الأجوبة المقترحة مقبولة : أي تتطابق مع جانب من الواقع الذي يمكن أن يكون موجودا فعلا. إن الإجابات غير الواقعية تولّد شكوكاً في جدية البحث الميداني. إضافة إلى ذلك، فإن مجرد تقديم إجابة أو إجابات غير معقولة سينتج عنه توجيه المبحوث نحو إجابة أخرى.

- ينبغي أن تكون الإجابات واضحة ولا يكتنفها أي غموض ، إذ يوضع المبحوث أمام مجموعة أو قائمة من الإجابات ؛ حيث لا نطرح سؤالا على هذا النحو : «ماнوع المنزل الذي تسكنه ؟» دون أن نحدد له المقصود بالضبط من السؤال، ذلك لأننا سنتحصل على أوصاف

متنوعة ومختلفة جدا يستحيل فيما بعد جمعها بهدف التصنيف أو المقارنة. من الأحسن أن نقترح عليه إذن قائمة مثل : منزل صيفي (bungalow)، سكن ذو طابقين (duplex)، سكن ذو ثلاثة طوابق (triplex)، سكن ضمن عمارة، نوع آخر «حدّد».

- ينبغي على قائمة الإجابات أن تكون شاملة، بحيث لا يجب إقصاء أية فئة مهما كانت. إذا كانت إمكانيات الإجابات ناقصة، فلا بد من إعادة النظر في السؤال نفسه. فعلى الباحث أن يأخذ إذن متسعا من الوقت حتى يكون ملماً بمجمل احتمالات الإجابات، مع إضافة فئة آخر (حدد) في كل قائمة من قوائم الإجابات بهدف التأكيد على مبدأ الشمولية. في ظروف أخرى، مثل حالة وجود احتمال عدم الإجابة من طرف بعض المبحوثين، فالأفضل أن يخصص لهذا الشأن فئات لا أدري، دون إجابة أو ما يعادلهما.
- ينبغي أن تكون فئات الإجابات حصرية بالتبادل، أي أن تكون كل فئة محددة بدقة حتى لا تخترق حدود الفئة الأخرى. فإذا خامرنا الشك في وجود تداخل بين عبارتي سكن ذو ثلاثة طوابق وعمارة سكن، حيث يمكن السكن في عمارة متكونة من ثلاثة طوابق، فالأحسن في هذه الحالة استبدال كلمة عمارة سكن بكلمة مسكن يتكون من أكثر من ثلاثة طوابق. هكذا نقصي مباشرة كل الفئات الأخرى. كذلك الأمر فيما يخص فئات السن أو الدخل : فعلى الفئة السابقة أن تنتهي برقم يختلف عن ذلك الذي تبدأ به الفئة الموالية، وإلاّ فإن بعض المبحوثين سيتواجدون ضمن فئتين مختلفتين في نفس الوقت. إننا نعد، مثلا، مجموعة 25—29 سنة متبوعة بمجموعة 30—34 سنة.
- يجب أن يكون عدد فئات الإجابات محدودا ؛ ذلك لأن القائمة الطويلة للإجابات يمكن أن تنتج عنها حيرة كبيرة لدى المبحوثين، خاصة إذا كان الحوار يجرى على الهاتف. حتى نتفادى الغموض، نكتفي بقائمة تحتوي على ثلاثة، أربعة أو خمسة اختيارات كأقصى حدّ، مع إضافة فئة لا يدري أو فئة دون إجابة عند الحاجة (Blais 1987). في حالة ما إذا لم نعرض على المبحوث عددا كبيرا من احتمالات الإجابات فإنه سيواجه صعوبة أقل في فهم اختياراته أو تحديدها.

- يجب أن تكون الفئات متوازنة، اي يجب أن تمنح للمبحوث نفس احتمالات الإجابات في اتجاه أو آخر حتى لانفضل اتجاه ما. كما يجب علينا أيضا تفادي الفئة المركزية أو المتوسطة التي تكون فقط بمثابة ملجا يهرب إليه المبحوث الذي يرفض أخذ موقف. إن السؤال الموالي هو عبارة عن سؤال يتفادى إعطاء الأولوية في إتجاه ما، كما أنّه لا يمنح فئة ملجأ. «ما رأيكم في الحكومة الجزائرية الحالية : هل أنتم راضون عنها كثيرا، راضون، راضون قليلا أو أنكم لستم راضون تماماً ؟»

- من الأفضل استعمال التناوب في التصريحات *(énoncés)* المعبرة عن حكم، وهذا من أجل إزالة ميول الأشخاص، بصفة عامة، نحو سلوكات إيجابية مهما كان السؤال. في نفس هذا السياق، وحتى نتفادى مفعول التأثيرالذي يؤدي بالمبحوث إلى عدم مراعاة السؤال أو قائمة العناصر التابعة لسؤال ما لأنها تتناول نفس الموضوع ودائما في نفس الاتجاه، لابد من إجراء التناوب في التصريح، حيث يكون البعض مؤيداً والبعض الآخر متجها نحو الموقف المعاكس ؛ والمثال الآتي يوضح أكثر فكرة التناوب.

أمامك تصريحات تعبر عن موقف معين من الحكومة الجزائرية. عبر عن تأييدك أو رفضك لكل من المواقف المعروضة عليك.

	مؤيد	رافض
1. هي حكومة غير رشيدة.	☐	☐
2. هي حكومة تعمل.	☐	☐
3. هي حكومة مبذرة.	☐	☐
4. هي حكومة مطورة للاقتصاد.	☐	☐
5. هي حكومة لا تأخذ قرارات كثيرة.	☐	☐
6. هي حكومة تتكفل بالمواطنين.	☐	☐

أما الجدول 6.8 فيلخص القواعد التي يجب اتباعها والأخطاء التي يجب تفاديها أثناء صياغة الإجابات المحتملة عن سؤال ما.

شكل 6.8

القواعد التي يجب اتباعها والأخطاء التي يجب تفاديها أثناء صياغة الأجوبة

القواعد التي يجب اتباعها	الأخطاء التي يجب تجنبها
إجابات معقولة	الشك في جدية البحث
إجابات واضحة	عدم التحديد في الإجابات
إجابات شاملة	إجابات ناقصة
إجابات حصرية	إجابات متداخلة
إجابات ذات عدد محدود	الغموض
إجابات متوازنة	السيطرة والملجأ
إجابات بالتناوب	الشعور الإيجابي والأثر الناتج

الأسئلة الأكثر شخصية

يمكن أن يرفض المبحوث من جهة أخرى، الإجابة عن بعض الأسئلة. يتعلق الأمر هنا عادة بالأسئلة المتصلة بالحياة الشخصية أو تلك التي تعتبر كذلك من طرف بعض المجموعات من المواطنين ؛ مثل الأسئلة المتعلقة بالدخل، السنّ، بعض الانحرافات أو التهميشات، والتي يمكن أن تتسبب في خلق ترددات. لتجنب رفض الإجابة عن مثل هذه الأسئلة الحساسة، فالأفضل وضعها في نهاية الوثيقة، آملين أن نكون قد جلبنا ثقة المخبر. فيما يتعلق بطرح وصياغة هذا النوع من الأسئلة والإجابات المقترحة، هناك عدة طرق للقيام بذلك.

في حالة الإجابة بالأعداد، فالأحسن الا يطلب من المبحوث إعطاء رقما دقيقا، لهذا نقوم بإنشاء الفئات التي تتضمن القيم الفاصلة والمتقاربة نوعا ما حتى تكون ذات معنى ودلالة، ولكن لا تكون متقاربة جدا حتى لا يفهم المبحوث أن الباحث يهتم برقم معين ودقيق. إننا نسأله، مثلا : «من ضمن مستويات الدخل الآتية في أي منها تضعون أنفسكم ؟»، ونقدم له بعد تلك فئات الدخل مثل : أقل من 10 000 دينار، من 10 000 إلى 19 999 دينار، ومن 20 000 إلى 29 999 دينار، وهكذا إلى غاية 60 000 دينار فأكثر.

أما في حالة الأسئلة المتعلقة بالسلوكات المحكوم عليها اجتماعيا بأنها منحرفة أو هامشية، فإننا نلجأ أولا إلى إقناع المبحوث أننا لا نسعى إلى إصدار أي حكم حول سلوكاته القابلة في حد ذاتها أن يصرح بها دون أن يترتب على ذلك أي حرج، سواء من خلال الأسئلة المطروحة سابقا أو من خلال كيفية صياغة السؤال نفسه. في هذا الإطار يمكن طرح السؤال بعرضنا لعدة أوضاع دون المساس بحياديته (السؤال). كمثال على ذلك نقدم السؤال الآتي : «هناك من الناس من لا يزور أهله تماما، وآخرون لا يزورونهم إلاّ في مناسبات معينة فقط، أما آخرون فيزورونهم بانتظام أو كل أسبوع». بعد ذلك نتناول الوضع الشخصي للفرد المبحوث : «فمن أية حالة من هذه الحالات الثلاث تقترب أكثر ؟» إن مثل هذه الأسئلة يتطلب أن تختبر، أكثرمن غيرها، قبل إدراجها في الوثيقة النهائية وذلك بهدف معرفة مدى نجاحنا في تفادي رفض الإجابة.

الترتيب العام للأسئلة

إن وثيقة الأسئلة (الاستمارة) توجد إما في يدي المبحوث نفسه (الملء الذاتي) أو في يدي الباحث (المقابلة أو الاستجواب). في هذه الحالة أو تلك، على الوثيقة أن تكون سهلة الملء وغير منفرة. هذه بعض النصائح في هذا المجال :

- إن الاستمارة التي لم تحرر بصفة جيدة والأقل نظافة والصعبة القراءة ستؤدي حتما إلى إجابات غير كافية. ذلك لأن المبحوث سيقول، إذا كان الباحث قد أهمل الاهتمام الضروري بأداته، فلماذا يكون من الضروري عليه (المبحوث) أو عليها (المبحوثة) الإجابة عنها ؟ حتى نوعية لغة الكتابة تدخل ضمن هذه المتطلبات الأساسية. من جهة أخرى، إن الاعتناء المبالغ فيه بالشكل الخارجي للسؤال غير ضروري، لأن مثل هذه الزيادات يمكن أن تؤدي حتى إلى درجة الشك فيه، خاصة إذا لم يكن العمل مؤدى من طرف اختصاصي محترف.

- قبل السؤال الأول في الاستمارة، كما يشير إلى ذلك الشكل 7.8 لابد من الإشارة إلى طريقة الإجابة: مثلا وضع علامة (×) أو رسم دائرة. من الأحسن الاعتماد على طريقة واحدة فقط خلال الإجابة عن كل الأسئلة الواردة في الوثيقة حتى لا يضطرب المبحوث الذي يقوم بملء الوثيقة. على سبيل المثال: «ضع علامة (×) في المكان المناسب». في حالة وجود استثناءات، لابد من إخبار المبحوث بالطريقة المميزة للإجابة عن سؤال ما. قد نشير مثلا إلى ذلك بين قوسين في نهاية السؤال: «يمكنك وضع علامة على أكثر من إجابة واحدة».
- ينبغي أن تكون كل صفحة من صفحات الوثيقة غير مكتظة حتى تسهل قراءتها. ينبغي على حروف الكتابة (الطباعة) أن تكون ذات حجم موحد ومعروف.
- كما يجب ترك هامش ليس فقط على الجهة اليسرى، بل أيضا على الجهة اليمنى وذلك من أجل تسجيل رمز الإجابة في انتظار المعالجة بالإعلام الآلي. كما يسمح أيضا، ولأغراض إجرائية، بالإشارة إلى الرموز بجانب كل إجابة مقترحة.
- يجب أن يتوفر لدى المبحوث الذي يقوم هو نفسه بملء الوثيقة ما يكفي من الإشارات الواضحة ليعرف، على المستوى البياني، أين وكيف يسجل كل جواب. كما ينبغي علينا أن نجنب المبحوث قراءة سؤال لا يهمه، طالما أنه أجاب عن سؤال سابق وذلك باللجوء إلى **الأسئلة التوجيهية**. إن هذا النوع من الأسئلة لا يختلف عن نوع الأسئلة الأخرى ماعدا في كونه يوجه المبحوث فيما بعد نحو سؤال آخر، هذا حسب الإجابة المعطاة. وبالنسبة إلى هذا النوع من الأسئلة، هناك طرقا مختلفة لعرضها، وماعلى الباحث سوى اختيار ذلك السؤال الذي يسهل فهمه. إن الشكل 7.8 يوضح بجلاء الطريقة المعمول بها عادة. (أسئلة المثال الآتي موجهة إلى الطلبة، و الأسئلة التوجيهية مشار إليها في 2 و 3).

سؤال توجيهي
سؤال في الوثيقة يشير إلى المبحوث أن يواصل بطريقة مختلفة حسب الإجابة المقدمة.

شكل 7.8

مقتطف من وثيقة استمارة تتضمن أسئلة توجيهية

المرجو منكم وضع علامة (×) أمام الإجابة المناسبة. شكراً

1. ماهو جنسكم ؟

☐ 1 أنثى

☐ 2 ذكـر

2. هل تعملون حاليا ؟

☐ 1 نعم ← اذهب إلى السؤال 4

☐ 2 لا

3. هل عملتم خلال الدورة السابقة ؟

☐ 1 نعم

☐ 2 لا ← اذهب الى السؤال 5

4. كم من ساعة أسبوعيا ؟ ________ ساعة.

5. هل تعتقدون أن النجاح في الدراسة والعمل في نفس الوقت هو :

☐ 1 سهل جدا

☐ 2 سهل نوعاً ما

☐ 3 صعب شيئا ما

☐ 4 صعب جداً

[...]

شكرا على مساهمتكم.

- إنه لمن الأهمية بمكان أن نشير إلى الانتقال من موضوع إلى آخر، خاصة أثناء تطبيق تقنية الاستمارة بالمقابلة. يمكننا تصور جمل صغيرة لتسهيل عملية الانتقال، والتي ستكون على النحو الآتي، مثلا : «بعد الانتهاء من الموضوع الأول لننتقل الآن إذا سمحتم إلى الموضوع الثاني ...».

- يجب أن تتميز طريقة أو طرق تسجيل الإجابات في حالة تطبيق الاستمارة بالمقابلة بالوضوح والبساطة بالنسبة إلى المبحوث الذي يجب عليه هو الآخر التجاوب بسرعة حتى لا يطيل كثيرا على محاوره. يجب أن تكون الأسئلة متباعدة عن بعضها البعض وسهلة القراءة. يجب، إضافة إلى ذلك، من الناحية الشكلية، تخصيص مكان في الوثيقة لتسجيل تاريخ وساعة ويوم ومدة ومكان إجراء اللقاء. عادة ما يخصص هذا المكان في أعلى صفحة تقديم الاستمارة.

- ينبغي تسجيل السؤال في ذات الصفحة لتسهيل قراءته، بمعنى عدم بدايته في صفحة والانتهاء منه في صفحة أخرى. ينبغي أن تكون كذلك قائمة الإجابات المرتبطة بالسؤال في نفس الصفحة التي يوجد بها هذا الأخير.

باختصار، لابد أن يكون في إمكان الشخص المستجوَب قراءة كل صفحة من صفحات الوثيقة بسهولة، وألا يطلب منه العودة إلى الوراء، وأن يعرف الأسئلة التي تهمه وأن يدرك أين وكيف يجيب وماذا سيفعل بالوثيقة بعد الانتهاء من ملئها.

تناسق وضع الأسئلة

نضع الأسئلة في ترتيب يمكن أن يكون مستوحى من اعتبارات مختلفة تخص كيفية حث المبحوث على الإجابة بسهولة. هذه بعض النصائح في هذا الشأن :

- ترتب الأسئلة من أسهلها إلى أكثرها صعوبة وهذا بهدف عدم إعاقة العمليات الذهنية للمبحوث (كالتذكر، العد، إلخ.) والسماح له أيضا «بالتحضير التدريجي» كماهو الشأن بالنسبة إلى التحضير البدني في عالم الرياضة.

- تتدرج الأسئلة من اللاشخصي إلى الشخصي حتى يتأكد المبحوث من جدية المسعى المتبع، وذلك قبل تناول الأسئلة التي تخصه شخصيا.

• ينبغي عرض الأجزاء التي تبدوا أنها مرتبطة بكيفية متتالية قدر الإمكان حتى تمنح لها صورة ذلك الكل المنسجم، إلاّ إذا كنا نريد التحقق من مدى انسجام الإجابات بين جزئين متشابهين.

• تتدرج الأسئلة في كل جزء من العام إلى الخاص مما يسمح للمبحوث بتناول موضوع ما بصفة شاملة لتسهل عليه الإجابة فيما بعد عن الأسئلة الأكثر خصوصية.

• يقترح Blais (1987) أن يكون سؤال الرأي (question d'opinion) مسبوقا بسؤال إخباري (question d'information) حول نفس الموضوع، ذلك لأن الأشخاص يميلون نحو الإجابة التلقائية، بدلا من التصريح أنهم ليس لديهم رأي، ماعدا إذا صرحوا بعدم توفر لديهم رأي في سؤال سابق.

نص تقديم الاستمارة

يجب أن تكون كل استمارة مصحوبة بنص لتقديمها. يتميز هذا التقديم الذي تحتوي عليه صفحة الغلاف باختصاره ووضوحه. غالبا ما يعرض هذا التقديم إما بإسمنا الشخصي أو بإسم الهيئة المشرفة على البحث، حيث نوضّح الموضوع أو الأهداف المرجوة من البحث وذلك بعدم استعمال المفردات المتخصصة ودون الكشف عن الفرضية كما هي، مع الحث على الإجابة بمختلف وسائل التشجيع وضمان عدم كشف هوية المبحوث. يمكننا في بعض الأحيان الإشارة إلى الوقت القصير اللازم للإجابة، ولدينا مثال لنص تقديم استمارة في الشكل 8.8.

الشكل 8.8

نص تقديم الاستمارة

تحية طيبة،

نحن طلبة نتابع دروس البحث في العلوم الإنسانية. إننا في حاجة إلى مساهمتكم لكي ننجز عملنا بنجاح . يدور موضوع بحثنا حول التلفزة ومدى استفادة الأفراد منها. إذا تفضلتم بالإجابة عن الأسئلة الآتية فإننا لن نأخذ إلاّ بعض الدقائق من وقتكم ؛ ونعدكم بعدم الكشف عن هويتكم.

شكرا مسبقاً.

(يليه أسماء أعضاء فرقة البحث)

أما فيما يخص تقديم وثيقة الاستمارة بالمقابلة، الذي يجب أيضا تحريره مسبقا، لابد من التأكيد هنا أكثر على الأهمية. الفائدة أو الخدمة المقدمة من خلال الإجابة عن الأسئلة، لاسيما إذا تم الاتصال عن طريق الهاتف ؛ كما يجب أيضا الإشارة بالتقريب إلى المدة الزمنية التي تقتضيها الإجابة عن الأسئلة.

بإيجاز هناك ثلاثة عناصر مشتركة في كل نص تقديم وثيقة الاستمارة : تحديد هوية الباحثين أو الهيئة المشرفة، موضوع البحث، ضمان عدم الكشف عن هوية الأشخاص المبحوثين.

صلاحية وثيقة الأسئلة

لا تكون وثيقة الأسئلة صالحة إلاّ إذا تضمنت الأسئلة التي يتطلبها تحديد مشكلة البحث. يعتبر هذا بمثابة المبدأ الأساسي الذي يرشد كل عملية إعداد الاستمارة. يحتوي كل سؤال مطروح ضمنيا على وصف سلوك قابل للملاحظة، على مؤشر عن هذا الجانب أو ذاك من الفرضية. من المستحسن تطبيق هذه الأداة على عدة أشخاص مختلفين قبل استعمالها.

من الأفضل عرض المسعى الكلي للبحث على الزملاء أولا لتقييم مدى التلاؤم بين طرح المشكلة وكيفية صياغة الأسئلة. سيمنح مثل هذا التقييم مصداقية أكثر للعمل. يضاف إلى هذا التأكد أكثر من مدى حياد كل سؤال أو مجموع الأسئلة، مما يسمح بالتحقق من أن المبحوث سوف لا يُجرّ أو يجذب في اتجاه معين.

يمكننا بعد ذلك تقديم الوثيقة لأشخاص نعرف أنهم يملكون قدرات معتبرة في هذا الميدان، طالبين منهم الإدلاء برأيهم وتسجيل كل التعاليق التي تتبادر إلى أذهانهم، كعدم فهمهم سؤال أو مصطلح معين، الشعور بالإحراج، عدم معرفة ماذا يجيبون، ولا كيف يجيبون ولا أين يجب الإجابة، أنهم لا يجدون أنفسهم أمام بعض الأسئلة، إلخ.

يمكننا أن نقوم بعد ذلك بدراسة استطلاعية، حيث نعرض الوثيقة على مجموعة من الأشخاص تتوفر فيهم بقدر الإمكان نفس خصائص مجتمع البحث، والذين لا ينبغي إبلاغهم قبل نهاية العملية أن هذه الأخيرة ماهي إلاّ عبارة عن محاولة أولى. إن هذا النوع من الاختبار يسمح بالكشف عن

الأسئلة التي يتفادها الأشخاص وتلك الأسئلة التي لا تميز بين المبحوثين لأنهم يقدمون كلهم نفس الإجابة ويخبرون بدقة بالوضع الناتج عن ذلك. بعد هذه المحاولة الأولى، قد يكون من المفيد أيضا أن نطلب من المبحوثين بصفة عامة كيف عايشوا التجربة لمعرفة مايجب تصحيحه، سواء فيما يتعلق بالتقديم أو العرض، أو الأسلوب، أو فيما يتعلق بالجوانب الأخرى المرتبطة بالشكل أو بالمحتوى . هكذا سنكون متيقنين فيما بعد أننا نملك أداة متينة وصالحة.

حتى نراجع الوثيقة ونجعلها صالحة بشكل نهائي وقبل طبعها، يمكننا اللجوء إلى شبكة التصحيح المبينة في الشكل 9.8 والتحقق بهذا من مدى تفادينا للأخطاء التلاثين (30) المعروضة أدناه.

شكل 9.8

شبكة تصحيح وثيقة الأسئلة

الأخطاء التي يجب تفاديها

نص التقديم

1. تقديم دون الكشف عن هوية الباحث.
2. تقديم دون ذكر موضوع البحث.
3. تقديم دون ضمان عدم الكشف عن هوية المبحوث.

الترتيب العام للأسئلة

4. إما عدم الإشارة أو الإشارة غير الملائمة لطريقة الإجابة قبل السؤال الأول.
5. عدم الإشارة إلى سؤال يحتاج إلى طريقة خاصة للإجابة عنه.
6. قلة الفراغ بين الأسئلة.
7. قلة الفراغ بين الإجابات.
8. الترتيب السيء للإجابات.
9. عدم الإشارة إلى مكان الإجابة.
10. النقص في السؤال التوجيهي من حيث الإشارة السيّئة إليه أو عدمها.
11. عدم ترقيم السؤال أو ترقيمه بكيفية سيئة.
12. عدم ترميز الإجابات أو ترميزها بشكل سيء.
13. غياب الجملة الانتقالية.

صياغة الأسئلة

14. سؤال غامض.
15. سؤال يحمل اقتراح.
16. سؤال يُشعر المبحوث بالذنب.
17. سؤال غير ملائم .
18. سؤال غير مفهوم.
19. سؤال غير دقيق.
20. سؤال ذو قصد، ذوسبق أو ذو تذكر مفرط.
21. سؤال زائد أو غير ضروري (خارج مجال التحليل المفهومي).
22. سؤال ناقص (استنادا إلى المؤشرات).

صياغة الإجابات

23. إجابات غير معقولة.
24. إجابات غير محددة.
25. إجابات ناقصة.
26. إجابات غير حصرية.
27. إجابات غامضة.
28. إجابات غير متوازنة.
29. إجابات في اتجاه واحد.
30. نقص في الفوارق بين الإجابات المقدمة.

بناء مخطط أو دليل المقابلة

إن **مخطط أو دليل المقابلة** هو الأداة التي ترتكز عليها مقابلة البحث. يتضمن كل الأسئلة التي يحتمل طرحها أثناء مقابلة الشخص المستجوب. إنه يحتوي أيضا على كل ماتريد معرفته تماشيا مع تحديد مشكلة البحث. يحضر مخطط أو دليل المقابلة من خلال أسئلة وأسئلة فرعية، مفتوحة وقائمة على أساس التحليل المفهومي الذي تم إجراؤه في المرحلة الأولى والمرتبة بشكل معين. ينبغي أن تظهر معلومات دقيقة في بداية المخطط أو الدليل ، إضافة إلى ضرورة تحريرنا لنص تقديم المقابلة.

مخطط أو دليل المقابلة
أداة لجمع المعطيات تبنى من أجل أن نسأل بصفة معمقة شخص أو مجموعة صغيرة.

4

شكل 10.8

مقتطف من مخطط أو دليل المقابلة

أسئلة موجهة إلى طفل أبواه مطلقان.

دعنا نتكلم عن أبويك أولاً :

1. ماهي حالتهما منذ انفصالهما عن بعضهما ؟
   1.1 كيف هي حالة أمك ؟
   2.1 كيف هي حالة أبيك ؟
   3.1 هل يتمتع أحدهما بحالة أحسن من الآخر ؟
   4.1 هل أحدهما في حالة أصعب مماهو عليه الآخر ؟
2. كيف كانت حالتهما أثناء حياتهما مع بعض ؟
   2.1 كيف كان سلوك أمك ؟
   2.2 كيف كان سلوك أبيك ؟
   3.2 هل كان يتمتع أحدهما بحالة أفضل من الآخر ؟
   4.2 هل كان أحدهما يعاني أكثر من الآخر ؟

والآن دعنا نتكلم عنك قليلا :

3. ماهي وضعيتك الحالية بالنسبة إلى عائلتك ؟
   1.3 ماهي طبيعة علاقاتك بأمك ؟
   2.3 ماهي طبيعة علاقاتك بأبيك ؟
   3.3 ماهي طبيعة علاقاتك بأعضاء عائلتك ؟
4. كيف كانت وضعيتك قبل الطلاق بين أبويك ؟
   1.4 كيف كانت طبيعة علاقاتك بأمك ؟
   2.4 كيف كانت طبيعة علاقاتك بأبيك ؟
   3.4 كيف كانت طبيعة علاقاتك بأعضاء عائلتك ؟

ولنتحدث الآن عن الطلاق في المجتمع بصفة عامة :

5. ما رأيك في الطلاق ؟
   1.5 في رأيك كيف سيتصرف الجيل القادم مع هذه الظاهرة ؟
   2.5 في رأيك هل السماح بالطلاق بين الزوجين هو شيء جيد ومقبول أو سيء ؟

[...]

شكرا لتفضلك بالإجابة عن أسئلتنا.

مصدر الأسئلة

يتم إعداد الأسئلة والأسئلة الفرعية لمخطط أو دليل المقابلة إنطلاقا من التحليل المفهومي. إن الأسئلة العامة عادة ماترتبط بالأبعاد. أما الأسئلة الفرعية فترتبط بمؤشرات كل بعد. هكذا يظهر من خلال الشكل 10.8 أننا، واستجابة للبعد الخاص بحالة الأبوين قبل الطلاق وبعده، قمنا بطرح السؤال الأول، وبالنسبة إلى المؤشرات الثلاثة المندرجة تحت هذا البعد، أي الأب، الأم والصعوبات التي يمكن مقارنتها، طرحنا الأسئلة رقم 1.1، 2.1، 3.1، و 4.1 بالنسبة إلى المؤشر الأخير. على هذا المنوال يمكننا قراءة الأسئلة والأسئلة الفرعية المتبقية.

نموذج الأسئلة المستعمل

انظر في هذا الفصل، «السؤال المفتوح».

يتكون مخطط أو دليل المقابلة أساسا من أسئلة عامة وأسئلة فرعية. إن الأمر هنا لا يتعلق بأي نوع من الأسئلة، بل بنموذج السؤال المفتوح. إننا نصوغه بكيفية تسمح للمبحوث بالشعور بالحرية في إجابته، سواء من ناحية المدة أو من ناحية المحتوى. لهذا لا ينبغي للمفردات المستعملة أن تعطي تفاصيل دقيقة حول طريقة الإجابة، وذلك بمنح اختيارات، مثلا. إن صياغته تسعى خاصة إلى تفادي لجوء المبحوث إلى إجابة نمطية أو متداولة (stéréotypée) وقصيرة، لأن ما يرغب فيه الباحث هو التعبير عن الإحساس أو تقييم الشخص المبحوث نفسه، وهذا لا يمكن التعبير عنه بكلمة واحدة أو عبارة مختصرة. نتيجة لهذا فإن السؤال المفتوح يندرج ضمن الأدوات الخاصة بالبحث الكيفي.

صياغة الأسئلة وتنسيقها

انظر في هذا الفصل «صياغة الأسئلة».

إن القواعد التي يجب احترامها والأخطاء التي يجب تفاديها أثناء صياغة أسئلة مخطط أو دليل المقابلة تشبه تلك المتعلقة بوثيقة الاستمارة. يمكن الإشارة إلى التوصيات الآتية التي تفيد التنسيق العام لأسئلة مخطط أو دليل المقابلة:

- تختلف الأسئلة والأسئلة الفرعية شكليا من حيث مكان تواجدها في الدليل ومن حيث ترقيمها، كماهو مبين في الشكل 10.8 ؛ فالأسئلة الفرعية من 1.1 إلى 4.1 تندرج ضمن موضوع السؤال الأول وتستعمل لتدقيقه. نفس الشيء بالنسبة إلى الأسئلة الفرعية الأخرى التي يعود ترقيمها إلى سؤال عام يكون سابقا لها. إن هذه الأسئلة العامة تتطرق من جهتها في كل مرة إلى موضوع جديد.

- كما تسهل الجمل الصغيرة : مثلما يظهر في الشكل 10.8 («دعنا نتكلم الآن...»)، الانتقال من موضوع إلى آخر وتسمح للشخص المبحوث بالاستفادة من استراحة قصيرة والتركيز على موضوع آخر دون تسرع.

- ينبغي الانتقال بقدر الإمكان من المواضيع اللاشخصية إلى المواضيع الأكثر شخصية لتجنب تنفير أو إفزاع المستجوَب ومنحه الثقة أولا في جدية البحث قبل قبوله الإجابة عن الأسئلة التي تمسه مباشرة. لهذا، كما هو مبين في الشكل 10.8، فإننا نتكلم له عن أبويه قبل التعرض إلى وضعيته أوحالته الخاصة.

انظر في هذا الفصل، «الأسئلة الأكثر شخصية».

- لا ينبغي أن تكون الأسئلة المطروحة محرجة للشخص المستجوَب سواء بإهانته بشكل ما أو جعله يشعر من خلال إجابته أنه محل سخرية أو إدانة. قد تحصل مثل هذه الحالة أثناء تناول المواضيع الخاصة دون استعمال الأسلوب اللائق والاحترام في الصياغة.

- في حالة ما إذا تطلبت الأسئلة تفكيرا وتأملا أكثر، فمن الأفضل أن تكون مسبوقة بأسئلة بسيطة، أي تلك التي تحضر المستجوَب للإجابة عن الأسئلة الصعبة، كل هذا من أجل عدم المساس بإرادته الحسنة. من هنا نستطيع أن نفهم لماذا نطلب من المبحوث، كيف هي حالة كل واحد من أبويه، كما يشير إلى ذلك الشكل 10.8، قبل أن نطلب منه إن كان ذلك سهلا أو صعباً بالنسبة إلى كل واحد منهما. في نفس السياق، فإننا نسأله عن الحالة الآنية قبل مساءلته عن الماضي.

- إذا كان من الضروري طرح بعض أسئلة الحالة (questions factuelles)، مثل تلك المتعلقة بالسن، الحالة المدنية، المهنة... فمن الأفضل تسجيلها في نهاية المخطط أو الدليل، وهذا لجعل المبحوث يتفادى الوقوع في سوء فهم طريقة الإجابة المنتظرة منه طوال المقابلة، ذلك لأن الأمر لا يتعلق بأسئلة مفتوحة.

التحضير لعملية تقديم المقابلة

لكي نضمن تقديما موحداً للمقابلة وعدم نسيان اي شيء، لابد علينا أن نقوم، منذ الوهلة الأولى، بتحضير وكتابة تقديم للمقابلة، والذي سيعرض شفهيا أثناء اللقاء بالأشخاص المستجوبين. هذا التقديم، الذي سيدرج

في مخطط أو دليل المقابلة، ينقسم عادة إلى أربعة جوانب. على المستجوب أو المستجوبة أن يعطي اسمه أولا مع الإشارة إلى المهنة التي يمارسها. (مستجوب لصالح هيئة أو مؤسسة ما، أو مساعدة بحث، أو طالب بالجامعة أو آخر). بعد ذلك، لابد من التذكير بمبرر اللقاء مع التحديد بكل وضوح وباختصار لموضوع البحث. انطلاقا من كون استعمال آلة التسجيل ضروري بالنسبة إلى التحليل اللاحق، فينبغي تنبيه المبحوث أن الحوار سيكون مسجلًا مع احترام كل الضمانات المعتمدة في البحث. أخيرا، نطمئن المبحوث على سرية حديثه حتى يقول ما لديه بكل حرية ودون أن يلحق ذلك أي ضرر بشخصه. إضافة إلى ذلك، ولرفع أي غموض أو التباس، فقد يكون من الضروري إبلاغ المبحوث عن الأشخاص الآخرين الذين بإمكانهم الاطلاع على المقابلة وضمن أي شروط. أثناء قيامنا بتقديم المقابلة، قد يكون من الأفضل أيضا حصر المواضيع الأساسية التي سوف نتناولها أثناء المقابلة. هكذا سيكون الشخص المستجوب أكثر اطمئنانا بالنسبة إلى ما سوف يسأل عنه. غير أنه لابد أن نأخذ بعين الاعتبار ضرورة الاختصار ما أمكن للحصر المشار إليه أعلاه.

شكل 11.8

التقديم المتضمن في مخطط أو دليل المقابلة

التاريخ : ـــ/ـــ/ الساعة : من ـــ إلى ـــ اليوم : ـــــــ

المكان : ـــــــ

تحية طيبة،

إنني أشكركم مرة أخرى عن منحي جزءا من وقتكم وأذكركم بإسمي...إنني أدرس في ... جئت لمحاورتكم في إطار بحث يتناول موضوع إدراك ظاهرة الطلاق لدى الشباب ممن لهم أولياء مطلقين. إذا كنتم لا ترون مانعا في ذلك، فسأقوم بتسجيل كلامكم حتى أتذكره، أعاهدكم أن ماتدلون به سيمحى بمجرد انتهاء البحث. بطبيعة الحال فإن كلامكم سيبقى جد سري ولا يذكر إسمكم إطلاقا. (تهيئة آلة التسجيل). إذا كنتم الآن مستعدون، بعد أن تم إعداد وتجهيز كل شيء، سأشرع في طرح الأسئلة المتعلقة بأوليائكم وبكم شخصيا.

ملاحظة للمستجوب: لا تلجأ إلى استعمال الأسئلة الفرعية، إلا في حالة ما إذا كانت الإجابة عن الأسئلة الرئيسية غير تامة.

(ثم تأتي بعد ذلك الأسئلة الموجودة في الشكل 10.8).

توضع هذه المقدمة في بداية مخطط أو دليل المقابلة، في أعلى الورقة (en-tête) الذي ينبغي أن يتضمن مساحات مخصصة لكتابة بعض المعطيات الأولية للمقابلة : التاريخ، المدة، اليوم ومكان اللقاء، كما يظهر ذلك في الشكل 11.8. يمكننا أيضا إضافة عناوين أخرى (rubriques)، لتسجيل عدد الأشخاص، مثلا، في مقابلة مجموعة، أو إذا كانت المقابلة قائمة على أساس انتماء المبحوث إلى هيئة خاصة، أو إذا كنا نريد تقديم تشكراتنا كتابيا أو عن طريق الهاتف، إلخ.

بناء المخطط التجريبي

مخطط تجريبي
أداة لجمع المعطيات تبنى من أجل إخضاع العناصر للتجربة.

إن **المخطط التجريبي** أو مخطط التجربة هو أداة التجريب. على غرار وثيقة الأسئلة، مخطط أو دليل المقابلة و إطار الملاحظة، فإنه أداة فريدة من نوعها طالما أنه يعتمد أساسا على تحديد مشكلة بحث خاصة. فالمخطط يسمح بإظهار وتخصيص مكونات التجربة المراد القيام بها. إنه يبرز المتغيرات الأساسية (المستقلة والتابعة) للفرضية، كما يبين اتجاه العلاقة التي تربط بينهما، ويشير إلى العوامل الأخرى التي يجب أخذها بعين الاعتبار، وهو يسمح بضبط العناصر التي ينبغي أن تقام عليها التجربة أو تعرض عليها وتقديم التوصية التي ستحدد طبيعتها فيما بعد.

انظر الفصل 6، «أنواع المتغيرات».

المتغير المستقل

انظر الفصل 6، «أنواع المتغيرات (المتغير المستقل)».

طبقا للفرضية، فإن المتغير المستقل سيغير المتغير التابع. عند بناء المخطط التجريبي فإننا سنوضح الطريقة التي يتم من خلالها تحريك أو استعمال (manipulation) المتغير المستقل. لنفرض أننا نريد دراسة الآثار الناتجة عن تقديم بعض أنواع الكلمات في عدد ارتباطاتها (اشتراكها) بكلمات أخرى والتي يمكن أن تقوم بها عناصر التجربة. في هذا المجال نشير إلى أنواع الكلمات التي نريد استعمالها في المخطط التجريبي ؛ فنقوم بتفيئتها إلى كلمات مجردة، كلمات ملموسة، كلمات مؤنثة، كلمات مذكرة، كلمات محايدة، كلمات محظورة (tabous) وذلك حسب نوع ردود الأفعال التي نريد دراستها.

المتغير التابع

انظر الفصل 6، «أنواع المتغيرات (المتغير التابع)».

إن المتغير التابع هو ذلك المتغير الذي يستجيب لتحريك أو استعمال المتغير المستقل. إنه المتغير الذي يتوقف عليه تنبؤ الفرضية بحدوث هذه التغيرات أو تلك. في إطار المخطط التجريبي نقوم بضبط سلوكات عناصر التجربة التي نريد قياسها، وكيف نقيسها. في المثال السابق حول جمع الكلمات، فإن الغرض هو جمع عدد الكلمات التي يمكن أن ينطق بها كل عنصر في وقت محدد (30 ثانية أو دقيقة واحدة) وذلك بعد إعطاء كلمة، ثم كلمة أخرى... وهكذا. يمكننا أن نلاحظ إذن، بعد رجوعنا إلى الفرضية، إن كانت العناصر تقوم بضم عدد من الكلمات أثناء تقديمها لكلمة مجردة، مثل التزايد السكاني بالمقارنة مع تقديم كلمة ملموسة مثل طاولة. يقاس المتغيّر التابع هنا إذن من خلال عدد الكلمات التي يقوم كل عنصر بضمها وتجميعها بعد التعرف على الكلمات التي تعرض عليه. بصفة عامة، فإن المتغير التابع يمثل رد فعل الجسم أو سلوك العناصر تبعاً لعملية استعمال وتحريك المتغير المستقل.

الوصف البياني للمتغيرات الأساسية

يبين الشكل 12.8 تصميم العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع، انطلاقا من الفرضية المشار إليها في أعلى الشكل.

شكل 12.8

الوصف البياني للمتغيرات الأساسية في التجريب

فرضية: عرض الكلمات الملموسة يؤدي إلى تجميع اكثر للكلمات من عرض الكلمات المجرّدة.

متغير مستقل (م م)	تغير (كيفي)		متغير تابع (م ت)	تغير (كمي)
سلسلة من الكلمات المعروضة	من نوعين إثنين . مجردة . ملموسة	تأثيرات في ←	قدرة الأفراد على ضم كلمات أخرى	عدد الكلمات المجمعة
تحريك أو استعمال		اتجاه الفرضية		تأثيرات أو إجابات

يتم التحريك في جهة المتغير المستقل، والنتائج أو الإجابات المترتبة عن هذا التحريك توجد في جهة المتغير التابع. زيادة على ذلك، فإن تغيرات المتغيِّرات يمكن أن تكون من الصنف الكمي أو الكيفي. مع هذا، لا توجد روابط بين المتغير المستقل والتغير من الصنف النوعي، ولا بين المتغير التابع والتغير من الصنف الكمي. في إمكان مثال آخر أن يمنح تغيرات من صنف معاكس. فمستوى الضجيج، على سبيل المثال،الذي يحسب بالديسبل (décibels) والذي عادة ما يستخدم كمتغير مستقل هو من صنف كمي، في حين أن ردود الأفعال الناتجة عن ذلك والتي هي محل الدراسة - من جملتها - مواقف عناصر التجربة، فهي، مثلا، من صنف كيفي. وفي الأخير، فإن اتجاه السهم في الشكل يبين بوضوح أن ما نفترضه كسبب للظاهرة في تجربة ما يوجد في جهة المتغير المستقل. يعود هذا السبب، في إطار المثال المعتمد في الشكل 12.8، إلى نوعية الكلمات المقدمة والتي ستؤثر في مردودية أفراد مجتمع البحث. هكذا نعرض بيانيا تحضير بناء متغيراتنا الوسيطة.

قياس تأثيرات المتغير المستقل

تتضمن عملية بناء المخطط وصف الوسائل المستعملة من أجل قياس تأثيرات المتغير المستقل في المتغير التابع : اختبارات، استمارة، شبكة الملاحظة، أجهزة، أدوات. لابد أن نوضح أيضا كيفية عزلنا أو فصلنا لتأثيرات المتغيرات الوسيطة.

الاختبارات

إنها عبارة عن أدوات قياس تستعمل باستمرار في حالات التجريب، وهي تسمح بالحصول على بعض خصائص عناصر التجربة. في علم النفس، مثلا، من ضمن الأدوات التي نستعملها، توجد اختبارات المهارة التي تهتم بذكاء أو قدرات الأفراد، واختبارات الشخصية التي تهتم بما يتميز به كل فرد. يمكن لهذه الاختبارات أن تأخذ أشكالا أخرى مختلفة. هكذا، نلاحظ أن بعض الاختبارات تتكون من مجموعة من الأسئلة كماهي الحال في الاستمارة، غير أن الاختبارات قد تتكون أيضا من أنواع أخرى من الأسئلة التي تختلف عن أسئلة الاستمارة، وذلك ما يظهر في الشكل 13.8.

انظر في هذا الفصل «صياغة الأسئلة».

شكل 13.8

بعض أنواع الأسئلة الممكنة لإعداد الاختبار

سؤال في شكل إتمام جملة

مثال: أفضل الأشخاص الذين...

سؤال ذو إجابات متعددة عفوية

مثال: أذكر خمس خصائص لعملك.

سؤال في شكل فراغات في النص لابد من ملئها

مثال: إنني ــــــــــــ لأن الحياة تبدو لي ــــــــــــ

سؤال ذو العد أو الشطب (*check list*)

مثال: من ضمن الصفات العشرين الآتية ضع علامة (×) على تلك التي تراها تنطبق على الصديق المثالي.

سؤال الحذاقة

مثال: أذكر ما يميز بين الرسومات الثلاثة الآتية.

سؤال الاقتران

مثال: أربط عن طريق سهم كل واحد من الألوان المتواجدة في العمود الأيسر بإحدى المشاعر المرقمة في العمود الأيمن.

(ملاحظة: إننا نضع عددا من المشاعر يفوق عدد الألوان وذلك لتجنب الاستنتاجات عن طريق الإقصاء.)

السؤال ذو الاختيار المرغم

مثال: لكل زوج من أزواج العناصر الآتية، وضح، عن طريق رسم دائرة، أي سلوك تعتقد أنك تقترب منه أكثر: محافظ ليبيرالي، إيجابي سلبي، متطوع فدري، إلخ.

المصدر: مستخرج من

JEAN-PIERRE POURTOIS et HUGUETTE DESMET (1988). *Epistémologie et instrumentation en sciences humaines* (p. 161, 162). Bruxelles, Pierre Mardaga éditeur



في حين تتطلب اختبارات أخرى من المبحوث القيام ببعض الأفعال مثل، البناء، الرسم، القيام بشيء أو رد فعل، إلخ. إن إعداد أي اختبار يتضمن الطريقة التي يجب أن تخضع لها العناصر: القيام بذلك النشاط، حل تلك المشكلة أو ذلك المردود المنتظر، إلخ.

الاستمارة

انظر في هذا الفصل، «بناء وثيقة الأسئلة»

تستعمل الاستمارة كذلك لمعرفة بعض خصائص الأشخاص موضوع البحث. عادة ما نربط المعطيات المتحصل عليها من العناصر بواسطة الاستمارة بنتائج اختبارهم التي يمكن أن تستدعي الشم أو حاسة أخرى. كمثال على هذا، قام Thumin (1984) بإجراء تجربة على الثانويين حين جعلهم يتذوقون مختلف أنواع مشروبات الكولا، لمعرفة إن كان بإمكانهم التمييز بين أنواع هذه المشروبات. لقد قام بتوزيع عليهم استمارة لمعرفة عاداتهم الاستهلاكية ونوع المشروب المفضل لديهم بهدف التحقق فيما بعد إن كانت هناك علاقة بين هذه العوامل وقدرتهم على معرفة ماكانوا يشربونه أثناء التجربة.

شبكة الملاحظة

أنظر في هذا الفصل، «شبكة الملاحظة ودفتر المشاهدات»

إن شبكة الملاحظة هي وسيلة أخرى مستعلمة ؛ وفي هذا السياق نقوم بتسجيل بعض السلوكات الدقيقة، طالما أن الهدف هو قياس الظواهر. هكذا، أثناء تجريب ميداني تم في قاعدة بحرية تابعة للولايات المتحدة، لاحظ كل من Willis, Dean و Hewitt (1984) المسافة التي كانت موجودة بين 562 عسكري أخذوا إثنين إثنين، أثناء الاتصال ببعضهم البعض في مختلف أماكن القاعدة، خلال أوقات عملهم وكذلك خارج أوقات عملهم مثل تواجدهم في النادي وفي مركز الترويح، إلخ. في هذا الإطار سجل الملاحظون على شبكة ملاحظتهم المسافة التي كانت تفصل عسكريين يتحدثان وهما واقفين (اعتمادا على عدد المربعات الأرضية التي كانت بينهما)، واعتمادا كذلك على رتبة كل منهما (من خلال الشارة أو الشارات المعلقة على بزّتهم). لقد سمحت لهم شبكة الملاحظة هذه بالتحقق إن كانت المسافات تتغير بين ذوي الرتب العليا والسفلى، وحسب رتبة من يبادر بالاتصال (المتغير المستقل) ثم يقومون بعد ذلك بملاحظة أبعاد المسافة (المتغير التابع).

الأجــهــزة

هناك أجهزة مختلفة تسمح أيضا بأنواع أخرى من القياس لسلوكات الأفراد، مثل المتاهة بهدف التدرب، الصدمة الكهربائية من أجل التحفيز،

جهاز قياس نبضات القلب (المخطط الكهربائي للقلب) من أجل قياس الانفعال أو جهاز التخيل (illusiomètre) من أجل قياس الإدراك. لكن وقبل الإقرار باستعمال إحدى هذه الأجهزة، لابد أولا من التحقق من إمكانية استعمالها وهل تتماشى حقيقة مع مانريد قياسه انطلاقا من الفرضية. فإذا ما اخترنا استعمال إحداها، لابد من ضبط وتوضيح كيف سنستعملها.

الأدوات

بعد الانتهاء من تحديد المتغيرات ومجال تغيراتها، لابد من ضبط الأدوات الضرورية للتجربة. يمكن الاقتصار في هذه الحالة على بعض الأدوات. هكذا، في دراسة تجميع الكلمات (association des mots) يكفي أن يكون لدينا ورق مقوى تحمل كل ورقة منه كلمة وجهاز لقياس الوقت (chronomètre) للتأكد من منح نفس الفترة الزمنية لرد الفعل بالنسبة إلى كل عنصر من عناصر التجربة، وآلة لتسجيل الإيجابات. يتوقف استعمالنا لجهاز ما يكون أكثر تعقيدا على إمكانية الحصول عليه وملاءمته للنتائج محل الدراسة. الأهم من كل هذا هو الوصف الجيد للأدوات التي سنستعملها وطريقة استعمالها وضبط مجموع الأجهزة إذا اقتضى الأمر ذلك.

إقصاء المتغيرات الوسيطة وإبعادها

انظر الفصل 6، «أنواع المتغيرات».

يتضمن إعداد المخطط التجريبي أيضا ضبط الوسائل التي ستستعمل لتوقيف التأثيرات غير المرغوب فيها (الضارة) للمتغيرات الوسيطة (م و) التي قد تتدخل بين المتغيرات الأساسية. دون هذا الحذر المنهجي الضروري قد تصبح كل التجربة محل شك. في المثال السابق حول مشروبات الكولا، أخذنا في الحسبان أن إضاءة المخبر ستكون ضعيفة بحذف كل إشارة مرئية، مثل الاختلافات والتشابهات في ألوان مشروبات الكولا، والتي يكون بإمكانها تحريف عملية التعرف على الأنواع نحو متغير تفسيري آخر (الألوان) بدلا من ذلك المتغير الذي كنا نسعى لقياسه، أي الذوق.

توزيع عناصر التجربة

بعد قيامنا بعزل المتغير المستقل والمتغير التابع واختيار طريقة قياسهما وتوقيف تأثيرات المتغيرات الوسيطة، يبقى علينا تحديد إن كانت التجربة تتضمن مجموعة واحدة من العناصر أو مجموعتين أو أكثر، أو تتضمن حالة واحدة فقط. في نفس الوقت يجب ضبط الطريقة التي يتم من خلالها استعمال المتغير المستقل وفترة أو فترات القيام بالقياس. نهيء مخططا تجريبيا مع مجموعة واحدة فقط من العناصر إذا لم يكن هناك أي شيء يدفعنا إلى التصور أنهم يتميزون عن باقي عناصر مجتمع البحث، مع تأكدنا أنه من الممكن إخضاعهم لمختلف التغيرات على مستوى المتغير المستقل (مثلا التغيرات في شدة حجم الصوت). كما نستعمل مخططا تجريبيا يتعلق بأكثر من مجموعة، إذا كان ذلك يقتضي وجود مجموعة مراقبة. يمكننا، في الأخير، بصفة استثنائية، التعامل مع حالة واحدة فقط.

مخطط التجربة مع مجموعة واحدة

إذا كانت التجربة لا تنطوي إلاّ على مجموعة تجريبية واحدة، فلابد من التفكير في أخذ قياس معين قبل التجريب، أي اختبار قبلي (prétest) الذي سنقارنه بنفس القياس الذي نأخذه بعد إدخال المتغير المستقل، أي الاختبار البعدي (post-test). يمكننا في البداية، مثلا، توزيع استمارة حول الآراء السياسية لكل عنصر ثم توزيع استمارة ثانية من نفس النوع وذلك بعد عرض العناصر على المتغير المستقل والذي يمكن أن يكون في هذه الحالة متابعة أول درس في علم السياسة. كما يمكننا أيضا الإقرار بإخضاع المجموعة لأكثر من متغير مستقل واحد، مثل تواجد أنثى ضمن مجموعة ذكور، ثم تواجد أخرى من أصل عرقي مختلف، ونقوم بعد ذلك بملاحظة الانعكاسات على اعتقادات عناصر التجربة فيما يتعلق بالفوارق الجنسية من جهة، والفوارق العرقية، من جهة أخرى. إنّ الشكل 14.8 يوضح الاحتمالات المختلفة والمتنوعة في هذا السياق. كما يمكننا أيضا أخذ قياسات أخرى عديدة في أوقات مختلفة، قبل إدخال المتغير المستقل (م م) وبعد ذلك.

شكل 14.8

فترات أخذ القياسات في مخططات التجربة مع مجموعة واحدة

احتمالات	قياس قبلي	إدخال م م	قياس بعدي
أول	نعم	نعم	نعم
ثاني	لا	نعم	نعم
ثالث	لا	نعم، بتغيرات مختلفة	نعم
رابع	لا	اثنين م م	نعم

مخطط التجربة مع مجموعتين أو أكثر

انظر الفصل 4، «المنهج التجريبي».

إذا كانت التجربة تتطلب إحضار مجموعة تجريبية وأخرى للمراقبة، فلابد أن نتأكد أولا من توازنهما وذلك بإخضاعهما لاختبار قمنا بإعداده. إذا كانت المجموعات متعادلة أو غير متعادلة، يمكننا الاقتصار على مقياس واحد فقط بعد التحريك. يجب علينا أن نقرر في هذا المجال، مثلما هو عليه الأمر في كل الاحتمالات الأخرى، مع أخذنا بعين الاعتبار تحديد مشكلة البحث والصعوبات التي يمكن تجاوزها. يوضح الشكل 15.8 الاحتمالات الأساسية لأخذ القياسات ضمن مخططات التجربة المنطوية على أكثر من مجموعة.

شكل 15.8

فترات أخذ القياسات في مخططات التجربة لأكثر من مجموعة واحدة

احتمالات	مجموعات	قياس قبلي	إدخال م م	قياس بعدي
اول	متعادلة	نعم	نعم	نعم
ثاني	متعادلة	لا	نعم	نعم
ثالث	غيرمتعادلة	نعم	نعم	نعم

كما يمكننا أخذ عدة قياسات أخرى : بمضاعفة المجموعات، إما مجموعتين للمراقبة حيث ستكون واحدة منهما فقط محل قياس قبلي، ومجموعتين تجريبيتين حيث تكون واحدة منهما فقط محل قياس قبلي، ويمكننا في هذه الحالة الحديث عن مخطط تجريبي ذو أربعة مجموعات

يسمى بمخطط Solomon ؛ وإما بإدخال أكثر من متغير مستقل، وفي هذه الحالة نتحدث عن مخطط تجريبي عملي، وإما بأخذ عدة قياسات للمتغير المستقل، وفي هذه الحالة نتحدث إذن عن مخطط تجريبي مشترك. مع ذلك يمكننا إجراء مقارنة إحصائية بين مجموعات غير متعادلة وذلك باستعمال مخطط تجريبي ذو اتجاه انحداري غير مستمر (Baker 1988) إذا تمكنا من جعل المجموعات موضوع الدراسة قابلة للمقارنة.

الحالة الوحيدة

يتضمن الاحتمال الأخير المبسط دراسة شخص واحد فقط. يمكننا تصور هذا النوع من المخطط التجريبي بشرط أن يكون من الممكن إخضاع الشخص لتغيرات عديدة مع تأكدنا من أن هذا الشخص بإمكانه أن يعود إلى حالته الأصلية فيما بعد.

تحرير التوصية المقدمة لعناصر التجربة

انظر الفصل 3، «العناصر البشرية».

إن إعداد المخطط التجريبي يتطلب تحرير التوصية التي ستعطى لعناصر التجربة، لأن ما سوف نقوله لهم أثناء تواجدنا معهم في مكان إجراء التجربة، ينبغي أن يكون قد أعد بدقة متناهية. يجب أن تكون هذه التوصية موحدة حتى يتلقى كل عناصر التجربة نفس المعلومات وبنفس المفردات. هكذا نضمن أن كل عناصر التجربة يأخذون نفس الانطلاق طالما أنهم خاضعون للتجربة بنفس الكيفية. ينبغي أن تضبط هذه التوصية، حسب الحالة، الهدف المنشود من وراء إقامة التجربة. كما ينبغي علينا التذكير أنه لا يمكننا عادة الكشف من الوهلة الأولى عن الهدف الحقيقي للتجربة دون أن يكون لذلك انعكاسات سلبية على النتائج. في هذه الحالة يمكن تعويض الهدف بإشارات حول المهمة المنتظر القيام بها ومطابقته مع ما هو مطلوب أو على الأقل مع تلك القدرات المطلوب إبرازها. كما ينبغي أيضا أن تتضمن التوصية بصفة دقيقة ما نطلب القيام به، الوقت المخصص لذلك، الأدوات أو الوسائل المتوفرة، والتأكد من أن كل شيء واضح ومفهوم من طرف العناصر الخاضعين للتجربة. في هذا السياق نشير إلى المثال الذي يتضمنه الشكل 16.8

شكل 16.8

توصية مقدمة لعناصر تجربة ما

إننا نشكركم على منحكم لنا بعض الدقائق من وقتكم والمجيء إلى هذا المخبر. إن الغاية من حضوركم هي تذوق بعض المنتوجات القابلة للاستهلاك، وإبلاغنا برأيكم فيها. بمجرد أن أشير إلى واحد من هذه المنتوجات الموجودة فوق الطاولة أمامكم، تذوقوه واكتبوا على الورقة المصاحبة له، بما يذكركم. عندما أقول لكم «إنتهى» يجب أن تتوقفوا عن الكتابة. إن قلم الرصاص أمامكم. هل فهمتم؟ وهل أنتم جاهزون؟

بناء فئات تحليل المحتوى

فئات تحليل المحتوى
أداة لجمع المعطيات تبنى من أجل استخراج العناصر الدالة في وثيقة.

انظر الفصل 5، «نقد الوثائق وانتقائها».

أثناء تحليل المحتوى، نقوم بإعداد **فئات تحليل المحتوى** للتمكن من جمع معطيات دالة بالنسبة إلى مشكلة البحث والمتواجدة في وثائق. هذه الوثائق يتم انتقاؤها بعد الاطلاع على الأدبيات المتصلة بالموضوع. بعد ذلك يتم الانتقال إلى اختيار الوحدات التي نريد انتقاؤها في هذه الوثائق، ونوع المواد التي سنعمل عليها، سواء كانت كمية أو كيفية، بهذه الكيفية نصل إلى إقامة فئات تحليل المحتوى المستعملة في إعداد ورقة الترميز أو نظام من البطاقات.

إن فترة اختيار الفئات مهمة جداً قبل تناول الدّراسة الشاملة للوثائق. فكلما كان عملنا جيداً أثناء أخذ المعلومات، كلما كان بإمكاننا استخراج كل ثراء الوثائق المنتقاة والإجابة عن مشكلة البحث. لهذا ينبغي أن تكون الفئات محددة بدقة إلى درجة أننا نتنبه بسهولة إلى وجودها في الوثائق المصنفة والتي تم جردها. تعتبر هذه الفئات بمثابة الدلائل (guides) في البحث عن المعلومات، شأنها في ذلك شأن الأسئلة عند استجواب الأشخاص.

أصل الفئات

انظر الفصل 6، «التحليل المفهومي».

تمثل مشكلة البحث، والمعبر عنها بالمفاهيم والأبعاد والمؤشرات، القاعدة الأساسية لإعداد الفئات. كل فئة تتطابق، مثلا، مع مؤشر. لو أخذنا في الحسبان كل العناصر المتعلقة بتحديد مشكلة البحث وتعرفنا جيدا على الوثائق المناسبة لها، فإن الفئات ستكون نهائية قبل مرحلة الجمع.

الفئات المستعملة عادة

تعتبر الفئات بمثابة عناصر دالة في الوثائق التي نريد تسجيلها. قبل تثبيتها نهائيا، يمكننا أن نستعين أولا بالاطلاع على الفئات المستعملة عادة لتحليل المحتوى. لكي نكوّن فكرة عما هو ممكن استخلاصه من وثيقة ما، نلجأ إلى الأصناف الستة الموالية من الفئات والتي تستخدم عادة في تحليل المحتوى :

- المادة أو المواضيع المعالجة، مثل برنامج حزب معين، التكنولوجيات الحديثة، البيئة، إلخ.

- اتجاه الاتصال، أي كل موقف من مواقف مؤلف أو مؤلفي الوثيقة بالنسبة إلى المواضيع : هل هو مؤيد، غير مؤيد، لا يرى فرقا ؟ بعبارة أخرى، ماهي المواقف المأخوذة فيما يخص كل موضوع؟

- القيم التي تحملها الوثيقة إما بصفة واضحة، أي أننا نتحدث بكل صراحة عن المنافسة، السعادة، النجاح أو نمط الحياة، مثلا، وإما بصفة ضمنية، بمعنى أن القيم غير معبرٌ عنها بشكل واضح وظاهر. بعبارة أخرى، ما هي القيمة المراد إبرازها من خلال الاتصال ؟

- الوسائل، أي ما الذي يقترحه المؤلف أو المؤلفون من طرق عمل لبلوغ هذه القيمة أو تلك ؟ تهديد، إقناع، قوة، حوار، إلخ. بكلمة أخرى، كيف نعمل للوصول إلى هذه القيم ؟

- الفاعلين أو شخصيات الاتصال، أي الاطلاع على خصائصهم الاجتماعية، السن، الجنس، الديانة، الأصل العرقي، التمدرس، مجموعة الانتماء، الأصل الاجتماعي، إلخ. بتعبير آخر، على من نتكلم في الاتصال ؟

- المراجع، أي ما يميز مصدر تواجد الاتصال ؛ من أين تأتي الوثيقة (الفترة الزمنية، الكاتب، المكان، إلخ.) ؟ نوعها (منشور، خطاب، جريدة، حصة بالمذياع أوالتلفزة، إلخ.) أو تزكياتها (المؤلفين المذكورين، الأخصائيين المعتمدين، التأكيدات الأساسية، إلخ.). بعبارة أخرى ماهي طبيعة الاتصال الذي نريد معالجته ؟



وحدات الدِلالة

تسمح الفئات المختارة بأخذ **وحدات الدلالة** (المعنى) من الوثائق، أي أخذ مقاطع من مادة الاتصال. قد تتمثل وحدات الدلالة فيما يأتي :

وحدة الدلالة
جزء أو مقطع من الاتصال يوضع في فئة معينة.

- كلمات،
- مواضيع منتشرة عبر سطرين أو أكثر أو عبر صفحة أو أكثر،
- شخصيات أو أشخاص، وذلك حسب نوع الوثائق ؛
- عناصر أخرى متنوعة، مثل طرق التعبير، أصناف الأدبيات أو أي عنصر آخر يسمح بتصنيف أجزاء الوثيقة.

بعد تجزئة محتوى الاتصال إلى وحدات الدلالة يبقى التفكير في تحضير الطريقة التي سيتم من خلالها القياس. قد يتم ذلك إما بطريقة كمية أو بطريقة كيفية.

حساب الوحدات

إن طريقة العمل المعهودة هي من النوع الكمي. إننا نتحدث في هذه الحالة عن **وحدات العد**. إن وحدات العد تحدد بدقة وتضبط طرق حساب العناصر المنتقاة من الفئات. سنأخذ في الاعتبار عند حسابنا لها التكرار والكم. فيما يتعلق بالتكرار، تكمن العملية في تسجيل عدد مرات ظهور هذه الوحدة أو تلك. ينبغي أن نتأكد من أن كل وحدة تتضمن نفس الوزن والدلالة بالنسبة إلى مشكلة البحث، وإلاّ فإن الحساب، الذي يقترح أو يفرض وحدات قابلة للمقارنة، يصبح مجرد عملية خيالية. أما فيما يخص الكم، فنشير، فيما يتعلق بكل ظهور لوحدة الدلالة، إلى المكانة التي تحتلها هذه الأخيرة. يستعمل هذا الإجراء بصفة خاصة أثناء دراسة وسائل الإعلام. هكذا نستطيع حساب المساحة (الحيز) التي يحتلها موضوعا معينا في جريدة ما (بعدد الأسطر، أو بالأعمدة)، أو المدة أو الوقت (بالدقائق مثلا) الذي يمنحه أو يخصصه الراديو أو التلفزيون لنفس الموضوع.

وحدة العد
طريقة لحساب وحدات الدلالة المستخرجة.

تقدير الوحدات

إننا نسجل أيضا وحدات الدلالة في ميدان البحث الكيفي، لكن ليس بطريقة كمية. نتحدث في هذا السياق إذن عن **وحدات الوصف**. تسمح لنا وحدات الوصف هذه باستخراج وإبراز العناصر ذات المعنى والدلالة الموجودة في الوثيقة بصيغة أخرى غير القياس. هكذا نستطيع ملاحظة:

وحدة الوصف
تسجيل تقديري لوحدات الدلالة المستخرجة.

انظر الفصل 7، «تحليل المحتوى المستتر لوثيقة».

- حضور الفئة أو غيابها. في هذا الإطار، فإن التحليل سيقع بين ماهو كمي وماهو كيفي. فتحليلنا لغياب الفئة قد يساعدنا على اكتشاف، مثلا، ما لم يقال، أو المعنى الخفي للوثيقة وذلك عندما نريد دراسة المحتوى المستتر. يمكن أن نبحث أيضا على ما لا يظهر إلاّ نادرا أو استثنائيا، لكن يكتسي في نفس الوقت أهمية بالغة.

- القيام بإعداد نمطية نموذجية (typologie) لوحدات الدلالة. في هذا الإطار، نستخرج من الوثيقة نماذج من ردود الأفعال، السلوكات، خصوصيات متميزة. مثلا، إقامة صور كاملة نموذجية للرجال والنساء الذين تستدعيهم التلفزة للتمثيل في أفلامها الإشهارية.

- الحكم على شدة فئة ما. في هذا الإطار بالذات، فإننا سنأخذ بعين الاعتبار التأكيد على إبراز عناصر خاصة. هكذا، في الإعلانات الإشهارية قد يكمن ذلك فيما هو ظاهر بشكل بارز، أو فيما يراد منه مخاطبة الذاكرة أو في ذلك الذي وُضع أو أُشير إليه بصفة واضحة وجلية.

صفات التفيئة الجيدة

تفيئة
ترتيب معطيات محصل عليها حسب منطق تصنيف محدد مسبقا.

لكي يكون استعمال الفئات المختارة سهلا ويتطابق تماما مع أهداف البحث، يجب أن تحمل **تفيئتها** بعض الصفات أو الخصائص الأساسية وهي : الشمولية، الوضوح، الحصر والتوازن.

الشمولية

إننا نتكلم عن الشمولية عندما تكون هذه الفئة أو تلك تحمل كل مؤشرات البحث ؛ وبالتالي التأكد من أن عملية السحب تغطي أو تتضمن كل ما يسمح بالإجابة عن هدف البحث وتقييم الفرضية المعروضة أو المقترحة. هكذا، في مجال التمييز الجنسي (sexisme) ضمن الإشهار المتلفز، فإن كنا لا نريد فقط قياس ظهور هذا الجنس أو ذاك في الإعلانات، بل وكذلك الأوضاع والأدوار التي يُوضع فيها الفاعلين (الممثلين)، فيجب علينا أن نقوم بإعداد فئات كيفية من أجل وصف صفاتها وأدوارها، كما هو الشأن في المثال المتعلق بورقة الترميز المشار إليها في الشكل 17.8.

الوضوح

يجب علينا أن نحدد بدقة معنى كل فئة لكي نجد بسهولة الوحدات التي تحتوي عليها الوثيقة، وذلك حتى تكون كل الفئات معروفة ومفهومة من طرف كل المرمزين في حالة تولي فرقة من الباحثين القيام بالبحث. هكذا، إذا كنا نريد، في إطار بحث حول التمييز الجنسي، ترميز مدة الظهور في الإعلان أو الإشهار، فيجب على المرمز أو المرمزة أن يعرف، في الحالة التي تظهر فيها إمرأتان في نفس الوقت في مقطع إشهاري، إن كان يجب عليه، مثلا، مضاعفة وقت الظهور في فئة النساء أو أنه سوف لا يأخذ بعين الاعتبار سوى عامل الجنس. إن التحضير بمثل هذه الدقة هو أساسي لوضوح الفئات. كما يمكننا التفكير حتى في الأدوار المؤداة، وفي هذا الإطار يمكن تقديم أو طرح أمثلة وصفية ممكنة نشير من خلالها إلى أصناف الحوادث أو الأفعال التي سننقلها أو نرويها. إذا ما وجدت مواضيع أخرى بإمكانها إعطاء الفرصة لتأويلات أخرى مختلفة، فهنا أيضا لابد من تقديم توضيحات حتى نتفادى أي انتقاد قد ينجم عن عدم تجانس الفئات ومحتواها وبالتالي يتم رفض العمل لاحقا. بالفعل، من الصعب علينا معرفة ما يجب عمله إزاء معطيات مبعثرة ومستمدة من فئات غير محدّدة بصفة جيدّة.

الحصـــر

تعتبر الفئة حصرية إذا كانت الوحدات المختارة من الوثائق تتعلق بها فقط. بعبارة أخرى، إذا ما أخذنا في الاعتبار مثال التمييز الجنسي السابق ذكره، فإن ما يخص فئة الرجال لا يمكن إطلاقا أن يخص فئة النساء أيضا. إذا كان التمييز في هذه الحالة يبدو واضحاً وبديهياً، فإنه ليس دائما كذلك بالنسبة إلى فئات أخرى. لو افترضنا، مثلا، أنه كان لزاماً علينا استخراج ما تشجعه الخطب السياسية فيما يخص السباق نحو التسلح أو عكس ذلك، ما تهدف إلى منعه. إذا كانت وحدات المعنى المطلوب تسجيلها في هذه الفئة أو تلك هي الخطاب بأكمله، فقد نجد تشجيعا سواء من هذا الاتجاه أو من الاتجاه الآخر، وذلك حسب المقطع المأخوذ من النص أو حتى حسب الغموض المقصود من طرف المؤلف. لهذا لابد علينا من التفكير في إعداد التفيئة بكيفية أخرى وذلك بهدف جعلها حصرية حقيقة أو أن نستعد لقبول مبدأ التصنيف المزدوج «عندما يتضمن نفس التصريح أكثر من معنى واحد معبر عنه بوضوح من طرف المبحوث نفسه».

(L'Écuyer 1987 : 60). إنه لمن المحتمل جداً تقليص هذه الحالات، لكن لا ينبغي تجاهلها بحجة أن ذلك قد يؤثر في جزء من المعنى المتضمن في الوثيقة محل التحليل.

التوازن

من الممكن أن يكون عدد الفئات جدّ متغير، لكن، تقليصها كثيرا لن يؤدي بصفة عامة سوى إلى الحصول على الأشياء البسيطة في الوثيقة، في حين أن المبالغة في الإكثار منها، بحجة عدم تضييع أي شيء من المعنى، قد يؤدي إلى إعادة إنتاج لكامل الوثيقة وليس استخراج العناصر ذات المعنى فقط. في هذا المجال فإنه لا يوجد عدداً سحريا من الفئات، بل عددا يأخذ بعين الاعتبار مدى اتساع حقل الوثائق ومختلف المؤشرات الناتجة عن تحديد مشكلة البحث.

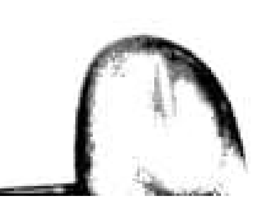
تسجيل المعلومات حسب الفئة

يبقى بعد ذلك نقل الفئات المصاغة في ورقة الترميز أو في البطاقات التي تستخدم في جمع المعطيات.

ورقة الترميز

إن الشكل 17.8 هو مثال عن ورقة الترميز بالنسبة إلى بحث يجرى حول الفروق الجنسية في الرسائل الإشهارية التلفزيونية.

تستخدم ورقة الترميز هذه في السحب الكمي في الجزء الأول منها والسحب الكيفي في الجزء الثاني. ليس هناك إذا أي تناقض بين طريقتي العمل هذه ويمكنهما أن يتكاملا أكثر ؛ هكذا نتأكد من انسجام النتائج الكمية مع النتائج الكيفية. لقد كان بإمكاننا أن نقوم بسحب المعلومات بكيفية واحدة فقط. المهم هو أن ورقة الترميز تعكس جيدا ما نبحث عنه وتساعدنا أكثر في تسجيل كل ما نحن في حاجة إليه بالنسبة إلى التحليل الآني أو اللاحق. يمكننا أن نضيف، مثلما هو الحال في المثال، قسما أخيراً يكون تحت عنوان «توضيحات أخرى (إذا اقتضى الأمر)» إذا كنا نعتقد أنه من المتعذر جدا التنبؤ بملاحظات أخرى والتي يجب مع ذلك تسجيلها، حتى ولو كان ذلك بإضافتها إلى التسجيلات الكيفية.



شكل 17.8

ورقة الترميز

الإشهار التلفزيوني والتمييز الجنسي

تحديد

منتوج : ____________ موزع : ____________ مرمز: ____________

تاريخ : ____________ ساعة : ____________ مدة : ____________

مشهد أو مشاهد مقدمة : ______________________________

عـــد

شخصيات	تكرار (عدد بـ %)	وقت الظهور (ثواني بـ %)	وقت الحوار (ثواني بـ %)
رجال			
نساء			
مجموع :	__/__ 100	__/__ 100	__/__ 100

صفة

أدوار مؤداة (صفة) نساء : ______________________________

____

____

رجال : ______________________________

____

____

سياق العرض : نساء : ______________________________

____

____

رجال : ______________________________

____

____

راوي أو راوية جنس الصوت :

(إذا اقتضى الأمر) نبرة أو نغمة الصوت :

وقت ممنوح : وقت ممنوح (بالثواني)، مجموع الوقت (بالثواني) = %

توضيحات أخرى (إذا اقتضى الأمر) ______________________________

____

ورقة الترميز رقم :

البطاقات

يمكن أن يتم التسجيل كذلك بمساعدة البطاقات، خاصة أثناء لجوئنا إلى المنهج التاريخي (Thuillier et Tulard 1986). لقد سبق وأن كانت لنا فرصة استعمال هذه الأداة وذلك أثناء استعراض الأدبيات المتعلقة بموضوع البحث. إننا نسترجعها هذه المرة لتسجيل وحدات الدلالة التي سحبناها من الوثائق المنتقاة.

انظر الفصل 5، «وضع العناصر المستخلصة من القراءة في بطاقات».

ينبغي علينا توقع إعادة استعمالها من جديد مع بعض الفروق الطفيفة :

- البطاقة البيبليوغرافية (fiche bibliographique) : يوضع في أعلاها على الجهة اليمنى إسم فئة أو فئات التحليل التي نجدها في الوثيقة التي نذكر مرجعها كاملاً.
- البطاقة الوثائقية (fiche documentaire) : والمحددة حسب الفئة التي تنتسب إليها، كما نضيف إليها التاريخ الذي يحدد المقطع الوثائقي المذكور (المنقول). إذا كان البحث تقوم به مجموعة، فإن تقديم البطاقات يُصبح مهماً جداً.
- الصورة طبق الأصل : (photocopie) يمكنها أن تكون بديلا مفيداً للبطاقة الوثائقية إن كان الاقتباس طويلا واعتبرنا المقطع بمثابة إسهاما جوهريا في مواصلة البحث والذي يتطلب إعادة فحصه من جديد.

قد تحتوي البطاقات كذلك على واقعة (حدث)، نقطة محددة، مرجع يُطلع عليه، تفكير نظري أو منهجي، باختصار كل ما يرمي إلى مساعدة البحث. زيادة على ذلك، لابد من توقع نسق الترتيب، انطلاقا من فئات تحليل المحتوى المحتفظ بها، قبل المرور إلى جمع المعطيات.

يمكن لبطاقات أو أوراق الترميز أن تتحول مع إمكانية العمل بكيفية أخرى على وثائق مكتوبة، وذلك بفضل الإعلام الآلي. من جهة، يمكننا الآن أن نتحصل على قراءة بصرية لوثيقة، حيث نتحصل عليها في قرص مرن. من جهة أخرى، نحضر بالموازاة لتحليل المحتوى إلى تطور برامج إعلام آلية (logiciels) للسحب والتحليل (Massé 1992)، صممت حاليا من أجل تقديم الوثائق المرتبطة ببحث خاص، والتي يمكن عند الحاجة أن تنقل إلى بحوث أخرى تعتمد على وثائق من نفس النوع. تسمح هذه البرامج بأخذ معطيات دالة انطلاقا من فئات كنا قد حددناها سابقا.

بناء السلسلات الرقمية

سلسلات رقمية
أداة لجمع المعطيات يتم بناؤها بهدف إقامة المحددات التي يتم على أساسها جمع معطيات رقمية.

إننا نقوم ببناء **السلسلات الرقمية** عندما نريد جمع معلومات ذات طبيعة رقمية (أو من صنف رقمي). كمثال على ذلك، نريد معرفة تطور المساعدات المالية الحكومية للطلبة والطالبات في الجزائر وعلاقتها بمستوى المعيشة. ويشير موضوع البحث هذا منذ البداية أنه سيؤدي بنا إلى ضرورة سحب معطيات كمية. إن إعداد السلسلات الرقمية، في هذا المعنى، هو بمثابة إدراك لصنف المعطيات التي سنكون في حاجة إليها. لهذا ينبغي على الباحث أن يرجع إلى تحديده للمشكلة، ثم يختار المعطيات التي تتماشى مع ذلك ويضبط في الأخير الأرقام التي سيقوم بسحبها.

أصل السلسلات الرقمية

انظر الفصل5، «نقد الوثائق وانتقائها».

لو حدث وأن اخترنا تحليل الإحصائيات كتقنية بحث، يعني هذا أننا قد اكتشفنا أثناء انتقائنا النقدي للوثائق، بعد استعراض الأدبيات، وجود معطيات رقمية حول الموضوع الذي نريد دراسته، وأنه يمكن استخدام هذه المعطيات كقاعدة للإجابة عن سؤال بحثنا. لنفرض أن هذا الأخير مصاغ كالآتي: «هل المساعدة المالية الحكومية الممنوحة للطلبة الجزائريين مسايرة لمستوى المعيشة ؟»، وأن الفرضية المصاغة للإجابة عنه هي : «المساعدة الحكومية المالية للطالب لا تساير مستوى المعيشة.» انطلاقا من هذا نقوم بإعداد أو وضع سلسلات الأرقام التي سنجمعها أو نتحصل عليها من الوثائق لتقييم الفرضية. انطلاقا من تفحص ومراجعة تحليلنا المفهومي نستطيع إذن أن نحدد بدقة ما نريد إعداده.

اختيار المعلومات

يتضمن إعداد السلسلات الرقمية تقديم المعلومات التي سنسحب عن طريقها المعطيات الرقمية الضرورية في المرحلة اللاحقة. يقتضي الأمر أن نتأكد جيداً من أن كل ما يتطلبه تحديد مشكلة البحث من معطيات للإجابة عن هدف البحث أو تقييم الفرضية قد تم التحقق منه في شكل معلومات يجب البحث عنها. على سبيل المثال، وحسب الطريقة التي جعلنا بواسطتها مصطلح المساعدة الحكومية المالية للطالب مصطلحاً واقعياً وملموساً، يمكننا سحب الوثائق التي تحتوي على المعلومات الآتية : مبالغ

المساعدة، عدد المستفدين، الأشكال المختلفة للمساعدة، أنظمة التعليم المدرجة، الفترة الزمنية المأخوذة بعين الاعتبار والنسبة المئوية السنوية لقبول الطلبات وذلك في حالة ما إذا قررنا أيضا الكشف غير المباشر عن هذا التطور. من جهة أخرى، يتضمن الجزء الآخر من الفرضية أيضا ضرورة معرفة مؤشر السعر عند الاستهلاك وذلك بتثبيت السنة المرجعية التي يمكننا انطلاقا منها التحقق إن كانت تكلفة المعيشة أكثر غلاءاً أو اقل غلاءاً قبل هذه السنة الفاصلة (أو المحورية) أو بعدها.

الأرقام المطلوب جمعها

بعد اختيار المعلومات، لم يبق من أجل الانتهاء من هذا البناء سوى أن نحدد بدقة السلسلات الرقمية التي يجب اعدادها ليسحب منها الباحث ما يتلاءم فقط مع مشكلة بحثه. في المثال السابق، مع أخذ بعين الاعتبار للفترة التاريخية المحددة (من 1970 إلى يومنا هذا)، فإن هذا سيؤدى إلى العد الآتي للأرقام التي سيتم جمعها أثناء تفريغ الوثائق في المرحلة الآتية:

- المبلغ النقدي الممنوح من طرف الحكومات كل سنة منذ 1970 (تاريخ أول دفع) ؛
- عدد المستفدين في كل سنة ؛
- المبالغ الممنوحة لكل من النظام الثانوي والنظام الجامعي في كل سنة ؛
- عدد الطلبات في كل سنة ؛
- عدد الطلبات المقبولة ؛
- المؤشر السنوي لسعر الاستهلاك خلال الفترة المأخوذة بعين الاعتبار.

هكذا، بعد وضعنا بوضوح للسلسلات الرقمية التي سنقوم بسحبها، فإننا سنعرف ماهي تلك التي تستوقفنا أو تهمنا أكثر أثناء عملية تفريغ الوثائق.

نـوعـيـة أداة الجمـع

يقيّم البحث العلمي أساساً، بنوعية الأدوات التي استخدمها قبل دراسة نتائجه. في الواقع، لا تكون هذه النتائج مقبولة أو صحيحة إلاّ إذا كانت الأداة المهيأة ملائمة. وحتى تكون الأداة جيدة، فإننا نقوم بعرضها على الزملاء كلما كان ذلك ممكنا، وأن نختبرها مسبقا على الأصدقاء

انظر الفصل 1، «أهمية المنهج».

وكذلك على مجموعة نموذجية من أفراد المجتمع الذي يستهدفه البحث. يكون في استطاعتنا بعد ذلك القيام بالتصحيحات المطلوبة وذلك من أجل أن نجنب التحليل اللاحق للمعطيات التي سبق وأن تم جمعها، معاناة النقائص التي قد تنتج عن الأداة نفسها، والتي ينبغي أن تتميز بالأمانة والدقة الكبيرتين.

الأمانة

أمانة

ميزة أداة تسمح بالحصول على نتائج متشابهة عندما نستعملها عدة مرات.

الأمانة هي ميزة مرتبطة بالأداة المبنية بدلالة أهداف البحث، والتي تضمن دقة النتائج وصحتها. يتم الحكم على أمانة الأداة عندما يتم استعمالها على أفراد متكافئين، لكن من طرف باحث مختلف، رغم ذلك فإنها تؤدي إلى نفس النتائج. مثلا، لو استعملت فئات تحليل المحتوى المحددة في بحث حول القوالب الجنسية المكررة في إشهار تلفزيوني فيما بعد في جهات أخرى، من طرف باحث أو باحثة أخرى، وأدت إلى نتائج متشابهة، عندها يمكننا التأكيد على أمانة الأداة. إن تكرار التجربة إذا أو الملاحظة هو الضمانة المؤكدة لأمانة الأداة. غير أنه من المستحيل في العلوم الإنسانية أن نكرر التجربة دائما في ظل نفس الشروط. لهذا السبب فإنه من الصعب تقدير مدى أمانة الأداة لابد إذا من إجراء لاحقاً تحقيق آخر من نفس النوع ويمكن أن يستعمل نفس الأداة. إن التحقق سيتم إذن بطريقة غير مباشرة، إما عن طريق الاكتشافات اللاحقة التي ستأتي لتعزز النتائج السابقة وتدعمها، أو عن طريق التحليل الدقيق والشامل لعناصر الأداة وإجراءاتها أو أساليبها بواسطة فريق من الزملاء. هناك إشارة أخرى غير مباشرة عن أمانة الأداة. إنها تتمثل في نجاح تطبيقاتها التي يمكن أن تتم ميدانيا. لقد أظهر إعداد سلسلة من الأسئلة حول التمييز العنصري لمجتمع ما، من أجل القيام ببحث خاص، أنها ذات فائدة كبيرة في تطبيقاتها اللاحقة كما هو الشأن في توظيف مستخدمي القطاع العمومي. لقد تم اكتشاف اتجاهات عنصرية، هذا ما أدى الى تقليص توظيف هذا النوع من المستخدَمين. باختصار، تكون الأداة ذات أمانة إذا حافظت على نفس الملاءمة بعد استخداماتها المتكررة أو المتتالية.

أنظر الفصل6، «أنواع الأدلة».

الدقــة

دقــة
ميزة أداة حساسة بالمظاهر المتنوعة لموضوع الدراسة.

إن الدقة هي ميزة الأداة التي تسمح بالجمع الصحيح لكل المعلومات الضرورية. إذا كان لابد من ترتيب المبحوثين لاحقا في فئات تناسب اتجاههم السياسي أو وضعهم الاجتماعي، مثلا، وكانت الأداة لا تسمح بجمع كل المعلومات الضرورية ولا تلم بكل مجال الاحتمالات، فعندئذ ستكون عبارة عن أداة تنقصها الدقة. انطلاقا من ذلك فإن دقة الأداة ترتبط بمدى قدرتها على التقاط أو جلب كل تجليات أو مظاهر ظاهرة ما.

خاتمة

انظر الفصل 3، «حلقة البحث».

تعتبر أداة الجمع أساسية وضرورية للطريقة العلمية. بالفعل، فإن الباحث أو الباحثة لن يكتفي بعرض الفرضيات حول طبيعة الأشياء والأشخاص ؛ ونظرا إلى الأهمية القصوى لهذه الوقائع، فإن الباحث سيظل مطالبا بأن يولي عناية كبيرة لإعداد أداة الجمع. تتضمن أداة الجمع باختصار كل ما نريد الكشف عنه في الواقع. إنها تعمل على الربط الضروري بين تصور البحث والملاحظات التي سنقوم بها في الميدان. تتوقف نوعية الأداة، في جزء مهم، على مدى ملاءمة المعلومات التي يستقيها الباحث أو يتحصل عليها.

مصطلحات أساسية

- إطار الملاحظة
- وثيقة الأسئلة
- سؤال مغلق
- سؤال مفتوح
- سؤال توجيهي
- مخطط أو دليل المقابلة
- مخطط تجريبي
- فئات تحليل المحتوى
- وحدة الدلالة
- وحدة العد
- وحدة الوصف
- تقنينة
- سلسلات رقمية
- أمانة
- دقة

ملخص

لقد قمنا بعرض في هذا الفصل أدوات جمع المعطيات المتعلقة بالتقنيات الست الأساسية للبحث في العلوم الإنسانية. يتعلق الأمر هنا باعداد إطار الملاحظة، إذا كانت التقنية التي ستطبق ميدانيا هي الملاحظة في عين المكان. للوصول إلى ذلك، لابد أولا من تسجيل كل المعلومات التي يمكن أن نجدها في هذا المجال أو حوله. ثم نقوم بعد ذلك بحصر مجال الملاحظة أو النشاط المستمر للمجموعة موضوع الملاحظة. أخيرا، نقوم بإنشاء نظام لتسجيل الملاحظات الواقعية والتأملية والتي نُودعها في شبكة الملاحظة أو في دفتر المشاهدات.

أما بالنسبة إلى الاستمارة أو الاستبار، أي سبر الآراء، فالمطلوب هو بناء وثيقة أسئلة. تتضمن صفحة الغلاف نصاً قصيراً لتقديمها، يشار

فيه عادة إلى الباحثين، موضوع البحث، والتعهد للمبحوثين بعدم الكشف عن هويتهم أو إفشاء سرية المعلومات التي يصرحون بها. تقدم وثيقة الأسئلة في شكل سلسلة من الأسئلة مع إجابات للاختيار بينها. تسمى هذه الأسئلة بالمغلقة عندما تكون الإجابات مقترحة على المبحوث، ولا يبقى عليه سوى الاختيار. هكذا سيكون في إمكان المبحوث أن يختار تارة بين إجابتين وطوراً بين عدة إجابات، واستثناءاً يمكن أن يكون السؤال مفتوحاً بإجابة قصيرة أو معُدَّة. هناك أيضا قواعد يجب اتباعها من أجل الإعداد الجيد للسؤال : فكرة واحدة، مفردات حيادية، واضحة، معقولة، صياغة مختصرة. في نفس الوقت هناك قواعد تسمح بالصياغة الجيدة للإجابات التي ينبغي أن تكون : مقبولة، مفهومة، شاملة، حصرية، محدودة من حيث العدد، متوازنة، متناوبة أو متعاقبة. بوضعنا للأسئلة الأكثر شخصية في نهاية الوثيقة سنضمن ربحَ ثقة المبحوث الذي لا نطلب منه عندئذ تقديم تدقيقات أكثر مما هو ضروري، كما سنضمن تقديمنا لكل الحالات على نفس درجة المساواة. زيادة على ذلك، ينبغي أن تكون الوثيقة سهلة الملء بفضل إشارات بسيطة وموحدة حول طريقة الإجابة. تتوقف صلاحية الأداة على الترجمة الناجحة للمؤشرات في سؤال أو عدة أسئلة، وستتأكد صلاحية الوثيقة أكثر إذا قام الباحث بتسليمها إلى أشخاص آخرين قادرين على تحسينها وتطويرها من خلال تعليقاتهم عليها.

أما فيما يخص مقابلة البحث، فالمطلوب هو بناء مخطط أو دليل المقابلة. يتكون هذا الأخير من أسئلة وأسئلة فرعية تتماشى والأبعاد والمؤشرات المتحصل عليها أثناء العملياتية. تكون هذه الأسئلة مفتوحة لأنها تصاغ بطريقة تترك للشخص المستجوَب إمكانية الإجابة بكلماته الخاصة وفي الوقت الذي يرغب فيه. ينطلق مخطط أو دليل المقابلة، في حدود الممكن، من الموضوعات الأقل شخصية إلى المواضيع الأكثر شخصية، ومن الأسئلة الأكثر سهولة وبساطة إلى الأسئلة التي تتطلب تأملاً وتفكيرا أكثر. كما ينطوي المخطط على جمل انتقالية صغيرة تعلن عن الانتقال من موضوع إلى آخر. ينبغي أن تظهر في بداية المخطط أو الدليل، معلومات عن المقابلة وتحضير التقديم الذي يجب أن يتضمن بالضرورة معلومات عن المستجوبْ (أي من هو)، موضوع البحث، تبرير استعمال آلة التسجيل وضمان الكتمان أو السرية.

أما بالنسبة إلى التجربة، فالمطلوب هو بناء مخطط تجريبي. يتضمن هذا المخطط وصفا للمتغيرات الأساسية. كما ينبغي علينا وصف المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة والطريقة التي نستطيع بواسطتها استعمال وتحريك المتغيرات الأولى وقياس تأثيراتها في المتغيرات الثانية. كما ينبغي علينا أيضا أ نحدد بدقة كيفية إقصاء تأثيرات المتغيرات الوسيطة. إن الاختبارات، الاستمارات، شبكات الملاحظة، الأجهزة والأدوات يمكن أن تساعد وبدرجات مختلفة وحسب نوع التجربة في قياس تأثيرات المتغير المستقل. يبقى بعد ذلك تحديد كيفية توزيع عناصر التجربة. يمكننا عندئذ إنشاء مجموعة واحدة من العناصر التي سنخضعها للمتغير المستقل أو على الأقل إنشاء مجموعتين، المجموعة التجريبية ومجموعة المراقبة. في الأخير نقوم بتحرير توصية موحدة تقدم إلى العناصر التي نجري عليها التجربة.

أما فيما يخص تحليل المحتوى، فالمطلوب هو بناء الفئات. فنقرر، من جهة، ماهي وحدات الدلالة التي سنحتفظ بها (كلمات، مواضيع، أشخاص، أفعال، إلخ.)، ومن جهة أخرى، الكيفية أو الطريقة التي سنختار على ضوئها هذه الوحدات، إما عن طريق الحساب (وحدات العد) أوالتقدير (وحدات الوصف). ينتج اختيار الفئات عن المؤشرات ؛ إذ ينبغي لهذه الفئات أن تكون شاملة، واضحة، حصرية، متزنة ومرنة. إن الشكل النهائي لأداة الجمع يصبح عبارة عن ورقة للترميز أو نظام من البطاقات يسمح بالجمع المنتظم لكل العناصر أو العوامل الهامة في الوثائق لتحديد المشكلة.

أما بالنسبة إلى تحليل الإحصائيات، فالمطلوب هو بناء السلسلات الرقمية. لإعداد ذلك يقوم الباحث باستخراج المعلومات من تحليله المفهومي ؛ ولايبقى له بعد ذلك سوى تحديد بدقة طبيعة سلسلات الأرقام المرتبطة بهذه المعلومات التي سيتم جمعها وترقيمها فيما بعد.

أخيرا يقوم الباحث باختبار أداة الجمع للتأكد من أمانتها، اي أنها تنتج نفس النتائج لو استعملت مرات متكررة، وأنها دقيقة، اي انها تسجل جيدا الظواهر محل الدراسة مع أخذ بعين الاعتبار لتغيراتها.

أسئلة

1. انطلاقا من مشكلة بحثه، كان لزاما على الباحث أن يختار الملاحظة في عين المكان حتى يقوم بعمله الميداني، فماذا عليه أن يبني حتى يتمكن من جمع المعطيات ؟ إعط بعض التدقيقات.

2. إعط نصيحتين من أجل أن تكون وثيقة الأسئلة جذابة وسهلة الملء، ونصيحتين أيضا لتحفيز المبحوث على الإجابة.

3. إن السؤال المأخوذ من وثيقة الأسئلة هو على النحو الآتي : هل صحيح أن الرياضة والقراءة نظرا إلى كونهما من ملكات الكائن المتزن، يقودان من يمارسهما إلى أقل عنف ؟

☐ صحيح

☐ غير مؤكد

☐ وربما

☐ لا يدري

أ) إذا كانت توجد أخطاء في صياغة هذا السؤال، قدم إثنين منها واشرح كلاهما بالرجوع مباشرة إلى إحدى المفردات المستعملة في السؤال.

ب) هناك أيضا أخطاء في صياغة الأجوبة، بين إثنين منها واشرح كلاهما بالرجوع إلى إحدى المفردات المستعملة في اختيار الأجوبة.

4. انطلاقا من مشكلة البحث، اضطرت باحثة إلى اختيار المقابلة للقيام بالعمل الميداني :

أ) ماهي الأداة التي يجب بناؤها للحصول على المعطيات، وماهو معنى السؤال العام بالنسبة إلى الأسئلة الجزئية الأخرى التي تتبعه ؟

ب) مامعنى سؤالا مفتوحا ؟ صغ واحدا، متفاديا الأخطاء الممكنة في الصياغة.

5. إليك هذه البداية الخاصة بمخطط المقابلة :

تحية طيبة

إسمي ـــــ جئت لاستجوابكم حول حصصكم التلفزيونية المفضلة.

هناك أربعة عناصر تشترك فيها كل فقرة تمهيدية لمخطط المقابلة.

حدد بدقة النقطة أو النقاط الموجودة وأيضا النقطة أو النقاط الغائبة، بالاستناد مباشرة إلى المثال أعلاه.

6. ماهي الفرضية الآتية : أثناء العرض المتتابع للصور، يستطيع عناصر التجربة أن يصفوا بتفاصيل أكثر الصور التي تمثل أشخاصا من الجنس الآخر، خلافاً لتلك التي تمثل أشخاصا من جنسهم.

أ) قدم المتغيرات الأساسية الموجودة في المخطط التجريبي لهذه الفرضية (بالاعتماد على نفس العناصر التي تظهر في الشكل 12.8).

ب) عين ثلاثة عناصر من الأدوات التي ستكون في حاجة إليها لإجراء هذه التجربة، وحدد بدقة، فيما يخص كل عنصر، كيف تود استعماله، ليس بصفة عامة، ولكن بالرجوع مباشرة إلى الفرضية.

جـ) ماهو مخطط التجربة الذي ستتبناه ؟ برر.

د) حرر التوصية التي يمكن أن تقدم إلى عناصر هذه التجربة، مع إدماج الهدف والنشاط المطلوب القيام به، الوقت والامكانيات المتوفرة.

7. يهتم باحث بافتتاحية أربع جرائد بهدف استخراج كل المواضيع المعالجة والمساحة الممنوحة في الصفحة لكل واحد منها، بحساب عدد الأعمدة وعدد الأسطر، كما يهتم أيضا بما يكون بارزاً في هذه الجرائد أكثر، وذلك بتوجيه اهتمام خاص إلى المكان المخصص في الصفحة والذي يجلب نظر القارئ أو القارئة :

أ) في تقديم البحث هذا ، ما الذي يكوّن وحدة الدلالة (المعنى)، ولماذا ؟

ب) ما الذي يكوّن وحدة العد، ولماذا ؟

جـ) ما الذي يكون وحدة الوصف، ولماذا ؟

8. عرف بدقة طبيعة السلسلات الرقمية التي يجب القيام بها من أجل التحقق من الفرضية الآتية : خلال العشرية الأخيرة، كانت القدرة الشرائية للجزائريين والجزائريات في علاقة طردية بمستوى أجورهم السنوية وفي علاقة عكسية بنسبة البطالة.

9. حدد بدقة شرطا واحدا يمكن أن يجعل أداة الجمع أكثر أمانة وشرطا آخر يمكن أن يجعلها أكثر دقة.

تقرير المرحلة الثانية

البنــــاء التـــقني

محتوى

1. تقنية البحث المنتقاة :

- إسم التقنية وتبرير (سبب أو أسباب الاختيار مع أخذ بعين الاعتبار مزايا، عيوب التقنية وتحديدها للمشكلة).
- تحديد بدقة طريقة استعمالها :ملاحظة (درجة التفتح والمشاركة)، مقابلة (فرد أو مجموعة)، استمارة (الملء الذاتي أو المقابلة [interview])، تجريب أو شبه التجريب (عدد المجموعات في المخبر أو الميدان، المسند أو المثار)، تحليل المحتوى (محتوى ظاهري أو مستتر)، تحليل الإحصائيات (المحددات المطلوب البحث عنها).

2. الأداة المبنية، جاهزة لجمع المعطيات :

- إطار الملاحظة (شبكة أو دفتر المشاهدات) ؛
- وثيقة الأسئلة ؛
- مخطط أو دليل المقابلة ؛
- مخطط تجريبي ؛
- فئات تحليل المحتوى (ورقة الترميز أو النظام المحتمل للبطاقات) ؛
- أو السلسلات الرقمية (عد الأرقام المطلوب جمعها).

ملاحظة

يجب تحرير التقرير في شكل جمل، ماعدا في حالة النقطة 2. إذا كانت الأداة لا تسمح بذلك.

القسم الخامس

المرحلة الثالثة من البحث :

جمع المعطيات

بمجرد الانتهاء من بناء أداة الجمع، نشعر أننا مستعدين لاستعمالها. لقد تم تحديد مجتمع البحث المستهدف بصفة شاملة أثناء تحرير التقرير المتعلق بالمرحلة الأولى. علينا بعد هذا أن نتعمق أكثر، وذلك بحصرنا أولا وبدقة كبيرة لمجتمع البحث، ثم نقرر بعد ذلك إن كنا نريد الحصول على معلومات من طرف كل أفراد هذا المجتمع، أو من عدد محدود من أفراده. في هذه الحالة الأخيرة، لابد من اعتماد طريقة اختيار هذا العدد المحدود من مجتمع البحث، والذي سيتم من خلاله الحصول على المعطيات.

سنعرض في الفصل 9، أنواع المعاينات المحتملة وأصنافها وكيفية تحديد حجم العينّة حسب طبيعة البحث. إن الاختيار الملائم لعناصر مجتمع البحث هو أكيد مهم. إلا أن لطريقة الاتصال بالواقع، أيضا تأثيرا كبيرا في نوعية المعطيات التي سنتحصل عليها. سنقدم بعض التفسيرات في الفصل 10 حول طريقة إقامة الاتصال بالأشخاص أو العمل على الوثائق، مع أخذنا بعين الاعتبار لخصوصيات كل تقنية من تقنيات البحث.

لهذا فإن هدف هذا الجزء الخامس، هو اختيار عناصر مجتمع البحث، أشخاصا كانوا أم أشياء، وكيفية الاستعمال الفعال لأداة جمع المعطيات. سيتم تقديم عرضا مختصرا حول العمليات التي ينبغي القيام بها من أجل إنجاز هذه المرحلة في الملحق 1 تحت عنوان «المراحل باختصار».

الفصل 9

انتقاء عناصر مجتمع البحث

مهما كان نوع البحث، ومن أجل تحديد نوع المعاينة الذي سيستعمل، لابد من مراعاة عاملين هامين : إمكانية الانجاز والتكلفة.

THERESE BAKER

أهـــداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن :

- يعرّف مجتمع البحث والعينة ؛
- يفرق بين معاينة من صنف احتمالي ومعاينة من صنف غير احتمالي؛
- يعرّف الأصناف الثلاثة للمعاينة الاحتمالية ؛
- يصف الإجراءات الخاصة بالسحب الاحتمالي ؛
- يعرّف الأصناف الثلاثة للمعاينة غير الاحتمالية ؛
- يصف الإجراءات الخاصة بالاختيار غير الاحتمالي ؛
- يضع تركيباً ممكنا بين أنواع المعاينة وأصنافها ؛
- يحدد بالتقريب حجم العينة لمجتمع بحث معين.

تمهيد

إن مرحلة انتقاء عناصر مجتمع البحث التي ستمثل العينة هي مرحلة مهمة في البحث ؛ لهذا وعلى ضوء تعريفنا للمشكلة والمقاييس الخاصة، ينبغي أن نحدّد بدّقة المجتمع الذي يستهدفه البحث وأن نختار بدقة وحذر المعاينة التي ستمكننا من تحديد الحجم الضروري للعينة. يمكننا اللجوء إلى نوعين هامين من المعاينة، الاحتمالية وغير الاحتمالية، وإلى ثلاثة أصناف من المعاينة التي يحتوي عليها كل نوع من هذين النوعين، وذلك حسب متطلبات البحث والتقنية المستعملة.

مجتمع البحث

مجتمع بحث
مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى والتي يجرى عليها البحث أو التقصي.

إن **مجتمع البحث** في لغة العلوم الإنسانية هو: «مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المحددة مسبقا والتي ترتكز عليها الملاحظات» (Grawitz 1988 : 293). كمثال على ذلك سكان الجزائر، أي مجموع الأشخاص أو الأفراد المقيمين بالجزائر، أو مجموع كتب المكتبة، أي كل كتب المكتبة.

تعريفه

إننا نتحدث عن مجتمع البحث في هذه الحالة أو تلك، لأننا نستطيع تحديد مقياس يجمع بين الأفراد أو الأشياء، ويميزهم عن غيرهم من الأفراد أوالأشياء الأخرى. فالإقامة بالجزائر هي مقياس يشمل كل الأشخاص الذين يعيشون في الجزائر ضمن نفس المجموعة السكانية، والذي يميزهم عن تلك المجموعات التي لا تعيش في الجزائر. في هذا المثال، فإن مسألة المواطنة باعتبارها مقياساً مألوفا لتحديد الأشخاص الذين في استطاعتهم القول إنهم جزائريين لم يتم أخذها بعين الاعتبار. إن ما تم أخذه بعين الاعتبار هنا هو فقط الإقامة فوق التراب الجزائري. على نفس هذا المنوال، وانطلاقا من كون الكِتاب تابع لمكتبة بلدية، فهذا مقياس يجمع بين كل الكتب الموجودة بهذه المكتبة، والذي يميزها عن غيرها من الكتب الموجودة في أماكن أخرى.

إذا، فأي كانت مجموعة البحث، فإنها لا تعرف إلا بمقياس يجعل بطريقة ما العناصر التي ستمثلها ذات خاصية مشتركة أو ذات طبيعة

واحدة. بطبيعة الحال يمكن إنشاء مجتمع بحث أكثر تعقيدا يُحدد انطلاقا من أكثر من مقياس واحد. هكذا نستطيع الحديث عن السكان المستأجرون بمدينة وهران. في هذه الحالة، هناك مقياسين على الأقل يميزان هؤلاء الأفراد عن غيرهم، هما : مقياس المدينة التي يقيمون بها ومقياس كيفية استعمال الإقامة.

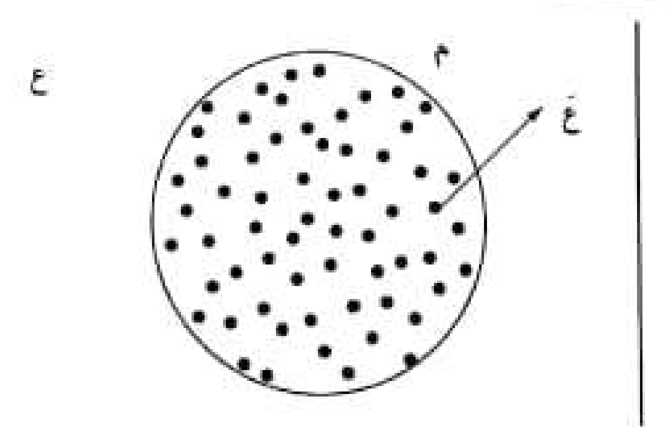
عدد إجمالي
مجموع كلي لعناصر ضمن مجتمع بحث.

إن عدد عناصر مجتمع بحث معين يشكل **عددها الإجمالي**، هكذا نحسب مجتمع البحث بقولنا إن عدده الإجمالي (الحقيقي) يتكون من كذا عنصر. مثلا، المجموع الحقيقي لسكان الجزائر العاصمة إلى غاية 1998 قد بلغ 2562428 ساكن حسب الإحصاء العام لسنة 1998.

إن الشكل 9 يوضح بواسطة دائرة مجتمع بحث معطى (م) في عالم أو محيط (ع)، كل نقطة داخل هذه الدائرة تمثل عنصرا (ع) من هذا المجتمع ومجموع النقاط يمثل العدد الإجمالي لمجتمع البحث.

الشكل 9

مجتمع البحث وعدده الإجمالي



تحديده

لكي يكون البحث مقبولا وقابلا للإنجاز، لابد من تعريف مجتمع البحث الذي نريد فحصه، وأن نوضح المقاييس المستعملة من أجل حصر هذا المجتمع. لو افترضنا أننا نريد إجراء بحث حول هيئة التدريس في ولاية الجزائر : هناك عددا معينا من الأسئلة ستوجه تعريفنا لمجتمع البحث.

- هل نهتم بكل مستويات التعليم (الابتدائي، المتوسط، الثانوي والجامعي) ؟ إذا كان الجواب بالنفي، فلابد من وضع مقياس

نوضح به مستوى أو مستويات التعليم المستهدفة بصفة خاصة. لنختار، على سبيل المثال، مستوى التعليم الثانوي.

- هل نريد الاتصال بالأساتذة في المؤسسات الخاصة أو العمومية؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، فلن يكون هناك داعيا لإقامة مقياس حول هذا الجانب. كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن المقياس يساعد فقط في تحديد مجتمع البحث وتمييزه عن غيره.

- هل سنهتم بكل الأساتذة، سواء في التعليم العام أو في التعليم الممنوح للكبار، أو في التعليم لدى المجموعات الخاصة ؟ هكذا، لأسباب عملية وحتى لا يؤدي هذا إلى انحرافات بالنسبة إلى ما نبحث فيه، فإننا سنقتصر فقط على دراسة أساتذة التعليم العام. بهذا التدقيق ندخل المقياس الثاني : الانتماء إلى التعليم العام.

- كما يمكننا إضافة مقياسا ثالثا وأخيرا إذا كنا نهتم فقط، مثلا، بتدريس العلوم الإنسانية ولم نأخذ سوى الأساتذة الذين يدرسون في هذه التخصصات. (هنا نترك جانبا تحديد مصطلح العلوم الإنسانية الذي سيكون ضروريا لتحديد بوضوح ماهي التخصصات المعنية).

يمكننا الآن الإشارة بدقة أكثر إلى أن مجتمع البحث الذي سيكون محل الدراسة هو أساتذة ولاية الجزائر العاصمة المحدد حسب المقاييس الثلاثة الآتية : إنهم أساتذة المستوى الثانوي، في التعليم العام، والمتخصصين في العلوم الإنسانية.

إن هذا التحديد الدقيق والضروري لمجتمع البحث المستهدف يمكن مع ذلك أن يخضع - في إطار البحث الكيفي - لتعديل أو تعديلات فيما بعد. مثلا، للاستعلام عن الحياة في السجن، يمكن أن يؤدي بنا ذلك إلى اكتشاف أن البحث لا يكون تاما لو التقينا فقط بالمساجين، رغم أنهم يمثلون مجتمع البحث المحدد منذ البداية، وفي هذه الحالة ينبغي علينا أن نوسع من خصائص مجتمع البحث المعني.



العينة والمعاينة

إن الكمال في البحث العلمي هو أن نستعلم لدى كل عناصر مجتمع البحث الذي نهتم بدراسته. إلا أنه وكلما تجاوز العدد الإجمالي بعض المئات من العناصر كلما أصبح ذلك صعبا، وقد يصبح من المستحيلات عندما نصل إلى الملايين وذلك بسبب ما يقتضيه البحث من موارد وتكاليف. بالمثل، يمكننا أن نقتصر على المعلومات القليلة الموجودة حول مجتمع بحث معيّن، عندما يكون الوصول إليه صعبا، أو نظرا إلى القوانين المتعلقة بسرية بعض قوائم الأشخاص. لابد أن نقوم إذن بسحب **عينة** من الأفراد، أي ذلك الجزء من مجتمع البحث الذي سنجمع من خلاله المعطيات. في ميدان العلم، نتطلع أن تسمح لنا العينة المتكونة من بعض العشرات، المئات أو الآلاف من العناصر، وذلك حسب الحالة، والمأخوذة من مجتمع بحث معين بالوصول إلى التقديرات التي يمكن تعميمها على كل مجتمع البحث الأصلي. هذا ما يجب علينا فعله من دون شك في حالة ما إذا كنا نقوم ببحث حول الأساتذة من المستوى الثانوي من التعليم العام، والمتخصصين في العلوم الإنسانية في ولاية الجزائر، لأن ذلك سيكون عملا طويلا وباهضا لو أردنا الاتصال بهم جميعا.

عينة
مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معيّن

هناك عدة طرق لاختيار جزء من مجتمع البحث والذي سيتركز حوله البحث. تتضمن **المعاينة** مجموعة من العمليات تهدف إلى بناء عينة تمثيلية لمجتمع البحث المستهدف. في هذا المجال يوجد نوعين كبيرين من المعاينة : الاحتمالية وغير الاحتمالية.

معاينة
مجموعة من العمليات تسمح بانتقاء مجموعة فرعية من مجتمع البحث بهدف تكوين عينة

المعاينة الاحتمالية أو غير الاحتمالية

تسمى **المعاينة بالاحتمالية** لأنها تعتمد على نظرية الاحتمالات، وهي النظرية التي تسمح بحساب الممكن، أي احتمال وقوع حدث. في هذا المعنى، تكون المعاينة احتمالية إذا كان لكل عنصر من مجتمع البحث الأصلي حظ محدد ومعروف مسبقا ليكون من بين العناصر المكونة للعينة. ومع ذلك هناك بعض الشروط الضرورية لإمكانية إجراء معاينة احتمالية. إن المعاينة الاحتمالية تتطلب عدا أو قائمة تشتمل على كل عناصر مجتمع البحث المراد دراسته. انطلاقا من هذا الشرط فقط يمكننا أن نقدر أو نحسب احتمال أن يكون كل فرد من بين الأفراد

معاينة احتمالية
نوع من المعاينة يكون فيها احتمال الانتقاء معروفا بالنسبة إلى كل عنصر من عناصر مجتمع البحث والذي يسمح بتقدير درجة تمثيلية العيّنة.

المختارين أو المنتقين. تسمى هذه القائمة **بقاعدة مجتمع البحث** أو السبر. بفضل هذه القاعدة سيتم لاحقا سحب العينة التي تسمح بتقدير درجة **التمثيلية** مقارنة بمجتمع البحث الأصلي الذي أخذت منه. تسمى العينة تمثيلية لما تتشابه العناصر التي تتكون منها مع العناصر الأخرى لمجتمع البحث ؛ ينبغي أن يكون كل عنصر متكافئ (معادل)، أي لا ينبغي نسيان أي عنصر أو تكراره، كما ينبغي مقارنة الاختيار النهائي بنتائج السحب العشوائي الحقيقي (tirage au sort) وذلك مثل السحب الذي يتم والعينين معصبتين أو السحب الآلي للكرات من داخل الصندوق.

قاعدة مجتمع البحث
قائمة تشمل كل عناصر مجتمع البحث.

تمثيلية عينة
ميزة عينة يتم اعدادها بطريقة تنطوي على نفس خصائص مجتمع البحث الذي أخذت منه.

هكذا، ضمن المعاينة الاحتمالية، سيكون لكل عنصر من مجتمع البحث حظا معروفا ليكون من العناصر المنتقاة. مثلا، لو أردنا إجراء معاينة احتمالية في إطار البحث حول أساتذة العلوم الإنسانية والتعليم العام والثانوي المشار إليه سابقا، فمن الضروري أن تتوفر لدينا قائمة عن كل الأساتذة المعنيين من دون حذف أو تكرار للأسماء.

في حالة **المعاينة غير الاحتمالية**، فإن احتمال اختيار عنصر من مجتمع بحث ما غير معروف ومن المستحيل معرفة إن كان لكل عنصر من البداية حظ مساو أم لا لأن يُنتقى ضمن العينة. إذا كانت العينة المكوّنة بهذه الطريقة ربما ممثلة، فإنه لا يمكن تقييم درجة تمثيليتها.

معاينة غير احتمالية
نوع من المعاينة يكون فيها احتمال انتقاء عنصر من عناصر مجتمع البحث ليصبح ضمن العينّة غير معروف والذي لايسمح بتقدير درجة تمثيلية العينّة المعدة بهذه الطريقة.

يندرج ضمن كل نوع من هذين النوعين من المعاينة ثلاثة أصناف من المعاينة، أي ثلاث طرق خاصة بسحب العينة والتي سنتطرق إليها بعد مناقشتنا لأخطاء المعاينة أو الملاحظة.

خطأ المعاينة أو الملاحظة

يحدث وأن تنساب أخطاء أثناء سحب العينة. إذا كان البعض من هذه الأخطاء ملازما لعمليات المعاينة فإن البعض الآخر يمكن تجنبه.

أول نوع من هذه الأخطاء هو **خطأ المعاينة**. يصدر هذا الخطأ من كون أن المعلومات المحصل عليها لدى جزء من مجتمع البحث لا يمكن أن تعكس تماما كل مجتمع البحث. إن هذا الخطأ لا مفر منه، ذلك لأنه، نظرا إلى كون دراستنا تتوقف على عينة فقط، لا يمكننا أن نجد بدقة نفس المعدلات، النسب والتباينات مع تلك التي نحسبها ضمن مجتمع البحث.

خطأ المعاينة
عدم الدقة التي لامفر منها عندما يجري التقصي على عينّة والتي يمكن تقديرها في حالة المعاينة الاحتمالية.

إننا لا نعير اهتماما لهذا النوع من الخطأ إلا في المعاينة الاحتمالية لأنها الوحيدة التي تسمح بحساب درجة تمثيلية العينة. كما يمكن لخطأ المعاينة أن يؤثر أيضا في المعاينة غير الاحتمالية رغم إمكانية حسابه. هكذا، لو أخذنا قياس القامة (taille) لدى 100 من مجموع 200 لاعب لكرة القدم في ثانوية وحسبنا احتمال أن يكون لكل واحد منهم حظا في أن يكون من ضمن المختارين من أجل القياس (المعاينة الاحتمالية)، فإن معدل القامة لعينة 100 لاعب ينبغي أن يكون قريبا من معدل مجتمع البحث، لكن ليس من الضروري أن تتطابق معها تطابقا تاما. أما إذا كان الانتقاء قد تم وفقا لقواعد الصدفة أو الحظ فإن هذا الخطأ لا يقلل من صحة المعاينة وسلامتها ولكنه يدقق فقط أن المعدل الذي تم حسابه لا يتطابق تماما مع معدل مجتمع البحث الكلي إلا استثناءا. لهذا يشار في تقرير السبر إلى أنّ هامش الخطأ مثلا يقع «في حدود5 %، 19 مرة على 20». كلما رفعنا عدد العناصر المنتقاة من مجتمع البحث الأصلي كلما كان بإمكاننا تقليص خطأ المعاينة إلى حد 3 % أو حتى 1 %.

خطأ الملاحظة
تقصير الباحث أو الباحثة أثناء تعريف عناصر مجتمع البحث أو انتقائها.

أما النوع الثاني من الخطأ فهو **خطأ الملاحظة**. يأتي هذا الخطأ من الطريقة التي يتبعها الباحث أو الباحثة. يمكن لهذا الخطأ أن ينتج عن قاعدة مجتمع البحث الأصلي غير التامة والغامضة ؛ قد ينتج أيضا عن الاختيار الذي يبتعد عن المقاييس الموضوعة من أجل تحديد مجتمع الدراسة أو من التعريف غير الدقيق لمقياس أو عدة مقاييس. لكي نتجنب خطأ الملاحظة ينبغي علينا تقليصه إلى حد كبير إذا استحال علينا إخفاؤه نهائيا، وذلك بحصر مقاييس الاختيار أو إتمام قاعدة مجتمع البحث الأصلي حتى لا نمس بسلامة النتائج وصحتها.

المعاينات الاحتمالية

هناك ثلاثة أصناف من المعاينات الاحتمالية، المعاينة العشوائية البسيطة، المعاينة الطبقية (stratifié) والمعاينة العنقودية (en grappes)، كما يوجد أيضا ثلاثة إجراءات ممكنة للسحب المحتمل للوصول إلى عناصر مجتمع البحث التي ستكون العينة.

المعاينة العشوائية البسيطة

معاينة عشوائية بسيطة
أخذ عيّنة بواسطة السحب بالصدفة من بين مجموع عناصر مجتمع البحث

المعاينة العشوائية البسيطة هي إجراء أساسي يظهر من جديد في مرحلة ما أو أخرى في الأصناف الأخرى من المعاينات الاحتمالية. إن مصطلح عشوائية يعني أننا نستعين بالحظ أو الصدفة في اختيارنا للعناصر. إنّ الصدفة التي نعنيها هنا هي صدفة مراقبة. نستخدم في العلم كذلك مصطلح العشوائية (randomisation) للدلالة على أننا سنعمل بالصدفة المقصودة وليس بالصدفة الفجائية. إن العمل من خلال الصدفة الفجائية يرجع بنا إلى القول إننا سنعمل بأية طريقة كانت، في حين أن اللجوء إلى استخدام الصدفة المقصودة يعني اتخاذ احتياطات خاصة أثناء السحب باعطائه ميزة علمية وذلك بمنح كل عنصر من عناصر مجتمع البحث إمكانية معروفة للظهور من بين العناصر المختارة. من خلال قيامنا بقرعة حقيقية والتي تم تحديد شروطها مسبقا، فإننا نسعى ما أمكن إلى تجنب ذلك التوافق البسيط (أي أخذ كل من يكون في متناولنا) أو التعسفي (الذي يعني أخذ هذا أو ذاك دون سبب ظاهر) أو الميل الشخصي (وهو أخذ تلك العناصر التي تغرينا).

إن مصطلح بسيط يعني أن السحب سيتم بطريقة مباشرة على أساس قاعدة مجتمع البحث. مثلا، إذا كنا مهتمين بمضمون الحصص الموسيقية في المذياع، لابد أولا من وضع قائمة لكل هذه الحصص ثم نسحب بالصدفة لعدد منها انطلاقا من القائمة التي تم وضعها.

المعاينة الطبقية

معاينة طبقية
أخذ عيّنة من مجتمع البحث بواسطة السحب بالصدفة من داخل مجموعات فرعية أو طبقات مكونة من عناصر لها خصائص مشتركة.

إن **المعاينة الطبقية** هي صنف من المعاينة الاحتمالية الذي ينطلق من فكرة أن هناك خاصية أو عدة خصائص تميز عناصر مجتمع البحث والتي لابد من أخذها بعين الاعتبار قبل الانتقاء. يسمح هذا الإجراء بإنشاء مجموعات صغيرة أو طبقات سيكون لها بعض الانسجام لأننا نعتقد أن العناصر المكونة لكل طبقة لها بعض التشابه وأن كل منها يتميز في نفس الوقت عن المجموعات الأخرى. نرجع إلى مثال الأساتذة في العلوم الإنسانية للمستوى الثانوي في التعليم العام. إذا كان البحث يجرى حول مهمة الأساتذة، فمن الممكن أن نتصور ـ مع علمنا أن المهمة تختلف حسب وقت الأستاذ سواء إذا كان وقتا تاما أو جزئيا ـ أنه من الضروري أن

نضمن الحضور الهام للمجموعتين في العينة وبالتالي ننشىء مجموعتين صغيرتين أو طبقتين قبل اختيار الأشخاص. ثم نقوم بمعاينة عشوائية بسيطة داخل كل طبقة. بفضل المعاينة الطبقية، يصبح من الممكن أخذ بعين الاعتبار، أثناء سحب العينة، عدد من المتغيرات مثل السن، التمدرس واللغة المستعملة، التي يحتمل أن يكون لها تأثيرا في النتائج. هكذا، لا تتعرض فئات من عناصر مجتمع البحث موضوع الدراسة والتي هي مختلفة عن الفئات الأخرى لخطر التهميش من العينة، رغم أن تهميشها كان ممكنا لو استعملنا المعاينة العشوائية البسيطة. تسمح المعاينة الطبقية إذن، بضمان درجة تمثيلية عالية للعينة وتحدث أقل أخطاء من المعاينة العشوائية (Pinto et Grawitz 1967 : 585).

عندما ننشىء الطبقات يمكن أن تطرح عندئذ مشكلة الوزن النسبي لكل منها. لو افترضنا أن الطبقات المطلوب إنشاؤها لها علاقة بالديانات الممارسة في مدينة ما ؛ لابد إذا أن يتماشى عدد الطبقات مع عدد الديانات. لو افترضنا، زيادة على ذلك، أن نسبة المؤمنين بالنسبة إلى كل دين معروفة وأننا نريد إعادة إنتاجها في العينة، بكيفية تسمح أن يكون لكل طبقة نفس الوزن المساوي لوزنها في مجتمع البحث ؛ وبالتالي، يجب أن تكون العينة مكونة من نسبة من الأشخاص التابعين لديانة ما تكون مساوية لتلك النسبة التي تم حسابها في مجتمع البحث بالنسبة إلى هذه الديانة. مثلا، إذا كانت المدينة تحتوي على نسبة 75 % من الكاثوليك فينبغي سحب نفس النسبة من الأفراد المنتمين إلى طبقة الكاثوليك. إننا سنعمل بطبيعة الحال بالمثل بالنسبة إلى الديانات الأخرى وذلك باحترام وزن كل واحدة منها. نلجأ إلى طريقة العمل هذه عندما نريد أن نعكس بصدق وبإخلاص نسبة كل طبقة في مجتمع البحث، وتسمى بالمعاينة الطبقية النسبية.

مع ذلك يمكن أن تؤدي هذه المعاينة النسبية إلى سحب عدد صغير من العناصر من طبقة معينة. مثلا، لو كان هناك نسبة أقل من 1% من المؤمنين المسلمين في المدينة وأن اختيارنا لهم سيكون فقط على أساس أخذ وزنهم بعين الاعتبار، فمن المحتمل أن يكون لدينا عدد قليل من المسلمين وبالتالي فإن المقارنات مع الطبقات الاخرى ستكون غير مقنعة. على العكس من ذلك، لو اخترنا نفس العدد من العناصر من داخل

كل طبقة فإننا نضمن لكل طبقة حضورا معتبرا. هكذا سيكون في كل طبقة عددا كافيا من العناصر يسمح لاحقا بإجراء المقارنات. يسمى هذا النوع من الاجراء بالمعاينة الطبقية المتوازنة: إننا نوازن بين كل طبقة حينما يتم إجراء المقارنات، يبقى من الممكن الرجوع إلى الوزن المناسب لكل طبقة في مجتمع البحث بتعيين النسبة الحقيقية لكل منها في الحسابات الشاملة.

المعاينة العنقودية

ربما يكون من المستحيل في البداية الحصول على قائمة لكل العناصر التي سنسحب منها عينة بحثنا، كما قد يكون وضعها مكلفا أو طويلا. إن **المعاينة العنقودية** تسمح بتجاوز هذه الصعوبة مع ضمان حصولنا على معاينة احتمالية، وبالضبط فإن الأمر يتعلق بإجراء القرعة ليس على العناصر في حد ذاتها، لكن على الوحدات الأخرى التي تشتمل عليها. إن قاعدة مجتمع البحث في المعاينة العنقودية ليست هي إذا قائمة العناصر التي يتكون منها مجتمع البحث. ربما تكون هذه القاعدة قائمة الأقاليم، أيام الأسبوع أو ساعات النهار، كأمثلة متنوعة، إذ يمكن اعتبار كل واحدة من هذه الوحدات كعنقود. ثم، بعد الاختيار العشوائي للعناقيد، سنقوم بجمع المعطيات عن كل العناصر المنتمية إلى هذه العناقيد. هكذا الأمر عندما نقوم باختيار تلاميذ المدرسة، ليس انطلاقا من قائمة أسمائهم لكن من قائمة أفواج الدروس. تتميز العناقيد عن الطبقات بكون الأولى موجودة في الواقع، في حين أن الطبقات يتم إعدادها أو إنشاؤها من طرف الباحث أو الباحثة.

معاينة عنقودية
أخذ عيّنة من مجتمع البحث بواسطة السحب بالصدفة لوحدات تشمل كل واحدة منها على عدد معين من عناصر مجتمع البحث.

بعد اختيارنا العشوائي للعناقيد، نستطيع أن نحدد الأفراد الذين ينتمون إليها والقيام بسحبهم عن طريق القرعة من داخل كل عنقود. إنها كحالة البحث حول أساتذة التعليم الثانوي في العلوم الإنسانية في ولاية الجزائر لو قمنا أولا باختيار عشوائي للدوائر (عناقيد) ثم نطلب بعد ذلك من كل ثانوية موجودة بهذه الدوائر المختارة تقديم قائمة عن أساتذتها. إن ما نراه إذن هو أن المعاينة العنقودية، على عكس الصنفين الآخرين من المعاينات الاحتمالية، يمكن إجراؤها دون الاستعمال المسبق لقائمة عناصر مجتمع البحث مع السماح بحساب **احتمال أن يكون كل عنصر من** بين العناصر المختارة.

أما إذا كانت العناقيد تحتوي على عدد من العناصر المختلفة، فإننا نستطيع من خلال العينة إعادة انتاج وزنها الخاص في مجتمع البحث للحصول على أكبر قدر من التمثيلية ؛ هذا يعني قيامنا بمعاينة نسبية عنقودية (échantillonnage proportionnel en grappes). هكذا، في المثال السابق الخاص بتحديد عينة الأساتذة في ولاية الجزائر عن طريق اختيار الدوائر، فإذا ما كانت دائرة ما تشتمل على عشرة أضعاف عدد أساتذة الثانوي عما هو عليه في دائرة أخرى، لابد إذا من أخذ عشرة أضعاف مرات عدد الأفراد في هذا العنقود أو الدائرة كما هو في الدائرة الأخرى من أجل احترام النسب لمقارنة عدد الأفراد في دائرة بعدده في دائرة آخرى ؛ وسيكون نفس الشيء بين قطاعات التعداد التي تحتوي على عدد مختلف من المقيمين بها. هكذا سنتحصل على صورة متوازنة للمجموع.

هناك تنوع آخر من المعاينة العنقودية، وهو المعاينة العنقودية المتعددة الدرجات (échantillonnage en grappes à plusieurs degrés). يتضمن الإجراء هنا القيام بعدة اختيارات ؛ إذ ننطلق من العناقيد الأكثر اتساعا إلى العناقيد الأكثر ضيقا، كأننا ننتقل من طابق إلى آخر على أن يكون الطابق الأول هو أكثرها اتساعا. يسمى هذا النوع من المعاينة أيضا بالمعاينة المتساقطة (cascade). يمكن أن يتنوع عدد الدرجات ويتغير وذلك حسب متطلبات الدراسة ؛ فيمكن أن يكون ذا درجتين فقط وهو ما ينطبق على مثالنا السابق حول الأساتذة، ذلك لأننا نقوم باختيار الدوائر أولا (الدرجة الأولى) ثم الثانويات في كل دائرة (الدرجة الثانية). يمكن إضافة درجة ثالثة، إذا لم نختار من داخل كل ثانوية إلا عددا معينا من الفروع أو التخصصات.

إجراءات السحب الاحتمالي

في المعاينات الاحتمالية وفي العلوم الانسانية بالضبط، نلجأ إلى ثلاث إجراءات للسحب : السحب اليدوي، السحب المنتظم والسحب الإعلام آلي (informatisé). للتمكن من استعمالها، لابد أولا من ترقيم كل عنصر من قاعدة مجتمع البحث أو العناقيد.

سحب يدوي
إجراء احتمالي للمعاينة نختار بواسطته يدويا من بين كل عناصر مجتمع البحث.

السحب اليدوي. للقيام بالسحب اليدوي، نسجل مثلا، أرقام في وريقات صغيرة تكون من نفس الأبعاد، وبعد طيها وخلطها مع بعضها البعض في غلاف أو في أية حاوية أخرى، نقوم بسحب عدد معين من الأرقام التي نريدها. يمكن استعمال السحب اليدوي للقيام بالتجريب على عدد معين من العناصر التي نريد توزيعها عشوائيا على مجموعتين أو من أجل التقصي لما يكون عدد الأفراد محدودا. نستعمل إذن هذا النوع من السحب لأن تنفيذه يكون سهلا وسريعا.

سحب منتظم
إجراء احتمالي للمعاينة نختار بواسطته من تجمعات وفي مدى منتظم عناصر من مجتمع البحث.

السحب المنتظم. في حالة السحب المنتظم، نقوم بتجميع الأرقام الموجودة على القائمة في مجموعة علب، تتكون كل علبة من عشرة أو عشرين رقم أو أكثر، وذلك حسب حجم العينة المرغوب فيها. تتكون كل علبة من نفس العدد من الأرقام إلى أن يكون عدد العلب أو الأرقام المجمعة مطابقا لعدد العناصر المطلوب اختيارها. بعد ذلك، لو أخذنا كمثال أن العلبة تحتوي على عشرين رقم، فيمكننا إذن القيام بسحب يدوي بين 01 و 20. لو افترضنا أننا سحبنا رقم 13 ؛ فالإسم المطابق لهذا الرقم سيتم اختياره بالنسبة إلى العلبة الأولى، ثم في العلبة الثانية سيكون الإسم الذي يحمل رقم 33 أي 20 + 13، وفي العلبة الثالثة الإسم المطابق للرقم 53 أي 40 + 13، وفي العلبة الرابعة الإسم المطابق للرقم 73 أي 60 + 13، هكذا دواليك. هناك إذاً فاصلا أو فراغا يتكون من عشرين رقم وذلك بصفة منتظمة بين الاختيار الأول من العلبة الأولى إلى غاية نهاية القائمة. لو افترضنا، على سبيل المثال، أن هناك 3000 أستاذ في العلوم الإنسانية في التعليم العام في ثانويات ولاية الجزائر، وإننا قررنا استعمال المعاينة المنتظمة لانتقاء 300 أستاذ، لابد أن يكون هناك 300 علبة لو استلزم علينا أن نأخذ رقم من كل علبة. لمعرفة عدد الأرقام التي ينبغي تجميعها في كل علبة، لم يبق سوى تقسيم العدد الإجمالي على عدد الأفراد المرغوب الحصول عليهم وهو (3000 ÷ 300 = 10) ؛ فسيكون لدينا إذن 10 أرقام من كل علبة. ثم نمر بعد ذلك إلى سحب يدوي بين 01 و 10 لتحديد الرقم الذي ينبغي الاحتفاظ به في كل علبة، ولا يبقى علينا بعد ذلك سوى احترام المجال المنتظم لعشرة انطلاقا من هذا الرقم الأول الذي تم سحبه بالصدفة.

تظهر فائدة المعاينة المنتظمة لما تتطلب العينة المأخوذة من مجتمع البحث بالسحب اليدوي مدة طويلة ومنفرة. إلا أنه، قبل القيام بالسحب

المنتظم. لابد من التأكد أن النظام التي تظهر على أساسه الأرقام في القائمة لا يؤدي إلى وضع بعض العناصر التي تتوفر على سمات خاصة دائما في نفس الأماكن في كل علبة ؛ فهذه العناصر في هذه الحالة يمكن أن تكون إما من بين العناصر المبعدة بانتظام أو من بين العناصر المختارة بانتظام. لو افترضنا أن قاعدة مجتمع البحث تتضمن قائمة المستخدمين في مؤسسة، مديرية بمديرية، وتبدأ دائما بالمدير أو المديرة ثم تنزل في السلم إلى غاية العامل البسيط، فكل علبة في هذه الحالة ستقدم نظاما خاصا حسب تصنيف المستخدمين. انطلاقا من الرقم الذي تم سحبه صدفة في العلبة الأولى ومع المجال المنتظم الذي سيتبع بعد ذلك، فإن بعض الأشخاص وبسبب موقعهم، سوف لن يتم سحبهم إطلاقا، وعليه فإننا سنتجاوز شرط التساوي أو التعادل بين الأفراد من أجل معاينة احتمالية حقيقية. إنّ وضع الأسماء وفقا للتسلسل الأبجدي للحروف يسمح، مثلا، بتجنب هذا النوع من الأخطاء.

سحب إعلام آلي
اجراء احتمالي للمعاينة تنشئ بواسطته أعداداً عشوائية عن طريق البرمجة.

جدول الأعداد العشوائية
سحب إعلام آلي انطلاقا من قائمة لأرقام عشوائية سبق نشرها.

السحب الإعلام آلي. يمكننا كذلك اللجوء إلى السحب الإعلام آلي للقيام باختيار الأرقام المناسبة للعناصر التي سيتم انتقاؤها. مع نمو الإعلام الآلي الجزئي (micro-informatique) وتطوره، فإن معظم الأجهزة الإعلام آلية في إمكانها الآن أن تولد سلسلة أو عدة سلسلات من الأرقام العشوائية في الحدود التي تضبط فيها. إن العديد من الوثائق الإحصائية التي تمس البحث توفر كذلك قوائم لأرقام عشوائية أو **جداول الأعداد العشوائية** (أنظر الملحق 3). إذا حصلنا على هذه القائمة، سيكون بإمكاننا أن نختار كخطوة أولى، يدويا، الموقع الذي سننطلق منه في الجدول وأخذ كل الأرقام الموالية، وهكذا إلى غاية الحصول على العدد المطلوب ؛ وما هذه إلا طريقة أخرى سهلة وبسيطة لإنشاء عيّنة، بالصدفة.

المعاينات غير الاحتمالية

إن بعض البحوث لا تتطلب بالضرورة أن تكون العينة المأخوذة من مجتمع البحث الأصلي ممثلة ؛ إذ من الممكن أن يهتم الباحث، مثلا، بدراسات الحالة أو ربما يريد التعمق في مختلف أنواع السلوكات دون اعتبار لوزنها في مجتمع البحث. في حالات أخرى، هناك أسبابا كثيرة، مثل أن تكون قاعدة مجتمع البحث غير تامة، محدودية الإحاطة بمجتمع

البحث المستهدف، وقت محدود، موارد ضئيلة أو كل عائق آخر، يمكنها أن تمنع من القيام بمعاينة من نوع احتمالي. لكن يبقى من الممكن في كل هذه الحالات سحب عيّنة عن طريق المعاينة غير الاحتمالية. إن المعطيات التي يتم جمعها من عيّنة غير احتمالية تبقى مقبولة وملائمة، إلا أنه لا يمكن معرفة درجة تمثيلية هذه العيّنة بالنسبة إلى مجتمع البحث الذي أخذت منه لأنه لم يتم أخذها بصفة عشوائية تماما.

إن الانتقاء غير الاحتمالي يكون «نتيجة الصدفة المجهولة» (Voyer 1982 : 40). فعلا، في المعاينة غير الاحتمالية، فإن احتمال اختيار عنصر ما ليكون من ضمن العيّنة هو غير معروف وغير محدد مسبّقا. كل عنصر له الحظ في أن يختار، لكن أيّ حظ ؟ إلا أن هذه الإمكانية تبقى مجهولة لأن عدم الانطلاق من قاعدة مجتمع البحث لا يسمح بقياس احتمال اختيار عنصر ما. لهذا لا يمكن حساب مقدار خطأ المعاينة ولا درجة تمثيلية العيّنة أيضا وهذا حتّى لو إزداد حجم هذه العيّنة.

بالمقابل، لا تعاني كثيراً نتائج بحث يستعمل المعاينة من النوع غير الاحتمالي صعوبات جمع المعطيات، مثل الأفراد الذين يتعذر الاتصال بهم، رفض الإجابات وتعويض الأفراد، لأن هذه النتائج لا تصل إلى نفس الدقّة المنهجية مثل البحث الذي يستعمل المعاينة من النوع الاحتمالي. زيادة على ذلك، في كثير من الأحيان تكون المعاينات غير الاحتمالية والتي يسميها الإحصائيون أيضا بالمعاينات الإمبريقية أقل تكلفة وتتطلب أقل وقت. إن هذه المعاينات ليست لها كلها نفس القيمة فيما يخص ملائمة خصوصيات العناصر المختارة وخصوصيات مجتمع البحث. يمكن جداً أن تكون ممثلة للمجتمع الذي أخذت منه، إلا أنه لا يمكن القيام بتقديم إحصائي لهذه التمثيلية. لقد أظهر Loubet del Bayle (1986) أن معدل الخطأ هو تقريبا نفسه، وذلك بتوقع نتائج أربعة انتخابات قام بإعدادها معهدان للسبر، اعتمد الأول على المعاينة الاحتمالية واعتمد الثاني على المعاينة غير الاحتمالية. هناك ثلاثة أصناف من المعاينة غير الاحتمالية، المعاينة العرضية (accidentel) والمعاينة النمطية (typique) والمعاينة الحصصية (par quotas)، وخمس طرق ممكنة للفرز أو الاختيار غير الاحتمالي للوصول إلى عناصر مجتمع البحث والتي تمثل جزءا من العينة.

المعاينة العرضية

معاينة عرضية
سحب عينة من مجتمع البحث حسبما يليق بالباحث.

المعاينة العرضية هي تلك المعاينة غير الاحتمالية التي تواجه صعوبات أقل أثناء انتقاء العناصر. لو أردنا معرفة وجهة نظر عمال مصنع حول موضوع معين، فسنلتقي بأولئك المترددين على المقهى أثناء وقت الغذاء أو نرصدهم عند خروجهم من المصنع في نهاية النهار، دون أن نتساءل عن أولئك الذين لا يتناولون غذاء هم بالمقهى في منتصف النهار، ولا عن أولئك الذين لا يخرجون من المصنع ساعة وجودنا للترصد. في مثل هذا النوع من المعاينة، لا توجد هناك أية وسيلة لتقييم الأخطاء، لأننا لا نعرف الأشخاص المبعدين من العينة. الإمكانية الوحيدة لإجراء مقارنة تكون غير مباشرة حيث تستلزم هذه العملية القيام بمقارنة أخرى مع تعداد موجود حول نفس مجتمع البحث. يبقى أن نأمل أن المعاينة العرضية لا تتضمن أخطاء كثيرة، لكنّ يبقى هذا مجرد أمنية فقط (Selltiz et coll. 1959). إن اللّجوء إلى هذا الصنف من المعاينة يتم عندما لا يكون أمامنا أي اختيار. إنها الحالة التي لا نستطيع فيها أن نحصي في البداية مجتمع البحث المستهدف ولا اختيار العناصر بطريقة عشوائية.

المعاينة النمطية

معاينة نمطية
سحب عيّنة من مجتمع بحث بانتقاء عناصر مثالية من هذا المجتمع.

تبدو العناصر المختارة المكونة للعيّنة في **المعاينة النمطية**، كنماذج لمجتمع البحث المراد دراسته. إننا نبحث عن عنصر أو عدة عناصر تكون بمثابة صور نمطية (portraits types) لنفس مجتمع البحث الذي استخرجت منه. مثلا، إذا كنا نقوم ببحث حول طبيعة الاهتمامات الاجتماعية للطلبة و الطالبات الثانويين، فيمكننا أن نقرر توجيه اهتمامنا إلى الطلبة المسجلين في العلوم الإنسانية لأننا نعتقد منطقيا أن هؤلاء هم أكثر اهتماما بالمسائل الاجتماعية من غيرهم. على العكس من ذلك، نستطيع البحث عن «الصور النمطية المضادة» (anti-portraits types)، أي الأشخاص الذين هم، سواء كان ذلك إراديا أم لا، في الاتجاه المعارض للمعالم أو السمات المميزة للآخرين و الذين يقدمون بصفة سلبية معلومات عن مجتمع البحث الذي يخالفونه أو يختلفون عنه بطريقة ما. إن اتصالنا، مثلا، بالأشخاص الذين لا يتوفرون على مأوى، يسمح لنا بالتعرف أكثر، من خلال استخراج التباينات، على الظروف التي يعيش فيها الأشخاص الذين لهم مسكنا قارا دون درايتهم بذلك. قد نميل مع ذلك في غالب الأحيان إلى

العناصر النموذجية (éléments modèles) أكثر من ميلنا إلى العناصر الشاذة أوغير نمطية (atypiques). هكذا، إذا أردنا معرفة الإيديولوجيات التي تحملها المركزيات النقابية، فيمكننا الاحتفاظ فقط بالمعطيات التي تبدوا أنها تعكس أفكارها ومعتقداتها أحسن وذلك من جملة الوثائق الكثيرة التي نشرتها كل مركزية نقابية.

إننا نأمل عند استعمالنا للمعاينة النمطية، أن تملك عناصر العينة المختارة السمات النمطية الملائمة لتعريف مجتمع البحث، كما نأمل أن تعزل وتبعد الأخطاء التي لا مفر منها أثناء الانتقاء. غير أن عملية اختيار السمات النمطية لعناصر عينة البحث تعتبر أساسية بالنسبة إلى تقييم هذه الأنواع من البحوث.

المعاينة الحصصية

معاينة حصصية
سحب عينة من مجتمع البحث بإنتقاء العناصر المغيأة طبقا لنسبتهم في هذا المجتمع.

تعتمد **المعاينة الحصصية** على بعض مميزات مجتمع البحث التي نسعى لإعادة إنتاجها في صورة نسب في العينة. إن استعمالها يتطلب منا إذن امتلاك بعض المعطيات الرقمية حول مجتمع البحث. إذا كنا نهتم مثلا، بالسكان المهاجرين وتحصلنا على معطيات خاصة بنسبتهم حسب فئة السن، فينبغي أن نحترم في العينة التي سننشئها نفس هذه النسبة في كل فئة سن. إذا كان الأشخاص الذين يقل سنهم عن 24 سنة يمثلون 42 % من المجموع، فالعينة ستتضمن كذلك 42 % من الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن 42 سنة، ونفس الشيء بالنسبة إلى فئات السن الأخرى. هناك إذا حصصا ينبغي احترامها، أي أكبر عدد ممكن من العناصر بالنسبة إلى كل ميزة تم أخذها بعين الاعتبار وهذا بهدف الاحتفاظ ضمن العينة بالوزن النسبي لكل فئة موجودة في مجتمع البحث بأكمله.

بقدر ما نستطيع احترام قاعدة الحصص هذه بقدر ما نكون أحرارا في اختيار العناصر من مجتمع البحث المستهدف. لو قمنا مثلا بالتقصي بواسطة الهاتف وكان الشخص المجيب رجلا في حين أنه تم أخذ العدد الكافي من الرجال لهذه الحصة (quota)، فإننا في هذه الحالة سنطلب التحدث إلى إمرأة من نفس المسكن ؛ وسنقوم بفعل نفس الشيء بالنسبة إلى كل المقاييس التي تم تحديد حصصها. أما إذا كان التحقيق سيجرى وجها لوجه، فينبغي علينا أن نعتذر عن مواصلة الحديث إذا كنا نملك من المعلومات ما يكفي حول هذه الخاصية أو تلك.



إن المعاينة غير الاحتمالية الحصصية تشبه المعاينة الاحتمالية الطبقية، إلا أن الأولى لا تكون في حاجة إلى سحب عن طريق القرعة. لهذا يستحيل قياس درجة تمثيلية العينة التي تكونت بهذه الكيفية، والتي تعكس مع ذلك النسبة الموجودة في مجتمع البحث. لقد برهنت المعاينة الحصصية في الواقع، في العديد من المرات على فائدتها وسهولتها ؛ وأن هامش الخطأ في المعاينة الحصصية يبدو أنه لا يختلف كثيراً عما هو عليه في المعاينة الاحتمالية العشوائية، لهذا تستخدم عادة من طرف دور السبر وبعض الهيئات أو المنظمات الحكومية.

إجراءات الفرز غير الاحتمالي

لما نكون بصدد البحث عن عدد من العناصر لإنشاء عينة ولم نلتزم بشروط الانتقاء الاحتمالي، فإن اختيار هذه العناصر يمكن أن يتم بواسطة الفرز العشوائي (tri à l'aveuglette)، الفرز الموجه (tri orienté)، فرز المتطوعين (tri de volontaires)، الفرز القائم على الخبرة (tri expertisé) والفرز بشكل الكرة الثلجية أو التراكمي (tri boule de neige).

فرز عشوائي
إجراء غير احتمالي للمعاينة يقوم على سهولة الوصول إلى المبحوثين.

الفرز العشوائي. يسمح **الفرز العشوائي** باختيار العناصر الأولى الحاضرة مهما كانت مميزاتها وخصائصها ؛ ولهذا فقد نلتقي بأشخاص ليس لهم أية فكرة عما نريد استجوابهم، أو الذين ليست لهم أية صلة بموضوع الدراسة. إنه تقريبا نفس الشيء لو حاولنا اليوم جمع مقالات جريدة ما حول العنف المرتكب في حق النساء بهدف تحليلها، فمن المحتمل أنه في هذا اليوم لم ينشر أي مقال من هذا الصنف، كما أنه من المحتمل جدا أن نعثر على جريدة تحتقر النساء. إننا نتصرف إذن بالتقريب. لو تصورنا، مثلا، أننا نريد الاستعلام عن مهمة أساتذة العلوم الإنسانية، وجلسنا من أجل ذلك أمام مدخل بناية الأكاديمية ؛ فمن المحتمل جدا أن نلتقي بالثانويين، بالإداريين، بالكاتبات، بأعوان الدعم، وبأساتذة من فروع وتخصصات متنوعة، ولا نلتقي بأي عنصر من العناصر التي كنا نريد استجوابها، إن هذا الصنف من الفرز يظهر أنه مقبولا فقط عندما يكون المجتمع المستهدف كبيرا ومتجانسا. مثلا، مواطنوا مدينة ما أو الناخبين عموما. إن استخدامنا للفرز العشوائي يتم عندما لا يكون في وسعنا غير ذلك.

فرز موجه
اجراء غير احتمالي للمعاينة موجه من طرف نوع من التشابه مع مجتمع البحث المستهدف.

الفرز الموجه. إن **الفرز الموجه** هو نوعا ما أكثر دقة من الفرز العشوائي. إننا نختار عناصر تبدو أنها تمثل جزءا من مجتمع البحث المستهدف. إذا كنا نريد، مثلا، الالتقاء بالطلبة الأعضاء في المنظمات الطلابية، فإننا سنتجه إلى المنظمات الطلابية؛ وإذا أردنا انتقاء مسلسلات تلفزيونية فسنشاهد التلفزة في ساعات وأيام بثها. هكذا سنتصرف بطريقة ما، إلى غاية العثور على نوع العناصر الدالة. مع ذلك فإننا لا نستطيع معرفة إن كانت العناصر التي انتقيناها بهذه الطريقة تعكس بحق كل مجتمع البحث المستهدف، كما لا يمكننا معرفة لاعتبارات أخرى، إن كانت شاذة أو مهمشة. مع ذلك تبدو أنها مرتبطة بمشكلة البحث وعليه نستطيع الحكم على هذه الطريقة أنها مناسبة أو ملائمة.

فرز المتطوعين
إجراء غير احتمالي للمعاينة يستدعي بموجبه الأفراد للمشاركة في تجربة ما.

فرز المتطوعين. إن **فرز المتطوعين**، كما يشير إلى ذلك المصطلح، يتطلب مساهمة أفراد من مجتمع البحث بقبولهم المشاركة فيه. إننا نجهل مَنْ من هؤلاء الأشخاص سيحضر وفيما سيمثلون مجتمع البحث الذي يصرحون أنهم جاؤوا منه. إننا نأمل فقط عدم الابتعاد كثيرا عن الخصائص الأساسية لمجتمع البحث الذي نريد معرفته. لكي نتصل بأساتذة ثانوية ما، مثلا، نقوم بوضع إعلان في جريدتهم النقابية ونلتمس منهم المشاركة في التجربة التي نريد القيام بها طالبين منهم الالتحاق بمحل معين، في يوم معيّن وفي ساعة معيّنة. سنتحصل هكذا على عدد كاف من العناصر التي تحتاجها التجربة.

فرز قائم على الخبرة
اجراء غير احتمالي للمعاينة يقوم به شخص أو عدة أشخاص يسمحون لنا بالوصول إلى عناصر مجتمع البحث.

الفرز القائم على الخبرة. بعدما تم تحديدنا لمجتمع البحث المراد دراسته، وكنا لا ندري بعد كيف نصل إليه، يمكننا اللجوء إلى **الفرز القائم على الخبرة**، وعليه سنستنجد بشخص أو عدة أشخاص ممن لهم دراية أو معرفة بالوسط المعني، أو سنستنجد بالمتخصصين الذين سيسمحون لنا بالوصول إلى مجتمع البحث. قد يكون هذا من أجل البحث عن وثائق لتحليلها أو الاتصال بالأشخاص. لو فرضنا أننا نريد الالتقاء بأطفال أسيئت معاملتهم، فلابد علينا أن نستنجد بعاملة اجتماعية لها تجربة مع مجتمع الأطفال، والتي تمثل، في هذه الحالة، الخبير الذي كنا نبحث عنه.

فرز بشكل الكرة الثلجية
اجراء غير احتمالي للمعاينة معزز بنواة أولى من أفراد مجتمع البحث والذين يقودوننا إلى عناصر أخرى، يقومون هم بدورهم بنفس العملية وهكذا.

الفرز بشكل الكرة الثلجية (أو التراكمي). إننا نجري فرزا **بشكل الكرة الثلجية**، عندما نكون نعرف بعض أفراد مجتمع البحث المستهدف والذين سنتمكن بفضلهم من الاتصال بالآخرين. هكذا فإن أفراد مجتمع البحث هم الذين سيساعدوننا في بناء العينة. إننا نلجأ إلى هذا الأسلوب عندما يكون الوسط غير معروف كليا، أو أن هذا الوسط منغلق على نفسه

نسبيا أو عندما نريد دراسة شبكة تأثيرات. عندما نريد، مثلا، الانتقاء بمدمني المخدرات أو برؤساء مديرين عامين للمؤسسات، وليس في حوزتنا سوى بعض الأسماء ؛ حيث لا يتعلق الأمر في البداية سوى بالاتصال بهؤلاء الأشخاص، ثم نطلب منهم بعد ذلك أسماء الأشخاص المشابهين لهم (في الوظيفة أو في الإدمان) والذين سيشيرون إلينا هم من جهتهم إلى أشخاص آخرين، وهكذا دواليك إلى أن نجمع ما يكفي من الحالات ؛ وبالتالي سنتحصل على سلسلة من المخبرين من لقاء إلى آخر، اي اننا نتوجه إلى البعض من خلال البعض الآخر، إلى غاية الحصول على العدد المطلوب ؛ وعليه فإننا سنضخم العينة أكثر فأكثر، بالضبط كما لو كنا ندفع كرة ثلجية. إنها الصورة الأكثر تعبيرا عن هذا النوع من الفرز.

إن الجدول 9 يتضمن مختصرا عن مختلف احتمالات المعاينة وطرق انتقاء العناصر من مجتمع البحث. إنه يوضح لنا أنه يجب علينا أولا اختيار نوع المعاينة، احتمالي أو غير احتمالي، ثم نختار صنفا من أصناف المعاينة من الاحتمالات الثلاثة لكل نوع. أخيرا، هناك ثلاث إمكانيات للسحب الاحتمالي وخمسة أصناف للفرز غير الاحتمالي، ويبقى الأهم من خلال كل هذه الإجراءات هو التحديد الجيد للمقاييس المحددة لمجتمع البحث لانتقاء العينة بشكل ملائم.

جدول 9

أنواع المعاينات، أصنافها وإجراءات الانتقاء

أنواع المعاينة	أصناف المعاينة	إجراءات الإنتقاء
معاينة احتمالية	معاينة . عشوائية بسيطة . طبقية . عنقودية	سحب . يدوي . منتظم . اعلام آلي
معاينة غير احتمالية	معاينة . عرضية . نمطية . حصصية	فرز . عشوائي . موجه . فرز المتطوعين . قائم على الخبرة . بشكل الكرة الثلجية

والآن لابد من التوقف عند الاعتبارات التي ينبغي أن توجه اختيار معاينة ما دون أخرى.

اختيار المعاينة

إن تعريف المشكلة هو الذي يوجه عموما إلى نوع معين من المعاينة، ويوجه داخل هذا النوع إلى صنف معين من المعاينة يكون أكثر ملاءمة، لكن يمكن أن يؤدي تعريف المشكلة إلى اختيار أكثر تعقيد. أما فيما يخص اختيار إحدى إجراءات انتقاء العناصر في حد ذاتها من سحب أو فرز، فذلك يتوقف على الوسائل التي تكون في حوزة الباحث للوصول إلى ما أمكن من مجتمع البحث المستهدف. كقاعدة عامة، وعندما يكون هذا ممكنا ومرغوبا فيه، فإننا نختار المعاينة الاحتمالية لأنها تسمح لنا بحساب درجة تمثيلية العينة بالنسبة إلى مجتمع البحث المأخوذة منه.

نوع المعاينة

لاختيار نوع معين من المعاينة، لابد من الرجوع أولا إلى تعريف مشكلة البحث ؛ فقد تتطلب هذه الأخيرة (المشكلة) معاينة احتمالية إذا كان الهدف هو تعميم النتائج على كل المجتمع، مثلما هو عليه الأمر في حالة بحث ميداني حول التصويت في الانتخابات. إلا أن تعريف مشكلة البحث قد لا يكون في حاجة إلى معاينة احتمالية عندما يكون الهدف الأساسي من البحث ليس تعميم النتائج على مجتمع بحث معين. على سبيل المثال، فإن الرغبة في معرفة لماذا يستقبل بعض الأشخاص الحياة بتفاؤل في حين يستقبلها آخرون بتشاؤم تتطلب منا فقط أن نلتقي بعدد معين من الأشخاص من الاتجاهين للتعمق في أسباب مواقفهم المتعارضة. إننا لا نريد بذلك معرفة نسبة التفاؤل أو التشاؤم في مجتمع البحث ؛ ومع ذلك إذا كانت هذه هي الحالة، فلابد من استعمال المعاينة الاحتمالية لتقدير العدد المناسب.

صنف المعاينة

بنفس الطريقة، فإن تعريف المشكلة هو الذي سيوضح اختيار صنف المعاينة. إذا كان تعريف المشكلة يتطلب أن تكون العينة تمثيلية ويجبر على التمييز داخل مجتمع البحث بين مجموعات صغيرة، فإن اختيار

المعاينة الاحتمالية الطبقية سيفرض نفسه فرضا. ستكون هذه هي الحالة إذا ما أكدت الفرضية أن سلوكات الناخبين في وسط البلاد (الجزائر) تختلف عما هي عليه في شرق البلاد وجنوبها. أما إذا كان تعريف المشكلة يتطلب بدلا من ذلك التعمق في المواقف السياسية لبعض الأشخاص من هذه المجموعات (المناطق) الثلاث، فإن ما يكون مناسبا أكثر هو إجراء معاينة نمطية غير احتمالية. لا وجود إذا لمعاينة جيدة في حد ذاتها ؛ فالملائم أو الأحسن منها هو ذلك الذي يكون قريبا أكثر من متطلبات تعريف المشكلة في الظروف التي يجرى فيها البحث.

تركيب المعاينات

قد يكون من المفروض علينا أن نركب داخل المعاينة من النوع الاحتمالي بين صنفين أو ثلاثة من المعاينات. هكذا فإن تركيب صنفين من المعاينات يفرض نفسه بمجرد ما نختار المعاينة الطبقية أو العنقودية، لأن كل منهما يتضمن في مرحلة معينة المعاينة العشوائية البسيطة. زيادة على ذلك فإنه من الممكن أن نركب بين الأصناف الثلاثة من المعاينة الاحتمالية. في دراسة حول الأساتذة في العلوم الإنسانية من مستوى التعليم الثانوي في ولاية الجزائر، يمكننا البدء بالمعاينة العنقودية، أي نختار بالصدفة دوائر من ولاية الجزائر ثم نتبع ذلك بمعاينة طبقية وذلك بأن نميز بين الأساتذة الذين يعملون كل الوقت، وأولئك الذين يعملون جزءا من الوقت، وأخيرا نجري المعاينة العشوائية البسيطة داخل كل واحدة من هاتين الطبقتين. إننا في هذا المثال نكون قد ركبنا بين الأصناف الثلاثة للمعاينة من النوع الاحتمالي.

كما نستطيع أيضا التركيب بين الأصناف الثلاثة للمعاينة داخل المعاينة من النوع غير الاحتمالي. هكذا، ومن أجل القيام بدراسة حول علاقات العمل داخل المؤسسات، فإنه من الممكن القيام أولا بمعاينة نمطية وذلك بالتركيز على ثلاث فئات من المؤسسات، الصغيرة، المتوسطة والكبيرة، ثم ننتقل إلى المعاينة الحصصية بأخذنا لعدد من المؤسسات من كل فئة وذلك حسب نسبتهم ضمن المجموع، وأخيرا إلى معاينة عرضية بدخولنا إلى تلك التي نريد حقا ملاحظتها. إن الأمر في هذه الحالة يتعلق بتركيب الأصناف الثلاثة من النوع غير الاحتمالي.

إذا كان تعريف المشكلة لا يفرض اختيار صنف معين من المعاينة الدقيقة، فليس هناك مانعا إذا من تركيب بعض المعاينات الاحتمالية مع معاينات غير احتمالية بشرط أن يكون هذا الاختيار مبرر بطريقة مقنعة. لو افترضنا بحثا ميدانيا حول الأطباء في الجزائر، فإن ذلك سيؤدي بنا إلى البدء بمعاينة عرضية، وبالتالي سنأخذ الولايات التي تقبل بالمشاركة نظرا إلى كون الصحة هي من صلاحية الولاية أو الدائرة، ثم نمر إلى المعاينة العنقودية التي تسمح بالاختيار بالصدفة لعدد من المؤسسات الصحية ؛ وقد يتطلب تعريف المشكلة الاستمرار مع المعاينة النمطية إذا كنا نريد، مثلا، دراسة الأطباء الذين لهم خبرة تزيد عن عشر سنوات ؛ وأخيرا المعاينة العشوائية البسيطة التي تسمح بالحصول على عينة من ضمن هؤلاء الأطباء الذين يتمتعون بهذه الخبرة. إننا نرى من خلال هذا المثال الجديد أن البحث يمكن أن يدمج بين معاينات احتمالية ومعاينات غير احتمالية.

حجم العينة

حجم عيّنة
عدد العناصر المنتقاة لتكوّن عينّة.

إن **حجم العينة** هو عدد العناصر التي تكوّن العينة. هناك عوامل مختلفة لابد من أخذها بعين الاعتبار لتحديد حجم العينة حسب نوع المعاينة.

التحديد غير الاحتمالي

بالنسبة إلى المعاينات غير الاحتمالية، فإنه يكفي أن يكون لدينا عددا كافيا من العناصر لنتمكن فيما بعد من إجراء المقارنات الضرورية. إذا أردنا، مثلا، إجراء مقارنة إحصائية بين خصائص مشترو الدراجات النارية وخصائص مشترو الدراجات العادية، فلابد أن نستعلم لدى خمسين مشتر من كل فئة على الأقل. إن هذا المقدار من المخبرين ضروري لجمع المعطيات العددية الكافية التي تسمح ببناء جداول تامة. على العكس من ذلك، إذا أردنا معرفة التجربة المعيشة للمساجين القدامى، فلقاء واحد مع بعضهم يجري إعداده بطريقة جيدة يكون كافيا. كذلك الأمر إذا كان هدف البحث هو فحص مختلف وجهات النظر حول آثار مشروع حكومي، حيث يكفي أن يكون لدينا حجم عينة مساو لعدد وجهات النظر الموجودة. إن هذه الأمثلة الثلاثة تبين أن حجم العينات غير الاحتمالية يمكن أن يكون مختلفا جدا، وذلك حسب مشكلة البحث، ومع ذلك فإنه من النادر جدا تجاوز بعض

المئات من الوحدات، إلا إذا كنا نريد أخذ بعين الاعتبار لعدد من الخصائص أو المتغيرات لدى العناصر المنتقاة ؛ وعلى العكس من ذلك، فإن حالة واحدة يتم اختيارها جيدا ومبررة، مثل مؤسسة أو هيئة ما أو شخصا واحدا تمت ملاحظته منذ وقت طويل وبما فيه الكفاية، يمكن أن تمثل كيفيا مجتمع البحث المستهدف. إنّ التحديد الدقيق لمشكلة البحث يبقى الموجه الأساسي لتحديد العينة غير الاحتمالية وهو الذي يحدد حجمها.

تشبع بالمصادر بفضل الخاصيّة المتكررة للمعلومات يصل الباحث، في البحث الكيفي، إلى عدد كاف من العناصر لإنشاء عيّنة.

أما في البحث الكيفي، فإن الموجه الثاني لتحديد حجم العينة يقوم على مبدأ **التشبع بالمصادر**. هذا يعني التوقف عن جمع المعلومات من عناصر مجتمع البحث عندما نشعر بحصولنا على معْلومات متكررة وأنه من غير المفيد أن نضيف معلومات أكثر من أجل فهم مشكلة الدراسة. إننا نصدر هذا الحكم عندما ندرك في لحظة معينة أننا نستطيع أن نتوقع ما سنسمعه أو نلاحظه أو نسجله، انطلاقا مما رأيناه، سمعناه أو سجلناه. لذلك ينبغي علينا التوقف عن زيادة حجم العينة وعن جمع المعطيات لأن ذلك سيكون على حساب الوقت الذي سنخصصه فيما بعد للتحليل.

التحديد الاحتمالي

بالنسبة إلى المعاينات الاحتمالية، فإن حجم العينة يتحدد وفقا لقواعد أكثر دقة لأنه يعتمد على تطبيق بعض المعادلات الرياضية (Trudel et Antonius 1991 : 314). باستلهامنا من هذه المعادلات نستطيع أن نقدم بعض الحدود التطبيقية العامة وذلك حسب العدد الإجمالي لمجتمع البحث المستهدف.

- في مجتمع البحث الذي لا يقل عن مائة عنصر، فالأحسن الاستعلام لدى كل واحد منهم أو لدى 50 % على الأقل من مجموع الـ 100 عنصر.
- أما في المجتمع الذي يقدر ببعض المئات إلى بعض الآلاف من العناصر، فالأفضل هو أخذ مائة عنصر من كل طبقة معدة وأخذ إجماليا 10 % من مجتمع البحث لما يكون متكونا من بعض الآلاف.
- أما في المجتمع الذي يقدر بعشرات الآلاف أو عشرات المئات من الآلاف من العناصر، على عكس ما قد نفكر فيه تلقائيا، فالأجدر ألا نضيف حالات كثيرة، لأن 1 % من مجتمع البحث يكون كافيا ؛

ويصبح ذلك صحيحًا أكثر عندما يتعلق الأمر بملايين العناصر، لأن النسبة الضرورية ستتضاءل أو تتناقص بقوة. لو أخذنا مثال de Voyer (1982) وأردنا بناء عشوائيا عينة لتلاميذ الثانوي لعمالة تربوية تضم 30 000 شاب، بدقة رياضية تتراوح بين ناقص وزائد 5% فيكفي أخذ 379 تلميذا من مجموع الـ 30 000 أي 1,126 %. ولسحب عينة من مجموع تلاميذ التعليم الثانوي في الكيبك وهو 200 000 1 تلميذا فمن الضروري أن نأخذ 5 تلاميذ فقط كزيادة، أي 384، أو 0,032 % لكل التلاميذ، ويكفي نفس العدد لبناء عينة لكل تلاميذ المدارس الثانوية لمجموع كندا، أي 384 عن 6.000.000 أو 0,006 % .

- إننا نرى إذن أنّه هو كلما كان مجتمع البحث كبيرا، كلما قلت نسبيا حاجتنا إلى نسبة عالية من العناصر لبناء العينة ؛ وبالتالي يصبح من غير المفيد تضخيم الحجم عندما يصل مجتمع البحث إلى أكثر من مليون عنصر، مما يؤدي إلى الاستعمال المتكرر جدا للاستبارات الوطنية، لأنها لا تتطلب الوصول إلى عدد أكبر من الأفراد مقارنة بالسبر الجهوي أو المحلي حتى تكون النتائج ممثلة للمجموع. في حين أنه كلما أردنا الدقة أو تخفيض خطأ المعاينة، تخفيض من 5 % إلى 1 %، مثلا، كلما وجب علينا زيادة حجم العينة. لكن لا ينبغي محاولة بلوغ مستوى من الثقة أكثر من الضروري بالنسبة إلى النتائج المرجوة من البحث. زيادة على ذلك، إذا كان من الضروري إنشاء مجموعات صغيرة في مجتمع البحث بهدف جمع العناصر حسب خاصية معينة أو عدة خصائص (السن، الجهة، الأصل، العرق، الدخل، إلخ.)، فلابد، ألا نهمل الزيادة النسبية في حجم العينة، بهدف التأكد من التمثيل الكافي لكل خاصية للتمكن بعد ذلك من وصفها ووضعها في علاقة بالخصائص أو المتغيرات الأخرى .

لكن مهما كان نوع المعاينة، فإننا سننتقي عددا من العناصر أكثر ارتفاعا من الحجم المطلوب في حالة ما إذا لم يكن في استطاعتنا في البداية الوصول إلى كل العناصر المنتقاة وذلك لأسباب متنوعة (رفض المشاركة، صعوبة الوصول إلى المبحوث حتى ولو تكررت المحاولات، وثائق مفقودة أو غير قابلة للاستعمال، إلخ.). لقد وضعنا سابقا قائمتين: قائمة أساسية وأخرى إضافية لتعويض الوحدات الضائعة

(Tremblay 1968) ؛ ومن الأفضل أن نعمل الآن بقائمة واحدة فقط تضم عددا أكبر، لنأخذ بعين الاعتبار العدد المتوقع من العناصر التي ستكون غائبة. هكذا، وبحجم كبير للعينة، فإننا سنتجنب منذ البداية تعويضات اللحظات الأخيرة.

المعاينة وتقنيات البحث

يمكننا من جهة أخرى أن نتساءل إن كان اختيار تقنية بحث معينة لجمع المعطيات لا يفرض في نفس الوقت نوعا وصنفا خاصين من المعاينة. في هذا المجال، هناك عوامل مختلفة يجب أخذها بعين الاعتبار حسب تقنية البحث المعمول بها.

الملاحظة في عين المكان

إننا لا نجري معاينة حقيقية عندما نقوم بملاحظة مجموعة صغيرة محصورة. بالفعل، يمكن اعتبار هذه المجموعة المحصورة كمجتمع بحث، وباعتبار أن الملاحظة تقوم عادة على كل الأشخاص، فلن نكون إذن مطالبين بسحب عينة. إن الأمر ليس بالضرورة هو نفسه في المجتمعات ذات الكثافة السكانية ؛ فعندما نختار من هذه المجتمعات مجموعة لملاحظتها، فإننا نقوم بانتقائها من عدد كبير من المجموعات الممكنة. سنقوم إذن بالفرز من غير أن ننتقي أية مجموعة كانت. سواء كان ذلك من أجل اختيار مؤسسة أو نقابة أو حي، أو نشاط جماعي، فإننا سنكون أمام عدد معتبر من الاحتمالات. حتى في حالة عدم توفرنا على قاعدة مجتمع البحث للقيام باختيار احتمالي، فإننا سنقوم بإجراء معاينة نمطية غير احتمالية. إننا سنوجه اهتمامنا إلى مجموعة من جملة عدد من المجموعات من نفس النوع. للبرهنة على هذه الخاصية النمطية، يكفي وصف المجموعة المنتقاة وإعطاء مقاييس الانتقاء والإشارة إلى ما يجعلها نموذجا في نوعها.

زيادة على ذلك، فإن مبدأ الموضوعية يتطلب منا اختيار مجموعة لا نعرف مسبقا أي شخص من أعضائها ؛ وفي نفس الوقت لا ينبغي أن يكون أي عضو من المجموعة تابعا لأي كان من معارفه ؛ فقد نشوه الملاحظة أو نفسدها لو كنا أصدقاء لأحد أعضاء المجموعة أو إذا كانت المجموعة تابعة لأحد الأشخاص الذي يربطنا به عقدا ما، قرابة أو غير ذلك. علاوة

على ذلك، قد يكون المسعى غير موثوق به أو يفقد اعتباره لدى الأشخاص موضوع الملاحظة. إن هذا لا يمنعنا من النفاذ إلى المجموعة بفضل المعارف، (الأصدقاء، مثلا،). يجب فقط ألا يكون الشخص (الذي نعرفه) مسؤولا عن المجموعة وألا نطلعه لاحقا على نتائج الملاحظات. إن السرية هي قاعدة أخلاقية لابد من احترامها.

انظر الفصل 3، «احترام الحياة الخاصة».

مقابلة البحث

بما أن كل مقابلة بحث تتطلب فترة طويلة نسبيا، وانطلاقا من العدد القليل من الأفراد الذين يمكن انتقاؤهم نتيجة لذلك، وانطلاقا كذلك من الخاصية الشخصية لكل حديث، فإن هذه التقنية (المقابلة) تفرض معاينة غير احتمالية. بما أنه من المستحيل مراكمة العدد الضروري من الحالات لتقدير درجة التمثيلية، فلابد من إقصاء المعاينة الاحتمالية. زيادة على ذلك، في المعاينة غير الاحتمالية، فإنه ينبغي أيضا إقصاء التناول القائم على المعاينة الحصصية لأنه يتطلب عددا كبيرا جدا من المقابلات. علاوة على المعاينة العرضية، تبقى أيضا المعاينة النمطية، غير أن استعمالها يكون استثنائيا. لو افترضنا، مثلا، أن بعض الأشخاص قد عايشوا حدثا فريدا من نوعه، أو نادر الوقوع، كتصريح الطبيب، مثلا، بوفاتهم، أو نجاتهم من حادث تحطم الطائرة المقلة لهم أو أنهم عاشوا في عدد كبير من البلدان، إلخ. إلى درجة تجعلنا نفترض أن الشخص الذي عايش ذلك لن يكون أبدا مثل الأشخاص الآخرين ؛ وعليه فإن اختيار مثل هؤلاء الأشخاص سيتم من عينة نمطية أو غير نمطية لأن الأمر في هذه الحالة يتعلق بأشخاص جد متميزين. مع هذا فإن تقنية مقابلة البحث تؤدي بصفة عامة إلى القيام بمعاينة غير احتمالية عرضية.

الاستمارة

انطلاقا من إمكانية تطبيق الاستمارة على أعداد كبيرة، خاصة إذا كانت هذه الاستمارة استبارية، فإنه يمكن استعمال جميع أنواع المعاينات وأصنافها. عندما يكون هذا ممكنا، فإننا سنفضل المعاينة الاحتمالية لهذه التقنية، لأن ذلك يمكننا من تقدير تمثيلية العينة. إنّ سبر الآراء أو السبر حول عناصر اخرى يستعمل عادة المعاينة الاحتمالية لأن كل سبر يطمح أن يكون صورة لمجموع السلوكات الخاصة بمجتمع بحث معين.

التجريب

نظرا إلى كون عناصر التجربة هم عادة من المتطوعين، فإن التجريب يقتصر تقريبا على المعاينة غير الاحتمالية العرضية. إننا نختار العناصر التي تريد حقا المشاركة، بشرط أن تكون لها بعض الخصائص أو المميزات الأساسية. يمكننا إجراء ذلك بكيفية أخرى، استثنائيا، إذا كنا، مثلا، في الميدان، وإذا كان كل الأفراد الذين يمثلون جزءا من التجربة على غير علم بذلك، أو كنا على علم أن حدثا ما سيقع وأنه من الممكن اتخاذ قياسات قبل الحدث وبعده فيما يخص كل المشاركين. على العكس من التقنيات الأخرى التي تستخدم المعاينة غير الاحتمالية، فإننا نستطيع، في حالة التجريب، بمجرد انتقاء المتطوعين، تعيين هؤلاء عشوائيا في مجموعة تجريبية ومجموعة مراقبة ثم العمل بعد ذلك على إجراء القياسات الإحصائية التي ترتبط قيمتها بهذا التوزيع العشوائي إلى مجموعتين أو عدة مجموعات. إن ما نطمح إليه هو أن تعوض المراقبة الدقيقة للمتغيرات النقص في التمثيلية المفترضة لعيّنة المتطوعين. إن ما نتوقعه أيضا هو أن تكون الظواهر التي ندرسها عادة عن طريق التجريب (مثل الذاكرة، الضغط، إلخ.) خاصة بالانسان عموما ولا تتعلق بالضرورة بالخصائص الاجتماعية للأشخاص المنتقين.

تحليل المحتوى

من الممكن لتحليل المحتوى أن يعتمد في كثير من الحالات على كل مجتمع البحث. إننا نستطيع إذن دراسة كل المذكرات المقدمة في إطار مشروع قانون؛ وبنفس الطريقة نستطيع أن ننكب على كل المؤلفات الموجودة لأديب ما. عندما تكون الوثائق كثيرة جدا وتتجاوز إمكانيات التحليل وأن محتوى كل منها متشابه، فإننا سنلجأ إلى المعاينة الاحتمالية من ضمن مجموع هذه الوثائق. مثلا، لتحليل تقارير مجلس إداري منذ العشر سنوات الأخيرة، يمكننا القيام بمعاينة عنقودية وذلك باختيارنا عشوائيا لعدد معين من السنوات. في مجال آخر نفترض أننا نريد أن نأخذ في الاعتبار فترة تاريخية معينة، حتى ولو اقتصرت على مخطط العمل الحكومي أو مخططات بعض المجموعات، فالخطر هو أن ... الضرورة نفس الأهمية

لدراستها ؛ لهذا نوجه فحصنا نحو بعض الوثائق التي تظهر أنها هامة جدا بالنسبة إلى ما نبحث عنه، وبالتالي يمكننا مقارنة طريقة العمل هذه بإقامة معاينة غير احتمالية نمطية. هناك إذا العديد من إمكانيات المعاينة لما نقوم بتحليل الوثائق. إن المقصود هو اختيار الوثائق المطلوب تحليلها، حسب طبيعة المراجع المعالجة من جهة، وحسب تعريف مشكلة البحث، من جهة أخرى.

تحليل الإحصائيات

في إطار تحليل الإحصائيات ينكب الباحث على معطيات تم إعدادها سابقا حيث توجب التحقق من مصدرها. هكذا سنفرق إن كنا نتعامل مع معطيات خاصة بتعداد معين أو خاصة بمجموع السكان. أما إذا كانت الحالة خلافا لذلك فالمطلوب تحديد بدقة الطريقة التي تم وفقها إعداد العينة وذلك من أجل معرفة درجة تمثيليتها. إننا لا نستطيع استعمال الأرقام بشكل ملائم مهما كانت إذا لم نقم بتوضيح مسبق للطريقة التي تم بواسطتها جمع المعطيات. سنتعرف بعد ذلك على مستوى الحذر المطلوب عند استعمالها وما الذي تضيفه بالنسبة إلى معرفتنا حول مشكلة الدراسة. وهكذا فإننا لا نضيف أي شيء حول نسبة البطالة التي توصلت إليها الحكومة الفيدرالية ما عدا التعريف الذي تمنحه إياه : ففي هذا التعريف، لا يصنف في خانة الأشخاص البطالين إلا من فقدوا مناصب عملهم منذ سنة على الأقل، وأنهم في بحث دائم عن عمل آخر، إننا نفهم من هذا التعريف لمصطلح بطالة أنه لا يشمل وضعية أولئك الذين هم من دون عمل منذ أكثر من سنة، ولا أولئك الأشخاص الذين لم يسعوا ولغاية إجراء البحث إلى إيجاد عمل. زيادة على ذلك، فإن هذا البحث بواسطة المعاينة لا يعني أنه خالي من أخطاء المعاينة، وبالعكس له فضل كبير أن يجري بواسطة المعاينة الاحتمالية على 55 000 شخص، مما يعطي للمستعملين لمحة ممثلة عن اليد العاملة التي تمارس نشاطا ما. إنه لمن الضروري إذا، وبهدف الاستعمال الملائم للإحصائيات، أخذ بعين الاعتبار الطريقة التي تم بواسطتها جمع المعطيات من أجل إعادة وضعها في منظور صحيح أو سليم.

إطـــار 9

استبارات الرأي العام لمركز البحوث CROP

لقد عرض علينا مركز البحث حول الرأي العام، والمعروف أكثر بـ CROP، والذي هو إحدى أهم مؤسسات السبر في الكيبك، طريقته المعتادة في أخذ عينة من السكان البالغين وإجراء سبر عليهم. إن معاينته من النوع الاحتمالي مما يسمح له لاحقا بتعميم نتائجه على مجموع السكان باستعماله للمعاينة الطبقية بصفة دقيقة وبضمانات أكبر. سنقسم الكيبك إلى ثلاث جهات أو طبقات، مونتريال، وما جاورها، الكيبك وما جاورها، وأخيرا باقي الكيبك. ولإعداد القاعدة السكانية سنستعين بالدلائل الهاتفية لكل واحدة من هذه الجهات، ثم نقوم بعد ذلك بالسحب العشوائي المنتظم داخل هذه الدلائل. بما أن الأمر متعلق بالهاتف، فمن المستحيل أن نتوقع من سيجيب ؛ ولكي نعطي فرصة متساوية لكل شخص راشد من العائلات التي تم الاتصال بها لكي يكون من بين المنتقين، ينبغي أن يكون لدينا سلما للانتقاء، وأن نعرف تركيبة العائلات بكيفية دورية حتى نكون على دراية إلى من سنتوجه. في هذه الحالة فإن حجم العينة بالنسبة إلى الكيبك يتكون من 1600 شخص أو رقما هاتفيا، وهكذا ونظرا إلى كوننا لا نستطيع إتمام النداء أو المقابلة لأسباب متنوعة في 38 % تقريبا من الحالات، فسنتأكد من حصولنا على عدد كاف من المخبرين، أي 1000 شخص تقريبا. من وجهة نظر إحصائية، فإن هامش الخطأ في العينة سيقع هكذا حول 3 %، أي 19 مرة على 20. بعد جمع المعطيات ستتم موازنتها حسب المعطيات الإحصائية لكندا، أي حسب المناطق، الجنس واللغة المستعملة، وذلك للتأكد من أن لكل واحدة من هذه الخصائص في العينة نفس الوزن الذي تتمتع به في مجتمع البحث.

إننا نرى، من جهة، أن عددا قليلا نسبيا من الأفراد يكفي لإعداد عينة حول مجتمع بحث ما يتكون من عدة ملايين من الأفراد، ومن جهة أخرى، ومع أخذنا لبعض الاحتياطات، تكون المعطيات التي تم جمعها بهذه الطريقة في مستوى مقبول من الدقة والثقة. تظهر توقعات الأسبار الخاصة بنتائج الانتخابات عادة أنها صحيحة. إن الاختلافات التي قد تظهر بعد ذلك لن تكون سوى نتيجة لتقييم المُسْبِرين حول الطريقة التي سيصوت بها أولئك الذين لم يدلوا برأيهم أثناء السبر إما لكونهم لم يقرروا بعد، أو لكونهم يكتمون المعلومات.

خاتمة

كلما كان تحديدنا لمجتمع البحث جيدا، كلما كانت لدينا معلومات عن واستطعنا النفاذ إليه، كلما كانت لدينا إذا إمكانيات اختيار العناصر التي ستمدنا بالمعلومات. هذا لا يعني أن الأمر يتعلق بأخذ عدد من العناصر أكثر مما تتطلبه طبيعة البحث. في المقام الأول، ينبغي أن يتم الاختيار على ضوء التعريف المسبق للمشكلة. إن هذا الانتقاء ينبغي أن يصمم جيدا، لأننا لا نستطيع بعد ذلك جعل المعلومات التي سنجمعها تقول أكثر مما يمثله مصدر هذه المعلومات. إن هذا المصدر هو العناصر المنتقاة والتي ينبغي معرفة حدودها بالنسبة إلى مجتمع البحث الذي أختيرت منه.

ـ ملخص ـ

مصطلحات أساسية

- مجتمع بحث
- عدد إجمالي
- عيّنة
- معاينة
- معاينة احتمالية
- تمثيلية عيّنة
- معاينة غير احتمالية
- قاعدة مجتمع البحث

إن كل مشكلة بحث تؤدي بالباحث أو الباحثة إلى الاهتمام بمجموعة عناصر تسمى مجتمع البحث ؛ وعليه ينبغي علينا في البداية أن نضبط بدقة المقاييس التي تعرف أو تحدد هذا المجتمع. إن عدد العناصر التي يتكون منها هذا المجتمع تكوّن عدده الإجمالي. يجب علينا أن نستعلم لدى كل مجتمع البحث، إن كان ذلك ممكنا لكن، وكقاعدة عامة، المرقم، الذي

من الممكن أن يتسرب نوعان من الأخطاء أثناء المعاينة. الأول هو خطأ المعاينة والذي لا مفر منه. فعلا، إننا لا نستطيع القيام بقياس دقيق لمجتمع البحث من خلال استعلامنا حول جزء منه فقط. مع ذلك يمكن تقييم هذا الخطأ بالمعاينة الاحتمالية. أما النوع الثاني من الأخطاء فهو خطأ الملاحظة، إنه يرتبط بطريقة تصرف أو عمل الباحث أو الباحثة. إن لم يكن في وسعنا تجنبه، فعلينا أن نتخذ بعض التدابير من أجل التقليل منه.

هناك ثلاثة أصناف من المعاينة الاحتمالية، أولها المعاينة العشوائية البسيطة، والتي يمكن أن تجمع مع أصناف المعاينات الأخرى، فنجري السحب بالصدفة من خلال كل الأرقام الممنوحة لكل عنصر من مجتمع البحث، كما هي الحال في اليناصيب، وقبل القيام بالسحب بالصدفة، يبدو أنه من المفيد التأكد من وجود فئة أو بعض الفئات من العناصر في العينة ؛ هكذا نمر إلى المعاينة الطبقية ؛ وعليه سنقوم بإنشاء مجموعات صغيرة من مجتمع البحث، ثم وبداخل كل مجموعة تم انشاؤها هكذا، نقوم بسحب عشوائي بسيط، ومن الممكن القيام بمعاينة عشوائية دون معرفة كل عنصر داخل مجتمع البحث، فيكفي إذن تعريف الوحدات التي تجمع هذه العناصر التي تسمح بدورها بتعليم (وضع علامات) العناصر المرغوب فيها. ثم نمر بعد ذلك إلى السحب بالصدفة من هذه الوحدات، وعند قيام الباحث بالسحب من هذه الوحدات بدلا من العناصر ذاتها، فإننا سنكون بصدد الحديث عن المعاينة العنقودية.

هناك ثلاثة أصناف من المعاينة غير الاحتمالية ؛ المعاينة التي تتم أولا وقبل كل شيء حسب توافقها وتلاؤمها مع أقل الصعوبات الممكنة : تسمى هذه المعاينة بالمعاينة العرضية. توظف هذه المعاينة عندما لا يكون في إمكان الباحث أن يفعل أفضل. من جهة أخرى، قد نريد أن تكون العناصر التي ننتقيها في حد ذاتها مثالية من ضمن عناصر مجتمع البحث المستهدف أو أن تكون صورة عكسية لها؛ في هذه الحالة نكون بصدد الحديث عن معاينة نمطية. نوجه اختيارنا إذن نحو عناصر لها خصائص بصفة تسمح لنا أن نقول عنها إنها نموذج أو حوصلة لخصائص المجتمع موضوع الدراسة. كما يمكننا أن نجري معاينة حصصية إذا كنا نريد معرفة كيف ستتوزع في مجتمع ما العناصر حسب بعض [illegible] إذا كنا نريد أن تعكس العينة هذا التوزيع،

فالمطلوب منا هنا أن نثبت نسبا مطابقة لنسب مجتمع البحث، ونتوقف عن أخذ العناصر من هذه الفئة أو تلك عندما يتم بلوغ الحصة المطلوبة من هذه الفئات.

إن اختيار نوع العينة وأصنافها يمليه في بداية الأمر تعريف مشكلة البحث، وقد يؤدي هذا التعريف إلى التركيب بين أكثر من نوع وأكثر من صنف واحد من المعاينة. إنّ التركيبات المتنوعة ممكنة طالما هي مبررة بما نحن بصدد البحث عنه، مع أخذنا بعين الاعتبار للإمكانيات المتوفرة لدينا ولطبيعة المجتمع المستهدف والطريقة التي سنتصرف وفقها في معالجة المعطيات التي سنتحصل عليها.

أما حجم العينة، أي عدد العناصر التي تكوّنها، فإنه يتحدد بناءً على عوامل متنوعة. بالنسبة إلى المعاينات غير الاحتمالية، فالمطلوب هو أن نأخذ عددا كافيا من الأفراد من أجل المعالجة التي سنقوم بها فيما بعد للمعطيات. أما فيما يخص المعاينات الاحتمالية، فالمطلوب هو احترام بعض القواعد لضمان درجة كافية من تمثيلية العينة. أخيرا، كلما أردنا إبراز الخصائص المختلفة لمجتمع البحث، كلما تطلب منا ذلك زيادة حجم العينة. أخيرا أيضا، فإن التقنية المفضلة لجمع المعطيات تؤدي فقط إلى عدد معين من إمكانيات المعاينة.

أسئلة

إقرأ أولا ما يأتي :

لقد قرر أحد ملاك أرض مخصصة للمخيمات تتألف من 1000 موقع القيام بتحقيق حول مدى رضى المستأجرين لهذه المواقع. فوضع على بطاقاته رقما لكل مستأجر. إنه لا يريد الحصول على معلومات عن جميع المستأجرين نظرا إلى المدة الزمنية المطلوبة وإلى التكاليف. لذلك فكر في ثلاثة احتمالات من أجل اختيار عينة.

الاحتمال الأول :

يضع مالك الأرض كل الأرقام وعددها 1000 في صندوق ويقوم بسحب 200 رقم ثم يذهب إلى مقابلة هؤلاء المستأجرين المختارين.

الاحتمال الثاني :

نظرا إلى كون كل مستأجر لموقع، يقوم بملء وثيقة استئجار تختلف حسب نوع الوسيلة التي يستعملها ليقيم في هذا الموقع، فإما أن تكون نقالة roulette، أو خيمة مع نقالة أو خيمة فقط ؛ لهذا يفترض صاحب المخيم أن كل واحد من هؤلاء المستأجرين يحتاج الى خدمات خاصة، وبالتالي ستكون له درجة مختلفة من الرضى على أساس ذلك. سيقوم صاحب المخيم، بتصنيف مجموع المستأجرين إلى ثلاث فئات، وهكذا سيسحب أرقام من كل فئة طبقا لقاعدة الأعداد العشوائية.

الاحتمال الثالث:

نظرا إلى كونه يعرف أن 50% من المقيمين في المخيم يسكنون النقالات وأن 35% منهم يقطنون بالخيم مع نقالات، وأن 15% يقيمون في خيم، لهذا قرر صاحب المخيم توزيع 200 استمارة باحترام النسب المشار إليها، واختيار الأفراد بصفة عشوائية في كل نوع من أنواع وسائل الإقامة.

1. فيما يخص الاحتمال الأول : ماهو نوع المعاينة الذي يجب استعماله ؟ علل إجابتك.
2. فيما يخص الاحتمال الأول، ماهو صنف المعاينة الذي يجب تطبيقه ؟ علل إجابتك.
3. فيما يخص الاحتمال الأول، ماهو نوع إجراء السحب الذي يجب اختياره ؟ علل إجابتك.
4. فيما يخص الاحتمال الأول، هل حجم العينة المشار اليه سيكون كافيا ؟ علل إجابتك.
5. فيما يخص الاحتمال الثاني، ماهو نوع المعاينة الذي نختاره ؟ علل إجابتك.
6. فيما يخص الاحتمال الثاني، ماهو صنف المعاينة الذي سنستعمل ؟ علل إجابتك.
7. فيما يخص الاحتمال الثاني، ماهو نوع إجراء السحب الذي يجب اختياره ؟ علل إجابتك.
8. فيما يخص الاحتمال الثالث، ما هو نوع المعاينة الذي يجب استعماله ؟ علل إجابتك.
9. فيما يخص الاحتمال الثالث، ماهو صنف المعاينة الذي سنستعمل ؟ علل إجابتك.
10. فيما يخص الاحتمال الثالث، ماهو نوع إجراء الفرز الذي يجب اختياره ؟ علل إجابتك.

الفصل 10

استعمال التقنيات

إن استعمال تقنية ما في البحث يبين مدى قدرة الباحث أو الباحثة على التحكم في نفسه بمقدار تحكمه في الأداة التي يستعملها في جمع المعطيات.

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن :

- يقول لماذا يجب التخطيط لجمع المعطيات؛
- يوضح بدقة الاحتياطات التي يجب اتخاذها أثناء الالتقاء بالمبحوثين ودراسة الوثائق ؛
- الاستعمال الملائم لكل تقنية من تقنيات البحث ؛
- يفهم المراقبات التي ينبغي تطبيقها من أجل التحلي بالموضوعية.

تمهيد

لقد حان الوقت الآن لنتصل بالواقع الذي نريد معرفته. فكلما حضّرنا جيدا لهذا اللقاء كلما تزودنا بكل ما يمكن أن نتطلع إليه. لهذا ينبغي أولا التخطيط وبعناية كبيرة لعملية جمع المعطيات، ثم التفكير بعد ذلك في كل الجوانب التي لابد من أخذها بعين الاعتبار قبل استعمال أداة الجمع التي أعددناها. يقتضي هذا التأكد من أن الواقع سيتم ملاحظته في جميع أبعاده، وأن مظاهره المتنوعة سوف لا تعرقل بكيفية أو أخرى. إن اليقظة ومقابلة ما كان منتظرا أو غير منتظر، واحتياطات المراقبة والجهد الحيادي للباحث أو الباحثة، هي وحدها العوامل التي تسمح بجمع المعطيات القيمة، والتي لم يسبق الحصول عليها من قبل، وهذا ما يضمن الموضوعية سواء تم استخدام التقنيات المباشرة أو غير المباشرة.

لهذا يجب علينا أن نسلك سلوك الباحث المحترف إذا أردنا النجاح في عملية جمعنا للمعطيات. كما يجب علينا أن نتحلى بنزاهة كبيرة باعتبارها الضمانة الوحيدة لمصداقية النتائج. ينبغي لهذه الاحترافية أن تظهر في كل موضع، سواء في احترامنا للأشخاص، أو في معاملتنا العادلة لكل واحد منهم، وفي تسجيلنا الصحيح للملاحظة وكذا في أصالة الوثيقة. وينبغي أن تكون القواعد الأخلاقية في هذه المرحلة محل تقيد واحترام صارمين.

تخطيط عملية الجمع

من أجل أن يتم الجمع في آجاله المعقولة لابد من التخطيط له ؛ وللتأكد من أن الجمع سيتم في الوقت المحدد، فلابد علينا من إعداد رزنامة لفترات الجمع. إن الآجال المحددة هذه ينبغي ضبطها قبل الذهاب لجمع بعض المعطيات مهما كانت طبيعتها، ولابد أن يؤخذ في الاعتبار مدى استعدادات الأشخاص المراد الاتصال بهم، أو الساعات التي تفتح فيها المراكز لمطالعة الوثائق ومراجعتها عند الحاجة. أما إذا كنا نعمل ضمن فرقة فكل عضو سيعرف أين، متى وكم من مرة سيتدخل وماذا سيعمل. إننا نتوقع عدة طرق للعمل وكذلك حلولا تعويضية اذا كان العمل الكلي لا يجري كما تم تصوره.

إن امتداد الرزنامة لا يهم، لأن هذا الامتداد مرتبط بعدد مرات الانتقال، أو بالفترات الضرورية للمطالعة (أو المراجعة) حيث يمكن لهذه الفترات أن



تتنوع كثيرا بحسب طبيعة البحث، ولكن ما يهم هو دقتها فيما يتعلق بفترات الجمع وذلك من أجل احترام الآجال المحددة. من الأفضل كذلك أن نتوقع وقتا أطول ونوفر احتياطا زمنيا أيضا، ذلك لأنه غالبا ما يحدث وأن تأخذ فترة أو أخرى من الجمع وقتا أطول مما كان متوقعا، أو أن تظهر صعوبات غير منتظرة قد تخل بنظام سير عملية جمع المعطيات. إن الآجال المحددة تسمح إذن بعدم التغاضي عن الأشياء الجوهرية، واحترام الآجال مهما كانت الصعوبات.

استعمال التقنيات المباشرة

تقودنا التقنية المباشرة إلى الالتقاء بالأشخاص الذين يساعدوننا للوصول إلى المعلومات أو سيكونون هم أنفسهم الأشخاص الذين سنجمع عنهم معلومتنا. قبل الشروع في عملية الجمع لابد من الاتصال بهؤلاء الأشخاص والتأكد من أن هناك نفس الفهم بين الباحثين والمساعدين لما سيطلبونه من هؤلاء الأشخاص والالتزام باحترامهم ككائنات بشرية والتحضير للقاءات. ستكون العلاقة بالمبحوثين ناجحة أكثر إذا ما استطعنا خلق جو مفعم بالثقة. أخيرا، وفي حالة ما إذا اتخذنا الاحتياطات الضرورية ووضعنا المبحوثين في نفس الظروف فإن عملية جمع المعطيات ستتم بسهولة كبيرة. يضاف إلى هذا أن كل تقنية مباشرة، ومنها الملاحظة في عين المكان، مقابلة البحث، الاستمارة أو التجريب لها خصوصيات لابد من أخذها بعين الاعتبار للتمكن من استعمالها بصفة مناسبة.

قبل عملية الجمع

قبل الشروع في عملية جمع المعطيات لابد من القيام بأربع خطوات هامة : إعادة الاتصال بالأشخاص أو الوسط موضوع الدراسة، التأكد من الفهم المشترك لطريقة العمل إذا كان البحث يقوم به فريقا، الالتزام شكليا أو صراحة باحترام الأشخاص موضوع الدراسة، وأخيرا التحضير للقاءات.

إعادة الانطلاق

انظر الفصل 5، «الوصول إلى مصادر المعلومات».

لقد قمنا في البداية بالتحري عما إذا كان في مقدورنا الوصول إلى الأشخاص، الأماكن أو الوثائق الضرورية للبحث. عندها يكون الوقت قد حان لإعادة الانطلاق، إذا اقتضت الضرورة ذلك ؛ وعندما يكون الاتصال

بالأشخاص الذين لهم علاقة بالبحث قد تم بالفعل. عندئذ سنتأكد لهم على
الفترة أو الفترات وكذا مدة عملية الجمع. التي نلتزم باحترامها بدقة لكي لا
نزعجهم، وحتى لا يؤدي بهم ذلك في المستقبل إلى رفضهم التعاون مع
باحثين آخرين ؛ وسنقوم بنفس الشيء عندما نستدعي متطوعين للقيام
بتجربة. إن المسألة هنا، هي مسألة أخلاق. في كل الحالات فإن مسألة
جمع المعطيات مرتبطة أساسا باحترام الاتفاقات التي تمت مع الأشخاص
الذين تم الاتصال بهم سواء كمسؤولين أو مبحوثين، وليس هناك من
حاجة لإضافة أنه ليس هناك شيء أكثر إزعاجا بالنسبة إلى شخص ما
مستعد للقاء باحث أو باحثة لا يحترم المواعيد والأوقات المتفق عليها.

الجلسة الإعلامية

عندما نستعين بمساعدين أو مساعدات أو كنا نعمل ضمن فرقة، فلابد من التاهب لعقد جلسة أو جلسات إعلامية مسبقة لكي يصل كل واحد إلى نفس الفهم لأبعادْ البحث بهدف الوصول إلى جمع معطيات قابلة للمقارنة. ففي مراكز البحوث نجتمع بأولئك (ذكورا كانوا أم إناثا) الذين سيذهبون لجمع المعيطات للتاكد من أن لهم نفس الفهم لأهداف البحث، وأنهم سيقومون بتطبيق نفس الإجراءات وأنهم سيلتقون بالمخبرين بنفس الرؤية وبنفس الكيفية قدر المستطاع. إن هذه الجلسات لا غنى عنها لكي ينطلق كل عضو في الفرقة بنفس الخطوة. إذا كانت بعض الأوضاع رغم كل ذلك تطرح صعوبات فلابد من الإبلاغ عنها وإبعاد طلب بعض المعلومات إذا اقتضى الأمر ذلك.

محضر الالتزام

عندما نقوم ببحث حول أشخاص أو معهم، فالمعمول به لحد الآن هو المحضر (قواعد إجراء العمل وطرقها) الذي يجب اتباعه، والذي يعكس كرامة السلوك الذي ينبغي أن نتحلى به مع العناصر البشرية. لهذا فإن المؤسسة أو الهيئة التي يكون الباحث أو الباحثة تابعا لها إما أن تحتم عليه أن يمضي معها تعهدا يحترم بموجبه الأشخاص الذين هم موضوعا للدراسة وإما أن تقوم بإنشاء لجنة أخلاقية تصادق على الطريقة المتبعة من طرف الباحث. إن المطالبة بتعهد شكلي يساعدنا إذن في أن نكون واعين، إذا لم نتجند لذلك من قبل، بأن حرية البحث تتماشى مع حرية العناصر التي تتوقع

أنظر الفصل 3، «العناصر البشرية».

الالتقاء بهم. لهذا ينبغي أن يكون رضاهم إراديا ومستنيرا. يقدم الشكل 1.10 نصا نموذجيا لتعهد ينبغي أن يخضع له على المستوى الأخلاقي كل باحث وباحثة في العلوم الإنسانية ؛ وينبغي علينا أن نوقف البحث إذا ظهر أن هناك أضرارا قد لحقت بالأشخاص المبحوثين ولانعود إليه إلا بعد أن نتأكد من نجاحنا في إزالة هذه الأضرار (Sabourin et Bélanger1988) .

شكل 10 . 1

التزام الباحث أو الباحثة في العلوم الإنسانية

تجاه المشاركين في البحث

إننا نتعهد في يوم (تاريخ) لدى الطرف المسؤول (المؤسسة المسؤولة) بإجراء بحث (عنوان المشروع) بأخذ كل التدابير التي في حوزتنا للحفاظ على السلامة الجسدية والعقلية والنفسية لعناصر بحثنا، من أجل ضمان احترام حياتهم الخاصة وشهرتهم ومن أجل مدهم بكل المعلومات الضرورية لرضاهم الطوعي.

(يتبع بالتوضيحات حول الشكل الملموس لهذا التعهد، وفقا للبحث الجاري، وذلك لتجنب استمرار الالتباسات).

إمضاء الباحث أو الباحثين.

تحضير اللقاءات

إننا لا نستطيع الاتصال بالمبحوثين بأية طريقة كانت دون تحضير، معتقدين أن الأشياء ستتم بصورة حسنة، مما يعني تجاهلنا للتفاعلات التي لا مفر منها عندما يتواجد هناك شخصان. عندما نقابل شخصا أو عدة أشخاص نتمنى تعاونهم معنا في البحث، فلابد علينا بالتالي أن نفكر في أحسن الطرق للتصرف معهم. ذلك لأن نوعية المعطيات التي سنتحصل عليها تتوقف كثيرا على نوعية العلاقة التي نقيمها معهم. فالأشخاص لا يثقون، مثلا، في الباحث الذي لا يبدو أنه مهتما حقيقة بما سيبوحون به. أيضا إذا أظهرنا أننا نستعجل إنهاء اللقاء، فالمبحوث لا يبذل جهداً كافياً ليضبط ويدقق أقواله ولا يكون متأكداً من أنه قد صرح بكل ما كان يريد أن يقوله. إذا ما تصرفنا إذن بلا روية فإننا سنعرض نتائج البحث إلى

إن تصرفنا أثناء لقائنا بالمستجوبين أو عناصر التجربة له إذا تأثيرا مباشرا في نوعية المعلومات التي سيتم جمعها. فالشخص المشارك في البحث سيتعاون بشكل أفضل كلما ظهر له أن الباحثين والباحثات مهتمين به ويستمعون له، مما يجعله لا يشك في نزاهتهم. فعلى المستوى الأخلاقي ينبغي التذكير أولا بأهمية التقديم الجيد لشخصنا (من نحن)، ثم تقديم موضوع البحث، وأخيرا ضمان كتمان السلوكات أو الأقوال وسريتها. أما في حالة ملاحظة النشاطات العامة، مثلا: مداولات المجلس البلدي التي يمكننا حضورها كبقية الأشخاص الآخرين، فليس من الضروري تقديم أنفسنا للغير، فالأخلاق تتطلب فقط عدم إزعاج المجلس لغاياتنا الخاصة.

سير اللقاءات

لضمان نجاح بحثه لابد على الباحث أن يقيم جوا من الثقة مع الأشخاص الذين سيلتقي بهم، وأن يضمن لهم أن يكون في أحسن الاستعدادات والاحتفاظ بالشروط المتشابهة لاستعمال أداة الجمع.

توفير جو الثقة

إن نجاح الاتصال الأول يتوقف من دون شك على جو الثقة الذي سيقام، ولا يتم تحقيق هذا الأخير إلا بـ:

- الاستماع إلى الآخر بانتباه؛
- جعله وبطرق مختلفة، سواء كانت شفهية أو غير شفهية، يشعر أننا نفهم الوضعية التي نضعه فيها؛
- أن نبين له بوضوح الاهتمام الذي نوليه إياه.

التدابير التي ينبغي اتخاذها

يتوقف نوع الاتصال أيضا على التدابير المتخذة للتأكد من أن اللقاء سيجري في أحسن الظروف الممكنة؛ فلا ينبغي أن يقودنا هذا إلى استعجال الأشخاص لأننا لم نستعد مسبقا للاتصال بهم، أو أننا أخطأنا في تقدير الوقت الضروري، أو أننا لم نتأكد من أن المحيط سيكون ملائما

للقاء أو للملاحظة. ففي كل أوضاع البحث، ما عدا في حالة الملاحظة في عين المكان التي تطلب من الأشخاص الاستمرار في القيام بنشاطاتهم كما تعودوا عليها، مع إعداد مكان مناسب للملاحظ، فإنه ينبغي على الأشخاص أن :

- يتحرروا من نشاطاتهم ؛
- يوافقوا على تخصيص وقت للبحث ؛
- يوفروا مكانا مناسبا للقاء، إذا قاموا باستدعاء الباحث أو الباحثة للقاء بهم.

ينبغي ضمان هذه الشروط بالضبط أثناء الاتصال الأول، إنها شروط أساسية من أجل الاستعمال الجيد للتقنية.

مراعاة نفس الشروط

ينبغي أن نتذكر مرة أخرى أنه لابد أن يخضع المخبرين أو عناصر البحث قدر المستطاع لنفس الشروط إذا ما أردنا أن تكون المعطيات قابلة ما أمكن للمقارنة بدرجة صغيرة جدا، وقابلة أيضا أن تعبر بنجاح مرحلة التقييم العلمي ؛ لذا ينبغي توفر عدد معين من الشروط :

- ستكون التعليمات الموجهة لأعضاء الفرقة المعنية هي نفسها إلى حد كبير ؛
- تجنب حضور أي شخص أجنبي إلى مكان البحث أو أثناء إجرائه ؛
- لا ينبغي للمشاركين أنفسهم الاتصال ببعضهم البعض، إلا إذا كان البحث يتطلب ذلك ؛
- ينبغي أن يكون كل المشاركين خاضعين لنفس الشروط المفروضة من طرف مشكلة البحث.

الملاحظة في عين المكان

إن الضمانات التي نحصل عليها تكون بقدر وعينا بكل جوانب عملنا ومهامنا، أي تسجيل أكبر عدد ممكن من الظواهر ذات الصلة بمشكلة بحثنا؛ ثم علينا بعد ذلك بتعيين المخبرين الأساسيين من الوسط، ومعرفة

متى وكيف ندون المعلومات، وننمي القدرات الضرورية لملاحظة جيدة. أخيرا، ينبغي أن نضمن مسافة بيننا وبين الوسط الملاحظ حتى لا نفقد كل أصالتنا كباحثين.

المخبرين الأساسيين

إن الاتصالات بالمجموعة ستكون ناجحة أحسن عندما نتحصل على ثقة **المخبرين الأساسيين**. إن هؤلاء الأشخاص هم بكيفية أو بأخرى الأشخاص المستمع إليهم في المجموعة، إنهم الأشخاص الذين يتخذ منهم بقية الأعضاء مرجعا لهم : فشرح البحث سيتم إذن بصفة خاصة مع هؤلاء، بهدف الحصول على موافقتهم واهتمامهم بالعمل. لابد إذا من اكتشافهم ويتم تحديدهم بـ :

مخبر اساسي
شخص يعرف الوسط الذي تجرى فيه الملاحظة ويمارس عليه بعض التأثير.

- الاطلاع على الموقع الذي يحتله كل واحد منهم ضمن المجموعة ؛
- الإصغاء بانتباه إلى أولئك الذين يرجع إليهم الآخرون ؛
- البحث عن أولئك الذين يعرفون وسطهم أكثر ؛
- البحث عن مصدر المقاومات إن وجدت.

إن هذا النفوذ الذي يتمتع به في غالب الأحيان بعض المخبرين الأساسيين غالبا ما ينتج عن المكانة المتميزة التي يحظون بها سواء ضمن بنية المجموعة، أو ضمن عمليات أخذ القرار أو في إطار العلاقات غير الرسمية، وبالتالي فهم يمارسون بعض السلطة على المجموعة، وأي إخفاق أو خطأ في المسعى مع هذا أو ذاك قد يؤدي إلى حرمان الباحث أو الباحثة من معرفة جزء كبير من الواقع. أما بعض المخبرين الآخرين ورغم أنهم لا يحتلون موقعا استراتيجيا، فيمكن أن يفيدوا جدا الباحث بما يكتسبونه من كفاءة في معرفة الوسط، وعليه فالعلاقة الجيدة بهذه العناصر الأساسية تسهل إجراء عمل الملاحظة، كما أنها تمنع باقي أعضاء المجموعة من التصرف بطريقة مخالفة لما الفوه، ذلك لأنه تم تقديم لهم ضمانات من طرف هذه العناصر الأساسية.

تسجيل المشاهدات

أنظر الفصل 8، «نظام تسجيل المشاهدات».

قبل التوجه إلى الميدان لابد أن نتأكد من معرفتنا الجيدة لإطار الملاحظة، وذلك لتركيز انتباهنا ـ أثناء الملاحظة ـ على تسجيل الأقوال والحركات،



التي لها علاقة أساسية بالعناوين المحددة سلفا. فإذا ما كنا مزودين بدفتر المشاهدات (cahier de bord)، فيمكن أن نقوم بملئه في عين المكان إذا كانت هذه العملية لا تزعج الأشخاص محل الملاحظة وكنا في وضع يسمح لنا بالتسجيل، وكان هذا العمل لا يبطل أو يقلل من الملاحظة نفسها. فإذا كانت إحدى هذه الشروط غير متوفرة فينبغي ألا نحاول التسجيل في عين المكان، وفي هذه الحالة لابد من العمل على تسجيل الملاحظات في أقرب وقت ممكن يعقب اللقاء، والأفضل أن يتم ذلك في نفس اليوم إذا كان ممكنا وهذا حتى لا يفلت منا أي شيء من مجموع الوفرة التي استطعنا إدراجها في أذهاننا حول الوضعية موضوع الملاحظة. أما إذا كان الأولى لنا أن نملأ شبكة الملاحظة (grille d'observation)، فإن هذه الأخيرة غالبا ما تتطلب تدوين عددا كبيراً من الملاحظات بدقة، ولابد من إيجاد الطريقة المثلى للقيام بذلك في عين المكان، لأن ذلك عادة ما يعتبر شرطا لا غنى عنه أثناء تسجيل الملاحظات الدقيقة في مثل هذه الحالة. زيادة على ذلك ينبغي أن نكون يقظين بعدم إهمال تسجيل بعض المعلومات حتى ولو بدت أنها غير مهمة؛ وهكذا سنتجنب سيطرة المسلمات والأحكام المسبقة على ما ينبغي علينا تسجيله. إذا كان ذلك ممكنا، فينبغي علينا أن نطلب من بعض المبحوثين إبداء رأيهم حول وضعية معينة وذلك للمقارنة بين إدراكاتهم وإدراكاتنا أثناء التحليل اللاحق الذي يجب أن نتجنب فيه الانبهار بوجهة نظرنا الخاصة. ومع التشبع بالمصادر فإن هذه الطرق ستكون بمثابة وسائل للمراقبة العلمية التي نهيئها لإثراء عملية جمع المعطات من الميدان.

انظر الفصل 9، «التحديد غير الاحتمالي».

من الضروري أن تراكم معلومات حول كل أنواع الجوانب المتعلقة بالموقع، سواء فيما يتعلق بتاريخه وبتنظيمه أو بتكوينه، فإن هذه المعلومات تستطيع أن توضح وتؤكد بعض الشهادات والتأويلات في المرحلة الأخيرة. عندئذ سيكون من الممكن تعميم النتائج على مواقع أخرى تمتلك خصائص مشابهة لخواص الموقع الذي تمت دراسته. إن دراسة هذه المواقع من طرف باحثين آخرين يمكنها أن تؤدي إذن إلى توسيع الأسس العلمية للبحث.

انظر الفصل 12، «خطأ التقرير الموجز».

صفات الملاحظ أو الملاحظة

إن الصفات التي يتطلبها الاستعمال الجيد لتقنية الملاحظة في عين المكان عديدة ومتنوعة، ذلك لأن تنوع الأوضاع يؤدي أحيانا إلى اللجوء

إلى الحدس، وأحيانا إلى الخيال وأحيانا أخرى إلى اهتمام جذاب عندما يتعلق الأمر بالملاحظة بالمشاركة، ويتميز في أحيان أخرى بالبرودة أو بالدقة والضبط المحكم عندما ينصب العمل على ملء شبكة الملاحظة من أجل المعالجة الكمية للمعطيات.

لابد من العمل أولا على أن نجعل مجموعة البحث تقبل بنا وتشاركنا في نشاطاتها كلما كان ذلك ممكنا، مع التركيز على اتقان الملاحظة ؛ ويجب أن نبرهن على قدراتنا في التمييز والمرونة وتغيير إطارنا الأصلي للملاحظة وذلك وفقا لما نسعى لمشاهدته.

لابد على الشخص الذي يقوم بالملاحظة أن يكون واعيا بسلوكاته وتصرفاته المألوفة إما من أجل الاستعانة بها وإما لتركها وذلك حسب الحالة التي هو بصدد دراستها. نفهم من هذا أن الشخص الذي يكون موضوع ثقة بسهولة لا يجب أن يغير من تصرفه، في حين أن ذلك الذي يبدو غامضا أو سري فينبغي عليه أن يعمل على إزالة كل الشكوك أو سوء التفاهم. هناك إذا فترة ينبغي أن يقضيها الباحث في التأمل والتفكير في نفسه، قبل قيامه بإجراء الملاحظة. من المستحسن تقديم أنفسنا وبكل بساطة كأشخاص نهتم بالأشخاص الآخرين ونريد معرفة أشباهنا دون خلفيات أخرى، ويقتضي هذا ألا ننحاز في موقفنا فيما بعد إلى هذا العضو أو إلى تلك المجموعة الفرعية في الوسط محل الدراسة، بل المطلوب منا هو أن نبرز عدم تحيزنا وأننا متفتحين على الجميع وعليه يجب السيطرة على مشاعرنا الشخصية حتى لا نتدخل في الوضع ولو كان ذلك على حسابنا. فالمطلوب منا إذا هو أن نكون متفتحين ومتميزين بخفة الروح دون أن نعبر عن أحكام مسبقة، وأن نظهر اهتماما حقيقيا بالأشخاص موضوع الملاحظة، وبالتالي لن يكون في وسع هؤلاء سوى تقدير مثل هذا الموقف، وعندئذ سيتقلص الخوف والقلق لدى هذا الطرف وذاك ويحل بدله تعاونا يسيرا.

إن استخدام تقنية الملاحظة وحسن استعمالها، يحملان متطلبات تتجاوز مجرد المعاينة الميدانية، وأن الاستعمال الجيد لهذه الأداة يتضمن القيام بجهد تام. إضافة إلى ذلك وفي حالة استعمالنا للصورة أو الفيديو، فينبغي أن يتم ذلك بصفة متخفية حتى لا تكون بمثابة عوامل لإزعاج الوضعية.



ملاحظتين في عين المكان مشهورتان والنصائح المستخلصة منهما

لقد قام Rothlisberger (Pinto et Grawitz 1967) بإجراء ملاحظة على مستخدمي شركة «وسترن إليكتريك»، واستنتج أنه يجب على الملاحظ بالمشاركة ألا يترك الانطباع لدى المبحوثين أن له سلطة ما عليهم كما يجب أن يمتنع عن إسداء الأوامر أو النصائح وألا يحاول فرض نفسه أثناء الحوار وأن يعمل على أن يكون طرفا في هذا الحوار إلى أدنى حد ممكن مع تجنب كل ما من شأنه أن يظهره بأنه انتهازيا، وعليه أن يحافظ على الأسرار التي اطلع عليها، مع عدم إجبار نفسه على البحث عنها أو إظهار اهتمامه البالغ بما يجري في الميدان ؛ وأخيرا، لابد أن يظهر في صورته الطبيعية، وأن يحترم قواعد الجماعة وألا يتميز أو ينفرد عنها.

أما Foote White فقد ارتبط، من جهته، بمجموعة من الشباب التي يمكننا وصفها «بعصابة الشارع». حسب رأيه : فإن أهم شيء عند القيام بالملاحظة هو أن يكون الباحث نفسه مقبولا. لأجل ذلك لابد أولا أن يقترب من الأشخاص الأساسيين، «القادة»، وألا يكتفي بإبلاغهم عما يبحث عنه، بل لابد عليه أن يستشيرهم، ويقربهم منه أكثر فأكثر حتى يتمكن من إقناعهم بقبول إجراء المقابلة. عندها ستتوقف الانتقادات ويجر هؤلاء «القادة» كل أعضاء الجماعة إلى قبول الباحث.

ابتعاد الملاحظ أو الملاحظة

حتى لا تنحجب علينا أصالة ما نريد ملاحظته أو أن نندمج كلية في الموقع، فإن المطلوب من الملاحظ أو الملاحظة أن يعمل كل ما باستطاعته حتى يحافظ على مسافة معتبرة تحول بينه وبين الاندماج الكلي في الوسط محل الدراسة. فإخبار باحثا آخر بما تمت ملاحظته بهدف إثارة ردود أفعاله والكشف عن تساؤلاته الهامة بإمكانه أن يلعب دور الواقي الفعال، وآخر يتغيب لبضعة أيام عن المجال أو الوسط الذي تجرى فيه الدراسة عندما يكون ذلك ممكنا. بالإضافة إلى ذلك يمكننا مع بقائنا في نفس المكان أخذ ما يكفي من الوقت والتوجه لاختبار الوقائع والحركات التي قمنا بتدوينها في دفتر المشاهدات. أما إذا كان وجودنا في مكان إجراء الملاحظة لمجرد ساعات محدودة في اليوم الواحد، فإنه يمكننا الاحتفاظ وبسهولة بالمسافة الحاسمة للابتعاد. أما إذا كنا نشارك مع الأشخاص موضوع الملاحظة في نشاطات تجري خارج الإطار (أي إطار الملاحظة) يمكننا هكذا أن نصبح متعودين كثيرا على معايشة الوسط، وسنتحصل هنا أيضا على فائدة أكثر لو تحدثنا عن ذلك مع شخص من خارج الميدان والتزمنا بتدوين الملاحظات يوميا وقمنا بالنقد الذاتي بانتظام. بكلمة واحدة، لا ينبغي علينا أن نهمل بعض المظاهر، لأن ذلك سيكون بمثابة انزلاق نحو تمييع الملاحظة.

أنظر الفصل 7، «التكيف الجد ناجح للباحث أو الباحثة».

الصـدق

من النادر جدا أن تتكرر ملاحظة نفس الوضعية في نفس الوقت لأن شخصية كل ملاحظ لا تؤدي إلى نفس التفاعلات مع الأشخاص موضوع الملاحظة وأنه عادة لا يتكرر العمل من جديد في نفس الميدان ؛ وعندما يحدث ذلك، فيكون الوقت قد مضى على الملاحظين، ومن دون شك لن يكون الوسط هو نفسه كذلك. وانطلاقا من اختلاف المبحوثين على الأقل في بعض الخصائص مثل الجنس، السن والأصل الاجتماعي، فإن إدراكهم للوقائع سوف لن يكون بالضرورة بنفس الطريقة، وكذلك بالنسبة إلى مجالات تأملهم، كما أنه من غير الممكن أن يكون لهم نفس الفهم للمشكلة. ولضمان القيمة العلمية للبحث، لابد أن نتأكد أولا أن كل ملاحظاتنا هي ذات دلالة ومنسجمة بكيفية تجعل أنه لو كان عدد من الباحثين يتواجدون في موقع ما في نفس الوقت، فإنهم سيتفقون مع هذه الملاحظات وبالتالي يمنحونها صفة الصدق.

صدق
خاصية بحث كيفي يتفق بموجبها مختلف الباحثين حول الملاحظات التي قاموا بإجرائها.

مقابلـة البحث

إن إيلاء عناية كبيرة في الاتصال الأول لطلب المقابلة يتوقف عليه المسعى الجيد الذي ستسير فيه المقابلة. ينبغي أن تجري هذه المقابلة بدرجة من التوجيهية لا تتعدى الدقة الضرورية لما نحن بصدد البحث عنه؛ لذا يجب علينا إبراز القدرات التي تساعد المبحوث على التعبير بأكثر حرية. إن التحكم في مخطط مقابلتنا لا غنى عنه كذلك. كما يسمح الاعتناء بنهاية المقابلة من جهته بالحصول على معلومات إضافية، وسنترك المستجوب في حالة رضى تام. لكن قبل كل شيء لابد من التأكد أننا اتصلنا بأشخاص ذوي شأن بالنسبة إلى مجموعة البحث المستهدفة، وقد يتطلب هذا تحرير رخصة القبول.

• رخصة القبول

لما نريد الاتصال بمجموعة أشخاص يملكون بعض الخصائص لاختيارهم، لابد من توقع طرح أسئلة واقعية تساعد في تقييم قبولهم. إن هذه الأسئلة المغلقة قد تظهر قبل مخطط أودليل المقابلة أو على رخصة القبول وذلك كما هو موضح في الشكل 2.10

انظر الفصل 8، «السؤال المغلق».

صباح الخ
أنا (فلان)
إلى الطلاق ب
بمساهمتكم
لمعرفة إذا ك
1. فهل
نعم
لا
2. هل
نع
لا
3. هـ
ن
لا
4.
5.
إن
عندم
هذه
آبائ

شكل 2.10

رخصة القبول لمقابلة

صباح الخير :

أنا (فلان) أقوم رفقة أشخاص آخرين بدراسة حول الكيفية التي ينظر بها الشباب إلى الطلاق بين آبائهم. فلو قبلتم أن نجري معكم مقابلة فستقدمون لنا خدمة كبيرة بمساهمتكم في معرفة أحسن لآثار الطلاق. لكن سنطرح عليكم أولا بعض الأسئلة لمعرفة إذا كنتم مناسبين لفئة الشباب التي نبحث عنها.

1. فهل أنت موافق ؟

نعم : انتقل إلى السؤال 2.

لا : شكرا على أية حال ونتمنى أن تستطيع مساعدتنا في المرة القادمة !

2. هل أبويك مطلقين ؟

نعم : انتقل إلى السؤال 3.

لا : شكرا على إرادتك في التعاون معنا، ولكنك لا تتطابق مع الأشخاص الذين نبحث عنهم، وسيكون ذلك في المرة القادمة !

3. هل وقع الطلاق منذ مدة تزيد عن السنة ؟

نعم : انتقل إلى السؤال 4.

لا : شكرا على إرادتك في التعاون معنا ولكنك لا تتطابق مع الاشخاص الذين نبحث عنهم. سيكون ذلك في المرة القادمة !

4. هل المدة التي مرت على الطلاق تقل عن السنتين ؟

نعم : انتقل إلى السؤال 5.

لا : شكرا على إرادتك في التعاون معنا ولكنك لا تتطابق مع الأشخاص الذين نبحث عنهم. سيكون ذلك في المرة القادمة !

5. هل كان سنك يتراوح بين 16 – 19 سنة ؟

نعم : خذ موعدا للمقابلة ولوقت طويل بما فيه الكفاية.

لا : شكرا على إرادتك في التعاون معنا، ولكنك لا تتطابق مع الأشخاص الذين نبحث عنهم. سيكون ذلك في المرة القادمة !

بالنسبة إلى من تقل مدة الطلاق عن سنتين (حيث لا تزال الوضعية السابقة للطلاق جد حية في ذاكرة المستجوب والتي لم يكن أثناءها شابا صغيرا). هكذا فإن رخصة القبول تساعدنا على التأكد من عدم إضاعتنا للوقت، وكذا عدم إضاعة وقت الشخص الذي نقابله، وعليه فإننا سنعرف في الحال إذا كان هذا الشخص مقبولا.

الاتصال الأول

إن الاتصال الأول مع الشخص الذي سيستجوب مهم جدا. فهو ليس مجرد تبادل شكلي وبسيط، أو فاتر وسطحي بين المستجوب والمستجوَب، بل هو عبارة عن علاقة أولى ينبغي أن تحضى باهتمام الشخص الذي سيستجوَب وتمنحه شهية لمقابلة المستجوِب ليعبر بكل صدق عما يختلج ذاته. على المستجوب أن يأخذ في الاعتبار كذلك الطقوس الخاصة بأشخاص لهم ثقافة والتي غالبا ما تختلف عن ثقافته (Blanchet et coll. 1987). في الواقع، فإذا لم يول المستجوِب اهتماما كافيا لهذا الاتصال الأول، الذي يتم وجها لوجه أو عن طريق الهاتف، فقد تظهر ترددات لإجراء الاستجواب، قد يظهر أيضا شعور بنفاذ الصبر منذ الوهلة الأولى للمقابلة يضر بإجرائها لاحقا. يؤدي هذا الاتصال الأول بالمتقابلين إلى تقييم كل منهم الآخر، ووفقا لهذا الانطباع المستنتج من اللقاء الأول والذي قد يكون جيدا، فاترا أو سيئا سينطلق اللقاء الموالي وفق مأخذٍ ما أو لم يتم بعد تحقيق أي شيء. ينبغي على المستجوِب أن يكون هو نفسه مقتنعا بمتعة مثل هذا اللقاء وفائدته وبالتالي يستطيع أن ينقل حماسه لمخاطبه.

انطلاقا من هذا الاتصال الأول قد يكون من المفيد الحديث عن الاستعمال الضروري لآلة التسجيل (magnétophone). لكن، وكقاعدة عامة، لابد على المحقق أن ينتظر لحظة المقابلة ذاتها، ولابد عليه أن يكون منتبها إلى انشغالات الشخص الذي يجري معه اللقاء. استثنائيا، إذا كان الشخص مترددا في أن يُسجل، فيمكننا أن نقول له إن الشريط سيمحى أمامه، أما إذا كان يتعنى أن يتم ذلك في نهاية المقابلة فيرجى إخفاء انشغالاته واضطراباته، ولا ينبغي علينا في هذه الحالة إعادة القيام بالمقابلة مع شخص آخر. زيادة على ذلك ولكي لا يتلهى محاوره أثناء المقابلة بهذا الجهاز، فمن الأحسن له أن يضعه بعيدا ما أمكن عن النظر

إليه أو الاهتمام به. أما آلة التصوير، فإن استعمالها يتطلب حذرا أكثر لأنها قد تسبب عدة أضرار بالنسبة إلى عفْوِيَّة المستجوب، ولهذا لا يفضل استعمالها إلا عند الضرورة وفي نوع خاص جدا من البحوث، لأن تركيز البصر من طرف المستجوب والأداءات أو النبرات الصوتية على التسجيلات تكفي عادة لأخذ بعين الاعتبار تلك الاختلافات الطفيفة التي تضاف إلى أقوال المبحوث.

درجة التوجيهية

إن كيفية تسيير المقابلة ترتبط بدرجة التوجيهية التي سنعطيها لها، وتوظف درجة التوجيهية هذه وفقا لتعريف المشكلة. إنّه لمن الصعب تصور إمكانية إجراء مقابلة البحث بكيفية خالية تماما من التوجيهية، ذلك لأن تعريف المشكلة يفرض بالضرورة توجيها. غير أن درجة التوجيهية هذه يمكن أن تكون واسعة جدا أو محصورة جدا. هكذا قد لا يكون أمام المستجوب سوى عرض موضوع المناقشة وبعدها سيقاد بما يقوله المستجوَب، فقولنا، مثلا: «هل يمكنك أن تحدثني عما فعلته في شبابك ؟» إن هذا النوع من السؤال غير الدقيق يترك للمبحوث مهمة الإجابة عنه بطريقته الخاصة، في مقابلة تكون موجهة أكثر مما هي نصف موجهة (Daunais 1987). إننا نعطي للمقابلة توجيهية لا تتجاوز احتياجات التحقيق وبهذا نكون قد تركنا للمبحوثين أكثر حرية ممكنة في اختيار طرق الإجابة، ومع ذلك ينبغي التأكد أنه قد تم تناول كل جوانب المشكلة ولا نترك أي شيء منها طوال تسييرنا للمقابلة. ينبغي أن يظل النقاش مركزا على موضوع اللقاء وإذا حدث وابتعد المستجوَب كثيرا عن الموضوع فلابد من إعادة توجيهه إليه بهدوء، أو أن نطلب منه أن يحدد بدقة جوابه إذا كان ناقصا أو غامضا جدا، وذلك بمساعدة الأسئلة الفرعية بوجه خاص.

انظر الفصل 4، «درجة حرية المخبرين».

صفات المستجوِب أو المستجوِبة

مهما كانت درجة التوجيهية المستعملة، فإن المستجوِب أو المستجوِبة له دور أساسي آخر وهو أن يسهل على الشخص المستجوَب إبداء رأيه أو التعبير عنه. وبصفة عامة فإن نجاح المقابلة يعود إلى بعض الخصال الإنسانية للشخص الذي يسير المقابلة. إن ما ينبغي تحقيقه هو

أولا كسب ثقة المبحوث. تظهر القدرة على كسب الثقة من خلال الآداب والحفاوة والتحكم في النفس، على أن يتم كل ذلك من دون تفاخر أو تباهي. فلا ينبغي للباحث أن يبدي تعاليه، أو أن يضع المبحوث في وضعية متدنية وذلك بالجلوس خلف مكتب فخم، أو مضاعفة فوارق المكانة الاجتماعية. من بين الأشياء الأخرى التي تساهم في جلب ثقة المبحوث وكسبها هناك طريقة تناول المواضيع والجدية التي نبرهن عليها في إنجاز هذا العمل، وكذلك المظهر الذي ينبغي أن يطمئن له المبحوث.

ينبغي علينا من جهة أخرى أن نظهر تفتحا على الآخر، وأن نمتنع عن الأحكام المسبقة الخاصة، وأن نوفر للمبحوث كل الشروط التي تجعله يشعر أن في إمكانه أن يقول كل شيء دون أن يصطدم بالموقف التهذيبي الذي يسعى إلى الحكم على أقواله. يتطلب هذا التفتح إظهار الاهتمام بما يقوله الآخر، ليس في الاتجاه الذي يؤكده أو ينفيه، ولكن يجعله يشعر أن كل ما يقوله له أهمية وسيتم أخذه بكل جدية. باختصار، ينبغي على المستجوَب أن يشعر أن ما يصرح به أو يقوله يكون مسموعا بأتم معنى الكلمة. إن المطلوب في علم النفس في هذا المستوى هو إعادة الصياغة مثل: « إذا كنت قد فهمت جيدا... فإنك...» وما يتطلبه استعمال هذه الصياغة عندئذ هو التلخيص بوضوح، وعليه يمكننا اقتصار الاستعمال على بعض المقاطع التي تتصف خاصة بالأهمية أو التعقيد.

على أية حال، ومهما بلغت درجة حذرنا نحو ردود الأفعال هذه فإننا لا نستطيع الوصول إلى اليقظة التامة، بل لابد من معرفة أنفسنا بما فيه الكفاية وأن نتعلم كيفية التحكم فيها، حتى لا نسيء بعد ذلك سواء بحركاتنا أو أقوالنا أو أمزجتنا إلى تعبيرات الآخر. كما يجب ألا نتلهى بالديكور وبأفكارنا الخاصة أو إبداء العياء والملل، ذلك لأنه في أمكان المبحوث أن يؤول الشرود الذي يلاحظه على الباحث، سواء كان ذلك إراديا أم غير إراديا أثناء سير المقابلة، بأنه لا يدل سوى عن عدم اهتمامه بما يقوله له وبالتالي يسيء كثيرا إلى تقنية المقابلة. من أجل التعرف أحسن على أنفسنا في وضع من هذا النوع، والتعود بالتالي على تصحيح تصرفاتنا، يمكننا تسجيل مقابلة اختبارية على جهاز الفيديو ومشاهدتها عدة مرات إن تطلب الأمر ذلك، حتى نتفادى الأخطاء التي أشرنا إليها سابقا وتكون المقابلة مفيدة بحق.



ينبغي علينا أن نبدي تطابقا مع الغير. من المحتمل أن تشتمل هذه الصفة على كل الصفات الأخرى. إن التطابق مع الغير هي القدرة على أن نحل محل الشخص المستجوَب وأن نشعر بما قد يشعر به. تسمح هذه الخاصية بتوقع ردود أفعال الآخر وتجنب الآثار السلبية لرد الفعل المتأخر. إن التطابق مع الغير قد يؤدي إلى الاطمئنان والتعاطف والتظاهر بالفهم، ويضمن هكذا الشروط الأكثر ملاءمة للتعبير عن الأفكار والمشاعر والمعتقدات بأكبر قدر ممكن من الحرية.

أخيرا لابد من الإشارة بصفة خاصة إلى القدرة على استقبال صمت الآخر. فالصمت خلال فترة ما من المقابلة يكون عاديا بطبيعة الحال. فقد يبحث المستجوَب عن مفردة لإتمام الجملة أو أخذ فترة تأمل قبل الإجابة أو دراسة رد فعل محاوره لمعرفة إن كان يتابعه أو يفهمه، قبل مواصلة حديثه، وهكذا دواليك. لا ينبغي علينا بصفة خاصة استعجال التحدث والانتقال إلى سؤال آخر أو إعادة صياغة نفس السؤال مما قد يكشف عن قلة أو عدم اهتمامنا وإحساسنا بالآخر. لابد ألا ننسى أننا نطلب من المستجوَب في نفس الوقت بذل جهد للتذكر أو للصياغة وهذا ما يحتم علينا إعطاؤه ما يكفي من الوقت للقيام بذلك. يمكن أن يكون الصمت حليفا إذا عرفنا كيف نوظفه، مما يجعل المستجوَب يشعر باحترامنا له. ينبغي، إذا التزم الأمر، أن نحسب ذهنيا بعض أعداد الثواني بعد نهاية كل سؤال أو تدخل شفوي للمستجوَب قبل أن تأخذ الكلمة من جديد، وقد نتفاجأ بكل ما يمكن أن يضيفه الشخص المستجوَب بفضل هذه البرهة من التوقف.

التحكم في مخطط أو دليل المقابلة

تستطيع كل الصفات الإنسانية أن تظهر بجلاء كذلك عندما نعرف وبعمق مخطط أو دليل مقابلتنا ولا يبقى أمامنا عندئذ سوى إلقاء نظرة سريعة من حين إلى آخر على بعض تفاصيله خلال المقابلة وهذا ما يسمح بـ:

- التحقق إن كان المستجوب، بإجابته عن السؤال العام، يجيب في نفس الوقت عن الأسئلة الفرعية. إن كان ذلك، فينبغي ألا نطرحها عليه فيما بعد، لأن المستجوَب قد يتصور أننا لا نستمع إليه باهتمام حقيقي، ونستطيع في هذه الحالة أن نضع علامة على هذا السؤال الفرعي الموجود في الورقة ؛

● التحقق كذلك من انتقال المستجوب بنفسه إلى موضوع آخر موجود في مخطط أو دليل المقابلة، فنتركه في هذه الحالة يواصل حديثه دون أن ننسى إعادته إلى الموضوع السابق إذا ما بقيت بعض الأسئلة الفرعية لهذا الموضوع دون إجابة؛

● يجب علينا ألا نضيع مسار مسعى المقابلة المتوقعة.

أنظر الفصل 11، «المعطيات الكيفية (إدخال المعطيات)».

إذا كنا على دراية جيدة بمخططنا فسنكون على استعداد أكثر ليس فقط للاستماع لما يقوله المستجوب، ولكن أيضا لملاحظة التجليات التي تتبدى على وجهه أو إيماءاته أو سلوكه بصفة عامة، باختصار كل ما يتعلق بما لم يتم التلفظ به. يجب بعد المقابلة تسجيل، وذلك لفائدة تقرير مرحلة الجمع، كل التجليات أو المظاهر الخاصة بما لم يتم التلفظ به، والمعلومات التي تظهر وأنها ذات فائدة كبيرة أثناء التحليل الموالي للمقابلة. فعلا لابد من تخصيص مكان لسياق الأقوال، ذلك لأنه يعطي دقة أكثر لمعنى خطاب الشخص المستجوَب. من المفيد كذلك أن يتضمن تقرير مرحلة الجمع الإشارة إلى مكان إجراء اللقاء، و إذا كان ممكنا، تدقيق بعض الخصائص الاجتماعية للشخص الذي يجرى معه اللقاء: مثل سنه، جنسه ومهنته أو ملاحظات أخرى هامة. إذا ما قام باحثان مبت.ثان باسجواب مبحوث معا، فيمكنهما إذن تقسيم المهمة، فيهتم أحدهما أساسا بطرح الأسئلة ومتابعة المناقشة، ويتكفل الثاني بالجوانب التقنية مثل آلة التسجيل وملاحظة مالم يتم التلفظ به من طرف المستجوب.

إذا ظهر بعد اللقاء الأول أن هناك بعض التعديلات الضرورية للإجابة أحسن عن مشكلة البحث أو ليفهمنا أكثر المبحوث الموالي، فمن الأفضل إدخالها، وهذا ما يعود بالفائدة على التقييم العلمي الموالي؛ أما إذا كان البحث ضمن فرقة، فينبغي أن يتم الاتفاق حول هذه التعديلات ولا ينبغي أن تكون مقررة بصفة فردية.

نهاية المقابلة

إنه لمن المهم أن نراعي كيفية الانتهاء من مقابلة البحث. فمن جهة، وإذا ما نجحنا نسبيا في إثارة جو الألفة والمودة الخاص بالحوار المعمق، يكون الشخص المستجوب بحاجة إلى الشعور أنه لا يترك هكذا فجأة دون مراعاة للشهادة التي أراد تقديمها والتي لم يكن من السهل عليه بالضرورة

تقديمها، زيادة على الاعتراف بالجميل من خلال شكرنا له، إذ لابد ألا ننسى أن الشخص المستجوب هو الذي قدم لنا خدمة وليس العكس. علينا أن نحضره للذهاب ويمكن إعلامه بذلك مسبقا بقيامنا ببعض الحركات دون أن نتكلم والتي تجعله يعرف ذلك (مثلا : نقلب ببطء مخطط أودليل المقابلة، نرفع الحقيبة). وبهذه الطريقة يرى المستجوب أن نهاية المقابلة قد اقتربت.

قد تظهر اللحظات الأخيرة للمناقشة أنها مصدرا أساسيا للمعلومات بالنسبة إلى الشخص الذي يسير المقابلة. في البداية يمكن أن يكون من المفيد التذكير بالمواضيع التي تم التطرق إليها لنطلب من المستجوب إن لم يكن لديه شيئا آخر يضيفه حول هذا الموضوع أو ذاك. كما يمكن أن تبرز مرة أخرى بعض النقاط الهامة التي أهملت في السابق عن غير قصد. أيضا، وكما هي الحال في البحث الكيفي فإننا سنكون منشغلين بتأويلات المبحوثين، وفي هذه الأثناء يقتضي الأمر أن نطلب من المستجوب أن يعبر عما كان صعبا أو سهلا. خلال المقابلة وبإبدائنا للمستجوب مدى الاهتمام الذي نوليه إياه، فهذا سيكون بالنسبة إليه مصدرا للرضى، مما يجعله يكشف عن معلومات ثرية وهامة بالنسبة إلى التحليل الموالي. في النهاية، فإن هذه اللحظات الأخيرة يمكن أن تؤدي، بعد إزالة كل مخاوفه أو تبريرها، والأفكار المسبقة التي يحملها عن محاوره، إلى إضافة بعض الأقوال التي تضع كل المقابلة في رحاب وآفاق جديدة، أو التعبير عن أشياء لم يكن في استطاعة المبحوث التجرأ على التفوه بها سابقا.

الاستـمـارة

يمكن توزيع الاستمارة وملئها بطرق مختلفة؛ وهي تتطلب قدرات خاصة تتوفر لدى المحقق أو المحققة ليس فقط على أساس توجيهيتها التي لا يمكننا الانحراف عنها، بل لأنها تأخذ أيضا شكل استجواب أو ملء ذاتي.

توزيع الاستمارة وملئها

إن توزيع الاستمارة وملئها يمكن أن يجري في مكان يجمع المبحوثين. كما يمكن أن يتم أيضا عن طريق الاتصال بهم هاتفيا، أو عن طريق إرسال وثيقة الأسئلة بواسطة البريد أو نحملها لهم إلى مقر سكناهم، كما يمكننا كذلك الالتقاء بهم وجها لوجه بهدف استجوابهم.

في مكان يجمع المبحوثين. يمكننا التوجه إلى المكان الذي نلتقي فيه بكل المبحوثين سواء بكيفية غير منظمة، مثلا الطلبة في مكتبة، أو بكيفية منظمة، مثلا الطلبة في القسم. في هذه الحالة الأخيرة إذا تم التقديم بكيفية جيدة ومشوقة، فإن رفض الإجابة سيكون لا محالة استثنائيا، وفي العكس ينبغي توقع الحصول على عدد كبير من حالات الرفض.

بواسطة الهاتف. يمكننا الاكتفاء بالاتصال هاتفيا بالمبحوثين. يكلف المستجوب المتصل هاتفيا مرتين أقل من المستجوب الذي يقوم بملء الاستمارة بحضور المبحوث، ولهذا السبب بالذات تتم الاستبارات عموما بواسطة الهاتف. زيادة على ذلك يمكن جمع المستجوبين في مكان واحد والتأكد بذلك من التنسيق الجيد وتوحيد العملية، ومع ذلك ينبغي إدراك أننا لا نستطيع الاتصال بكل المبحوثين بمساعدة الدليل الهاتفي الذي يبقى رغم ذلك الأكثر استعمالا أثناء القيام بالاستبارات.. هكذا، فإن ما يقرب من 20 % من المشتركين في الهاتف في أمريكا الشمالية ليسوا مسجلين في الدليل لأسباب متعددة، من بينها سرية الأرقام والترقيمات الجديدة، وأن أكثر من 5 % من المواطنين الأكثر فقرا والذين يعيشون أساسا في أوساط ريفية لا يمكن الاتصال بهم عن طريق هذه الوسيلة (Blais 1987 : 323) ومع ذلك سيظل الهاتف الوسيلة المريحة والأكثر ملاءمة عندما يتعلق الأمر بإجراء الاتصال بعدد كبير.

بواسطة البريد. إن توزيع الاستمارات يمكن أن يتم أيضا عن طريق البريد؛ إلا أن نسبة الإجابة تكون متغيرة جدا، أي من 10 % إلى 90 %. وبالأحرى ستكون لدينا إجابات أكثر عندما نتوجه إلى السكان المتعلمين أكثر، مثلا الذين تجاوزوا المرحلة الثانوية، أو عندما نتوجه إلى السكان الأكثر انسجاما، مثلا أعضاء نادي ما، خاصة إذا كنا قد تحصلنا على رخصة من طرف النادي وأنه يمكننا الإشارة إلى ذلك أثناء تقديم الاستمارة. ماعدى هذه الحالات، لا ينبغي أن ننتظر أن يتجاوز عدد المجيبين نسبة 20 %، وبالتكرار سترتفع الإجابات بنسبة 20 % على الأقل (Baker 1988) . من جهة أخرى فإن إدراج الظرف البريدي الذي سيعيد بواسطته المبحوث إرسال الاستمارة، سيشجع هذا الأخير أكثر على ملئها وإرسالها.

بمقر السكن. يمكن توزيع الاستمارة على المبحوثين بمقر سكناهم. ونظرا إلى التكاليف التي تتطلبها التنقلات، من حيث الوقت والمال، فإنه



نادرا ما يلجأ إلى هذه الطريقة، غير أن نسبة الإجابات ستكون من دون شك أكثر ارتفاعا مما لو تم ذلك بواسطة البريد، بسبب الاتصال المحتمل بالمخبرين وتحديد فترة معينة قبل عودتنا لاستلام الاستمارات.

وجها لوجه. في إمكاننا الذهاب لملاقاة المبحوثين وإجراء مقابلة معهم وجها لوجه. يتطلب هذا النوع من الإجراء توفر بعض الوقت، وذلك حسب عدد الأسئلة. وتتطلب طريقة الاستمارة عادة مدة أطول من طريقة السَبر نظرا إلى الميزة الذاتية والمتنوعة للأسئلة عامة. يمكن أن تصل نسبة الاجابات إلى حوالي 70 %.

أنظر الفصل 7، «موضوع الأسئلة، وعدد الأسئلة».

صفات المحقق أو المحققة

أثناء عملية ملء الاستمارة بالمقابلة فإن معظم الصفات المطلوب توفرها في المستجوب تنطبق على المحقق أو المحققة. كما ينبغي أن يكون التحكم في وثيقة الأسئلة جيدا لأن الأسئلة ستعرض بكيفية سريعة، وأن الإجابات عنها ستكون مختصرة ؛ وفي نفس الوقت الذي نقوم فيه بتسجيل الأجوبة، لابد أن نكون مستعدين لطرح السؤال الموالي حتى نتجنب نفاذ صبر مخاطبنا ؛ وينبغي علينا أن نطرح أسئلتنا بكل هدوء، وبوضوح وحرفيا. إننا في حالة الاستمارة بالمقابلة نفتقر إلى الحرية، التي تتوفر لدينا في حالة مقابلة البحث، وذلك باعادة صياغة السؤال غير المفهوم بوجه آخر ؛ وكل ما نستطيع فعله حقا هو تكراره أو إعطاء الشروحات المحددة سابقا. وفعلا ولكي تكون الإجابات قابلة للمقارنة، فينبغي أن تكون الأسئلة هي نفسها بالضبط من مبحوث إلى آخر. كذلك، ينبغي أن نقرأ اختيار الإجابات المقترحة عن كل سؤال بكل هدوء ووضوح وحرفيا. فإذا كان هذا الاختيار يتضمن أكثر من ثلاثة احتمالات، فمن الأفضل كتابتها في بطاقة ستقدم إلى المبحوث، وبالتالي التأكد من أنه سيجيب من دون أن ينسى أي شيء. أما إذا كانت الاستمارة تتضمن بعض الأسئلة المفتوحة، فلابد من نسخ الإجابات حرفيا. أخيرا، فمن الأفضل مراجعة مجمل وثيقة الاستمارة في النهاية، للتأكد من أننا لم ننس طرح أي سؤال أو تسجيل الإجابة عنه.

أنظر في هذا الفصل، «صفات المستجوب أو المستجوبة».

أما إذا جرى التحقيق عن طريق الهاتف فأثناء القيام، مثلا، بسبر، ينبغي التأكد كذلك من متابعة المبحوث لنا، وحرصنا على اهتمامه

بالأسئلة، وذلك لكي نتفادى توقفه عن الإجابة. هكذا يمكننا في بعض الأحيان أن نطرح عليه السؤال الآتي : « هل أنت معي ؟» أو « هل تريد أن نتحدث ببطء أكثر ؟» وذلك حسب ما نشعر به نحو المبحوث.

أما إذا تعلق الأمر باستمارة الملء الذاتي، فينبغي التصريح حرفيا بالتقديم (présentation) كما أعددناه، لأن الرسالة ينبغي أن تكون هي نفسها للجميع. فإذا ما توجهنا إلى مجموعة ما فلابد من التأكد أن كل واحد من أعضائها قد فهم جيدا ما سنقوم به قبل توزيع النسخ، ثم نقوم بعد ذلك بالإجابة عن الأسئلة الفردية عندما تطرح علينا. ومع هذا فإننا لا نستطيع تجاوز إطار ما يمكننا قوله لكوننا نريد الحصول على معطيات قابلة للمقارنة، فينبغي إخضاع الجميع لنفس الأسئلة. أما بالنسبة إلى الذين يتخلفون عن الوقت المحدد، فيمكننا أن نختصر أكثر، ونكتفي بأن نطلب منهم القراءة المتأنية للتقديم المكتوب في وثيقة الأسئلة. إن آخر عنصر مهم هنا هو : أن يدرك كل شخص وبدقة ما يجب عليه فعله عند الانتهاء من الإجابة، وهذه المعلومة تعطى إما في نهاية الاستمارة، أو يتم توضيحها شفويا للجميع قبل إقبالهم على إرجاع هذه الأخيرة. إننا نتصرف دائما بنفس الكيفية ؛ أما إذا قمنا بالعمل مع محققين آخرين، أي ضمن فرقة، فيجب الاتفاق الواضح حول هذه الأمور للتأكد من درجة **ثبات الأداة**.

أنظر الفصل 8، «نص تقديم الاستمارة».

ثبات
خاصية بحث يتم ضمانها باستعمال أداة لجمع المعطيات بنفس الطريقة خلال كل فترة الجمع.

التجريب

يتطلب السير اللائق للتجريب منح اهتمام خاص بالمحيط الذي تجرى فيه التجربة، وذلك للحفاظ على الظروف المشابهة. وينبغي أن نحرص أشد الحرص على عدم التأثير في المشاركين. لكن قبل ذلك لابد علينا من معرفة كيفية جلب اهتمام الأشخاص حتى يقبلون بالتطوع للتجربة.

أنظر الفصل 8، «نص تقديم الاستمارة».

عرض التجربة على العناصر

عندما نتصل بالأشخاص لنطلب منهم المشاركة في تجربة، فإن القاعدة الأولى هي من دون شك إثارة اهتمامهم وفي نفس الوقت إزالة شكوكهم وتخوفاتهم مما هو مجهول. وحتى يكون ذلك، سنستفيد كثيرا إن أبدينا قليلا من الحماس، مع توضيح إلى أدنى حد المهمة أو على الأقل

المهارات المطلوبة. ولإيقاظ الاهتمام لدى المشاركين المحتملين، فإننا نستطيع استعمال نفس الحجج سواء فيما يتعلق بالاستمارة أو بالاستبار : أهمية البحث، المساعدة المطلوبة، إلخ. مثلا عرض بحث حول الانطباعات المرئية ممكن أن يتم كما هو موضح في الشكل 3.10.

شكل 3.10

التقديم لتجربة

يومك سعيد،

إننا نريد القيام بتجربة مثيرة. إنها لا تتضمن أي خطر وإننا في حاجة إلى مساعدتك. يتعلق الأمر فقط باختبار الرسومات خلال خمس عشرة دقيقة. وإبلاغنا بما شد انتباهكم. نعدكم أننا لن نشير إلى هويتكم. هل يمكنكم الحضور؟

(مع إلحاق معلومات حول المكان والساعة، إلخ.).

تتمثل الصعوبة، عندما يتعلق الأمر بالتجربة، سواء تمت في الميدان أو في المخبر، في التخلص من ذلك الانطباع الموجود لدى الأشخاص والذي قد يوحي لهم أننا سنستخدمهم دون احترام أو اعتبار. بالعكس، يتمثل العنصر المحرض أكثر عادة في قيامنا بوخز فضوليتهم للوصول إلى وضع نادر أكثر من ذلك الذي نجده باستعمالنا لتقنيات البحث الأكثر تداولا. في هذا السياق لابد من إيجاد الوسيلة لتحقيق التوازن بين هذه العناصر المتنوعة للحصول على قبولهم المشاركة في التجربة. لقد أشرنا في التقديم المتضمن في الشكل 3.10 نوعا ما إلى المهمة التي ينبغي القيام بها لتقليص تخوف المبحوثين من التجربة. إن هذا التدقيق ليس ضروريا في كل مرة لاستمالة المتطوعين وجعلهم يقبلون الانضمام إلى التجربة. وفي نفس الوقت، فقد تتطلب منا المهمة أحيانا ألا نشير في البداية إلى أي شيء من هذا القبيل. إن تقييم الوضع الملائم أكثر للتجربة هو الذي يسمح لنا في الأخير باتخاذ القرار. يبقى الأهم متمثلا في إيقاظ اهتمام المبحوثين بالتجربة وإزالة شكوكهم وتخوفهم منها.

الاحتفاظ بالشروط المشابهة

لكي تكون التجربة ناجحة، لابد من التحقق من مدى ملاءمة المحيط سواء تمت التجربة في المخبر أو في الميدان، والتأكد كذلك من توفر أماك إنجازها طوال فترة التجربة هذه، وأنه لا وجود لأشخاص لسنا بحاج إليهم أو أشياء ليس لها فائدة لهذه التجربة، وأن تكون الإضاءة مضبوط بإحكام، مع انعدام الضجيج، وأن العناصر أو مجموعات العناصر ستخضع للتجربة المتوقعة في نفس المحيط أو في قاعات متشابهة. كم ينبغي، في حالة الانتظار أمام مدخل المخبر، أن نعمل كل ما يوسع للحيلولة دون وقوع تأثيرات بين المتطوعين مثل تسرب الاقتراحات بين الأفراد، وأن نمنع وقوع أي اتصال بين الأوائل عند خروجهم والموالين لهم

من جهة أخرى، فمن الأفضل التقريب قدر الإمكان بين الأوقات المختلفة للتجريب، ما عدا في بعض الظروف الخاصة، وذلك حتى لا نضيّ العناصر، ونتجنب بالتالي تدخل متغير جديد، مثل التغيرات في حال العناصر أو فيما كانوا قد عايشوه في تلك الفترة إذا ما تعلق الأمر بنفس الأشخاص. وينبغي التأكد، أيضا، أن العتاد والأجهزة، إذا كانت موجودة قد بقيت ثابتة في شكلها ومضمونها حتى يكون السحب موحدا. أما إذا ما حصل فيها إتلاف فالأمر يقتضي استبدالها في الحال. يضاف إلى هذا وفي حالة ما إذا كان النظام الذي تجرى فيه التجربة من شأنه أن يجعلنا نتوقع أن تلك المرحلة القَبْلِيَّة قد تكون لها آثارا في المرحلة اللاحقة وذلك بأن تجعل منها مجرد أمر بسيط وقليل الأهمية، مثلا، فينبغي علينا إذن القيام بتعديل نظام العرض أو التنفيذ بين المشاركين، وبالتالي سنتأكد من أن طريقة العرض أو التنفيذ لا تؤثر في العناصر.

التأثيرات التي يجب اقصائها

للتأكد من تقييم علمي جيد، لابد من عدم ترك عناصر التجربة يتصرفون وفقا لما يعتقدون أننا نتوقعه منهم بدلا من ترك ذلك للتجربة. إذ يمكن أن توحي العناصر أنها تتصرف بطريقة جد خاصة. هكذا فقد يدفع عنصرا ما بنفسه إلى أبعد من قدراته العادية، أثناء القيام بتجربة حول مدى التحمل والصبر، لكونه يعتقد أنه قد استدعي للقيام بذلك، ولكونه يعلم أنه موجود في المجموعة التجريبية. ولتجنب مثل هذا النوع

من الظواهر البسيكولوجية، فإننا نستخدم **تقنية العمى البسيط** (technique du simple aveugle)، أي لا نكشف للعناصر إن كانوا في المجموعة التجريبية أو في مجموعة المراقبة. إذا كان في إمكاننا ذلك، عندما يكون العمل يجري في الميدان مثلا، فإننا سنحاول أن نجعل العناصر بكيفية ما تجهل أنها تشارك في التجربة. بعد التجربة، فإننا سنطلب من المشاركين أن يعبروا عن شعورهم. إنها طريقة لمراقبة المعلومات المتحصل عليها والمستعملة أكثر فأكثر ليس فقط في التجريب ولكن أيضا في البحوث الكيفية التي تهتم بالمعاني التي يمنحها المبحوثين لأفعالهم. هكذا سنتحصل على معلومات من المبحوثين أنفسهم حول ما أثر فيهم أثناء التجربة وهذا ما يجعلنا نتجنب التأويلات الخاطئة فيما بعد.

تقنية العمى البسيط
إمكانية يستعان بها، تجعل عناصر التجربة لا يعرفون إلى أية مجموعة ينتمون.

إذا استطعنا بذلك معالجة المشاكل الناجمة عن الافتراض الذاتي فستبقى بعد كل ذلك الافتراضات التي يمكننا نقلها أو تحويلها دون علمنا. يمكننا مثلا إظهار أمام مجموعة تجريبية اهتمامنا بما يدفع هذه الأخيرة للتصرف خارج ماهو مألوف أو للذهاب في اتجاه ما كنا نريد أن يقع. لتجنب هذا التأثير المحتمل من طرف القائم بالتجربة، فاننا سنستخدم هذه المرة **تقنية العمى المزدوج** (technique du double aveugle)، أي ليس فقط عدم معرفة العناصر إن كانوا ضمن المجموعة التجريبية أو في مجموعة المراقبة، لكن نحن أيضا نجهل ذلك. إننا نكلف شخصا آخر بمهمة إبلاغنا بعد التجربة، لأننا لا نستطيع، ولو عن غير وعي، أن نتصرف بطريقة مختلفة مع هذه المجموعة أو تلك. في نفس المعنى، وبمساعدة الحاسوب فإننا نستطيع إرسال المنشط أو المنبه دون تدخل إنساني مباشر والتقليص إلى أدنى حد من التأثير الواعي أو غير الواعي في العنصر من طرف القائم بالتجربة.

تقنية العمى المزدوج
إمكانية تستعمل بطريقة تجعل كل الأشخاص الخاضعين للتجربة والقائمين بها لا يعرفون من هي المجموعة التجريبية ومن هي مجموعة المراقبة.

استعمال التقنيات غير المباشرة

يمكننا أخذ المعلومات من الوثائق بواسطة التقنيات غير المباشرة حيث يجب أن نفهم جيدا في البداية محتوى هذه الوثائق. فبالنسبة إلى المعلومات غير الرقمية، فإن تحليل محتواها يتطلب بصفة خاصة مرونة ومثابرة. أما فيما يخص المعلومات الرقمية فإن تحليل الاحصائيات يتطلب أولا قراءة جيدة، ثم أخذ وحدات غير مُجَمَّعة قدر الإمكان.

دراسة الوثائق

أنظر الفصل 5، «نقد الوثائق وانتقائها».

قبل كل شيء، وإن كنا نعمل ضمن فرقة، لابد من التأكد من الفهم المشترك لما يجب سحبه. يمكننا عقد لقاء أو لقاءات لحصر طبيعة القنار أو السلسلات الرقمية وذلك بحسب التقنية المستعملة. ثم، إذا كانت الوثائق في حوزتنا، يمكننا الشروع في استغلالها بمساعدة الأداة التي نستعملها في جمع المعطيات. إذا كان لابد علينا أن نتوجه إلى مكتبة أو إلى مركز وثائقي، يجب علينا التأكد من الدخول إليهما دون صعوبات، وينصح أن يتصل الباحث في عين المكان بالشخص المسؤول عن المركز أو عن القاعة وإطلاعه أو تذكيره بطبيعة بحثه ليتمكن من الحصول على كل المساعدة الضرورية. إذا كان ذلك قد تم أثناء عملية انتقاء الوثائق، فإنه لا ينبغي التقليل من أهمية هذه المساعدة التي يمكن أن تكون أساسية في بعض الحالات لنجاح البحث. إن هذا المتخصص في علم المكتبات أو تسييرها قد يساعدنا، مثلا، على تجنب الضياع في متاهة المنشورات الحكومية أو الإحصائيات الجاهزة.

إذا كان لابد من تحسين أداة جمع المعطيات، فهذا هو الوقت المناسب للتمكن من استخراج كل ما توفره الوثائق من إمكانيات بهدف إثراء مشكلة الدراسة.

تحليل المحتوى

عندما نقوم باستخراج المعطيات الموجودة في الوثائق بواسطة فئات التحليل،، فيجب علينا أن نتكب على التحقق إن كنا نسحب دائما بنفس الطريقة، وإذا كنا نعمل ضمن فرقة، فهل تتم العملية بنفس الطريقة بالنسبة إلى كل مُرَمِّز. تتطلب هذه التقنية من جهة مرونة في التطبيق لنأخذ بعين الاعتبار فحوى أو مضمون ما وجدنا، والذي لا يتطابق بالضرورة دائما مع ما كنا قد توقعناه، ومن جهة أخرى، قد يكون ضروريا اختيار، في بعض الحالات، مصدر المعلومات.

ثبات لدى المرمز بينه وبين المرمزين الآخرين

أنظر الفصل 8، «وحدات الدلالة».

إن سحب وحدات الدلالة انطلاقا من فئات تم إنشاؤها يتضمن فحصا جيدا للمحتويات، وأن يكون سحبنا دائما بنفس الطريقة أو الكيفية، وأن

نحتفظ في أذهاننا بنفس المعنى لكل فئة وأن نبقى حذرين خلال مسار العمل كله. لضمان هذا الثبات في الحكم، لابد من استخدام وسيلة مراقبة يمكن التحقق بواسطتها إن كنا مستقرين وثابتين في عمليات السحب. للقيام بذلك، بعد مرور بعض الوقت، نأخذ وثيقة ما من جديد، سبق وأن قمنا بترميزها، للنظر فيما بعد إذا كنا نرمز دائما بنفس الطريقة مثلما حدث في المرة الاولى ؛ فإذا ما ظهرت فوارق طفيفة، فيمكننا الحديث إذن عن **الثبات لدى المرمز**. أما إذا ظهرت اختلافات هامة والتي قد تكون لها تأثيرات معتبرة في نتائج العمل كله، فلابد علينا من مراجعة التحليل مع مراعاتنا في هذه الحال الكشف أولا عمن تسبب في نقص الثبات. أما إذا كان المشكل يعود إلى قلة الاهتمام أو إلى العياء فإن ذلك سيتم تصحيحه بسهولة. ينبغي أن نكون يقظين جدا أثناء قيامنا بتعديل هذه الوضعية . إذا كان المشكل ناشئا عن غموض في التفيئة، فلا فائدة من مواصلة العمل قبل القيام بتوضيح الفئة أو الفئات المعنية. أما إذا كان عدم الثبات يعود إلى فئة غير حصرية أو إلى بعض الوحدات من المادة والتي يمكن أن تكون في بعض الأحيان في أكثر من فئة واحدة، فهنا لابد أيضا من إعادة النظر في عملية التفيئة أو نقبل أن بعض الوحدات يمكن أن ترمز في موضعين مثلما هو الحال في بعض أسئلة استمارة ما والتي يمكن استثنائيا أن تقبل أكثر من جواب واحد للمبحوث.

ثبات لدى مرمز
ميزة مرمز يسحب الوحدات دائما بنفس الطريقة

أنظر الفصل 8، «صفات التفيئة الجيدة».

لما يتم تفريغ الوثائق من طرف عدة أشخاص، فلابد من ضمان **الثبات بين المرمزين**. سنسعى هكذا للبحث عن التأكد من أن كل مرمز يقوم بالترميز بنفس الطريقة وله نفس الفهم للفئات ونفس الطريقة في قراءة مضمون الوثائق. وللقيام بذلك نعطي لأكثر من مرمز، في وقت معين من بداية العمل، نفس الوثيقة، ثم نقوم بعد ذلك بالتقييم هل رمزت بالطريقة نفسها من طرف كل مرمز. إن هذا الإجراء يسمح أيضا بالتحقق من الإعداد الجيد للفئات والنظر إن كانت التعاريف واضحة ودقيقة بالنسبة إلى الجميع. في حالة وقوع نقص في الثبات بين المرمزين، فمن الأفضل إذا أن نعيد العملية لأن التحليل اللاحق سوف لن تكون له أية قيمة. لهذا ينصح بعقد لقاء مسبق مع كل المرمزين حول عملية الترميز حيث سيعبر كل واحد منهم عن تردده أو شكوكه وعدم فهمه، وذلك للوصول إلى فهم موحد لإجراء السحب الذي ينبغي أن يكسب صفة الثبات والتماثل. لاستكمال المسعى يمكن لأي مرمز أن ينتقل بعد ذلك إلى مراجعة وفحص

ثبات بين مرمزين
ميزة يحملها مرمزين أو أكثر يقومون بسحب الوحدات بنفس الطريقة.

الثبات بين المرمزين للتأكد من قدرة كل واحد منهم على القيام بالسحب بطريقة ثابتة. إن هذه المراقبات المتنوعة لصدق المعلومات المتحصل عليها ليست مجرد عمليات إضافية، بل هي تمثل أدنى حد من الموضوعية الواجب ضمانها في مثل هذا النوع من التقنيات.

استعمال مرن

نظرا إلى كون البحث الكيفي يتميز بالذهاب والإياب بين السحب والتحليل، فإن المرونة هي إذا ملازمة للعمل المتأني والمتعمق. وستبقى أغلبية فئات تحليل الوثائق كما هي إذا ما تم إعدادها بعناية. غير أنه يمكن أن تظهر إحدى هذه الفئات، أثناء مطالعة المحتويات، غير ذات دلالة. لابد أن تكون لنا إذن القدرة للقيام بالتعديلات المفروضة لتفادي إجراء سحب غير ملائم. إن هذه الضرورة لتعديل فئة ما يمكن أن تكون مرتبطة أيضا بما يكتشف في محتويات المواد من عناصر دالة بالنسبة إلى تعريف المشكلة. غير أن مثل هذه التعديلات استثنائية خاصة في البحث الكيفي لأن بناء الفئات سمح بتحضير الوثائق، وعليه يكون الجزء الأساسي من عملية التفيئة قد تم تحديده. لكن سيكون هناك نوع من تفقير التحليل في حالة عدم أخذ بعين الاعتبار العناصر الجديدة. فالمطلوب إذا هو إعداد ما يسمى بالفئة الإضافية التي تسمح بعدم تجاهل أي شيء مهم. وقد تم تخصيص حيزا لهذا الغرض في حالة ما إذا استعملنا ورقة الترميز. أما إذا استعملنا البطاقات، فينبغي أن تتم مراجعتها، ويعاد تنظيمها عند الحاجة وعند الاقتضاء ولابد ربما من تحرير بطاقات جديدة بعد قراءة بعض الوثائق الأكثر تعقيدا والأكثر كثافة.

أنظر الفصل 8، «صفات التفيئة الجيدة».

أنظر الفصل 8، «ورقة الترميز».

مراجعة البطاقات. بعد قيامنا بتحرير بطاقات حول وثيقة خاصة، فإن مراجعة ما قمنا بكتابته تصبح ضرورية ويجب أن تتم في أقرب وقت ممكن. يتعلق الأمر هنا بإعادة النظر فيها واستكمالها إن كان لابد من إضافة (بقلم رصاص ذو لون مختلف أو بوضع خط أو ملاحظة تسجل في الهامش) تدقيقات حول معنى ما يوجد بها ؛ وتستخدم هذه التدقيقات كتذكير مساعد، كما أنها تسمح، عند الاقتضاء، للزملاء الذين يريدون الاطلاع على البطاقات أن يفهمونها.

ترتيب البطاقات. إن فئات التحليل التي تم انتقاؤها في البداية هي بمثابة دليل في إنشاء نظام ترتيب البطاقات. بمجرد ما ننتهي من ترتيب

عدد لا بأس به من البطاقات، لابد من التحقق إن كان الأمر يقتضي تعديل الترتيب على ضوء الاكتشافات التي تم التوصل إليها من خلال الوثائق. أما إذا كنا نعمل ضمن فرقة فمن المهم أن يحصل إجماع وفهم متبادل حول هذا الترتيب الجديد قبل إعادته.

إعادة قراءة بطاقات جديدة وكتابتها . أخيرا وبالنسبة إلى الوثائق التي تظهر بصفة خاصة أنها معقدة وكثيفة، فمن الضروري إعادة قراءتها. إن هذه القراءة الثانية ستسمح، عندما لا يكون لدينا أي اهتمام بما كنا قد سجلناه، بأن نكون أكثر انتباه لشيء آخر. إن هذا الشيء الآخر يمكن أن يأتي من النضج حول الموضوع بعد المعرفة الجيدة للمشكلة، وللتفاصيل التي لم نتوقف عندها الآن وكذا للمهارة الكبيرة لتقصي الواقع وكشفه. هكذا ينبغي الاستمرار في كتابة البطاقات الجديدة .

التصديق

عند فحص الوثائق، خاصة في البحث التاريخي، فإن ذلك قد يؤدي بنا إلى التساؤل عن الثقة الممنوحة لبعض المقاطع التي تروي حدثا ما نريد الحديث عنه لأول مرة. لابد أن نكون إذن حذرين ونحاول إعطاء شرعية لهذه المعلومة ؛ والإجراء الذي نقوم بواسطته بهذا التحقق يسمى **التصديق**. زيادة على التحقق إن كان المصدر يروي حدثا، كان هو نفسه شاهدا عليه، أو أبلغ به عن طريق آخرين، وإذا لم يتناقض هذا المصدر عندما يروي هذا الحدث مع ما يقوله في أجزاء أخرى من الوثيقة، فالأمر يقتضي، لتصديقه، التحقق إن كانت مصادر أخرى تؤكد ما رواه المصدر الأصلي. هكذا نضمن درجة كبيرة من الثقة فيما نأخذه للدراسة.

تصديق
تأكيد صدق حدث متحصل عليه عن طريق دراسة عدة وثائق تذكر هذا الحدث

تحليل الإحصائيات

أثناء سحبنا لمعلومات رقمية فإن العمل يتمثل في معرفة عميقة لمعاني المعطيات التي نقوم بفحصها والتي نجمعها تحت أشكال موحدة قدر الإمكان.

القراءة الجيدة للأرقام

لدينا بين أيدينا عد سلسلات الأرقام التي نريد جمعها. يتعلق الأمر حينئذ بسحبها والتأكد من الاستيعاب الجيد لمعنى هذه المعطيات الرقمية

انظر الفصل 8، «بناء السلسلات الرقمية».

في الوثائق التي نقوم بفحصها. مثلا، هل هذه المعطيات هي بالآلاف أو بالملايين؟ هل يتخذ بعضها كمرجعية له سنة التقويم (l'année du calendrier) والسنة الدراسية. هل يتعلق الأمر بالمعطيات التي تغطي نفس الفترة الزمنية. ماذا تعني الفئات التي تنطوي على هذه الأرقام ؟ بكلمات أخرى، لابد من القراءة الجيدة ليس فقط للأرقام وقيمتها ولكن أيضا للكيفية التي رتبت وفقها وكذلك معنى الترتيب والاتجاه الذي توجد ضمنه.

إذا ما بقيت بعض النقاط غامضة أو بقينا حائرين حول الطريقة التي جمعت وفقها، فيمكننا الاستعلام لدى الهيئات التي أنتجت هذه المعطيات ؛ وعادة ما نجد كل المساعدة الضرورية للفهم الشامل لقيمة المعطيات الرقمية التي ننوي استخدامها. إن المعرفة الدقيقة للسياق الذي أنتجت فيه الأرقام المتوفرة هو ضمان لاستعمالها الملائم وصحة المعالجة التي تكون موضوعا لها فيما بعد لإعادة صياغتها من زاوية الفرضية التي نقوم بالتحقق منها ؛ وعلى هذا المستوى لابد أن نكون حذرين جدا.

السحب الموحد

أنظر الفصل 7، «فائدة المصادر».

أثناء عملية السحب، لابد كذلك، في حدود الإمكان، من جمع معطيات موحدة، لأن مثل هذه المعطيات هي التي ستسمح لنا فيما بعد بإقامة الجداول بسهولة كبيرة. إذا كان الأمر يتعلق مثلا بدراسة حول المساعدة المالية للطلاب من طرف الحكومة والممتدة على فترة خمسين سنة والتي نتحصل خلال كل سنة منها على معطيات حول عدد المستفيدين والمبلغ المدفوع بترخيصات حكومية متنوعة، فالأفضل ألا نجمع في الحال السنوات في فترات، لأن ذلك سيجعلنا نفقد إمكانية التحليل الدقيق والشامل فيما بعد والذي يكون في هذه الحالة بمثابة مقارنة بالتقلبات في تكلفة الحياة في كل سنة. ما ينصح به إذن هو انتظار المرحلة الموالية للجمع بين المعطيات التي تم الحصول عليها.

في نفس المعنى، وإذا ما تحصلنا على معطيات من بطاقية مسجلة في الإعلام الآلي، فستظهر عادة تحت شكل موحد، أي أنه غير مجمع، وتسمى هذه المعطيات أيضا بالمعطيات الجزئية (microdonnée). يقتضي الأمر إذن الاحتفاظ بها كما هي للسماح بالتغييرات التي قد تجرى عليها لاحقا

والتي يتطلبها تعريفنا للمشكلة. بالموازاة مع ذلك فسنتعود، إن لم يكن ذلك قد تم، مع نظام البرمجة الإعلامية الذي يعطينا منافذ إلى هذه المعطيات لمعرفة كل إمكانيات التغييرات التي يمكننا القيام بها. من ناحية أخرى، فإن الضبط القادم لتقنية الإعلام الآلي **لإدماج المعطيات** يستطيع حسب Gauthier و Turgeon (1992 : 479) أن يأخذ «تطورا مذهلا»، وهكذا يمكن لقاعدتين أو أكثر للمعلومات أن تترابط فيما بينها وتؤدي إلى إمكانية سحب غير معتادة. باختصار، ينبغي أن نسحب مع الاحتفاظ فقط بالسلسلات الرقمية الملائمة لمشكلة البحث، وذلك بالإبقاء عليها في شكل موحد لأطول مدة ممكنة وتوقع إمكانيات دمجها.

إدماج المعطيات
تقنية إعلام آلية للربط بين بنكين من بنوك المعلومات أو أكثر.

خاتمة

إن فترة استعمال تقنية البحث هذه أو تلك هي فترة حاسمة. هكذا سنغوص في الواقع ونتطلع إلى أخذ أكبر قدر ممكن من المعلومات للإجابة عن مشكلة بحثنا، إنها مرحلة اللارجوع التي لا يمكننا تكرارها، وذلك بسبب الوقت الذي تتطلبه والتكاليف المنطوية وإمكانيات التكرار المحدودة. لابد إذاً من عدم إهمال أي شيء، لأنه مهما كانت المعطيات التي تم جمعها سواء كانت منتظرة أم لا، فهي تعمل على إخصاب البحث العلمي الجاري بدرجة كبيرة. يكون في المرحلة اللاحقة التحليل والتأويل متينين كلما ارتكزا على معطيات نابعة من استعمال ناجح لأداة الجمع.

ملخص

مصطلحات أساسية

- صدق
- تشبع المصادر
- ثبات
- مخبر أساسي
- تقنية العمى البسيط
- تقنية العمى المزدوج
- ثبات لدى مرمز
- ثبات بين مرمزين
- تصديق
- إدماج المعطيات

يتوقف نجاح عملية جمع المعطيات على التخطيط المحكم لها. إن رزنامة فترات الجمع والنشاطات المتصلة بها هي وسيلة لا غنى عنها تسمح باحترام الآجال المحددة.

عندما نستعمل تقنية مباشرة، فلابد، عند الاقتضاء، من حث الأشخاص الذين نتصل بفضلهم بمجموعة البحث المستهدفة أو العناصر المدروسة في حد ذاتها على الانطلاق من جديد، وأن نعقد مع زملائنا جلسة إعلامية لضمان فهم موحد لطريقة التدخل، وإمضاء تعهد يلتزم باحترام المشاركين والتحضير الجيد للقاءات. لكي يكون التدخل جيداً، لابد من توفير جو من الثقة التي من دونها لن نكون متأكدين من التعاون

الضروري للمخبرين والتأكد من أننا قد اتخذنا كل التدابير المطلوبة لسير اللقاء أو الملاحظة، وإخضاع كل المبحوثين للشروط المتشابهة والمطلوبة من طرف البحث.

عندما نلتقي بالأشخاص، فإن نوعية العلاقة الإنسانية التي نقيمها ستحدد، إلى حد ما، نوعية المعطيات التي سنقوم بجمعها. إن تعاون هؤلاء الأفراد سيكون أفضل كلما كان إعلامنا لهم جيدا وكانت أسرارهم مضمونة وكلما أصغينا إليهم حقا. إن الرخص المطلوبة، احترام المواعيد المتفق عليها والمدة المحددة تدخل كلها كذلك في نوعية العلاقة المطلوب إقامتها. ينبغي علينا التأكد كذلك من أن كل الأفراد خاضعون لنفس شروط استعمال الأداة، وهذا يتطلب، عندما يقوم بالبحث فرقة، تنظيم جلسات إعلامية مشتركة ومسبقة وذلك لجعل كل واحد يعمل بنفس الطريقة في الواقع.

حتى يستخدم تقنية الملاحظة في عين المكان بصفة فعالة، على الباحث أن يراعي كيفية اقترابه من المبحوثين ؛ ومن الضروري من جهة أخرى الاحتفاظ بعلاقات حسنة مع الاشخاص الأساسيين من الوسط للتقليص إلى أقصى حد من العراقيل التي قد تحول دون قبوله في المجموعة محل الملاحظة. إننا نسجل بعض الملاحظات في عين المكان إذا كان ذلك ضروريا (شبكة الملاحظة) أو ممكن القيام به (دفتر المشاهدات)، وإلا فلابد من كتابتها في أقرب وقت ممكن بعد الملاحظة وذلك حتى لا يضيع منا ثراؤها. لابد من تنمية صفات خاصة تهدف إلى جعل الباحث مقبولا من طرف المجموعة التي يجرى عليها البحث دون الخضوع لها ؛ وفي معرض هذا الحديث، لابد من الاحتفاظ بمسافة معينة بين الباحث وهذه المجموعة لتفادي إهمال ما يعطي الطابع المتميّز لهذه العلاقة.

من أجل الاستعمال الفعال لتقنية مقابلة البحث، لابد ألا نهمل الاتصال الأول بالشخص الذي اقتربنا منه لمخاطبته، لأنه سيعطي للقاء المقبل نبرته وسيضمن لنا النجاح إلى حد كبير. ينبغي اكتساب بعض الخصائص الإنسانية، مثل القدرة على كسب الثقة، التفتح على الآخر، التحكم في ردود الأفعال، التطابق مع الغير واحترام فترات الصمت عند المستجوب. أثناء إجراء المقابلة، لابد من المحافظة على درجة من

التوجيهية تكون لها علاقة بالتدقيقات التي نحن في حاجة إليها مع تركنا للمبحوث أكبر قدر من حرية التصرف. إن التحكم في مخطط أودليل المقابلة ضروري لأنه يسمح لنا أن نكون أكثر انتباه للأقوال التي يصرح بها المستجوب وكذلك لما لم يتم التلفظ به. إن نهاية المقابلة هي الأخرى يجب الاهتمام بها من أجل إنهاء الاتصال بصفة جيدة، والسماح لظهور بعض الأقوال التي لم يتم التعبير عنها إلى حد الآن.

من أجل الاستعمال الفعال لتقنية الاستمارة، لابد علينا، في حالة الاستمارة بالمقابلة، أن نبدي تطابقا مع الغير والتحكم في وثيقة الأسئلة. ذلك حتى نكون دائما على استعداد للمواصلة مع عدم الضغط على المبحوث والتمسك التام بنص الأسئلة المدونة والأجوبة المقترحة وتسجيل الأجوبة عن الأسئلة المقترحة وتسجيل الأجوبة عن الأسئلة المفتوحة كلمة بكلمة عند الاقتضاء. أما في المقابلة عن طريق الهاتف، فالأفضل التأكد من أننا أبقينا على اهتمام مخاطبنا أو مخاطبتنا وهل الإلقاء يناسبه ومن عدم إطالتنا الحديث من دون أي مبرّر لان ذلك قد يؤدي إلى توقف هذا الحديث وانقطاعه. أما في حالة استمارة الملء الذاتي، فينبغي التأكد من أن التقديم الشفهي يتطابق مع التقديم المحضر أثناء إعداد الوثيقة، مع تحديد من ستقدم لهم في النهاية. لابد كذلك من ضمان أن كل المحققين (الذين يقومون بالبحث) يعملون بنفس الطريقة من أجل المقارنة اللاحقة بين المعطيات. أما فيما يخص التقصي عن طريق البريد فالأمر يقتضي تسهيل عودة الاستمارة.

من أجل الاستعمال الفعال لتقنية التجريب، لابد أولا من إقناع عناصر التجربة أنه ستمنح لهم فرصة إثارة اهتماماتهم مع إزالة سوء فهمهم أو تخوفهم وكذلك الاحتفاظ بالظروف المشابهة خلال طول مرحلة إجراء التجربة : عدم وجود أشياء غير ضرورية، نفس الشروط لكل مشارك حسب مجموعته، ليس هناك تأثيرات بين العناصر وتوفر مكان خلال كل فترة التجربة. لمراقبة أمانة الاختبارات والتجربة، يقتضي الأمر عدم ترك مجال زمني كبير بين مختلف فترات التجريب والتحقق من ثبات أدوات التجريب ونظام التقديم من عنصر إلى آخر عندما يكون لهذا النظام احتمال التأثير في مواقف العناصر. زيادة على ذلك، ينبغي إبْعَادُ بعض التأثيرات. فهناك، من جهة، الإيحاء الذاتي الذي يمكن أن يؤدي بالعناصر إلى التصرف بطريقة غير عادية، ومن جهة أخرى، التأثير الذاتي، باعتبار

انه في إمكاننا التصرف خلافا لذلك حسب المجموعة التجريبية او مجموعة المراقبة ؛ ولكي نتجنب هذه الوضعيات، لابد ألا نطلع العناصر بطبيعة كل واحدة من المجموعتين، وربما حتى تَجَاهُل ذلك من طرف الباحث نفسه.

من أجل الاستعمال الفعال لتقنية تحليل المحتوى، ينبغي الاحتفاظ ببعض المرونة في استعمال الفئات. هكذا سنترك المكان للإضافة أو للتعديل في واحدة منها إذا ما بدا القيام بذلك ضروريا أثناء القراءة المعمقة للمادة. يمكننا الوصول بواسطة هذه الوسيلة إلى فهم العنصر الذي يمكن أن يكون هو المحدِّد. لابد بعد ذلك من التأكد من ثبات المرمز. لكي نضمن الثبات في الترميز ينبغي أن نقوم بترميز نفس الوثيقة في فترتين مختلفتين للتحقق إن كانت لها دائما نفس القراءة وبالتالي نقوم بتصحيحها. نظرا إلى كون السحب يتطلب عدة مرمزين، فإننا نراقب ثباتهم في السحب وذلك بجعلهم يقومون بترميز نفس الوثيقة والتأكد من أن قراءتهم لها موحدة وأن لهم نفس الفهم للعمل المطلوب منهم القيام به. أخيرا، وبالنسبة إلى الوثيقة التي تحتوي على معلومة تجعلنا في حيرة، فإن تصديقها يتضمن العمل على إثباتها عن طريق مصادر أخرى.

من أجل الاستعمال الفعال لتقنية التحليل الإحصائي، يستدعي الأمر القراءة الجيدة لمعنى المعلومات الرقمية والترتيب المتواجدة فيه. سنأخذ، زيادة على ذلك، المعطيات الجزئية في حدود الممكن، أي الأرقام غير المجمعة أو التي نستطيع الحصول عليها بصفة فردية.

أسئلة

1. قد نفكر في جمع جزء من المعلومات من مكان ما وفي ساعة معينة، غير أن الظروف لا تسمح بذلك. فهل هذا يعني أنه من غير الممكن مواصلة البحث؟ إشرح ذلك.
2. ماهي الشروط التي تساعد الأشخاص على المشاركة في بحث ما ؟
3. أذكر بدقة، من دون الخوض في التفاصيل، ثلاثة انشغالات رئيسية يجب أن تكون في أذهاننا عند قيامنا بالملاحظة في عين المكان ؟
4. أذكر بدقة، دون الدخول في التفاصيل، ثلاثة انشغالات رئيسية يجب أن تكون في أذهاننا عند قيامنا بمقابلة البحث ؟
5. حدد بدقة انشغالين هامين لدى محققة تقوم بتمرير استمارة من صنف الملء الذاتي مقارنة بمحقق يقوم بتمرير استمارة بالمقابلة ؟
6. عندما نستعد للقيام بالتجريب، حدد بدقة ماذا ينبغي علينا عدم إهماله من الشروط المحيطة بالتجربة ؟
7. ماهو الشيء الذي ينبغي التأكد منه مسبقا أثناء استعداد فرقة من الباحثين للعمل على وثائق ؟
8. ما معنى التحلي بالمرونة والثبات في نفس الوقت في تحليل المحتوى ؟
9. ما نوع المعطيات التي يجب سحبها في تحليل الإحصائيات كلما كان ذلك ممكنا ؟ إشرح.

تقرير المرحلة الثالثة

جمع المعطيات

محتوى

1. مجتمع البحث موضوع الدراسة :

- عد مقاييس التحديد ؛
- عدد إجمالي.

2. المعاينة :

- النوع المختار و تبرير ذلك ؛
- الصنف المختار وتبرير ذلك ؛
- طريقة السحب أو الانتقاء التي تم اختيارها وتوضيحات ضرورية أخرى.

3. العينة : حجم وتبرير.

4. تقرير عن عملية الجمع :

- وصف عملية الاتصال الأولي، وكذا سياق سير العملية؛
- تقييم نوعية ما تم الحصول عليه ؛
- رجوع نقدي حول استعمال التقنية.

ملاحظة

يحرر التقرير في شكل جمل.

القسم السادس

المرحلة الرابعة من البحث :

التحليل والتأويل

بعدما ننتهي من جمع المعلومات سنجد أنفسنا أمام كم كبير من المعطيات المتفرقة والمتنوعة. ضف إلى ذلك أن بعض هذه المعطيات ربما يكون قد تعرض إلى تحريف وتشويه لأسباب طارئة وعوامل غير متوقعة. باختصار، إنه من غير الممكن استخراج نتيجة مقنعة من هذه المعطيات الخام. إن المهمة الأولى التي تفرض نفسها قبل أن ننكب على معرفة المعنى الذي تتضمنه معطيات البحث هي أن نجعلها (المعطيات) قابلة للتحليل. إن طريقة فرز وترتيب المعطيات التي تم جمعها بهدف إخضاعها لتحليل دقيق سيتم التطرق إليها بالتفصيل في الفصل 11. قد يكون قد سبق لنا أن حاولنا الشروع الفوري في كتابة التقرير، غير أنه، قبل الغوص في هذه العملية، لابد من التفكير في المعنى الذي تحمله مصطلحات التحليل والتأويل وإعداد مخطط التقرير على ضوء البرهنة التي سنعتمدها والعناصر القاعدية التي ينبغي أن يتضمنها تقرير البحث. بعد ذلك يمكننا الشروع في تحرير التقرير مع أخذ بعين الاعتبار قواعد العرض والجمهور الذي سيوجه إليه هذا التقرير. سيتم التطرق إلى كل هذه الجوانب في الفصل 12. وسنلخص العمليات التي يجب القيام بها لإنجاز هذه المرحلة في الملحق 1 تحت عنوان «المراحل باختصار».

الفصل 11

تحضير المعطيات

تذكر أن المعطيات تمثل أثمن ثروة في مشروع بحثك، حافظ عليها إذا.

THERESE BAKER

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن :

- يعد دليلا للترميز ؛
- تحويل المعطيات المتحصل عليها إلى سند ملائم ؛
- تهيئة المعطيات الكمية ؛
- تهيئة المعطيات الكيفية ؛
- يعرض المعطيات التي تم تحضيرها في شكل يجعلها في متناول الباحثين و الباحثات الآخرين.

تمهيد

معطيات خام
معلومات تم الحصول عليها من الواقع المدروس ولم يجر تحويلها بعد.

بعد انتهائنا من عملية الجمع، سنجد أنفسنا أمام **معطيات خام**. قد تكون هذه المعطيات عبارة عن تسجيل لمعلومات من الملاحظة، تسجيلات لمقابلات، استمارات مملوءة، نتائج تجربة، أوراق ترميز أو إحصائيات مجمعة. غير أن تقديمها في شكلها الأولي هذا لا يجعلها قابلة للتحليل ؛ ولتصبح كذلك، لابد أولا من تنظيمها وترتيبها باللجوء إلى إجراءات الترميز والتحقق والتحويل والمراجعة بمساعدة الحاسوب. وبمجرد ترتيبها ينبغي أن تهيأ بكيفيات متنوعة : قياسات مستخلصة أو مركبة، إجراءات العرض المرئي في جداول، رسومات، أشكال بيانية، قياسات للعلاقات بين المتغيرات، إنشاء متغيرات جديدة من خلال بناء الدلائل أو تقليص الفئات والتجميع حسب المواضيع أو ما يسمى بالتكثيف.

إن مرحلة تحضير المعطيات لا ينبغي إهمالها، ذلك لأنها تسمح بإبراز كل الثراء الممكن للمعطيات الخام. لا بد من الاستعمال الدقيق والحذر لهذه المعطيات والتحقق إن كانت العمليات تجري بكيفية صحيحة مع احتفاظنا الدائم في الذهن بمشكلة البحث. تعتبر هذه المرحلة مهمة جدا لأن التحليلات الأكثر دقة أو الأكثر أصالة ستبقى عديمة الفائدة وغير صحيحة اذا لم تحضر المعطيات التي ترتكز عليها بصفة جيدة. ينبغي إذن أن تكون المعطيات الخام، وذلك حسب الحالة، مرمزة، تم التحقق منها، محولة، قابلة للمعالجة بالحاسوب، تمت مراجعتها، مستخلصة، ممثلة، تم اختبارها ومجمعة.

ترتيب المعطيات

يتضمن ترتيب المعطيات تفريغ المعطيات الخام بترميزها، ثم التحقق من نوعية المعطيات المجمعة وأخيرا تحويلها إلى سند ملائم ومراجعة النتائج.

الترميز

ترميز
إجراء لتفيئة المعطيات الخام وترقيمها.

الترميز هو الطريقة الأولى لترتيب المعطيات الخام. إنه يسمح بمنح رمز، عادة ما يكون رقما، لمجموعة من المعطيات أو لمعلومة تم الحصول عليها. إنه يبدأ بأداة الجمع التي تستخدم كقاعدة لهذا الترميز لأنه يتضمن عادة ترقيما. من جهة أخرى، فإننا نحتفظ بمجموع إجراءات الترميز في كراسة خاصة مع التأكد من احترامنا للقواعد الخاصة بالترقيم، والدلالة المعطاة للرموز ولعملية الترميز الخاصة بالإجابات عن الاسئلة المفتوحة.

الترقيم

ترقيم
منح رقم لكل عنصر منتقى من مجتمع البحث ولكل زاوية نجري من خلالها إجراء الفحص ولكل وضعية ضمن هذه الزاوية.

يتم **الترقيم** عادة على ثلاث فترات :

- نقوم أولا بترقيم العناصر المنتقاة من مجموعة البحث بالضبط، إذا لم يكن ذلك قد تم، فإننا نمنح رقما لكل استمارة أسئلة، لكل مقابلة، لكل ورقة ترميز، لكل بطاقة وثائقية، لكل شخص تمت ملاحظته أو لكل عنصر من العناصر التجريبية.
- ثم نقوم بترقيم كل خاصية أو زاوية يتم في إطارها اختبار كل عنصر من عناصر مجتمع البحث. بدقة أكثر، إذا لم يكن ذلك قد تم، نمنح رقما لكل سؤال في الاستمارة أو في مخطط أودليل المقابلة، لكل فئة من فئات التحليل، لكل جانب تمت ملاحظته، لكل سلسلة رقمية وكذا لأي متغير مأخوذ بعين الاعتبار.
- أخيرا، نرقم الوضعية التي يأخذها كل عنصر من مجموعة البحث انطلاقا من إحدى الزوايا المدروسة. بالضبط، إذا لم يكن ذلك قد تم، فإننا نعطي رقما لكل اختيار من الإجابات عن سؤال ما وكذا لكل سؤال من الأسئلة الفرعية الموزعة على مخطط أودليل المقابلة، لكل سلوك محتمل للأشخاص موضوع الملاحظة، لكل وحدة ذات دلالة أو معنى ولكل رد فعل من طرف العنصر على منبه المتغيرّ.

إن هذا الإجراء أساسي، ولا غنى عنه إذا كنا نريد فيما بعد القيام بمقارنات أو الربط بين عناصر مجموعة البحث. إننا لا نستطيع إذن معرفة إن كان لطلبة أو لطالبات مجمع معين تصرفات تختلف عن تصرفات طلبة مجمع آخر إلا بعد ترقيم كل شخص مع مجموع المعلومات الخاصة به. كما أننا لا نستطيع إيجاد أصل المقاطع الصادرة عن عشر مقابلات إلا إذا كان كل واحد مرقم من 1 إلى 10. إن الترقيم القائم على التفيئة الصارمة هو الذي يسمح لنا فيما بعد بتجميع المعطيات وإقامة علاقات بين المتغيرات.

أنظر الفصل 8، «صفات التفيئة الجيدة».

مدلول الرموز

يمكن للتوضيحات الآتية أن تساهم في إعطاء انسجام ومنطق ما لمعنى الرموز:

- عندما يتعلّق الأمر بمتغير الشدة، مثل الرضى أو درجة الاهتمام، فإننا سنرقم في إتجاه يذهب من الأقل شدة إلى الأكثر شدة، وذلك انطلاقا من العدد 1 إلى العدد الضروري المطلوب.
- عندما تكون هناك فئتين فقط بالنسبة إلى متغيّر واحد وأن هاتين الفئتين تتكرران لمرات عديدة، فترقيمهما حينئذ سيكون دائما هو نفسه، مستعملين الرقم 1 كدليل على الحضور أو التأكيد والرقم 2 كدليل على الغياب أو الإنكار أو الرفض.
- عندما لا يكون للفئات منطقا خاصا في علاقاتها ببعضها البعض، وذلك مثل الانتماء العرقي أو أنواع الموسيقى المفضلة، فيمكن للأرقام أن توزع بلا تمييز.
- أخيرا، فإن بعض المتغيرات ترجع مسبقا إلى أرقام وأن الترميز يمنح من طرف الطبيعة العددية للمتغير، مثل تكرار ظاهرة ما، كالسن، الدخل، إلخ.

ترميز الأجوبة عن الأسئلة المفتوحة

لو استعملنا الاستمارة وكانت بعض الأسئلة تترك الحرية في صياغة الجواب أو تضمنت في قائمة الإجابات المقترحة فئة آخر (حدد)، فلابد في هذه الحالة من تفيئة الإجابات المتحصل عليها. للقيام بذلك هناك ثلاث قواعد يجب اتباعها. يمكن أن تساعد هذه القواعد كذلك في تفريغ المعطيات المتحصل عليها بواسطة أداة أخرى مثل فئات تحليل المحتوى.

القاعدة الأولى. إننا نختار بالصدفة عددا معينا من الاستمارات بهدف الحصول على مجموعة متنوعة من الإجابات. يقصد Muchielli (1970) بـ «عدد معين» ثلث الإجابات فيما يخص أربعين إلى ستين استمارة، والربع بالنسبة إلى مائة فما فوق.

القاعدة الثانية. انطلاقا من هدف السؤال، نقوم بمقارنة الإجابات بعضها ببعض للنظر إن كانت تترجم مختلف ردود أفعال السؤال مرة، اثنين، ثلاث، إلخ ؛ ونحاول دائما إرجاعها إلى بعض ردود الأفعال الأساسية : « تظهر بعض المواضيع تحت صيغ مختلفة أو تظهر عادة بنفس الكلمات» (Muchielli 1970 : 24).

القاعدة الثالثة. ثم نمر بعد ذلك إلى التفريغ باستخراج الأفكار الرئيسية في الإجابات المقدمة، بإعادة تحديدها وتركيبها وتمييزها، إلخ. هكذا سنصل إلى الفئات النهائية.

يمكننا مثلا، إبراز خمس أفكار رئيسية من ثلاث إجابات لمجموعة خاصة من الطلبة والطالبات الذين أجابوا عن السؤال الآتي: «لماذا سجلت في مدرسة الشرطة ؟» :

- «كان لدي زملاء في الثانوية الذين سجلوا بتلك المدرسة وأنني كنت أعرف مسبقا رجال الشرطة.» تظهر هنا فكرتان أساسيتان :

1) الحفاظ على العلاقات الودية ؛ 2) معرفة أشخاص في المهنة.

- «قال لي الموجه في الثانوي إنني ميسر لهذا، ولم أكن أعرف بالضبط ماهو الشيء الآخر الذي يمكنني القيام به.» هنا أيضا تبرز لنا من جديد فكرتان أساسيتان : 3) نصائح الخبير المختص ؛ 4) جهل الاختيارات الأخرى (احتمال قلة الاهتمام بهذا الجانب).

- «لقد سبق لي وكنت في نادي الأشبال ولدي تجربة المخيمات العسكرية.» هنا تبرز لنا فكرة رئيسية واحدة : 5) التجربة السابقة الملائمة (ذاتيا).

يبقى بعد ذلك جمع هذه الأفكار الرئيسية الخمس في بعض ردود الأفعال الأساسية برجوعنا إلى مؤشر السؤال، أو بصفة عامة، إلى الإطار المفهومي لتعريف المشكلة. إذا ما كنا نهدف إلى معرفة من هم

الأشخاص الذين أثروا في الشخص، فعندئذ يمكن إبراز ثلاث فئات والتمسك بالأفكار الخمس الرئيسية :

1. الأشخاص المحيطين به.

2. أشخاص أجانب أو خارجيين (مثلا الموجه المهني) ؛

3. ليس هناك أشخاص على الخصوص.

أما إذا كنا نهدف بالأحرى إلى معرفة مصدر التأثير فيما يخص الاختيار، فسوف نحتفظ فقط بفئتين يمكن أن تضمهما الأفكار الخمس الرئيسية :

1. التأثير المرتبط بالأشخاش ؛

2. التأثير المرتبط بطبيعة العمل.

إن الاختيار بين التفيئة الأولى والتفيئة الثانية يتوقف على تحديد المشكلة.

نواصل بعد ذلك عملية التفريغ محاولين حصر الإجابات الجديدة في الفئات التي أقمناها ؛ فإذا كانت بعض الإجابات لا تقبل إدخالها في الفئات التي تم تحديدها سابقا، لابد من الحكم إن كان الأمر يقتضي مراجعة التفيئة من جديد أو إضافة فئة جديدة في حالة ما إذا كان هذا النوع الجديد من الإجابات يتكرر. ثم نمر في الأخير إلى التفريغ العام بعد التأكد من ترقيمنا غير الغامض للفئات المحتفظ بها. ينبغي أن ينصب الاهتمام الرئيسي خلال كل مجرى هذه العملية على الاحتفاظ بالمعاني الصحيحة والمضبوطة التي أعطاها أو قدمها المبحوثين في إجاباتهم وتصنيفها في نفس الوقت في فئات ذات معنى ومرتبطة بتحديد المشكلة. ينبغي علينا أن نحتفظ بثراء المعطيات أثناء تركيبها.

دليل الترميز

دليل الترميز
دليل تسجل فيه كل المعلومات والقرارات الخاصة بتفيئة المعطيات المتحصل عليها وترقيمها.

إننا ندون في **دليل الترميز** قائمة الرموز المستعملة في البحث بمعانيها وتبريراتها. يتضمن الدليل كذلك المفاهيم، الأبعاد والمؤشرات المترجمة بطرق مختلفة وذلك حسب التقنية المستعملة.

فيما يخص المتغيرات، فإن الدليل سيتضمن بالنسبة إلى كل واحد :

- الإسم الذي نعطيه لكل متغير ؛
- إيجازه أو اختصاره، إذا اقتضى الأمر عندما يكون المجال المتوفر محصورا جدا، أو قمنا بإدخال المعطيات في الحاسوب مثلا ؛
- رقما للتمكن من تعيينه ؛
- صياغته الأصلية من أجل الدقة أكثر ؛
- أرقام الرمز الممنوحة لكل واحد من صفاته أو لكل واحدة من فئاته.

هكذا يمكننا أن نجد في دليل الترميز كيفية التسجيل مثلما هو مبين في الشكل 1.11

شكل 1.11

كيفية التسجيل في دليل الترميز

اسم	ايجاز أو اختصار	رقم	صياغة	رمز	فئات
نوع المؤسسات	(TYPDEN) نو مؤس	مت 018 (VAR018)	كم هو عدد المستخدمين العاملين هنا ؟	1	أقل من 50
				2	50إلى 100
				3	أكثر من 100
				8	لا يدري
				9	دون إجابة

أما إذا كانت الأداة استمارة أسئلة، فإن الإجابات عادة ما تكون مرمزة سلفا، ولا يبقى علينا سوى إدراج نسخة لم تملأ بالإجابة (فارغة) من هذه الاستمارة في الدليل مع رموز إضافية إذا ما قمنا بإضافات في التفيئة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أدوات الجمع الأخرى المحضرة والمرمزة سلفا.

ينبغي أن يزيل الترميز الغموض الذي يمكن أن يميز بعض المعطيات الخام. إنه يستدعي تفكيرا يبين العلاقة بين الطريقة التي تم بواسطتها تعريف المشكلة والمعطيات التي تم الحصول عليها أثناء عملية الجمع. لهذا ينبغي التأكد أننا لم نخن معنى تعريف المشكلة من جهة، وأننا قد أخذنا بعين الاعتبار كل جوانب المعطيات المسجلة، من جهة أخرى. لابد أن يكون هناك سببا للإبقاء في الأخير على هذه التفيئة بدلا من تفيئة أخرى والتمكن من صياغتها بوضوح (Selltiz et coll. 1977 : 439). إن نظام الترميز

المحدد بصفة جيدة يسهل الإجراءات اللاحقة. يستخدم الدليل من جهة كخلاصة مساعدة على التذكر بالنسبة إلى القرارات التي تم أخذها والخاصة بالفئات المحتفظ بها، كما يحتوي على كل الملاحظات التي تسمح لباحث آخر أو باحثة أخرى بإعادة بناء المنطق الذي تبني على أساسه نظام الترتيب.

التحقق من المعطيات المتحصل عليها

بالموازاة مع الترميز، لابد من فحص المعطيات الخام والحذر من الهفوات المحتملة التي ينبغي حصرها قبل أن يتعرض كل مسعى تجميع المعطيات إلى الاهتزاز، وبالتالي يصبح العمل صعبا إن لم نقل مستحيلا دون إعادة عملية التفريغ من جديد. يمكن اقتناص هذه الهفوات أو الكشف عنها إذا ما طرحنا عددا معينا من الأسئلة حول المعلومات التي تحصلنا عليها، و لابد بعد ذلك من تصحيحها كلما كان ذلك ممكنا، وهكذا سنقوم بالتحقق من المعطيات.

تحقق من المعطيات
تقييم معطيات متحصل عليها بهدف التأكد من أنها قابلة للاستعمال بغرض التحليل.

هل بعض المعلومات وهمية؟

إن بعض وحدات التحليل، مثل استمارة مملوءة أو وثيقة، يمكن أن تقدم معلومة ليس لها أية علاقة بما نريده أو نبحث عنه. مثلا قد يقوم أحد الأشخاص بملء الاستمارة بكيفية سطحية. لهذا ينبغي علينا، وبمجرد اكتشافها، حذف مثل هذه المعلومة التي تضر بتجميع المعلومات الأخرى.

هل بعض المعلومات ليست مضبوطة جيدا؟

تعتبر كل معلومة عددية مفيدة ويمكن معالجتها طالما هي قائمة على نفس قاعدة الحساب مثل المعلومات الأخرى التي لها علاقة بنفس المتغير. هكذا، فإذا ما كانت لدينا معطيات حول الدخل على أساس قاعدة سنوية ومعلومات أخرى على أساس قاعدة شهرية، ينبغي علينا إرجاعها إلى وحدة زمنية واحدة فقط.

هل بعض المعلومات غير تمييزية ؟

عندما تكون المعلومات المتحصل عليها بالنسبة إلى مؤشر ما تقع كلها تقريبا في نفس الفئة، مثلا، كل الأشخاص المبحوثين يبدو أنهم قد أجابوا بنعم عن سؤال ما، فإن هذا المتغير لا يمكن استعماله لأنه لا يقيم تمييزا بين عناصر مجتمع البحث. إننا نستطيع الإشارة إلى ذلك في التقرير دائما، لكن من غير المفيد الاحتفاظ بذلك من أجل التحليل الموالي، لأنه لا يمكن وضعه

في علاقة بمتغير آخر، لكون العناصر غير تمييزية. أما إذا كان الأمر يتعلق بسؤال فيمكن أن يكون قد طرح بصفة رديئة أو يظهر أنه غير هام ومناسب للتعبير عن المؤشر المحتفظ به في البداية.

هل بعض المعلومات غائبة ؟

في حالة الاستمارة، مثلا، فإن المعلومات الغائبة هي الأسئلة التي تبقى دون إجابة، أو تلك التي أجاب عنها المبحوث بـ «لا أدري»، أو تلك التي لم يطلب منه الإجابة عنها. إننا لا نأخذ في الاعتبار أو نمنح رمزا خاصا لهذه الإجابات الغائبة إلا وفقا لأهميتها في استمرار التحليل ومواصلته. هكذا، فإن بعض برامج الإعلام الآلي يمكن أن تعالج بشكل مخالف هذه المعلومات الخاصة تارة بإدراجها وتارة بإبعادها.

هل بعض المعلومات غير مفهومة ؟

إذا كانت بعض المعلومات غير مفهومة فذلك لأن معاني المعطيات، مثلا، غير واضحة أو أن مراجعتها من طرف شخص آخر من أعضاء الفرقة أو خبير من الخارج لا يعكس نفس التأويل، فهذه المعطيات الغامضة لا يمكن الاحتفاظ بها للدراسة الموالية، لأنها تمنع من الاعتماد فقط على المعطيات المتأكد منها بهدف التحليل.

هل بعض المعلومات غير منسجمة ؟

إذا كانت بعض المعلومات غير منسجمة، مثلا في مقطع من المقابلة، حيث يتناقض الشخص المستجوَب مع نفسه، دون أن نتمكن من إيجاد أي معنى حقيقي لذلك، فالأفضل ألا نحتفظ بهذا المقطع من أجل التحليل، وحتى رفض كل المقابلة إذا كان عدم الانسجام هذا له أثرا في مجموع الخطاب. هكذا نحاول التحقق من مدى الانسجام بين الأقوال المحتفظ بها والذي يؤكد لنا صحة هذه الأقوال أو معقوليتها.

هل بعض المعلومات متعارضة ؟

إذا كانت بعض المعلومات متعارضة، فمن المحتمل أن الملاحظون والمستجوبون أو المرمزون لم يعملوا، مثلا، انطلاقا من نفس الفهم

للأحداث الاجتماعية المحتفظ بها. لابد علينا إذا من تصحيح المسير معهم ومعهن، وإلا ستنتيه في التحليل اللاحق. أما إذا بقي من غير الممكن توحيد إحدى المعطيات لأن تأويلها لا يمثل إجماعا بين المقيّمين، فإن لا يمكننا الاستعانة بها لاحقا. أما إذا قمنا بذلك فهذا يعني أننا نفضل حكما ما بدلا من الآخر وعليه لابد من شرحه في التقرير.

إن فحص المعطيات على ضوء هذه الأسئلة السبعة يسمح إذن بمراجعة المعلومات. هذه المراجعة ضرورية قبل تجميع المعطيات، لأنها تضمن لنا لاحقا العمل على معطيات ملائمة وبهذا لا يتم التحليل اللاحق هباءً أو من دون أية جدوى.

تحويل المعطيات والمراجعة

تحويل المعطيات
تسجيل المعطيات في سند يسمح بمعالجتها.

مراجعة المعطيات
الكشف عن المعلومات الخاطئة وحذفها.

بمجرد ما ننتهي من الترميز ومن التحقق من المعطيات الخام، يبقى علينا التحقق من تحويل المعطيات الكمية أو الكيفية إلى سند يسمح بالتجميع. لابد بعدها من القيام بمراجعة المعطيات التي تم تحويلها للتأكد من عدم تسرب بعض الأخطاء أثناء عملية الترميز أو التحويل.

المعطيات الكمية

لتحويل المعطيات الكمية نلجأ في الوقت الراهن إلى الإمكانيات التي يوفرها لنا الإعلام الآلي الجزئي. بمجرد ما ندرج المعطيات في الحاسوب نشرع في مراجعتها.

الإعلام الآلي الجزئي. يسمح الإعلام الآلي الجزئي بتخزين عدد كبير من المعطيات الخام ومعالجتها بكل سهولة وبتكاليف قليلة. توجد في هذا المجال أنواعا مختلفة من برامج الإعلام الآلي الإحصائية لتجميع المعطيات الكمية ومعالجتها. يتعلّق الأمر إذن باختيار برنامج واحد متوفر في محيطه وإدخال المعلومات المتحصل عليها مباشرة بفضل أداة الجمع. يعني إدخالنا لهذه المعطيات أننا ننشئ بنكا للمعلومات حيث يسجل فيه كل متغير بإسمه وبالقيم التي يمكن أن يحملها، وكل عنصر من مجتمع البحث يحدّد هنا مع الفئة المرتبطة بالقيمة التي تخصه. بصفة عامة يمكن لبرنامج التحليل الإحصائي أن يحسب كل متغير ويجمع معطيات كمية في شكل جداول أو رسوم بيانية، مما يدل على الأهمية والفائدة من استعماله بهدف

معالجة معطيات البحث. في أول عملية أساسية يمكن للبرنامج أن يقوم بعمليات الجمع، وبهذه الطريقة يمكتنا إذن بالنسبة إلى السؤال الأول، مثلا، التعرف على عدد الأجوبة المطابقة للفئات1، 2 ، 3. الجدول 1.11 يمثل مصفوفة للمعطيات (matrice)، أي نموذجا مصغرا للتقاطع بين المؤشرات (الأسئلة) والمخبرين (المبحوثين).

جدول 1.11

مصفوفة المعطيات

سؤال رقم :	1	2	3	4	5	6	7	8
مبحوث رقم : 001	2	18	1	4	100	1	12	85
مبحوث رقم : 002	3	17	1	1	150	1	40	70
مبحوث رقم : 003	1	16	2	3	90	1	30	65
مبحوث رقم : 004	2	17	1	5	200	2	10	75
مبحوث رقم : 005	2	17	2	5	178	1	15	80
مبحوث رقم : 006	1	17	1	1	80	2	3	67

مراجعة المعطيات الكمية المحولة. نظرا إلى امكانية تسرب أخطاء أثناء الترميز أو أثناء تحويل المعطيات فلابد من العمل على إزالة أو إخفاء كل ما من شأنه أن يسيء إلى تقديم المعطيات بكيفية تجعل التحليل سهلا ومنسجما. إننا نطلب من الحاسوب أولا أن يعرض لنا في شكل جدول تجميع النتائج العامة المتعلّقة بكل متغير. لو افترضنا أن تحقيقا أجري مع 200 شخص وجدول التجميع بالنسبة إلى متغير الجنس حيث يعلن عن النتائج الآتية :

مت 028 الجنس	تكرار
1.(رجال)	100
2. (نساء)	98
3. (؟)	01
المجموع	**199**

يبدو لأول وهلة أنه من غير المعقول أن تتسرب فئة 3 في هذا الجدول وذلك لوجود اختيارين ممكنين فقط. في نفس الوقت، فإنه من المدهش أن يكون المجموع 199 جوابا لو احتفظنا بـ 198 استمارة. يسمح جدول التجميع إذن بالكشف عن بعض الأخطاء التي يجب تصحيحها ؛ وللقيام بذلك، لابد من البحث عن مصدر الخطأ. في هذا المجال هناك ثلاث طرق يمكن الاعتماد عليها :

- يمكن للخطأ أن يكون ناتجا عن عملية تحويل المعطيات إلى الحاسوب. لابد إذا من إيجاد من جديد على البطاقة (fichier) مكان تسجيل الرقم غير المعقول، وعندما نجده، سنضع علامة على رقم الشخص صاحب هذه الإجابة ونعود إلى الوثيقة. إذا كانت استمارة، لنرى هل كان الجواب هو حقا ذلك الذي قمنا بتسجيله. أما إذا كان الأمر يتعلق بخطإ في التدوين فسنصحح الفئة في العمود المناسب ؛ وإلا سنمنحه رقما خاصا أو لا نسجل أي شيء، وذلك حسب إمكانية ما يستقبله برنامج الإعلام الآلي، للإشارة أنه ليس هناك جوابا عن السؤال بالنسبة إلى هذا الشخص. أما إذا كانت المعلومة غير خاطئة، لكنها تبدو غير محتملة إلى درجة كبيرة، كما لو صرحت لنا إحدى الطالبات أن عمرها هو 60 سنة، سنتحقق رغم ذلك من إمكانية مصادفة هذه الوضعية في مختلف ظروف إجراء التحقيق قبل أن ننتهي إلى جواب خاطيء.
- يمكن أن يتولد الخطأ عند الاستعمال الرديء للأدوات. إن الاستمارة التي كان من المفروض رفضها قد تم الاحتفاظ بها إذا مع باقي الاستمارات الأخرى، وهذا ما يفسر وجود مجموع يتكون من 199 وثيقة استمارة في حين أن المجموع الجديد، بعد إبعاد هذه الاستمارة التي تم ملؤها بشكل سيء، من المفروض أن يكون 198 فردا. عندئذ لابد من محو المعلومة من البطاقة المدرجة في الحاسوب.
- قد يكون الخطأ ناتجا أيضا عن تفيئة سيئة للإجابات المتحصل عليها حول متغير معين. لنفرض إجابة مفتوحة نتردد بخصوصها بين نوعين من التفيئة وأن الذي اخترناه منهما ظهر في النهاية أنه غير ذي معنى. لابد علينا إذا من تعديل التفيئة وتغيير الترقيم المطابق لخط كل فرد في العمود المعني. في الحالات التي تكون فيها الفئات غير قابلة

للتعديل إطلاقا لأنها كانت مسجلة من قبل في الاستمارة، فعندئذ سنلغي هذا المتغير لأنه لا يمكنه إضافة أي شيء أثناء التحليل. مع ذلك نستطيع لاحقا أن نشير إلى وجوده من باب الإعلام. من جهة أخرى، إذا ما اكتشفنا أن متغيرا ما له عددا مرتفعا بصفة غير طبيعية من فئة «لا أدري» أو «لا ينطبق»، فهنا أيضا توجد إمكانية الخطأ في التفيئة، ولا يمكننا أخذ أي قرار إلا على ضوء المؤشرات إذا كان لابد علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذا المتغير أو التخلي عنه نهائيا.

للقيام بمراجعة جيدة، فمن الأفضل الإطلاع أولا على كل جداول التجميع وتحديد كل الأخطاء والهفوات التي نصادفها ثم تصحيح بعد ذلك مجموع الأخطاء. تسمح طريقة العمل هذه بربح الوقت، ذلك لأن فحص خطأ واحد بشكل منعزل يسبب ذهابا وإيابا لا طائل من ورائه.

غير أنه، ونظرا إلى قدرات برنامج الإعلام الآلي، يمكن أن نحصل على عدد غير محدود من الجداول في حالة ما إذا لم تحدد طلباتنا بصفة دقيقة. علاوة على الوقت الضائع في فحص الجداول غير المجدية فإن هذه الطلبات المبالغ فيها يمكن أن تبعدنا عن جوهر البحث. من أجل الاستعمال الفعال للإمكانيات التي يوفرها الحاسوب، فالقاعدة هي أن يبقى الباحث متمسكا بتعريفه للمشكلة وتحديد طلباته حول ما هو ضروري فقط للتحقق من فرضيته أو فرضياته. على العكس من ذلك، فإننا نستطيع أن نترك لأنفسنا هامشا للتحرك حسب النتائج المتوصل إليها، وذلك من أجل القيام بطلب ثان بغية التعمق في بعض جوانب المشكلة، لكن، هنا أيضا، ينبغي أن ينحصر طلبنا فيما هو جوهري بالنسبة إلى ما نبحث فيه. إن برامج الإعلام الآلي المتوفرة تسمح بمعالجة معطيات البحث بواسطة تجميعات مختلفة إما للتحليل الإحصائي وإما للتجريب.

المعطيات الكيفية

أما فيما يخص المعطيات الكيفية، فهناك أيضا فائدة في تحويلها إلى البطاقية الإعلام آلية. يمكن أن يكون استعمال البطاقات الوثائقية وحافظات الأوراق (chemises) بمجرد ما تتراكم مملا ومتعبا، في حين يسمح الحاسوب ليس فقط بتخزين كمية كبيرة من المعطيات ولكن بتعيينها والكشف عن الأخطاء وإبرازها بطريقة مباشرة.

إدخال المعطيات. يمكن أن تأخذ المعطيات الكيفية شكل أقوال مسجلة أو معلومات من ملاحظة (notes d'observation) مدونة في دفتر المشاهدات أو مقتطفات من وثائق مسجلة على البطاقات الوثائقية. يمكن أن نكون قد استعملنا في هاتين الحالتين الأخيرتين الحاسوب للاحتفاظ بها. بالنسبة إلى تحليل المحتوى، فيمكن لبرنامج ما أن يكون قد استعمل كأداة للجمع. أما إذا كانت لدينا معلومات من ملاحظة ومقتطفات من وثائق التي تم تصنيفها وترميزها جيدا، فإن إدخالها في برنامج الإعلام الآلي لمعالجة النص من شأنه أن يسمح بتحقيق كل أنواع التجميعات فيما بعد. عند قيامنا، مثلا، بترقيم كل فقرة، يساعدنا ذلك، وبفضل طلب الفرز، في الوصول إلى تركيبات متنوعة بحسب الأقوال التي نريد تجميعها. هكذا نستطيع تجميع الشهادات العديدة التي تحصلنا عليها حول سؤال خاص جدا. انطلاقا من تعريف المشكلة فإن الأهم في هذا التحويل هو تجميع الملاحظات المسجلة بكيفية تجعلنا في الحين على علم بمكان وجود هذا الجانب أو ذاك من المشكلة دون اللجوء إلى إعادة قراءة الكل. يمكن إضافة حتى في هذا المستوى بعض الملاحظات التي تنير أو توضح أو تكمل ما تم تسجيله.

أما بالنسبة إلى مقابلة البحث، يعني التحويل النقل الحرفي لما تم تسجيله. حتى نتمكن من تحليل أقوال الشخص المستجوَب، فلابد أن تكون لدينا هذه الأقوال مكتوبة، لأن ذلك يسمح بالذهاب والإياب بكل سهولة، والتفكير حول هذه الأقوال والمقارنة بين المقاطع. بإستخدامنا لبرنامج معالجة النص الذي يمكنه القيام ببعض العمليات الإضافية للتجميع، فإننا نضيف مرونة إلى ماهو مكتوب. أثناء عملية التدوين كلمة بكلمة، فإنه من الضروري أن نقدم وصفا صادقا للمقابلة. غير أنه يمكننا كتابة «إنك تعرف» (tu sais) حتى ولو سمعنا «تعرف» (t'sé) فقط، وذلك ليس فقط من أجل تجنب إلزامية حفظ دليل الكتابة الحرفية للكلمات كيفما تنطق، وإنما لجعل النص سهل القراءة والفهم. فالمطلوب منا إذا هو أن ندون باللغة المعيارية المكتوبة إلا إذا تم استعمال كلمة أو كلمات لا وجود لها في القاموس. من المفيد هنا كذلك الإشارة إلى اللغة الخاصة التي تم استعمالها من طرف الشخص المستجوَب أو كان النص يتوفر على مقطع منها.

بنفس الكيفية، ينبغي أن يتضمن تدوين المقابلة توضيحات حول اللغة غير المتلفظ بها للشخص المبحوث (مثل الإيماءات، الانطباعات البارزة، إلخ.) والتي تعطي إشارات جلية جدا عندما توضع في علاقة ببعض

الأقوال المحتفظ بها. مثلا، في حالة ما إذا وقع ضحكا في فترات ما من فترات إجراء المقابلة، فلابد من الإشارة إلى ذلك ؛ وإذا ما كان هناك ترددا بطريقة لها دلالة، فلابد من تسجيله كذلك، كما نقوم أيضا بتسجيل لحظات الغضب والانزعاج أو المضايقة والتغيرات التي تحدث فجاة في التعبير.

من المهم، بصفة عامة، أن يستمر الباحث في نفس نمط تدوين الأقوال والتصريحات ويقترح Vincent (1989 : 151) الدليل الآتي للرموز :

- يشير المحتوى الموجود بين قوسين إلى تعليق من طرف الشخص الذي يقوم بتدوين المقابلة ؛
- تشير الأقواس الفارغة (...) إلى وجود عنصر غير مفهوم ؛
- يرمز لالتقاء بين كلمات الباحث والمبحوث في نفس الوقت بالرمز «<>» ؛
- تستخدم النقاط المتقطعة... في تعيين ترددات الشخص المبحوث ؛

إليك مثالا عن أقوال تمت إعادة تدوينها لتحديد استعمال الرموز :

«أوه، لا ! (ضحك) ( ) أعتقد أنه < نعم > لقد كان من دون شك...

هكذا أفضل.»

مراجعة المعطيات الكيفية المحولة. لمراجعة المعطيات الكيفية، ينبغي علينا إعادة القراءة الحرفية والمتأنية للكشف عن الأخطاء الممكنة. قد يتعلق الأمر بـ :

- نقص بعض الأجزاء من النص ؛
- تسجيلات غريبة لا تذكرنا بأي شيء ؛
- أقوال غير ملائمة ومن دون معنى.

بتذكرنا لمصدر المعلومات واستماعنا من جديد إلى التسجيلات أو الرجوع إلى الوثيقة، يمكننا اكتشاف إذا كان النقل سيئا أو أننا فهمنا السياق الذي وردت فيه الأقوال فهما سيئا أيضا. هنا نستطيع القيام بتصحيح النص أو أن نضيف، حسب الحالة، ملاحظات مثل : «الصوت رديء في هذا المكان»، «نطق غير مفهوم»، «ملاحظة غير تامة أو غامضة»، «غموض في الأقوال»، وهكذا دواليك، طبقا لما تقتضيه الإشارة لتوضيح الوضع. زيادة على هذا، إذا ما ظهر بعد ذلك أن تسجيلا ما قد ورد بصفة مفاجئة ورديئة، لابد من تقييمه في علاقته بالإطار الذي قدم فيه قبل تنظيمه وترتيبه بكيفية أو بأخرى. ويمكن للمراجعة أن تفرض علينا العودة

إذن إلى مختلف المراحل السابقة إلى غاية مرحلة تحديد المشكلة في بعض الأحيان. إن الشيء المهم هو التحلي بالتبصر والإخلاص لكي تتم هذه العملية الحساسة والضرورية في نفس الوقت في إطار احترام المعلومات المتحصل عليها مع عدم التوقف عند بعض المعطيات التي من الأحسن حذفها لكونها غير متصلة بما نبحث فيه.

تهيئة المعطيات

بمجرد الانتهاء من ترتيب المعطيات المتحصل عليها، لابد أيضا من عرضها بكيفية أو بأخرى، ليتم تحليلها ولكي يكون لها عندئذ معنى. قد نسعى إلى اختصارها وتقديمها بكيفية مرسومة أو مصورة وإقامة علاقات بينها، دائما بهدف جعلها دالة بالنسبة إلى مشكلة البحث. سنحاول إذن إعطائها شكلا يسمح بتمييز مجموع الوقائع التي تمت ملاحظتها، لهذا نتحدث هنا عن **تهيئة المعطيات**.

تهيئة المعطيات
الوسائل المستعملة في عرض المعطيات المتحصل عليها.

المعطيات الكمية

عندما ننوي تحليل مجموعة من المعطيات الرقمية، فإننا نستعين بالمناهج الكمية التي وضعت لتمييز الوقائع أو الظواهر الملاحظة. لهذا صمم الإحصاء إجراءات وصفية واستنتاجية لعرض المعطيات يسمح بدراسة أهميتها بالنسبة إلى ما نريد التحقق منه.

القياسات الوصفية

قياسات وصفية
مقادير عددية تساعد في تمييز مجموعة من المعطيات ووصفها.

تمثل القياسات الوصفية الطريقة الأولى لتهيئة المعطيات الرقمية. إن المعطيات الأكثر استعمالا عادة هي المعطيات بالنسب المئوية، قياسات الاتجاه المركزي، قياسات التشتت وقياسات الموقع.

سوف لا نشير هنا إلى معادلات الحساب بالنسبة إلى هذا القياس وبالنسبة إلى القياسات اللاحقة لأنها موجودة في معظم الكتب الأساسية للمناهج الكمية في العلوم الإنسانية.

المعطيات بالنسب المئوية. بمجرد ما ننتهي من المراجعة، يمكن استعمال التجميع، متغير بمتغير، كأول قياس وصفي. حتى يكون هذا القياس ذو دلالة شيئا ما فمن الضروري حساب النسبة المئوية أو التكرار المتعلق بكل فئة للمتغير المعني. هكذا سنعرف، مثلا، أن العينة تضمنت 5 % من الأشخاص في سن 16 سنة، 46 % ممن هم في سن 17 سنة، وهكذا فيما يتبع، وهذا له أكثر دلالة من معرفة أن 23 شخصا لا

يتجاوز عمرهم 16 سنة و 207 منهم 17 سنة، إلخ. إن العدد المطلق لا يطلعنا عن أهمية وجود خاصية ما بالنسبة إلى المجموع، في حين تحسب النسبة انطلاقا من العدد الإجمالي لعناصر مجتمع البحث أو من العينة فيما يتعلق بهذا المتغير.

قياسات الاتجاه المركزي. بالنسبة إلى متغير ما، وليكن على سبيل المثال السن أو الدخل، يمكن أن نكون في حاجة إلى صورة وحيدة نحصل عليها باستخراج قياس يسمى بالاتجاه المركزي. إن هذا القياس يبين لنا القيم التي تتواجد حولها المعطيات ويطلعنا على نظام تدرجها. إن القياسات الثلاثة من هذا النوع هي : المنوال (le mode) والوسيط (la médiane)) والمتوسط الحسابي (la moyenne). فالمنوال يحدد فئة المتغير الذي يتوفر على أعلى درجة من التكرار ؛ أما الوسيط فيخبرنا عن الفئة التي تقسم المعطيات إلى قسمين متساويين ؛ أما المتوسط الحسابي فيقدم نوعا من الخلاصة عن كل المعطيات. فيما يخص، مثلا، نتائج تلاميذ قسم ما في امتحان حول 10 نقاط، يمكننا الحصول على 8 بالنسبة إلى المنوال، لأنه تم الحصول على هذه النقطة في أغلب الأحيان، ثم 7 بالنسبة إلى الوسيط، لأن نصف عدد التلاميذ كانت لهم أقل من هذه العلامة، أما النصف الآخر من التلاميذ فكانت عندهم علامات تفوق هذه العلامة وأخيرا، 6,6 بالنسبة إلى المتوسط الحسابي، وهي النتيجة التي يتم الحصول عليها من حاصل جمع كل العلامات وتقسيمها على مجموع التلاميذ.

إن المتوسط الحسابي هو قياس الاتجاه المركزي الأكثر استعمالا لعرض سلسلة من الأرقام القابلة للمقارنة. غير أن حساب المتوسط الحسابي يتم انطلاقا من كل معطيات السلسلة، إنه يتأثر بالمعطيات المتواجدة ويمكنه وصف نوعين مختلفين من التوزيع. هكذا فإن متوسط حسابي بـ 10/6,6 يمكن أن يدل على أن التلاميذ قد تحصلوا كلهم تقريبا على هذه العلامة أو أنهم يتواجدون حول هذا الرقم، وقد يدل أيضا على أن لا أحد منهم يوجد في هذا المجال ولكن بالأحرى في مجال أكبر قيمة وأصغرها، أي تلاميذ أقوياء جدا وآخرون ضعفاء جدا. إننا في مثل هذه الحالة أمام وضعيتين مختلفتين رغم أن المتوسط الحسابي هو نفسه. لهذا وعندما نستعين بالمتوسط الحسابي فإننا نضيف قياسا أو قياسات أخرى من قياسات التشتت.

قياسات التشتت. تخبر قياسات التشتت عن التوزيع الأكثر انتشارا أو أقله وتحدد معنى المتوسط الحسابي ودلالته، مثلا. في هذا الشأن،

فإن قياس التشتت الأكثر استعمالا هو الانحراف المعياري. إن قيمة من القياس تسمح بتقييم أحسن لعرض معطيات المتغير بالنسبة إلى المتوسط الحسابي. لو عدنا إلى المثال السابق والخاص بالنتائج المدرسية، وافترضنا أن المتوسط الحسابي في الأقسام الثلاثة هو نفسه، أي 10/6,6. لو أعطانا الانحراف المعياري النتائج الآتية : في القسم (أ)، 1,43، وفي القسم (ب)، 2,11، وفي القسم (ج)، 2,48، يمكننا إذن التأكيد أنّه بنفس المتوسط الحسابي في كل قسم، فإن المجموعة (أ) قريبة نوعا ما من المتوسط الحسابي، والمجموعة (ب) بعيدة نسبيا عنه. أما المجموعة (ج) فتمثل انحرافا أكثر، بالزيادة أو بالنقصان بالنسبة إلى المتوسط الحسابي. ليس هناك شخص تقريبا في هذا القسم الأخير قريب من المتوسط الحسابي. إن هذا المثال يبين إذن أننا لو استعملنا قياس الاتجاه المركزي مثل المتوسط الحسابي لوصف مجموعة من المعطيات، فمن المهم عادة أن نكمله بقياس التشتت مثل الانحراف المعياري وذلك لمعرفة التوزيع الأكثر انتشارا وأقله. من جهة أخرى، في إطار تجريب ما، يمكن استخدام هذه القياسات في اختبار المقارنة بين مجموعات تجريبية ومجموعات المراقبة.

قياسات الموقع. هناك نوع آخر من القياسات ينبغي الإشارة إليه أيضا ويتعلق بالموقع النسبي الخاص بعدد من العناصر ضمن مجتمع البحث أو عينة، تم تحديدها بفضل قياسات الموقع. لنفرض، مثلا، أننا نفحص معطيات التعداد في علاقتها بدخل السكان وأننا نريد معرفة أي قسم من الدخل الوطني يذهب إلى ربع، خمس أو إلى عشر الأشخاص الأكثر غنى في البلاد. سنقيم إذن بانتظام أرباعا، أخماسا أو أعشارا، والتي تقسم السكان إلى أربعة أو خمسة أو عشرة أجزاء ؛ فلو استخدمنا، مثلا، الأخماس فسنتحصل على هذا التوزيع بالقطع.

الخماسي 1 الخماسي 2 الخماسي 3 الخماسي 4 الخماسي 5

يفصل كل خماسي مجموع أفراد مجتمع البحث إلى قطع تتكون من 20% وذلك حسب دخلهم مثلا. هكذا سنتحصل في الخماسي الأول على حصة كل المداخيل التي يستأثر بها الـ 20 % من الأشخاص الذين لهم، مثلا، المداخيل الأكثر ضعفا، وفي الحد الأقصى الآخر، في الخماسي الخامس، نتحصل على المداخيل الأكثر ارتفاعا. إن قياسات الموقع هذه تسمح بعرض بشكل آخر توزيع بعض المتغيرات في مجتمع بحث معين.

العروض المرئية للمعطيات الكمية

إن الطريقة الأخرى لتحضير بعض المعطيات للتحليل تتضمن عرضها في شكل مرئي خاص. إن الطريقتين الأساسيتين **للعرض المرئي للمعطيات الرقمية** هما : الجدول (جدول ذو مدخل واحد، جدول ذو مدخلين) والرسم البياني (مدرج الأعمدة، مدرج تكراري، مضلع تكراري متجمع صاعد، إلخ.).

عرض مرئي للمعطيات
طريقة لتنظيم معطيات البحث وعرضها

الجدول ذو المدخل الواحد. إن شكل العرض المرئي للمعطيات الكمية الأكثر شهرة والأكثر بساطة هو الجدول. من الممكن بناء جدول لكل متغير، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كل سؤال في الاستمارة أو إلى كل فئة ناتجة عن سحب كمي بتقنية أخرى. عندما يتضمن الجدول متغيرا واحدا فقط فيتعلق الأمر عندئذ **بالجدول ذو المدخل الواحد** ؛ وعادة ما تعرض فيه المعطيات في شكل عدد مطلق وفي شكل نسب. نكون في هذه الحالة بصدد جدول توزيع التكرارات. إن الجدول 2.11 هو مثال حي عن جدول توزيع لمتغير جنس المبحوثين :

جدول ذو مدخل واحد
جدول يعرض تجمع من المعطيات لها علاقة بمتغير واحد فقط

جدول 2.11

جدول ذو مدخل واحد

جنس المبحوثين

الجنس	ت*	% **
ذكور	98	49
إناث	102	51
المجموع	200	100

* ت : تعني «التكرار»، أي عدد مرات ظهور الفئة. يمكننا الإشارة إلى العدد بحرف (ن) وهو العدد المطلق في هذه الحالة.

** النسبة، وتعطي القيمة النسبية للفئة من مجموع الأفراد في الجدول ؛ وينبغي أن يكون المجموع في هذا العمود دائما 100%، أو عددا قريبا من ذلك بعد جبر الأعداد العشرية.

وهذه هي النقاط الرئيسية التي يجب مراعاتها في بناء جدول ذو مدخل واحد (عد إلى الجدول 2.11) :

- تتحدد بداية الجدول ونهايته إما بإطار أو بخطين متقاربين في البداية وفي النهاية، وإما، زيادة على ذلك، بخط غليظ في بداية الجدول وفي نهايته.

- تتضمن قمة الجدول رقم الجدول وعنوانه. إن الهدف من منحنا رقما للجدول هو التمكن من الرجوع إليه فيما بعد. يكون هذا الرقم متطابقا مع نظام ترتيب الجداول في التقرير، ثم يتبع بعنوان مختصر ودال لتسهل قراءته من طرف الجمهور. أما بالنسبة إلى تقنيات تحليل المحتوى وتحليل الإحصائيات التي تستعمل المعطيات المتحصل عليها ربما من مصادر وفترات مختلفة، فلابد من أن نضيف إلى العنوان مكان جمع المعطيات والسنة. إذا كان عنصرا ما في العنوان يتطلب شرحا، فلابد من جعله متبوعا بنجمة أو برقم «نضعه بين مزدوجتين وبشكل بارز» يوجهنا إلى الجزء المفسر والموجود في أسفل الجدول ؛ وتنتهي قمة الجدول بخط عادي يوضع تحتها.

- تتضمن بنية الجدول فئات المتغير والمعطيات العددية المطابقة. نجد في الخط الأول للعمود الأول إسم المتغير، وعلى الخطوط الأخرى من نفس العمود سنجد فئاته المختلفة إلى غاية «المجموع» ؛ وفي العمود الثاني، سنشير، بعدد مطلق، إلى عدد الأشخاص أو العناصر المتطابقة مع هذه الفئة أو تلك ؛ وفي العمود الثالث سنقدم النسبة المحسوبة من مجموع عناصر الجدول وكذا نسبة العناصر الموجودة في هذه الفئة أو تلك. إذا لم تكن هناك أية معلومة لإضافتها، فإن الجدول يكون قد اتخذ شكله النهائي، وسنرسم خطا بسيطا تحت بنية الجدول.

- إذا كانت الحاجة تقتضي ذلك، فإننا سنضيف في نهاية الجدول التفسيرات الضرورية من أجل فهم هذا الأخير. يمكن لهذه التفسيرات أن تتعلق بكل من العنوان والمعلومات التي يتضمنها الجدول، ويمكن أن يكون الأمر كذلك متعلقا إما بتفسيرات لبعض مصطلحات العنوان أو بتوضيحات حول بعض المختصرات مثل تلك الموجودة في الجدول 2.11 والتي لا نعود إليها فيما بعد، لأنها

مختصرات معيارية، أو بتبريرات لمجموع عدد عناصر الجدول إذا كان مختلفا عن مجموع عدد العناصر للجداول الأخرى في البحث أو بالإشارة إلى المصادر المعتمدة، إلخ.

إن الجدول 2.11 يبين حالة متغير يتضمن فئتين فقط : الذكور والإناث ؛ في حين يمكن أن يتضمن متغيرا واحدا عددا من الفئات ؛ مثل السن، الدخل أو المدة الزمنية. إن تسجيل هذه الفئات المتعددة لبعض المتغيرات الواحدة منها تلو الأخرى في جدول سيطيل هذا الأخير إلى درجة تجعل قراءته عسيرة ؛ والأكثر من هذا فإنه يمكن أن يكون لكل فئة عددا من الحالات لا معنى له، مما يجعلها غير قابلة للتحليل. لهذا يفضل عدم أخذ أكثر من عشر فئات في الجدول الواحد والأحسن أن يكون عددها دائما أقل من ذلك ؛ ولهذا سنحاول من أجل التبسيط والقيام باستخلاص الأهم أن نجمع الفئات وتقليصها إلى فئات قليلة مع الاحتفاظ بمعنى المتغير ومدلوله. سنقوم إذن بجمع عدد من قيم المتغير المعني في وحدة تسمى فئة (classe) لتقليص المجموع المعقد من الملاحظات التي تم جمعها إلى بعض الفئات البسيطة. إن هذا التجميع للمعطيات في الفئات يمكن تقديمه فيما بعد ضمن **جدول فئوي** (جدول يحتوي على فئات). إن المثال المعروض في الجدول 3.11، والمتمثل في متغير السن، يمكن أن يأخذ عددا كبيرا من القيم.

جدول فئوي
جدول يعرض معطيات مجمعة في فئات مقلصة مقارنة بمجمل فئات المتغير.

جدول 3.11

جدول فئوي

سن المترشحين لمناصب الدعم الإداري

السن	ت	%
29 سنة وأقل	12	11
30 – 39	27	24
40 – 49	43	39
50 فأكثر	29	26
المجموع	111	100

المصدر :
MAURICE ANGERS (1969). *Promotion et bilinguisme* (p. 26). Ottawa. Postes Canada.

وإليك الملاحظات الرئيسية المتعلقة ببناء جدول فئوي :

- لابد أولا من أخذ بعين الاعتبار الحدود الدنيا والعليا لتوزيع قيم المتغير. في الجدول 3.11، الأعمار موزعة بين 20 و 59 سنة.

- ثم نقرر بعد ذلك مدى الفئة، وبالتالي عدد الفئات التي يجب إعدادها. إن مدى الفئة هو الامتداد الذي نمنحه لكل فئة، والذي ينبغي أن يكون منسجما مع المدلول المعطى للمتغير في البحث. في الجدول 3.11، المدى مقدر بـ10 سنوات. انطلاقا من توزيع الأعمار، نلاحظ أنه لدينا أربع فئات. هذا الامتداد هو مساو في المدى لكل واحدة من الفئات، وذلك بهدف السماح ـ في حالة الضرورة ـ بتطبيق قياسات الاتجاه المركزي وقياسات التشتت. إن الأقل والأكثر لهذا الحد الأقصى أو ذاك يتم بكيفية تجعلنا لا ننسى أي شخص. عندما يكون هناك عددا مهما من الأشخاص له أقل من 20 سنة أو أكثر من 59 سنة، فلابد من إضافة، وذلك حسب الحالة، فئة أخرى أقل من 20 سنة، متبوعة بفئة من 20 إلى 29 سنة في البداية، وفئة 60 سنة فأكثر مسبوقة بفئة من 50 إلى 59 سنة في الأخير.

- لا يمكن لحدود كل فئة في أي حال من الأحوال أن تتداخل مع حدود فئة أخرى دون أن تجعل الجدول غامضا. بالتالي لا يمكن للفئة التي تبدأ بالرقم 40، مثل الفئة الثالثة الموجودة في الجدول 3.11، أن تكون مسبوقة بفئة منتهية بنفس الرقم ولكن بالأحرى بـ 39 أو بـ 39,99، فمن دون ذلك لن يكون في استطاعتنا معرفة المكان الذي نضع فيه الأشخاص البالغين سن 40 سنة اعتمادا على نفس المثال السابق.

- كقاعدة عامة، إذا كان عدد الفئات في جدول ما لا يتجاوز العشرة من أجل توضيح أكثر، فإن هذا العدد وكذا المدى المختار، يعتمدان في الأساس على تحديد المشكلة بالنسبة إلى المتغير المعني والتعديلات التي نقرر إدخالها على هذه المشكلة، بعد المبررات التي نقدمها.

رسم بياني
عرض في شكل صور لسلسلة من المعطيات المنظمة أو للعلاقات بين هذه المعطيات.

الرسم البياني. يشير الرسم البياني، الذي يمكن أن يضاف إلى الجدول أو يكون بديلا له، إلى مجموعة من المعطيات من خلال عرض مصور أو مرئي. إن هذا العرض المصور يمكن أن يأخذ أشكالا مختلفة ونختار منها، حسب الحاجة، تلك التي تناسب وتوضح أكثر خصائص المتغير المعني بالنسبة إلى المعطيات المعنية : مدرج الأعمدة، مدرج

تكراري، مضلع تكراري، منحنى تكراري، مدرج دائري ومضلع تكراري متجمع صاعد.

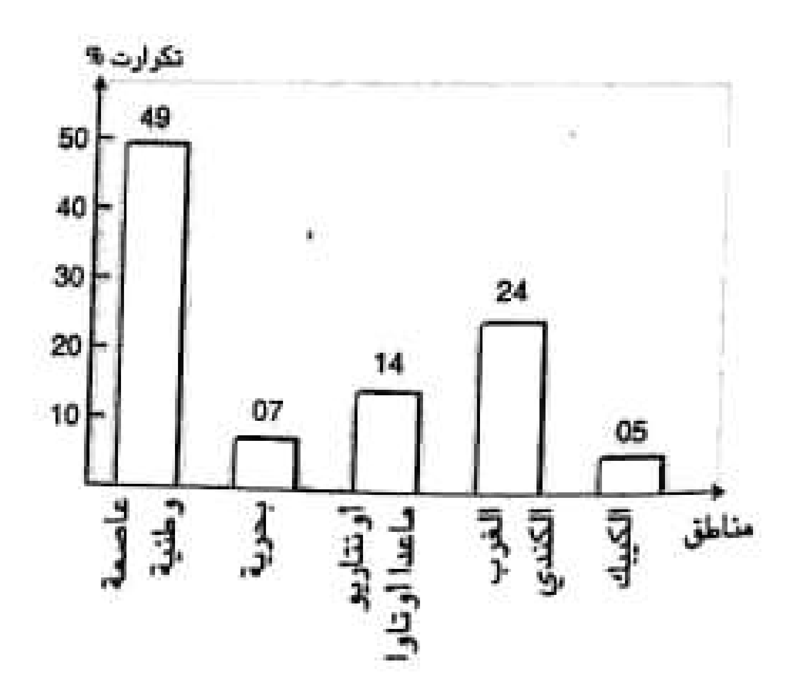
مدرج الأعمدة (le diagramme en bâtons). يتكون من مستطيلات، عادة ما تكون عمودية، يمثل كل واحد منها فئة من المتغير. تكون قمتها دائما في علاقة بتكرار الفئة. إنّ الرسم البياني 1.11 يوضح ذلك. يسمح مدرج الأعمدة بالكشف السريع من خلال الرؤية إن كانت فئة ما تسيطر على الفئات الأخرى وإن كانت هناك فئة أخرى صغيرة جدا في التوزيع.

المدرج التكراري (l'histogramme). يتكون من مستطيلات توضع إلى جانب بعضها البعض. إنه تحويل مدرج الأعمدة المتحصل عليه من تجميع المعطيات في فئات ؛ فتكون الأعمدة إذن متقاربة كأنابيب آلة الأرغن (orgue). هذا ما يوضحه الرسم البياني 2.11. إن قاعدة كل مستطيل تتلاءم مع مجال الفئة، ويتلاءم علوها مع التكرار المسجل.

رسم بياني 1.11

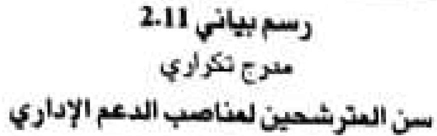
مدرج الأعمدة

مناطق قدوم المترشحين لمناصب الدعم الإداري



المصدر

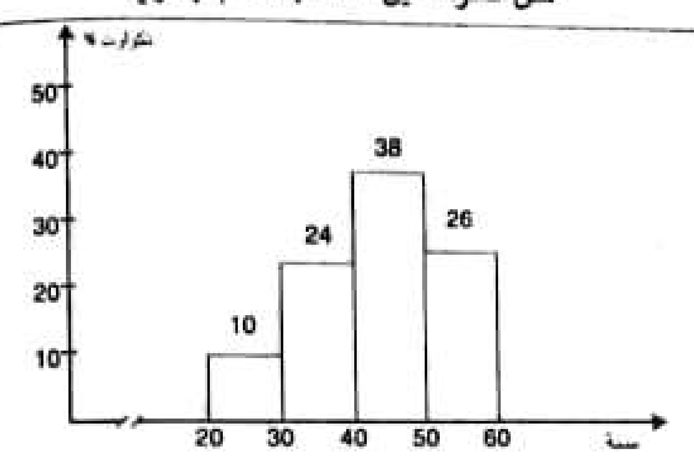
MAURICE ANGERS. (1969). *Promotion et bilinguisme* (p. 28). Ottawa. Postes Canada.



رسم بياني 2.11

مدرج تكراري

سن المترشحين لمناصب الدعم الإداري



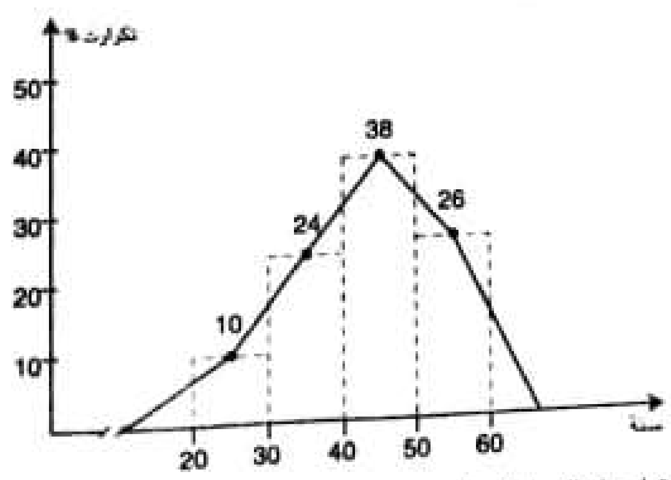
ملاحظة : يمثل هذا الرسم البياني معطيات الجدول 3.11

اشتقاقا من المدرج التكراري فإن المضلع التكراري (polygone de fréquences) هو طريقة أخرى لتمثيل نفس الواقع، والتي تبرز نقاط المقارنة بين كل فئة. يتعلق الأمر إذن بالربط بينها بواسطة خطوط مستقيمة، وكذا بين النقاط التي تتوسط قمة كل مستطيل من مستطيلات الرسم البياني للمدرج التكراري، كما يظهر ذلك في الرسم البياني 3.11

رسم بياني 3.11

مضلع تكراري

سن المترشحين لمناصب الدعم الإداري



ملاحظة : تدل هذه المعطيات على نفس المعطيات الموجودة في الرسم البياني 2.11

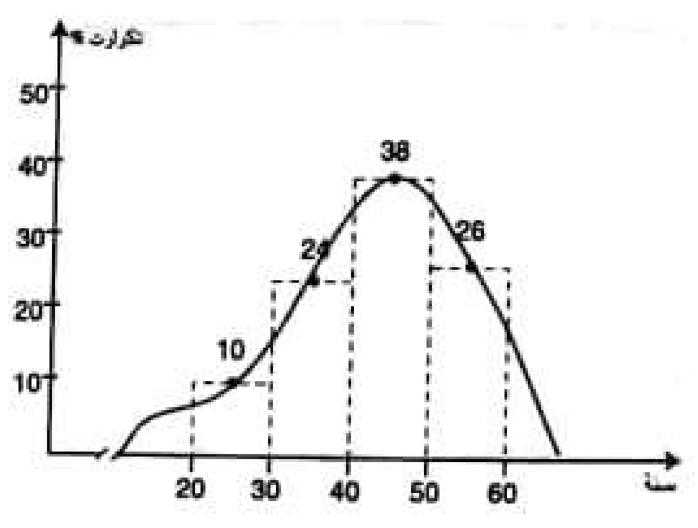


يمكننا بعد ذلك إعطاء شكل منحنى للمضلع التكراري متحصلين بذلك على المنحنى التكراري (courbe de fréquences)، وهو رسم بياني يستعمل عادة بسبب لباقته ورشاقته. بين كل نقطة من المضلع، وبدلا من الخط المستقيم، فإننا نستعمل الخط المنحنى وذلك مثلما هو الحال في الرسم البياني 4.11.

رسم بياني 4.11

منحنى تكراري

سن المترشحين لمناصب الدعم الإداري



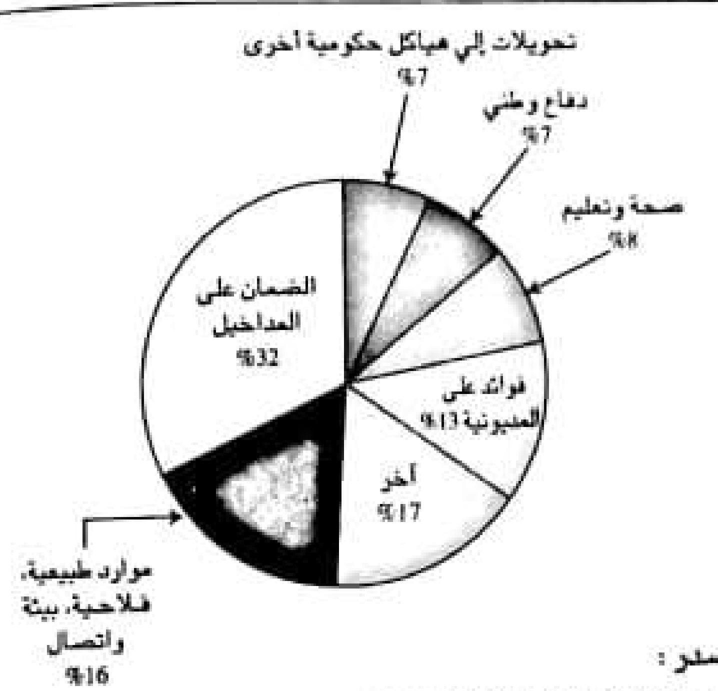
ملاحظة : هذه المعطيات هي نفسها الموجودة في الرسمين البيانيين 2.11 و3.11.

إن المدرج الدائري أو القطاعي (le diagramme circulaire ou sectoriel) يشبه كعكة مقسمة إلى نقاط : ظاهر كل نقطة متكافىء أو متناسب مع أهمية كل فئة للمتغير سواء من ناحية الأعداد أو من ناحية التكرارات النسبية. من أجل توضيح أكثر فإننا نسجل نسبة كل فئة قرب نقطة الزاوية أو في مقابل القطاع المناسب لها وذلك كما هو الحال في الرسم البياني 5.11. إن المدرج الدائري يسمح بتوضيح مجموع المعطيات كما يسمح برؤية أحسن إن كان لقطاع ما أهمية أكثر من القطاع الآخر.

رسم بياني 5.11

مدرج دائري

توزيع المصاريف الفيدرالية، كندا، 1983



المصدر :

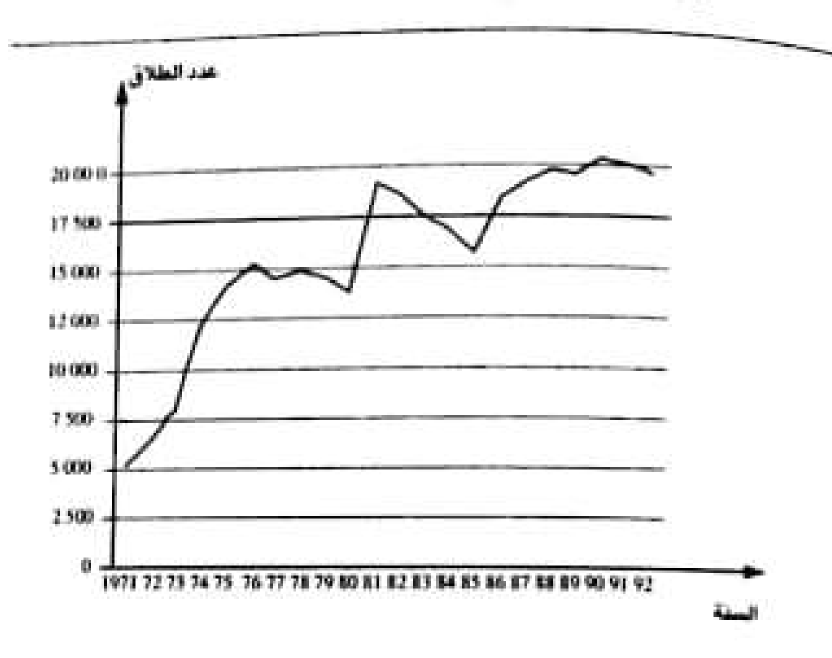
W. J. BAUMOL, A. S. BLINDER et W. M. SCARTH (1986). *L'économique : Principes et politiques* (p. 368). Montréal, Éditions Études vivantes.

يبين المضلع التكراري المتجمع الصاعد (chronogramme) المتغيرات التي تكون فئاتها زمنية أو متسلسلة تاريخيا، وأن القيم تتدرج على الثواني، الشهور أو السنوات. تنظم المعطيات حسب جدولها الزمني، وذلك كما هو الحال في الرسم البياني 6.11. إن المضلع التكراري المتجمع الصاعد يسمح، لأول نظرة، بمشاهدة تطور ظاهرة ما مع إبراز فترات التغير الهامة، حيث لدينا في هذه الحالة الارتفاع السريع جدا للطلاق وبعض التغيرات المباغتة التي وقعت بين 1971 ـ 1992.

رسم بياني 6.11

مضلع تكراري متجمع صاعد

تطور عدد الطلاق في الكيبك ما بين 1971 – 1992



المصدر:

GOUVERNEMENT DU QUÉBEC (1995). *Le Québec statistique*, 60ᵉ éd. (p. 192). Québec, Bureau de la statistique du Québec.

الجدول أو الرسم البياني ذو المدخلين. إن الجداول والرسومات البيانية التي تم وصفها أعلاه هي جداول ورسومات بيانية ذات مدخل واحد، (ما عدا الرسم البياني 6.11 الذي يتخذ الزمن كمتغير) : إنها تبين متغير واحد في علاقته بقيمه المأخوذة وذلك لأن الفرضية بسيطة في طرحها، أي أنها مركزة على متغير واحد توقعنا تغيراته. غير أن الفرضية عادة ما تكون معقدة أكثر وتفترض علاقة بين مفهومين أو متغيرين على الأقل. لكي نستطيع التحقق منها، فإنه من الضروري إذن وضع هذين المتغيرين في علاقة في **جدول** أو رسم بياني **ذو مدخلين**. لو أخذنا مثلا، الفرضية القائلة : «المتزوجين الجدد من الذكور لهم تصور أقل تسلط من الكبار حول دورهم كأزواج.» إن الجدول 4.11 هو جدول ذو مدخلين يضع متغيرات سن الزوج وتصوره للسلطة في علاقة. إنّ السؤال الخاص بهذا المتغير الأخير طلب من الزوج إن كان موافقا أم لا على التأكيد أن للرجل سلطة على زوجته. إن الجدول ذو مدخلين يسهل التحقق من الفرضية ثنائية المتغيرات.

أنظر الفصل 6، «الفرضية (أشكالها)».

جدول ذو مدخلين
جدول يعرض تجمع من المعطيات ويشير إلى توزيعها حسب متغيرين بهدف إقامة علاقة بين هذين المتغيرين عموماً.

جدول 4.11

جدول ذو مدخلين

سن الزوج وتصوره للسلطة بـ %

للرجل سلطة على زوجته	سن الزوج			
	أقل من 29	30 إلى 39	40 فما فوق	المجموع
نعم	42	63	60	57
لا	58	37	40	43
المجموع %	100	100	100	100
المجموع (ت)	(45)	(83)	(47)	(175)

ملاحظة : اختبار كاي تربيع (كا²) أو (x^2) : 5,197 لدرجتين (2) من الحرية (ذو دلالة عند 0,10). معامل التكرار المزدوج (ذ) (C)(coefficient de contingence) : 0,170

المصدر :

MAURICE ANGERS (1973). *Pouvoir dans la famille et planification des naissances en milieu défavorisé urbain québécois.* (p. 75). Québec, Université Laval.

إن القواعد الأساسية لبناء جدول أو رسم بياني والتي ستظل دون تغيير هي : الوضوح، الدقة والإيجاز. غير أن هناك بعض القواعد الخاصة التي تعتمد أثناء بناء الجدول ذو المدخلين :

- ينبغي أن يتضمن العنوان المتغيرين المرتبطين بعلاقة.
- يبدأ هيكل الجدول بالتعريف ويتضمن في وسطه المتغير الذي تظهر قيمه في الأعمدة أو في شكل عمودي ونكتب تحتها أسماء فئات هذا المتغير. في الجدول (4.11)، فإن هذا المتغير هو سن الزوج. يعين في أقصى اليسار من هذا الخط المتغير الآخر والذي تظهر قيمه في خطوط أو شكل أفقي وتوضع تحته أسماء فئات هذا المتغير الثاني. في الجدول 4.11، فإن هذا المتغير يتمثل في سلطة الرجل على زوجته مع فئات نعم أو لا، وذلك حسب الإجابة التي قدمها الرجل عن هذا الاقتراح.

- حتى تكون المعطيات قابلة للمقارنة، فستعبر عنها بالنسب ؛ مع ذلك فمن الضروري أن نحدد عدد الأشخاص الذين تمثلهم هذه الأرقام، ذلك لأن 60 % من 5 لا تمثل سوى 3 أشخاص، في حين أن 60 % من 48 تمثل 28. إن انتشار الأفراد في هذه الحالة الأخيرة هو واسع جدا حتى نرجع 60 % هذه إلى بعض الاستثناءات فقط، في حين يمكن أن يكون الحال كذلك مع الـ 3 أشخاص فقط. في حالة الاعتماد على بعض المبحوثين فقط لابد من التحلي بكثير من الحذر أثناء التحليل. لهذه الأسباب نضيف في السطر الأخير، بين قوسين، عدد الأفراد الممثلين في كل عمود. إنّ الرقم الأخير في السطر الأخير يمنح العدد الكلي لأفراد العينة أو مجتمع البحث.
- عندما نطبق أو نجري على معطيات الجدول اختبارا أو اختبارات إحصائية فإننا نشير بالتفصيل إلى النتائج تحت هذه المعطيات، وذلك مثلما هو الحال في الجدول 4.11.

يتضح مما سبق أن هناك عدة طرق لتحضير المعطيات الكمية للتحليل. بصفة عامة، تعطي الجداول عرضا دقيقا جدا وأكثر تفصيلا ، وعادة ما يتم استعمالها اكثر من الرسومات البيانية. غير أنه عندما نريد توضيح اتجاهات سلسلة المعطيات وتطورها أو تفوق متغير ما بسرعة أكثر وشمولية أكثر، فإننا نلجأ إلى الرسم البياني بهذا الشكل أو ذاك من أشكاله المختلفة باعتباره يمثل أداة مفيدة جدا. إلا أن الرسم البياني لا يكون مفيدا ونافعا إلا إذا كان يسهل قراءة مجموعة من المعطيات وليس تعقيدها. على أية حال فإن أمر اختيار طريقة تحضير معطيات البحث وتقديمها إنما يعود إلى الباحث أو الباحثة الذي ينبغي عليه تدعيم منطق براهينه وتوضيحها.

الاختبارات الإحصائية

اختبار إحصائي
إجراء يهدف إلى تحديد إن كانت الملاحظات التي أجريت على عينة هي صحيحة بالنسبة إلى كل مجتمع البحث. وهل توجد علاقة بين متغيرين.

لتحضير المعطيات الكمية بهدف تحليلها، فإن الجداول والرسومات البيانية لها فائدة استعمالية كبيرة، إلا أنها غير كافية أحيانا في تحديد ما نبحث عنه، لاسيما إذا كنا نريد معرفة قوة العلاقة بين متغيرين أو كنا نريد معرفة إذا كان المتغيرين مرتبطين ببعضهما البعض ؛ لهذا الغرض يمكن استعمال عدة اختبارات في العلوم الانسانية. ولا يهمنا هنا سوى نوعين كبيرين من الاختبارات الإحصائية : اختبارات الفرضية واختبارات التجميع.

إذا ما استعملنا الاختبار الإحصائي، فالمهم هو أن نعرف جيدا معناه ومدلوله وذلك بهدف إدراك حدود ما يمكن أن يأتي به.

اختبارات الفرضية. يشير مصطلح الفرضية في اختبارات الفرضية إلى الفرضية الإحصائية، وليس إلى الفرضية التي يكون الباحث أو الباحثة قد أعدها خلال المرحلة الأولى من البحث. على العكس من ذلك، فإن الفرضية الإحصائية تساعد على التحقق من فرضية البحث وذلك بالتأكد إن كان المتغير (س) يؤثر في المتغير (ص) أم لا. لو عدنا إلى الجدول 4.11 كمثال مبسط فسنجد أنفسنا نبحث عن وجود علاقة بين تصور السلطة وسن المبحوثين.

تسمى الفرضية التي يمكنها أن تنبئ بعدم وجود علاقة بين المتغيرين في الإحصاء بالفرضية الصفرية. إنّها تعني، مثلا، أنه إذا كان 57 % من رجال العينة يؤكدون أن للرجل سلطة على زوجته، فينبغي أن تتواجد نظريا نفس هذه النسبة في كل فئات السن المعنية. بكلمات أخرى، فإن الرجال الذين تقل أعمارهم عن 29 سنة وأولئك الذين يتراوح سنهم بين 30 و 39 سنة أو 40 سنة فأكثر، فلا بد لـ 57 % منهم، وكذا لكل فئة من فئات السن،أن يجيبوا «بنعم» عن السؤال، مما يبين أنه ليس هناك اختلاف في التصورات مهما كانت فئة السن المأخوذة بعين الاعتبار. كذلك الأمر بالنسبة إلى فئة لا في علاقتها بمجموعها وهو (43 %). و إذا كان لمتغير تصور السلطة فئات أخرى زيادة على فئتي نعم و لا، فالحال سيكون كذلك بالنسبة إلى كل واحدة منها.

لا يمكن أبدا للعيّنة في الواقع، أن تكون انعكاسا صادقا وصحيحا لمجتمع البحث، فهناك دائما اختلافات بين نسب كل فئة في علاقتها بالمجموع. هل هذه الفروق ليس لها دلالات كما تقترح ذلك الفرضية الصفرية، بمعنى أنه لا يمكن إرجاع هذه الأخيرة سوى إلى الفارق الذي لا يمكن تجنبه والموجود بين مجتمع البحث والعينة ؟ أم أن لهذه **الفروق دلالات** تأخذ مسعى مخالفا تماما لمجرى الفرضية الصفرية، أي احتمال حدوثها نتيجة لوجود علاقة حقيقية بين متغيرين ؟

أنظر الفصل 9، «خطأ المعاينة أو الملاحظة».

فرق دال
فرق في النتائج المتحصل عليها من عينتين أو بين نتائج عينة ونتائج مجتمع البحث الذي أخذت منه العينة، والذي لا نستطيع إرجاعه إلى الصدفة.

تسمح اختبارات الفرضية الإحصائية بالإجابة عن هذا السؤال الجوهري، كما تستطيع التأكيد، مثلا، أن هناك علاقة تبعية بين متغيرين، يمكن أن تمتد بعد التحليل المنطقي للتجميع الإحصائي إلى غاية التأكيد



على وجود علاقة بين السبب والنتيجة إذا تم التحكم في آثار المتغيرات الوسيطة وغيرها. في الجدول 4.11 فإننا نستعين باختبار كاي تربيع (كا²) المستعمل كثيرا في العلوم الانسانية للقيام بهذا التحقق. إننا نقوم بحسابه انطلاقا من العدد المطلق وليس انطلاقا من النسب. كما يمكن استعمال اختبارات أخرى، و ينبغي أن يأخذ اختيار اختبار الفرضية في الحسبان طبيعة المتغيرات المعنية والتحليل المستهدف. إن الفرضية الإحصائية تأتي لتأكيد فرضية البحث أو نفيها.

انظر الفصل 9، «المعاينات الاحتمالية».

إن كل اختبارات الفرضية لن يكون لها معنى إلا إذا كانت معطيات البحث قد جمعت عن عينة من نوع احتمالي والتي توفر ضمانات عن درجة تمثيليتها بالنسبة إلى مجتمع البحث الذي أخذت منه. لكن نظرا إلى كون العينة ليست دائما انعكاسا صادقا وصحيحا لمجتمع البحث الناتجة عنه، فإن هناك هامشا للخطأ لا مفر منه ضمن الفروق والاختلافات المبينة بواسطة الاختبارات الإحصائية. لهذا نتحدث فيما يخص هذه الاختبارات عن **عتبة الدلالة** (seuil de signification)، أي أننا نتحدث عن مستوى من الثقة يكون مقبولا للتمكن فيما بعد من القول إن الفرق الملاحظ دال أو غير دال. تقع هذه العتبة فوق 0,05 % أو 5 % أي أننا نستطيع التأكيد أن هناك احتمال مقداره 95 % كي لا يكون الفرق الملاحظ ناتج عن الصدفة في سحب العيّنة، لكن يعود إلى علاقة دالة بين متغيرين معنيين. في بعض الحالات يمكننا أن نقبل بوجود علاقة دالة إلى غاية عتبة 10 %، مثلما هو الحال في الجدول 4.11. في هذه الحالة الأخيرة، ومن أجل ضمان أكثر، فإننا نستطيع الرجوع إلى اختبار آخر أو إلى قياس للتجميع.

عتبة الدلالة
حد نتقبل فيما دونه بالعلاقة الدالة بين متغيرين.

اختبارات التجميع. تهدف اختبارات التجميع أو الارتباط من جهتها إلى قياس شدة العلاقة الموجودة بين متغيرين. إنها تسمح بإتمام دراسة العلاقة بين هذه المتغيرات. لكل قياس من قياسات التجميع مداه في التغير والذي لابد من معرفته أولا إذا أردنا تقييم المعنى فيما بعد. من جملة الاختبارات المشهورة في هذا المجال ما يسمى باختبار (ذ) أو معامل التكرار المزدوج، والذي يخبرنا عن درجة التجميع بين المتغيرات، ويكون متأسسا انطلاقا من كاي تربيع ومن حجم العينة. يتراوح معامل التكرار المزدوج ما بين الصفر(0) وواحد (1) أو أقل من ذلك بقليل، وذلك بحسب عدد الخطوط والأعمدة الموجودة داخل الجدول. فيما يتعلق بالجدول 4.11، والمتضمن ثلاثة

خطوط وثلاثة أعمدة، فإن قيمته القصوى هي 0,816 ؛ والمطلوب إذا هو التحقق إن كان (ذ)، يعكس في نقطة 0,170 علاقة قوية أو ضعيفة بين متغيرين. إنّ العلاقة الموجودة في الجدول 4.11 هي علاقة ضعيفة.

إن اختبارات الفرضية واختبارات التجميع ليست ضرورية بالطبع إذا كان في إمكاننا إعداد جداول المعطيات والمتحصل عليها من كل عناصر مجتمع البحث، لأن الفرق الموجود في هذه الحالة هو بالضرورة فرق دال لكونه يهم كل مجتمع البحث. إن هذه الاختبارات لا تفيد إذن إلا إذا كان جمعنا للمعطيات يتم على عينة من مجتمع البحث.

إنشاء متغيرات جديدة

قد نتفطن أثناء قيامنا بجمع فئات متغير ما إلى ضرورة إنشاء متغيرات جديدة، إما في صورة متغيرات تركيبية مثل الدليل أو في صورة متغيرات مبسطة.

بناء دليل : خلال العملياتية كنا قد أعلنا عن بناء الأدلة لاحقا. وإذا كان الأمر كذلك فقد حان الوقت لإنجاز هذا البناء. وبكيفية ما فإننا سننشيء متغيرا جديدا وذلك بواسطة جمعنا لبعض المؤشرات في قياس وحيد سنعتبره ضروري للتحليل. وعليه فإن إعداد الدليل يتطلب منا اتباع الخطوات الأربع الآتية :

انظر الفصل 6، «تجميعها في أدلة».

- إننا نختار عددا معينا من المؤشرات، لكن هذا الاختيار لن يكون كافيا في حد ذاته إلا إذا استطعنا تبرير كيفية جمع هذه المؤشرات ؛ ولا بد لهذا التبرير أن يكون في نفس الوقت نظريا، أي ينبغي أن تمثل هذه المؤشرات جزءا من نفس مجال المعنى (وهذا هو الحال لو قمنا باستخلاصها من نفس البعد أثناء العملياتية)، وتطبيقيا، أي أن فئات كل مؤشر تصبح قابلة للمقارنة بالنسبة إلى القيم العددية التي نستطيع أن نمنحنها إياها. قد نبين، مثلا، أن الرقمين صفر وواحد يمكن استعمالهما كوزن يعطى من مؤشر لآخر.

انظر الفصل 6، «مؤشرات بعد المفهوم».

- إننا نمنح وزنا عدديا لكل فئة من كل مؤشر، هذا الأخير يترجم شدة العلاقة التي تظهرها هذه الفئة بطبيعة الدليل. هكذا، فإن عدد النقاط الممنوحة تتغير حسب مدلول الفئة وعدد الفئات لكل مؤشر.

- انطلاقا من كل المؤشرات التي لها صلة بالدليل، نقوم بحساب مدى النتائج المحتملة لدى الأشخاص المبحوثين.
- إذا اقتضى الأمر، فإننا سنُقيم بعض المقاطع أو التجميعات ضمن هذا المدى لتمييز أنواع السلوكات أو المواقف في علاقتها بتعريف المشكلة.

هكذا يصبح الدليل الناشىء بهذه الكيفية عبارة عن متغير جديد للبحث، و كاي متغير آخر فإننا سنمنحه إسما ونقوم بترميز فئاته. ابتداء من ذلك سيكون من الممكن حساب نتائج كل فرد من أفراد العينة وتفيئته. إنّ رمز كل شخص سيسجل فيما بعد في الحاسوب. يكون المتغير الجديد، من جهته، جاهزا للتجميع وموضوعا في علاقة بمتغيرات أخرى إذا اقتضى الأمر.

هذا مثال تطبيقي يقوم على ثلاثة مؤشرات أعيدت ترجمتها في شكل ثلاث أسئلة ضمن استمارة : فعل التصويت، فعل الاهتمام بالسياسة وفعل التحدث عن السياسة. لقد سبق لهذه المؤشرات الثلاثة وأن تم جمعها منذ انطلاق العملياتية تحت بعد الانشغال السياسي للطالب، مما يبرر إنشاء دليل بنفس الإسم. هذه هي الأسئلة الثلاثة المطروحة انطلاقا من هذه المؤشرات (مع العلم أن كل المبحوثين يتمتعون بالسن المطلوبة للتصويت):

السؤال 18

هل تذهب للتصويت عندما تجرى انتخابات ؟

☐1 . بالتأكيد

☐2 . أحيانا

☐3. أبدا

السؤال 19

هل تولي اهتماما خاصا بالمواضيع المتعلقة بالسياسة في وسائل الإعلام (إذاعة، تلفزيون، جرائد) ؟

☐1 أبدا

☐2 يحدث هذا في بعض الأحيان

☐3 في الغالب

☐4 بانتظام

السؤال 20

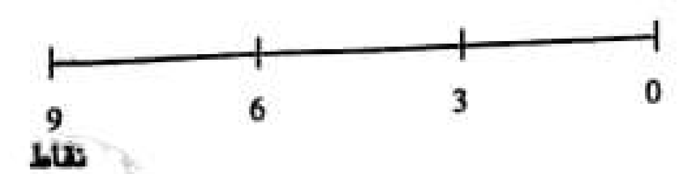
هل تتحدث في السياسة مع بعض الأشخاص الذين تلتقي بهم يوميا؟

☐ 1 أبدا
☐ 2 في بعض الأحيان
☐ 3 في الغالب
☐ 4 بانتظام

يمكننا ملاحظة أن فئات الإجابة، مهما كانت غير متشابهة، فإنها تسمح بإجراء مقارنات ؛ وعليه سنمنح أوزانا أو قيما عددية لكل واحدة من هذه الفئات. يتضمن السؤال 18 ثلاث فئات من الإجابة ؛ أما السؤالين 19 و20 فيتضمن كل واحد منهما أربع فئات. نظرا إلى كوننا نبحث عن معرفة درجة انشغال الطالب أو الطالبة بالسياسة، فسنعمل إذن على موازنة كل فئة من فئات الإجابة حسب منطق هذا الدليل. هكذا يمكننا أن نقرر منح (0) للأقل اهتمام، و(3) للأكثر اهتمام وذلك بالنسبة إلى كل سؤال ؛ وسنتحصل بالتالي على الموازنة الآتية :

السؤال 18		النقاط	السؤالين 19 – 20		النقاط
الفئة 1	←	3	الفئة 1	←	0
الفئة 2	←	2	الفئة 2	←	1
الفئة 3	←	0	الفئة 3	←	2
			الفئة 4	←	3

يمكننا أن نستنتج أن كل فرد وبعد إجابته عن هذه الأسئلة الثلاثة سيتحصل في المجموع على نتيجة تقع بين 0 و9 نقاط. لا يبقى أمامنا الآن سوى إقامة أنماط الانشغال وذلك حسب الاهتمام الكبير أو القليل بالسياسة. بعد التفكير في الاحتمالات المختلفة، فإن اختيارنا سيقع على ذلك الاحتمال الذي يبدو أنه يعكس بصورة أفضل ما نريد استخراجه من الدليل. في هذه الحالة بالذات فإننا سنقوم بقطع محور النتائج إلى ثلاثة أقسام ذات طول متساوي بهدف استخراج ثلاثة أنماط من حدة الانشغال السياسي.



إن هذا الدليل حول درجة انشغال الطلبة أو الطالبات بالسياسة سيصبح إذن بمثابة متغير انشغال الطالب أو الطالبة بالسياسة ذو ثلاث فئات :

1. الأقل انشغالا : من 0 إلى نقطتين.
2. المتوسطي الانشغال : من 3 إلى 5 نقاط.
3. الأكثر انشغالا : من 6 إلى 9 نقاط.

يمكن تفيئة كل مبحوث من الآن فصاعدا حسب هذا الدليل أو متغير الانشغال السياسي، والذي سنضيف له الرقم (1، 2 أو 3) في البطاقية، إلى رقم هذا المتغير الجديد.

تقليص فئات متغير. يمكننا، كما هو الشأن أثناء إعداد الدليل، عندما نصل في مرحلة التقليص إلى بعض الأنماط، أن نسعى، وذلك بعد تجميع المعطيات حول متغير ما، إلى تقليص عدد الفئات. إن هذه العملية يمكن أن تكون مفيدة أكثر كلما كان مثل هذا التقليص يسمح بتبسيط بناء العلاقة القائمة بين هذا المتغير والآخر. كما يمكن أن يؤدي التقليص أيضا إلى إبراز أفضل للتوجهات الأساسية للأفراد حول سؤال معين. هكذا، فغالبا ما يحصل وأن نطرح سؤالا أو سلسلة من الأسئلة المسماة بأسئلة التقييم على المبحوثين الذين نطلب منهم الإجابة بمصطلحات مثل : مؤيد كثيرا، مؤيد نسبيا، غير مؤيد نسبيا، غير مؤيد تماما. السؤال الموالي هو من هذا الصنف :

ماهي وجهة نظرك في الإلغاء النهائي لعقوبة الإعدام : هل أنت موافق جدا، موافق نوعا ما ؟ غير موافق نوعا ما، غير موافق إطلاقا ؟

1. موافق جدا ☐
2. موافق نوعاما ☐
3. غير موافق نوعا ما ☐
4. غير موافق إطلاقا ☐

من أجل إبراز أهم هذه الاختيارات، وربط هذا السؤال بغيره فيما بعد، يظهر أنه من المفيد تقليص هذا المتغير من أربع فئات إلى فئتين فقط، أي الأشخاص الموافقون من جهة (1 + 2) والأشخاص غير الموافقون (3 + 4) من الجهة الأخرى. إن القصد من هذا ليس إزالة التفيئة

القديمة، لأنها قد تظل مفيدة في مستوى آخر من التحليل، بل إضافة تفيئة جديدة. للقيام بذلك، لابد، كما هو الحال في الدليل، من إنشاء متغير جديد في البطاقية والذي سيحمل إسما مختلفا نوعا ما عن إسم المتغير الأصلي للتمييز بينهما. بهذه الكيفية فإننا لا نضيع فئات المتغير الأصلي التي ستبقى خصوبتها قائمة من جهة، كما سنثري التحليل اللاحق من خلال متغير جديد بتفيئة مبسطة وسهلة الاستعمال من جهة أخرى.

المعطيات الكيفية

بعد أخذنا للمعطيات الكيفية، إنه لمن الضروري كذلك تقليص حجمها، وإيجاد شكل لعرضها. يمكننا تجميعها بطرق مختلفة واختيار مسعى يسمح بعرضها في شكل مرئي.

التجميعات

إن المعلومات الخام المستقاة من الملاحظات والمقابلات أو من تحاليل محتوى الوثائق يمكن أن تكون متباينة. لتحضيرها أو تهيئتها، لابد إذا من إيجاد الوسائل لتنظيمها وإنتاج خلاصة عنها. يمكن تجميعها عن طريق المواضيع، أو اللجوء إلى مناهج تحليل جديدة (Huberman et Miles 1991). كالتكثف العمودي، الأفقي والافتراضي.

التجميع عن طريق المواضيع. لتجميع المعطيات الكيفية عن طريق المواضيع، لابد أن نكون متشبعين بعناصر تعريف المشكلة وعملياتيتها مع استخراج المواضيع البارزة. سيكون لهذه المواضيع علاقات مباشرة إما بالفرضيات وإما بالأهداف المحددة. تعتبر هذه المواضيع بمثابة الخيوط الهادية التي سنلحق بها المعطيات الكيفية المتحصل عليها. بالرغم من عدم وجود قواعد في ميدان عمليات الجمع عن طريق المواضيع، فينبغي أن يكون الإجراء مع ذلك منهجيا، لأن هذه التجميعات تساهم في إعطاء الانسجام أثناء التحضير بهدف التحليل. لهذا ينبغي ألا نغض البصر عنها، لأنه من الممكن في بعض الحالات أن تنبثق عنها آفاقا جديدة في فهم الظاهرة محل الدراسة. المهم في نهاية المطاف هو الوصول، وذلك على ضوء تحديدنا للمشكلة، إلى توضيح بعض السلوكات وإقامة بعض التصنيفات.

تكثف عمودي
عملية تقليص المعطيات الكيفية ضمن كل وحدة تحليل

التكثف العمودي. إن **التكثف العمودي** أو التجميع حالة بحالة يسمح بإقامة ملخص عن مضمون كل وحدة محللة على ضوء مشكلة البحث. بالنسبة إلى الملاحظة، قد يتعلق الأمر بما جرى في كل موقع؛ إذا لم يكن لدينا إلا موقعا واحدا، فقد يتعلق الأمر بكل ما جرى حسب مختلف الفترات المأخوذة بعين الاعتبار أو مختلف الفاعلين الذين تتم عليهم الدراسة مثلا. أما بالنسبة إلى المقابلة فيتمثل الأمر في إقامة صورة عن كل شخص بحوث تكون مصحوبة بأقواله المصرح بها. أما بالنسبة إلى تحليل المحتوى فربما يكون الأمر متعلقا بمعنى ومدلول كل وثيقة محصاة. هكذا نصل إلى إقامة تصور أولي أكثر إلماما بمعنى المعطيات المتحصل عليها. يمكننا اعتبار عملية التقليص هذه كمرحلة سابقة للتحليل.

تكثف أفقي
عملية القيام بمقارنة بين المعطيات الكيفية في الدراسة طبقا لكل بعد

التكثف الأفقي. يتركز العمل أثناء القيام **بالتكثف الأفقي** على تجميع كل المعلومات المتحصل عليها حول جانب واحد من الدراسة. إننا نقوم بمقارنة بين وحدات التحليل أو العناصر المختارة من مجتمع البحث حول نقاط دقيقة. يمكننا مثلا، وحسب التحليل المفهومي للبحث والتقنية المستعملة، استخراج كل الملاحظات حول طريقة اللباس أو كل الأفعال والحركات في هذا الوقت من النهار أو ذاك لو اعتبرنا الوقت متغيرا أساسيا في البحث، أو حول كل الإجابات التي تقدم بها مختلف الأفراد حول موضوع ما من المقابلة، أو حول كل التقديرات والآراء الواردة عن نفس الحدث من خلال الوثائق المختلفة. هكذا نكون قد تهيئنا للتحقق أثناء التحليل إن كان هناك، مثلا، ثوابت من هذا الشخص أو ذاك أو تنوع في أنماط ردود الأفعال حول وضعية معينة.

التكثف الافتراضي. لتجميع المعطيات يمكننا أيضا استعمال بالموازة الحدس والتأمل في الحوادث الخارقة التي تظهر أثناء جمع المعطيات أو أثناء ترتيبها. ينبغي أن تخضع هذه الافتراضات، رغم أهميتها، حيث تبرز كتوضيح للفرضية أو لهدف البحث، لتقييم أكثر صرامة مقارنة بالمعطيات الأخرى المتحصل عليها وأن تجري مناقشتها قبل الاحتفاظ بها إذا كنا نعمل ضمن فرقة بحث. إذا ما اجتازت هذه الافتراضات اختبار الصدق، يمكن أن تصبح أداة جديدة للتجميع، أو هذا ما يعرف **بالتكثف الافتراضي**. هكذا يسمح البحث الكيفي بالعمل من جديد على تعريف المشكلة لأنه يستعمل بكثرة التكرار، وهو عملية تقوم على أساس الإعادات، المراجعات، التقييمات بالتقريب وإعادة القولبة التي نستعملها ونلجأ إليها خلال كل مسار البحث.

تكثف افتراضي
عملية توحيد المعطيات الكيفية ضمن زاوية واحدة أو عدة زوايا تظهر فائدتها أثناء البحث

العروض المرئية للمعطيات الكيفية

إن المعطيات الكيفية مثلها مثل المعطيات الكمية تكون ذات فائدة أكثر لما تعرض في شكل مرئي. هذا ما يسمح ليس فقط بتقليص تكدس المعلومات ولكنه يسمح أيضا بتكوين بعض الرؤى التركيبية (synthétiques). كما يسمح ذلك بالإدراك المتزامن لعناصر كثيرة. تتنوع أشكال العرض بثراء خيال الباحث (Huberman et Miles 1991)، لكن يمكننا اللّجوء إلى شكلين أساسين من أشكال العرض المرئي، وهما : الجدول والشكل.

جدول 5.11

إقامة علاقة بين متغيرات كيفية

كشف أحداث أساسية أثناء استفتاء دستوري

المتدخلون	الفترة الانتخابية		
	الأسبوع الأول	الأسبوع الثاني	الأسبوع الثالث
مجموعة الإجابة ب نعم	يبرز الطرق المسدودة للوضع الحالي	يؤنب المناصرين لـ لا	يصرح بمستقبل أفضل
مجموعة الإجابة ب لا	يهاجم أفكار مجموعة نعم	يصرح بمستقبل لا ينبئ بخير اذا ما فازت مجموعة نعم	يؤنب المناصرين لـ نعم
تدخلات أخرى	خبير ينتمي الى مجموعة نعم يؤكد أن الفترة غير مناسبة	استبيارات متنوعة تقدم المجموعتين أنهما متعادلتان	الدعوة الى التصالح مهما كانت نتيجة الاستفتاء

الجدول. الجدول، حيث سبق وأن قدمنا قواعد عن كيفية إعداده، هو في الأساس عبارة عن تقاطع لخطوط أفقية وعمودية، ينتج عنها عددا معينا من الخانات. إذا كانت المعطيات كيفية، فإننا عادة ما نسجل في هذه الخانات أشياء أخرى بدلا من الأرقام : قد تكون هذه الأشياء عبارة عن نص مختصر، اقتباس قصير، اختزال، رمز أو تقديرات أخرى وذلك من أجل إعطاء معنى لهذا العرض. يمكن أن يحدث تقاطعا بين أنواع مختلفة من المتغيرات في جدول معين. فالجدول 5.11، مثلا، يسمح بإقامة علاقة متغير متسلسل زمنيا، والذي عادة ما نظهره أفقيا (فقد قسم فيه الوقت

أنظر في هذا الفصل، «العروض المرئية للمعطيات الكمية».



إلى أسابيع متسلسلة)، بمتغير يتعلق بطبيعة الموضوع (الآراء السياسية). إنه، أكثر من ذلك، مثال لخانات مملوءة بنصوص قصيرة.

عموما يمكن أن يحتل الجدول من الصنف الكيفي في بعض الأحيان مجالا أوسع كثيرا من المجال الذي قد يحتله جدولا من الصنف الكمي، فلو كان غرضنا هو أن نقدم من خلال الجدول لمحة عن ردود أفعال كل العناصر المشاهدة أو المبحوثة أو المسجلة، وذلك كما سيبينه الجدول 6.11 الذي يستعرض رد فعل عشرة (10) أشخاص تم استجوابهم حول بعد معين من المقابلة. إننا عادة ما نضع العناصر أو الأفراد في الاتجاه العمودي، ونقوم بالمقارنة بينهم اعتمادا على الاتجاه الأفقي. في هذه المرة، فإن المثال هو عبارة عن خانات مملوءة إما باختزالات أو برموز أو باقتباسات مختصرة.

شكل
عرض بياني أو وصفي للمعطيات المتحصل عليها

الشكل. يمكن أن يساعد الشكل في عرض بعض الخصائص الهامة التي تسمح بتعيين أو تحديد طبيعة بعض السلوكات او بعض أساليب علاقات بين مفاهيم أو بين متغيرات. مثلا، لا يشير الشكل 2.11 إلى أي معطى رقمي ولا يقدم علاقة بين مساحة معينة ومختلف أجزائها (أعمدة، نقاط) ولا إلى أهميتهم النسبية في المجموع. إنه بالأحرى نتيجة لعمل تأملي ينطلق من ملاحظة السلوكات العائلية بهدف إقامة تصنيف معين. يوضح الشكل بكيفية بسيطة وواضحة تصنيفا لكل السلوكات العائلية في أربع فئات.

جدول 6.11

مصفوفة العناصر محل الملاحظة

مواقف تجاه المستقبل ونظام المبررات المقدمة

مستجوبون	مواقف	نظام المبررات المقدمة
1	ف	خ: «[...] لقد كان سوق العمل أكثر انفتاحا مما هو عليه الآن»
2	ف	د: «[...] سأتعلم أشياء كثيرة في الحياة الحقيقية»
3	ف	د: «[...] لم أبق من دون عمل أبدا وكنت أحب ما أفعل»
4	ف	خ: «كنا نعيش في فترة تتميز بالوفرة حيث كان العمل تقريبا مضمونا بمجرد إنهاء الدراسات.»
5	ف	خ: «إذا كنت تدرس فإنك بالتأكيد ستتحصل على عمل»
6	ش	خ: «بما أنني لم أكن أملك شهادات كثيرة، فقد كنت أعرف إذن أنني سوف لا أتحصل على عمل مهم»
7	ف	د: «كانت لدي مهارة، وكنت أعرف أنني قادر على القيام بأشياء.»
8	ف	خ: «بسبب اقتصاد الكيبك في تلك الفترة والذي كان يتميز فيها بالازدهار، التصنيع والتأميم»
9	ف	خ: «لأننا في ذلك الوقت لم نكن بحاجة إلى القيام بدراسات كبيرة للحصول على عمل»
10	ف	د وخ: «في ذلك الوقت كانت هناك أعمالا كثيرة بالنسبة إلى هؤلاء المشتغلين»

مفتاح الرموز	ف	متفائل بخصوص مستقبله في سوق العمل
	ش	متشائم بخصوص مستقبله في سوق العمل
	خ	مبررات خارجية
	د	مبررات داخلية

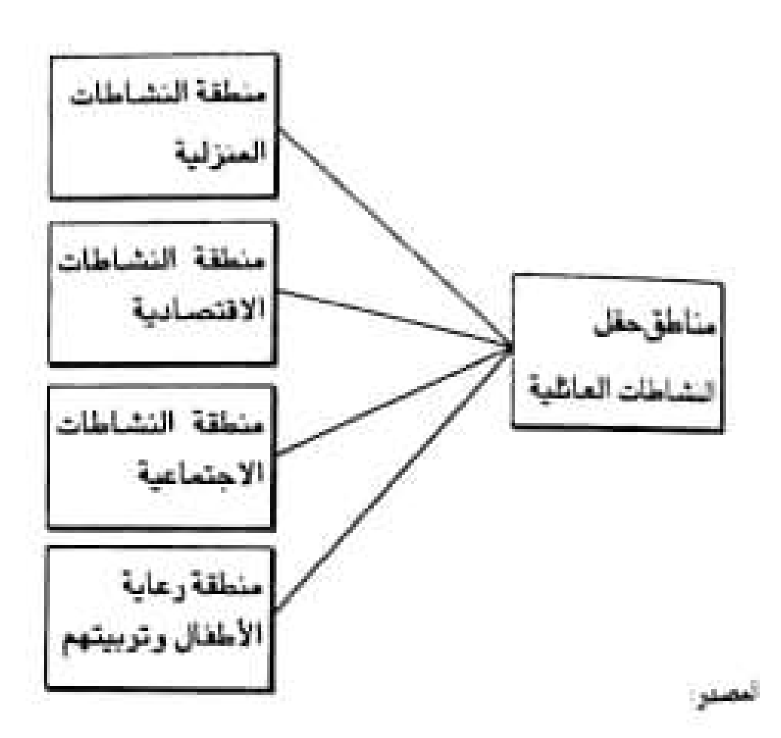
المصدر:

MAURICE ANGERS (hiver 1994). Entrevues avec des hommes et des femmes de la première génération de *baby boomers* (nés de 1943 à 1952), ayant vécu leurs vingt premières années de vie au Québec, sur leurs perceptions dans les années 1960, dans le cadre du cours *Individu et société*.

شكل 2.11

تصنيف السلوكات

مناطق حقل النشاطات العائلية



المصدر:

MAURICE ANGERS (1993). *Pouvoir dans la famille et planification des naissances en milieu défavorisé urbain québécois* (p. 18). Québec, Université Laval, Laboratoire de recherches sociologiques, cahier n° 04.

قد يريد الباحث بنفس الكيفية عرض شبكات التأثير في مجموعة سكانية أو مسار خط السلطة في وسط مهني بهدف تفسير أفضل لملاحظاته التي ستأتي فيما بعد. إن الشكل 3.11 يعطي مثالا حول طريقة عرض مسار خطوط السلطة في وسط مهني بواسطة رسم بياني نسميه بالمنظام (organigramme) ؛ إذ يمثل فيه كل مستطيل وظيفة من وظائف المؤسسة التي ترتبط بها تلك الوظائف التي تقع أسفلها، والمتصلة كلها فيما بينها بواسطة خط أو خطوط عديدة.

شكل 3.11

المنظام

مقتطف من منظام وزارة التربية للكيبك

الوزيـر

ديوان الوزير

نائب الوزير

مديرية التحقق الداخلي

الأمانة العامة

تنسيقية وضعية المرأة

مديرية الشؤون القانونية

تنسيقية العلاقات الخارجية

التكوين المهني والتقني

- مديرية البرامج
- مديرية التكوين المتواصل
- مديرية التنظيم البيداغوجي

ألتعليم الثانوي العام

- مديرية التعليم الخاص (privé)، علاقات العمل والتنسيق مع الشبكات
- مديرية البحث والتنمية
- مديرية الشؤون التربوية
- مديرية الموارد المادية والمالية

المصدر :

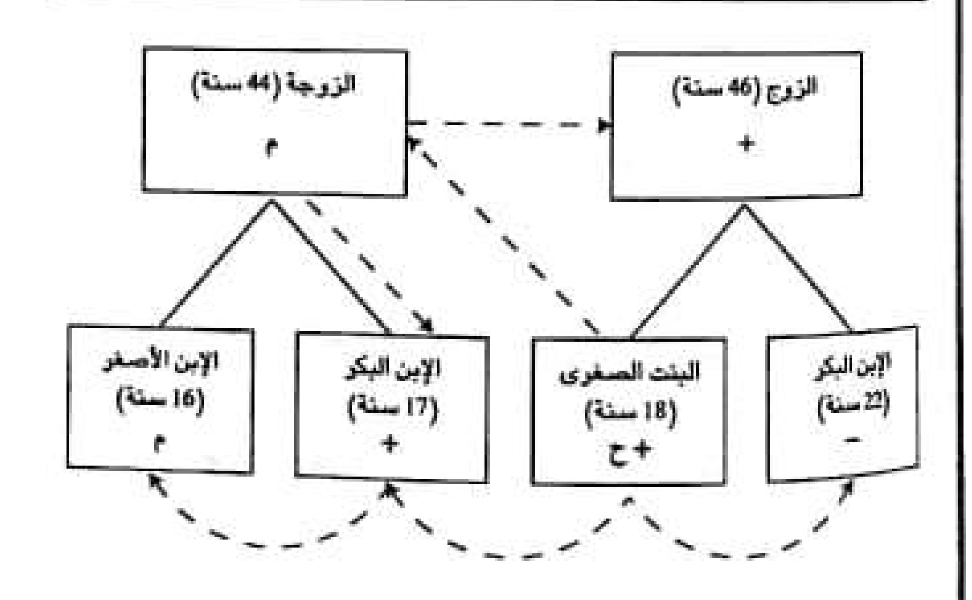
Ministère de l'Éducation, doc. n° 55-1708, 31 mars 1995.

لقد كان بإمكاننا إضافة خط من صنف آخر إلى هذا المنظام لتوضيح العلاقات غير الرسمية القائمة بين الأعضاء المستخدمين والموجودة بمحاذاة العلاقات السلّمية المفروضة وتلك البعيدة عنها. إن هذا الخط، الموجود بالتوازي مع خطوط السلطة، من الممكن أن يعلمنا عن شبكة التأثير. هذا ما يمثله الشكل 4.11 حيث تتجانب الخطوط الرسمية (الانتماء المباشر) مع الخطوط غير الرسمية (المناقشات العائلية). زيادة على ذلك، يشير هذا الشكل إلى سياق الملاحظات الذي هو توضيح الأدوار في العائلة. كما يمكن أن يشير هذا السياق في بحث آخر إلى خصائص أخرى (السن، الجنس، الوظيفة، إلخ.) أو إلى متغيرات أخرى كالوقت والمكان المحتل ضمن المجال، وهكذا دواليك.

شكل 4.11

مدرج سياقي حول الاتصال

مناقشات حول شراء الحاسوب داخل عائلة أعيد تركيبها



مفتاح الرموز:

―― تبعية أو انتماء مباشر.

أ – – ➤ ب: (أ) تحدث إلى (ب).

(ح): يلح على شراء الحاسوب

(+): موافق على شراء الحاسوب.

(–): رافض لشراء الحاسوب.

(م): لا يدري أو لم يجب.

هكذا يمكن أن يكون الشكل متكونا من مستطيلات، من خطوط مستقيمة أو مائلة، مستمرة أو متقطعة. كما يمكن إدماج رسومات لما تساعد في التوضيح أكثر. تستطيع الأشكال بدورها عرض العلاقات بين المتغيرات محل الدراسة في شكل محاور، مثلا. في الأخير، يمكن للخريطة ليس الجغرافية منها فقط بل الخرائط بكل أنواعها أن تكون ذات فائدة كبيرة نظرا إلى أهميتها في إبراز معنى المعطيات الكيفية بشرط أن تضع الأشياء المتنوعة في مجال فيزيقي أو رمزي. من جهة أخرى، يصبح هذا ضروريا في حالة اللجوء إلى الملاحظة في عين المكان وذلك للكشف والإبلاغ عن التنقلات والصعوبات الميدانية.

الأوصاف الصُوَرية

بدلا من القيام بعد بسيط للمعطيات والذي يمكن أن يكون امتداده عائقا أمام وضوحها، فإن عرضها بطريقة خاصة قد يعلمنا أفضل عن مجموعة من المعطيات. مثلا، إذا كانت لدينا معلومات كثيرة حول كيفية رد فعل عشرة أشخاص عن اعتداء ما، فيبدو من المهم تقديم المختصر في ثلاثة ردود أفعال نموذجية أفضل من وصف كل واحد على حدة. وهكذا يتضح أن النمطية النموذجية (typologie) يمكن أن تمثل مسعى لعرض حالة ما بأكثر وضوح. كل نمط ماهو عادة إلا تجريد بالنسبة إلى الواقع، أي ليس هناك حالة من الحالات المستعملة في التحضير تكون بمثابة صورة طبق الأصل للأخرى ؛ وعليه وبفضل هذا البناء فإن كل حالة ملموسة وواقعية يمكن فهمها على ضوء مدى قربها أو بعدها الكبير عن هذا النمط أو ذاك. إن النمطية عادة ما يتم استعمالها في العلوم الإنسانية لتصنيف الأشخاص. في الإدارة، مثلا، فإننا نستعملها في وصف أنماط التسيير وفقا لخصائص القائد الديمقراطي، السلطوي واللامبالي. هناك حالة خاصة من النمطية، وهي الكاريكاتور، والتي ينبغي استعمالها بحذر شديد ومن دون إفراط، والتي يمكن أن تكون ذات فائدة إن استطاعت إبراز السلوكات المتميزة كثيرا عن بعضها البعض. حتى في هذه الحالة، فالأمر يتعلق ببناء تجريدي هدفه فقط المقارنة بين الوضعيات أو الأفراد الذين يقتربون من نمط أكثر من اقترابهم من نمط آخر.

في الأخير يمكننا أن نلجأ أيضا إلى الاستعارة أو المجاز (métaphore) التي تستعمل لغة من مجال آخر يختلف عن المجال الواقعي الذي هو موضوع نهدف إلى إدراك معناه أفضل. هذا ما يجعلنا نتحدث على سبيل المثال عن معركة الدِيكة لوصف الصراع السياسي الشرس بين رؤساء الأحزاب أو التعبير عن عُقدة سندريلا (الطفلة ذات القصة الأسطورية) المترجم لوصف سلوك بعض النساء في علاقتهم بالرجال. إن الأمر هنا لا يتعلق بمضاعفة هذا الاستعمال في البحث العلمي ولكن باستخدامه إذا كانت الصورة تعطي كثافة وتعبر بأكثر وضوح عن السيرورة أو الميكانيزم محل الدراسة.

مهما كان الشكل المعمول به لعرض المعطيات الكيفية، فإن تقديمها لا يكون مقبولا إلا إذا كان يستجيب للاعتبارات الآتية :

- يوضح مشكلة البحث بدلا من الزيادة في غموضها ؛
- يسمح بضم كل المعطيات الهامة وليس بحذف البعض منها ؛
- أن يكون قد تم اختياره بعد نقده والتأكد من صلاحيته.

العد

من جملة الأدوات المتنوعة التي نعدها للبحث الكيفي لتقديم المعطيات، لابد ألا نهمل، حتى ولو مثل ذلك تناقضا، العمليات الخفية في الحساب. بالفعل، لو أردنا تقديم قائمة عن المواقف، مثلما هو الحال في الجدول 6.11 أو مجموع تدخلات مثلما هو الحال في الشكل 4.11 ، فإن الاستدلال الذي سنقوم به حول هذه الملاحظات يجعلنا نأخذ في الاعتبار حضورهم الكبير أو القليل وتمركزهم وكثافتهم. هكذا، ومن دون أن نكون واعين بذلك، نظرا إلى كون العينة أو مجتمع البحث صغيرا، فإننا نأخذ بعين الاعتبار العدد. فالنمطية النموذجية عادة ما تقوم، مثلا، على إمكانية ضم إلى كل نموذج عددا معينا من عناصر مجتمع البحث. لنفس السبب، يظهر في بعض الكتابات اتجاه آخر. من المهم إذاً عدم إقصاء الحساب في البحث الكيفي لأنه يمكن أن يكون حاسما في التحليل.

أخلاق تحضير المعطيات

ينبغي على الباحث العلمي أو الباحثة أن يضع عمله محل نقد من طرف زملائهم الآخرين. إن اقتسام المعلومات هو أيضا التزام على الأقل

من الناحية الأخلاقية بين أعضاء المجموعة العلمية (Crête 1992). هذا لا يقتصر على نشر النتائج فحسب، بل ينبغي أيضا أن توضع المعطيات المتحصل عليها في متناول الباحثين والباحثات الآخرين. ينبغي أن يتم تحضير هذه المعطيات بطريقة تجعل في إمكان العلماء الآخرين يفهمونها، كما ينبغي أن تكون مصحوبة بطريقة استعمالها. نظرا إلى كون الإجراءات في البحث الكيفي ليست معيارية، ينبغي علينا أن نجعل من الممكن التحقق من المسعى المتبع بواسطة فحص مدقق (audit)، أي شرح المسعى الذي يسمح بمراجعة ومراقبة المعطيات التي تم الحصول عليها.

أنظر الفصل 1، «أهمية النقد» وكذا الفصل 3، «المجموعة العلمية».

ينبغي علينا أثناء تحضير المعطيات ألا نخفي كل ما لا يتلاءم مع ما كنا نرغب في الوصول إليه (Sabourin et Bélanger 1988) . ينبغي إخضاع كل هذه المعطيات لكل الاختبارات الإحصائية المطلوبة، وليس فقط تلك المعطيات التي تسايرِ ما نريد البرهنة عليه، وزيادة على أننا تعهدنا بالسرية إلى عناصر البحث، فلابد علينا من احترام ذلك أثناء تسليم هذه المعطيات. إن المعلومات المقدمة لنا ستجمع، أي نجمعها مع معلومات أخرى ثم نعالجها بصفة إجمالية دون إمكانية العثور على مصدرها. في بعض الحالات، مثلا مهنة متخصصة يكون عدد ممارسيها محدودا جدا، لا يكفي جمع المشاركين لأن ذلك سيجعل من السهل التعرف عليهم، لهذا لابد من دمجهم في فئة أكبر. من جهة أخرى، فإننا سنطلب من مستعمل آخر أو من مستعملة أخرى التزاما من نفس المرتبة نحو عناصر بحثه عندما يكون من غير الممكن أو لا يجب أن تدمج هذه المعطيات أثناء تقديمها له.

أنظر الفصل 3، «العناصر البشرية»، وكذا الفصل 10، «محضر الالتزام».

خاتمة

تعتبر عملية تحضير المعطيات عملية دقيقة وحساسة، ذلك لأننا قد نقوم ببعض التغييرات التي لابد من تبريرها ؛ لابد علينا إذا من تسجيل كل القرارات المأخوذة أثناء تحضيرنا لهذه المعطيات وذلك حتى لا نتيه أثناء التحليل الموالي أو حتى تكون استدلالاتنا اللاحقة قائمة على سند متين. يمكن لهذه المعلومات أيضا أن تستخدم من طرف باحثين وباحثات آخريات ؛ كما قد نحتاج إلى الرجوع إليها بعد مرور عدة سنوات بهدف تعميق التحليل، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بتدوين كل هذه المعلومات التي

تخص تحضير المعطيات والاحتفاظ بها. إنه عبارة عن شكل من أشكال إعادة الاستغلال لهذه المعلومات أكثر فأكثر في المستقبل، مما سيعفي بعض البحوث اللاحقة من كثير من التكاليف التي تتطلبها عمليات الحصول على مثل هذه المعلومات.

إن الحاسوب هو أداة لا غنى عنها، تسهل كثيرا عملية معالجة المعطيات. نظرا إلى كون هذه الأداة غير معفية من التعرض لبعض الحوادث غير المتوقعة (النار، التكسير، السرقة، إلخ.) ؛ لذلك لابد من الاحتفاظ بنسخة من المعلومات في مكان ما بعيدا عن مكان العمل. كذلك الأمر بالنسبة إلى التسجيلات الخاصة بالمقابلات ومعطيات المقابلة أو مختلف الوثائق المتحصل عليها. في نفس السياق لابد من تحضير نسخ عديدة من دليل الترميز. بعد أن يكون الباحث قد استثمر كل هذا الوقت والجهد والموارد للوصول بالبحث إلى هذه النقطة، فمن المؤسف أن يتعرض ما بقي من العمل إلى خطر أو تشويه من جراء عدم تقيده ببعض الاحتياطات البسيطة والأولية.

مصطلحات أساسية

- معطيات خام
- ترميز
- ترقيم
- دليل الترميز
- تحقق من المعطيات
- تحويل المعطيات
- مراجعة المعطيات
- تهيئة المعطيات
- اجراءات وصفية
- عرض مرئي للمعطيات
- جدول ذو مدخل واحد
- جدول فئوي
- رسم بياني
- جدول ذو مدخلين
- اختبار إحصائي
- فرق دال
- عتبة الدلالة
- تكثف عمودي
- تكثف افقي
- تكثف افتراضي
- شكل

ملخص

إن المعلومات المتحصل عليها أثناء عملية الجمع هي معطيات خام، يجب تحضيرها بهدف تحليلها. للقيام بذلك، لابد من ترتيبها وتهيئتها. إنّ ترتيب هذه المعطيات الخام يتضمن ترميزها، التحقق منها، تحويلها ومراجعتها. إن تهيئة هذه المعطيات يمكن أن يتم بطرق مختلفة تسمح بوصف وتوضيح وتفسير أو إنشاء العروض التي نريد إبرازها. ينبغي ترقيم كل فرد أو وثيقة يقدم معلومات تم تسجيلها في سند لتسهيل التحليل اللاحق. كما يتعين أيضا، وذلك حسب الحالة، ترقيم إجابات الأشخاص أو الوحدات المأخوذة من وثائق.

إنّ الترميز هو عملية ترقيم للمعطيات الخام الخاصة بكل متغير من متغيرات الدراسة، يشرع فيه الباحث في لحظة بناء أداة الجمع التي عادة ما تتضمن نسقا للترميز، وذلك مثلما هو الحال في الاستمارة. إننا نقوم بالترقيم المتتالي للعناصر المنتقاة من مجتمع البحث وكذلك كل خاصية أو زاوية نستطيع من خلالها فحص العناصر والموقع الذي يحتله كل عنصر في كل زاوية ؛ لهذا لابد من منح كل الرموز معنى منسجما ومنطقيا

مع تفيئة الإجابات عن الأسئلة المفتوحة. يحتوي هذا الإجراء على أخذ عدد معين من الإجابات عشوائيا ثم مقارنتها وتقليصها في بعض ردود الأفعال الأساسية وبالتالي استخلاص بعض الأفكار الرئيسية التي ستكوّن على أساسها الفئات النهائية. من الضروري الاحتفاظ في دليل الترميز بكل الإجراء المتبع للتمكن من الرجوع إليه أثناء التحليل وجعله في متناول باقي الباحثين والباحثات.

أما التحقق من المعطيات فيهدف إلى حل بعض المشاكل المرتبطة بالمعلومات الوهمية والتي ليست مضبوطة جيدا وغير التمييزية والغائبة وغير المفهومة وغير المنسجمة والمتعارضة. هكذا سنصل، حسب الحالة، إلى ترميز بعض العناصر بطريقة خاصة أو حذف بعض العناصر والقيام ببعض التصحيحات.

بعدها سنكون جاهزين للقيام بتحويل المعطيات إلى سند، غالبا ما يكون البطاقية الإعلام آلية وذلك بهدف معالجتها. ستنتظم المعطيات الكمية كما هي الحال في مصفوفة المعطيات بواسطة برنامج الإعلام الآلي الإحصائي المختار، ثم سيكون بإمكاننا القيام بطلبات المعالجة. أما بالنسبة إلى المعطيات الكيفية، فينبغي تجميعها وتصنيفها عندما يكون الأمر متعلقا بتسجيلات الملاحظة، أو كتابتها حرفيا مع كل الملاحظات الهامة الخاصة بالمجال عندما يتعلق الأمر بالمقابلات، وذلك في البطاقية الإعلام آلية حتى نتمكن من القيام وبسهولة كبيرة بمختلف عمليات التجميع.

أما مراجعة المعطيات فتتضمن الكشف عن المعطيات الخاطئة ثم حذفها. فيما يخص المعطيات الكمية، يتطلب الأمر فحص كل جدول تجميع لكل متغير. عندما يظهر تشوها أو شذوذا، فلابد علينا من البحث عن مصدر ذلك. إن الخطأ يمكن أن ينشأ أساسا عن عمليات التحويل أو أثناء اختيار الأدوات التي ستستعمل أو عند تفيئة غير ملائمة. أما فيما يخص المعطيات الكيفية فلابد كذلك من إعادة النظر فيها لتصحيح، عند الحاجة، أجزاء ناقصة، اقتباسات غريبة أو صياغات غير لائقة. باختصار يجب جعل المعطيات قابلة للتحليل دون تشويهها مع حذف كل ما يسيئ إلى التحليل.

بمجرد ما ننتهي من ترتيب المعطيات، لابد علينا من تقديمها في شكل يسمح لنا بتحليلها. إن عملية التهيئة يمكن تحقيقها بطرق مختلفة. بالنسبة إلى المعطيات الرقمية، فإننا نستعين بالقياسات الوصفية. إن المطلوب منا

أولا هو تحويل الأرقام المطلقة الموجودة في جداول التجميع إلى نسب مئوية وذلك بهدف جعل هذه المعطيات قابلة للتقييم والمقارنة. بعد ذلك، من أجل تمييز بعض المعطيات، يمكننا الانتقال إلى قياسات، إما أن تكون ذات اتجاه مركزي مثل المنوال، الوسيط أو المتوسط الحسابي ؛ وإما أن تكون ذات علاقة بالتشتت مثل الانحراف المعياري، وإما أن تكون خاصة بالموقع مثل الأرباع أو الأعشار.

يمكن أيضا تنظيم المعطيات الكمية في شكل جداول ورسومات بيانية. إن الجدول ذو المدخل الواحد يمثل التوزيع الخاص بمتغير واحد فقط. يصبح هذا الجدول عبارة عن جدول فئوي إذا كانت الفئات أو قيم المتغير قد جمعت لتسهل قراءتها. إن هذه الجداول ذات المدخل الواحد تعطي تكرارا لكل فئة من فئات المتغير في عدد مطلق أو نسبي. عندما تضع فرضية ما علاقة بين متغيرين فإن هذه العلاقة يمكن عرضها بمساعدة جدول ذو مدخلين. أما بالنسبة إلى الرسم البياني، فيمكن أن يأخذ أشكالا مختلفة : مدرج الأعمدة الذي يتكون من مستطيلات عمودية أو أفقية متباعدة ؛ أما المدرج التكراري فيتكون من مستطيلات أفقية موضوعة بجانب بعضها البعض ؛ أما المضلع التكراري فيتصل بواسطة خطوط مستقيمة بأوساط قمم المستيطلات في المدرج التكراري ؛ أما المنحنى التكراري فيعطي شكل منحنى لخطوط المضلع التكراري ؛ والمدرج الدائري من جهته يشبه كعكة الحلوى المقسمة إلى أجزاء تشير كل قطعة منها إلى القيمة المطلقة أو النسبية للفئة ؛ وأخيرا فإن المضلع التكراري المتجمع الصاعد يوضح تغييرات المتغير حسب الفترة الزمنية المأخوذة في الاعتبار.

كما يمكن القيام باختبارات إحصائية لتحديد العلاقة بين متغيرين ومدى شدتها. إن بعض برامج الإعلام الآلي تقوم بالحسابات التي تتم آليا. هذه الاختبارات الإحصائية هي ذات نوعين. هناك اختبارات الفرضية : وهي التي تسمح بالتحقق إن كانت الفروق الملاحظة في العينة صالحة لكل مجتمع البحث، وبالتالي ستساعد في التحقق من العلاقة الموجودة بين المتغيرين. إن الاختبار ينطلق من الفرضية الصفرية، بمعنى أنه لا توجد علاقة بين متغيرين خاضعين للاختبار، وبكلمات أخرى، فإن العلاقة الظاهرية ليست ذات معنى ودلالة، وأنها تعود إلى الصدفة في سحب العينة. نظرا إلى وجود فارق ضروري لا محالة بين العينة ومجتمع البحث فينبغي قبول حد معين من الخطأ في الفروق الموجودة بين المتغيرين.

بالرغم من كل هذا، وعند ملاحظة استمرار الفارق، يمكن الجزم أن الاختبار هو ذو دلالة، أي هناك علاقة بين متغيرين. كما توجد أيضا اختبارات التجميع تسعى لاخبارنا عن شدة العلاقة الإحصائية بين متغيرين. إنّها تسمح بإتمام دراسة العلاقة بين متغيرين بالنظر إلى فرضيات البحث.

ما يتضمنه التحضير الأخير للمعطيات بهدف التحليل هو إنشاء متغيرات جديدة. فالدليل هو متغير يجمع مجموعة من المؤشرات تم تحويلها إلى أسئلة أو غيرها بحسب التفيئة المستعملة. يمكن بناء الدليل، بشرط أن تمثل المؤشرات المختارة جزءا من نفس ميدان المعاني المستمد منه الدليل. في نفس الوقت، إذا تضمنت متغيرات البحث الأخرى فئات يمكننا تقليصها وذلك بتجميعها، فينبغي العمل بهذه التوصية. هكذا ننشأ متغيرا جديدا بجانب المتغير الأصلي.

أما بالنسبة إلى المعطيات الكيفية فإننا نبحث عن تجميعها في مواضيع تستخدم كخيوط هادية أثناء التهيئة. إلا أنه يمكننا أن نستعين أيضا بالتكثف العمودي الذي يتضمن حوصلة عن مضمون كل وحدة من وحدات التحليل، والاستعانة كذلك بالتكثف الأفقي الذي يتضمن المقارنة بين مختلف عناصر مجتمع البحث حول موضوع أو نقطة محددة، ويمكننا الاستعانة كذلك بالتكثف الافتراضي الذي يتضمن تجميع المعطيات انطلاقا من فكرة جديدة أو من حدس يبرز أثناء عمليات البحث.

يمكن تنظيم المعطيات الكيفية في شكل جداول إحصائية أو أشكال. يمكن أن تتضمن خانات الجداول نصوصا قصيرة أو اقتباسات مختصرة أو اختزالات لغوية أو رموز متنوعة. أما الشكل من جهته فيمكن أن يقدم، مثلا، تصنيفا أو ترتيبا وإقامة علاقات بين العناصر المراد دراستها. يكون الشكل في هيئة مستطيلات، خطوط أو حتى رسوم. يمكن أيضا الاستعانة بالأوصاف التي تكون في شكل صور في عرض المعطيات الكيفية. بإمكاننا كذلك استعمال النمطية النموذجية والاستعارة للقيام بذلك.

تتمثل الأخلاق، أثناء تحضير المعطيات، في جعل هذه الأخيرة متوفرة لدى الباحثين والباحثات بكيفية تجعل بإمكانهم أن يدركوا بوضوح الإجراءات المستعملة وإيجاد كل المعطيات مع تنبيههم إلى الاحتياطات التي اتخذت من أجل الحفاظ على سرية عناصر البحث.

أسئلة

1. صرح شخص ما أنه قام بترميز المعطيات ثم مراجعتها، ثم تحويلها وأخيرا التحقق منها. فهل اتبع التسلسل الصحيح ؟ برر إجاباتك بتقديم التسلسل الصحيح، إن اقتضى الأمر ذلك، مع توضيحك باختصار لطبيعة كل عملية من هذه العمليات الخاصة بالتسلسل ؟

2. انطلاقا من إحدى تقنيات البحث، حدد بدقة كيف يتم ترقيم المعطيات ؟

3. ماهما الشكلان الرئيسيان للعروض المرئية للمعطيات الكمية وماهي مزايا كل واحد منهما بالنسبة إلى الآخر ؟

4. ما الذي يفرق بين جدول ذو مدخلين وجدول ذو مدخل واحد فقط ؟

5. في حالة ما إذا صرحنا، أثناء فحصنا لجدول ذو مدخلين، أن هناك علاقة دالة بين المتغيرات، فما هو الاستدلال الذي قادنا إلى هذا التصريح ؟

6. هل يمكننا بعد جمع المعطيات الكمية أن ننشىء متغيرات جديدة ؟ إذا كانت الحالة كذلك، صف طبيعتها.

7. ماهي الطرق التي نستطيع بواسطتها تقليص المعطيات النوعية أو تجميعها ؟ صف هذه الطرق.

8. ما الذي يفرق بين جدول قائم على معطيات كيفية وجدول قائم على معطيات كمية ؟

9. هل من الطبيعي، في حالة العمل على معطيات كيفية، إبعاد كل إجراء يتعلّق بالعد ؟

10. ماهي الأخلاق التي يكون الباحث أو الباحثة ملزمين بها أثناء تحضيرهم للمعطيات ؟

الفصل 12

تقرير البحث

قد يظل أكثر الباحثين موهبة طوال حياته مجهولا إذا لم يعرف كيف يبلغ معارفه بشكل يجلب اهتمام زملاؤه ويجذب المجموعة الواسعة من العلماء.

JOCELYN LÉTOURNEAU

أهداف

بعد قراءة هذا الفصل يكون في استطاعة الطالب أو الطالبة أن :

- يحدد بدقة مختلف الأنواع الممكنة لتحليل المعطيات ؛
- يؤول المعطيات ؛
- يعد خطة التقرير ؛
- يميز الأنواع الممكنة لتقرير البحث ؛
- يصف العناصر الأساسية التي يتضمنها تقرير البحث العلمي ؛
- يطبق القواعد الخاصة لتقديم التقرير ؛
- يقدر المقاييس العامة التي يتم من خلالها تقييم تقرير ما.

تمهيد

يعتبر تقرير البحث بمثابة تتويج لعمل البحث ؛ وفيه يتم عرض حوصلة الطريقة المتبعة وكذلك تحليل المعطيات وتأويل النتائج. فعلا، فمن دون هذا التقرير، فإن كل بحث علمي لاحق قد لا يكون سوى تكرارا للبحوث السابقة لكونه لم يستفد أو يستغل تجربة هذه البحوث ونتائجها. يمثل تقرير البحث كذلك الكيفية التي يتم بواسطتها إخضاع العمل المنجز لتقييم الزملاء. لهذا يجب أن يكون التقرير متضمنا لكل عناصر البحث الأساسية، أي محددات المشكلة المدروسة، المنهجية المستعملة، تحليل المعطيات وتأويل النتائج، وأن يكون أيضا ذو دلالة بالنسبة إلى الفرضيات وأن يتم تصوره وتقديمه وتحريره بطريقة تجلب اهتمام الجمهور المستهدف.

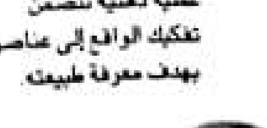
التحليل والتأويل

قبل الشروع في تحرير تقرير البحث، لابد أولا من الانتهاء من تحليل المعطيات وتأويل النتائج مع تجنب الأخطاء التي قد تبطل الإثنان معا.

تحليل المعطيات

إن التحلي بروح التحليل لا تقتصر على مرحلة التحليل والتأويل فقط، بل إنها تمتد لتشمل كل المراحل والخطوات الأخرى السابقة لهذه المرحلة، ذلك لأننا نقوم ومنذ البداية بتجزئة البحث إلى مراحل، كما نقوم بتجزئة الفرضية إلى حدودها الأساسية، إلخ. كما يظهر هذا التحلي أيضا أثناء ترتيب المعطيات وتهيئتها ؛ وعليه يتعلّق الأمر بالاستعداد لتجزئة الواقع وذلك بعرض كل الملاحظات ثم علاقات السببية أو التبعية المتبادلة بين المتغيرات، والأهمية النسبية للروابط بين مختلف الظواهر، إلخ. سيكون من الممكن أن نتحقق إذن من الفرضية وهدف الدراسة من خلال مجموع المعطيات المهيئة.

تحليل
عملية ذهنية تتضمن تفكيك الواقع إلى عناصره بهدف معرفة طبيعته.



يتم **تحليل** المعطيات على أساس حركة الفكر هذه التي تفحص كل ظاهرة أو كل ملاحظة بهدف استخراج النتائج الدالة بالنسبة إلى مشكلة البحث. إننا نتقصى بدقة، وبطرق مختلفة، المعطيات التي نهدف من خلال

الحصول عليها إلى بلوغ أكبر قدر ممكن من المعاني على أساس ما كنا نبحث عنه منذ البداية. ويمكن اختصار طرق العمل هذه في أربعة أنواع أو زوايا للتحليل : التحليل الوصفي، التحليل التفسيري، التحليل الفهمي والتحليل التصنيفي.

أنــواع التحليـل

لكي نفهم، ولو جزئيا، حركة الفكر هذه والمتمثلة في التحليل سنحاول أن نطبق ذلك في دراسة شيء مادي، ولتكن الساعة مثلا. فإذا كان المطلوب منا هو تحليل ساعة، فلابد علينا أولا من وصف كل القطع التي تكونها وهي : العجلات، الإطار، العقارب، الدواليب المسننة، المرفاع، الرقاص الوازن، اللولب، إلخ. بعد ذلك، لابد أن يكون في استطاعتنا تفسير كيف ترتبط هذه القطع ببعضها البعض في شكل كلي ومتكامل يتمثل في الساعة. هكذا نكون قد فحصنا تداخل هذه القطع، أي كيف يرتبط كل منها بالآخر، إلخ. يمكن إذن للتحليل أن يعرض من زاوية وصفية أو من زاوية تفسيرية. وفقا لهذا النظام من الأفكار، سيتضمن تقرير البحث الوصفي بكل بساطة حوصلة عن كل واحدة من مركبات الواقع المدروس؛ والفرضية التي تتناسب بشكل خاص مع هذا النوع من التقرير هي الفرضية أحادية المتغير. إن التقرير الأولي المطلوب من طرف الهيئة طالبة البحث يمكن عرضه بهذه الكيفية، طالما أن **التحليل الوصفي** يمكن أن يتم في مرحلة أولى بسرعة أكثر من **التحليل التفسيري**. على نفس المنوال، عادة ما يقتصر سبر الآراء على هذا النوع من التحليل. بكلمات أخرى، فإن إنتاج تقرير وصفي إنما يعني أننا نكتبه انطلاقا من كل واحدة من الملاحظات الهامة التي تمت أثناء جمع المعطيات.

انظر الفصل 6، «الفرضية (أشكالها)».

تحليل وصفي
تحليل يهدف إلى عرض مفصل لموضوع ما.

تحليل تفسيري
تحليل يهدف إلى وضع عناصر الموضوع في علاقة ببعضها البعض.

لو رجعنا إلى المثال السابق حول الساعة ولجأنا إلى نوع آخر من التحليل، فلابد أن يكون للساعة وعيًا بوجودها وأن يكون في مقدورها التعبير عن هذا الوجود، طالما أن الطريقة الثالثة للتحليل تتضمن الاهتمام بما يفكر فيه الأشخاص والمعاني التي يعطونها لأفعالهم. هذا ما يجعلنا نقول إننا نبحث عن فهم الظواهر الإنسانية موضوع الدراسة. في العلوم الإنسانية، فإن موضوع الدراسة قد يسمح لنا إذن بالقيام **بتحليل فهمي** لهذه السلوكات والأقوال، وهذا ما يجعلنا نميل أكثر إلى التركيز على المعاني التي يمكن أن يكون قد منحها عناصر البحث لأفعالهم. قد يكون

تحليل فهمي
تحليل يهدف إلى فهم الواقع من خلال معاني يعطيها الأفراد لتصرفاتهم.

هذا التحليل هو هدف البحث أو يندمج مع النوعين الآخرين من أنواع التحليل للإحاطة أحسن بالظاهرة موضوع الدراسة. كما يكون **التحليل تصنيفيا** أيضا، أي أنه يبحث مثلا عن إقامة أنواع من السلوك أو نماذج من التصرفات ؛ وعليه يمكن للتحليل في آخر المطاف أن يبحث عن تصنيف الظواهر بتجميع مختلف معطيات الملاحظة.

تحليل تصنيفي
تحليل يهدف إلى جمع الظواهر أو عناصر الواقع حسب مقاييس متنوعة.

كتلخيص، نفترض أن بحثا يجرى حول السياسة الخارجية لبلد معين ؛ فوصفها يعني أننا نوضح مكوناتها ؛ وتفسيرها يعني وضعها في علاقة بالخصائص الأخرى لهذا البلد، وفهمها يعني أخذ بعين الاعتبار المبررات الممنوحة لهذه السياسة من طرف البلد نفسه أو من طرف ممثليه. أما تصنيفها فإنما يعني وضعها في إطار علاقتها بنماذج أخرى من السياسة الخارجية. إن التحليل إنما يدل على القيام وبالتناوب بعمليات : الوصف، التصنيف، التفسير أو الفهم وهذا ما يتطابق بالضبط مع أهداف العلم نفسها. إذا كان بإمكاننا الاعتماد على نوع واحد من التحليل، فإنه يمكننا كذلك التركيب بين أكثر من نوع واحد، غير أننا في البحث العلمي نحاول عامة وصف الظواهر وتفسيرها.

انظر الفصل 2، «أهداف العلم».

كما يمكن أن يوجه التحليل نحو بعض المعطيات الخاصة التي يبدو فحصها ذو فائدة، وهذا ما نسميه بالموقف الظاهراتي) (attitude phénoménologique) (Selltiz et coll. 1977:454) والذي يتضمن التركيز على عنصر واحد فقط أو بعض العناصر أو الحالات التي تبدو أنها تستحق في حد ذاتها تعمقا بدلا من تركيبها ضمن مجموع يكون أكثر اتساعا. هذا ما نقوم به عندما نتوقف على بعض عناصر مجتمع البحث أو العينة الذين يتمتعون بسلوكات لا نستطيع تصنيفها مع مجموع السلوكات الأخرى، حينئذ سيكون التحليل كيفيا ولا يهتم إلا بالتعمق في الحالة أو الحالات المنتقاة.

إجراءات التحليل

انظر الفصل 6، «التحليل المفهومي».

لا يمكننا القيام بالتحليل إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الكيفية التي جعلنا من خلالها سابقا مشكلتنا تأخذ طابعا عملياتيا. وقد تم تلخيص هذا العمل في شكل مخطط التحليل المفهومي. إن الفرضيات أو هدف البحث الذي يسير هذا الإطار المفهومي يعد بمثابة المرجعية المسيطرة، إن لم نقل إنها

المرجعية الوحيدة لكل التحليل. إن تقييم المعطيات المهيأة يتم دائما في إطار العلاقة بهذه الفرضية أو هذا الهدف. كثيرا ما تعتمد وحدة التحليل على هذه المرجعية الثابتة للفرضية أو هدف البحث الذي يضمن صحة الأقوال. لهذا فإن للباحث مصلحة كبيرة في الاحتفاظ خلال مدة التحليل، بدليل الترميز، الذي من ضمن ما يتضمن نجد مخطط الإطار المفهومي والفرضية أو هدف البحث الذي انبثق عنه هذا الإطار. إن كل جدول، كل شهادة، كل ملاحظة وكل موضوع سيتم فحصه في علاقته بتعريف مشكلة البحث.

انطلاقا من جدول ذو مدخل واحد، ونحن نقوم بتفحص المعطيات المعروضة في شكل جدول ذو مدخل واحد، سنظل محتفظين في أذهاننا بتعريف المشكلة للوصول إلى استخراج مشاهدة أو مشاهدتين أو ملاحظتين مرتبطتين بفرضية أو بهدف البحث، وعليه فالمسألة لا تقتصر على استخراج كل المعلومات التي يتضمنها الجدول بل ستقتصر فقط على أخذ تلك التي تكشف عن شيء ما حول المشكلة محل الدراسة. باختصار، إننا لا نعلق فيما بعد على كل الأرقام أو كل ماهو مسجل في الجدول لكننا سنكتفي بالتعليق فقط على ما يظهر منها أنه مهما بالنسبة إلى ما نريد أن نبينه.

انطلاقا من جدول ذو مدخلين ونتائج اختبار إحصائي. إن الملاحظات حول الجدول ذو المدخل الواحد تطبق أيضا على الجدول ذو المدخلين. إن خصوصية هذا الأخير هي أن إعداده قد يتم بمساعدة الاختبارات الإحصائية وذلك للتحقق إن كان المتغيرين اللذين افترضنا أنهما مترابطان انطلاقا من الفرضية هما مترابطان فعلا. إن نتائج هذا الاختبار أو ذاك هي التي يجب أن تقود التحليل، وفي هذا المجال بالضبط تبرز معاني مصطلحات الفرق الدال أو عتبة الدلالة ؛ وبالتالي فإننا نوضح بدقة أولا هل الفرضية مؤكدة أو منفية، ثم ندعم بعد ذلك هذه الأقوال معتمدين على واحدة أو إثنان من الملاحظات الموجودة في الجدول.

انظر الفصل 11، «الاختبارات الإحصائية».

انطلاقا من الرسم البياني أو من الشكل. إن نفس إجراءات التحليل المطبقة في الجدول يسري تطبيقها أيضا في حالة المعطيات المقدمة بواسطة الرسم البياني أو الشكل، ذلك لأننا ـ وفي هذه الحالة أيضا ـ نكون أمام متغير أو أكثر، لأن ما تغير لا يتعدى الشكل الذي قدمت بواسطته المعطيات، ولم يتم اختيار هذا الشكل إلا لأنه يسمح بإبراز أفضل لما نسعى إلى توضيحه،

وبالتالي، وخلال التحرير، فإننا سوف لا نطيل كثيرا في وصف محتوى الرسم البياني أو الشكل إلا إذا كانت درجة تعقيدهما تفرض ذلك ؛ والأفضل أن نستخرج بعض المشاهدات التي تؤكد صحة ما عرضناه أو بطلانه أثناء تحديدنا لمشكلة البحث.

تأويل النتائج

تأويل النتائج
استدلال يهدف إلى إعطاء دلالة للتحليل.

ليس من السهل دائما فصل **التأويل** عن التحليل، لأنه هو الآخر يعتمد أيضا على المعطيات، لكنه يبحث في الذهاب إلى أبعد من ذلك. ليس في استطاعة أي أحد القول إن الأمر لا يتعلق بتحليل دقيق. فعلا، إننا لا نهدف في هذه الحالة سوى تجاوز المشاهدات البسيطة.

لو رجعنا إلى مثالنا السابق حول الساعة : فإذا كان التحليل يستهدف إبراز المكونات، فإن التأويل، سواء لكل جزء من الساعة أو الساعة كمجموع كلي، يهدف بالأحرى إلى اكتشاف الروابط بين مختلف العناصر المكونة لها، وبالتالي، من خلال دراستنا للساعة الميكانيكية مثلا، فإننا سنتوصل إلى اعتبارات حول التصورات النظرية التي منحتها شكلها، أو حول المنهج المستخدم في دراستها، أو حول الأصناف الأخرى من الساعات، أو حول أجهزة قياس الزمن أو حول أجهزة القياس بصفة عامة. ينطلق التأويل إذن من المشاهدات التي تمت حول شيء أو ظاهرة بفضل التحليل. ثم إن التحليل يميل إلى اعتبارات أكثر عمومية حول الروابط بين العناصر التي تم تحليلها. إذا قلنا، مثلا، إن للنساء مدة حياة أطول من مدة حياة الرجال، وهي ظاهرة تمت ملاحظتها أثناء تحليل معطيات التعداد، سيؤدي بنا ذلك إلى التفكير في معنى هذه الملاحظة، مداها، نتائجها النظرية والاجتماعية وحدودها بالنظر إلى مجتمع البحث محل الدراسة وإمكانية تعميمها على سياقات أخرى، كما سيثير ذلك تساؤلات جديدة. يظهر التأويل إذن كأنه عملية ذهنية متميزة عن التحليل ومرتبطة به في نفس الوقت؛ ولهذا نجد في معظم الأحيان تأويلات في تقارير البحث، مدمجة مع تحليل المعطيات أكثر مما هي موضوعة في محور مستقل، ما عدا في البحث التجريبي أو المخبري.

إن التأويل يسمح، مثل التحليل، بالميل نحو ملاحظة الواقع على أساس فرضية الانطلاق ؛ هذا سيؤدي بنا بالتالي إما إلى مراجعة التنبؤ

الأصلي أو حتى النظرية التي يندرج ضمنها هذا التنبؤ إذا ما كانت الفرضية غير صحيحة، وإما بإثراء المشكلة المطروحة للدراسة باعتبارات نظرية وميدانية جديدة إذا ما ثبتت صحة الفرضية. بفضل التأويل الذي ماهو إلا عبارة عن استدلال منطقي، سيبرهن الباحث أو الباحثة على قدراته الاستدلالية وتفتح ذهنه معبراً في نفس الوقت عن وجهة نظره الشخصية (Demers 1982 : 11). إن التعبير عن وجهة نظر شخصية لا يعني أن يكون الباحث أقل صرامة أو أن يبتعد عن جواهر ومرامي التحليل، بل يعني فقط الإتيان باعتبارات جديدة انطلاقا مما توحي به النتائج.

انظر الفصل 1، «الاستدلال»، و«التفتح الذهني»

الأخطاء التي ينبغي تفاديها

يمكن أن تنتج بعض الأخطاء أثناء التحليل أو التأويل أو خلال المراحل التي تسبقهما. إن معرفة هذه الأخطاء والقيام بالتصحيحات كلما كان ذلك ممكنا والإشارة إليها، وبالتالي أخذ في الحسبان كل الحذر فيما نصدره من أقوال، كل هذا يضمن إلى حد كبير مصداقية تقرير البحث. هناك أربعة أنواع من الأخطاء الملاحظة وهي : الخطأ المتعلق بالظروف المادية، الخطأ النسبي، خطأ التأويل وخطأ التقرير الموجز.

الخطأ المتعلق بالظروف المادية

خطأ متعلق بالظروف المادية
معطى خاطئ تم الحصول عليه.

هناك **خطأ متعلّق بالظروف المادية** في الحالات الآتية : عندما يقدم المخبر معلومة سيئة، عندما لا ينطبق الاختبار الإحصائي المنتقى مع نوع المتغيرات الموضوعة في علاقة، وعندما تشكو المعاينة من نقص الأفراد في إحدى المجموعات الفرعية من مجتمع البحث، وعندما لا تجرى المقابلة في أحسن الشروط، وعندما يتم فحص الوثائق بطريقة سيئة، وعندما تكون إحدى المعلومات غير مؤكدة، وكذا عندما يكون تسجيل المعطيات سيئا، إلخ. باختصار، ينتج الخطأ المتعلّق بالظروف المادية في غالب الأحيان من المعطيات التي لا يمكن التأكد من دقتها، لهذا لابد من تصحيح هذا الخطأ في حدود الإمكان وأخذه، على الأقل، بعين الاعتبار أثناء التحليل.

الخطأ النسبي

خطأ نسبي
فرق في المعطيات المتحصل عليها والمرتبط بعوامل السياق أو الزمن

إن **الخطأ النسبي** ليس خطأ في حد ذاته، ولا يصبح خطأ إلا عندما يتم أخذ معلومة ما في غير معناها ومقصدها الحقيقي. إن الخطأ النسبي يمكن إرجاعه إلى التغير الذي يتم في الزمن. قد يؤكد أحد الأشخاص مثلا أنه ينوي التصويت في يوم ما على الحزب كذا، وبعد مرور أسابيع يصوت على حزب آخر، في حين لا تعتبر هذه المواقف والأخرى خطأ في حد ذاتها، ذلك لأن كل المواقف محتملة. يمكن أيضا إرجاع الخطأ النسبي كذلك إلى السياق. فاستجواب شخص ما بمفرده يختلف عن استجوابه ضمن مجموعة من الأشخاص مما يجعله لا يجيب بنفس الكيفية في الحالة الأخيرة بحيث سوف لا يتصرف إلا انطلاقا من تفاعله مع الآخرين. لن يكون هناك خطأ إذن إلا إذا لم تأخذ بعين الاعتبار عوامل السياق وعوامل الزمن على أساس الهدف المتوخى أو مستوى الدقة المرغوبة.

خطأ التأويل

خطأ التأويل
حكم متحيز على الواقع.

سنقع في **خطأ التأويل** عندما نستنتج من المعطيات أشياء لا تدل عليها. عندما نعمل على تأييد ماهو مؤكد داخل الرؤية النظرية لظاهرة ما، فإننا سنحاول أولا التحقق من صدقها وصحتها وترقب نتائج مؤكدة في هذا الخصوص ؛ في حين أنه من الممكن أن يحدث منذ أول وهلة على الأقل أن بعض الوقائع تكون بعيدة عن النتائج المرتقبة وأننا لم ننتبه لها، ولم نُعرْ لمدى صدقها وصحتها أي اهتمام. لابد علينا أن نعود إذن إلى فحص المعطيات عندما يتبين أنه لا يمكننا الاستغناء عن الملاحظات الهامة. ومن جهة أخرى، فإنه لا يجب المبالغة في التوافق بحكم أن النتائج جاءت مسايرة للنظرية التي تم الانطلاق منها، ذلك لأن الواقع هو دائما أكثر تعقيد من كل نظرية. هكذا ستضيع منا فرصة إثراء النظرية أو رؤية حدودها في الحال. مثلا، لو أن جزءا من مجتمع البحث لا يبدو أنه يتصرف على أساس مصالحه المادية العاجلة، فإن هذه المشاهدة، في حالة ما إذا لم نرتكب خطأ اخفائها، يمكن أن تؤدي في أحسن الأحوال إلى تنقيح النظرية حول المصلحة وجعلها تتقدم بدلا من تركها راكدة.

خطأ التقرير الموجز

إن **خطأ التقرير الموجز** هو آخر أنواع الانحراف الذي يمكن أن يحدث إن لم نتساءل عن السمات الخاصة بالعناصر التي تطوعت من أجل البحث. إن هؤلاء وأولئك ممن قبلوا بالمشاركة في البحث يمكن أن يكون اقناعهم قد تم بصعوبة كبيرة. في بحث حول الممارسة الجنسية، مثلا، فإن حالات رفض المشاركة قد تكون كبيرة جدا، وعندما يتعلق الأمر بالتجربة، فإنه من غير الممكن إيجاد المتطوعين بكل سهولة. في مثل هذه الظروف، إذا ما حاولنا تعميم النتائج المتحصل عليها انطلاقا من الملاحظات حول عدد محدود من العناصر على كل مجتمع البحث، يجب التأكد كذلك من أن المخبرين والمخبرات ليس لهم أي مبرر في زخرفة الواقع أو تسويده. لو اعتمدنا أيضا في عملنا على الوثائق، فلابد كذلك من تقدير إما الخاصية الاستثنائية أو العادية نوعا ما للمنتوج، إما توزيعها الواسع نسبيا وإما ذلك الجزء الذي تعكسه من مجتمع البحث. زيادة على ذلك، لابد من التذكير أن المعاينة الاحتمالية هي وحدها التي تسمح **بتعميم** النتائج المتحصل عليها على كل مجتمع البحث. لابد إذا من التحلي بالحذر في التحليل والتأويل لما تكون العينة غير احتمالية أو عند تسرب بعض الانحرافات نظرا إلى صعوبة تطبيقها ميدانيا.

خطأ التقرير الموجز
خطأ يعود إلى عدم أخذ بعين الاعتبار خصائص المخبرين وظروف البحث

انظر الفصل 7، «الأجوبة الكاذبة» و«مقاومات المستجوب».

تعميم
استدلال يمكن بواسطته إسقاط النتائج المتحصل عليها من عيّنة أومن مجموعة على كل مجتمع البحث أو على مجموعة أخرى مشابهة

إن التحليل والتأويل هما عمليتان لا تتمان بسهولة تامة. عند وصولنا إلى نهاية بحثنا سنشعر، وهذا عادي، أننا قد أنجزنا عملا جبارا ونعتقد أن المعطيات المهيأة سيكون في إمكانها التحدث عن نفسها، في حين يجب أن يكون التفكير مستمرا في هذه اللحظة بالذات. ذلك لأن المعطيات المهيأة لا تتحدث عن نفسها بالرغم من شكل تهيئتها، والسبب في ذلك هو أن العنصر الذي يمنح لها معنى غالبا ما يكون متواجداً خارجها، إنه موجود في تعريف المشكلة التي تصبح خريطة الطرق التي تسمح بالتحرك عبر مجموع هذه المعطيات المهيأة واكتشاف إن كانت هناك أخطاء. لابد إذا من التشبع بفكرة أن الواقع سيبقى دائما أكثر ثراء مما يمكننا الحصول عليه، ومليئ بالمفاجآت.

انظر الفصل 9، «المعاينة الاحتمالية أوغير الاحتمالية».

كتابة التقرير

بمجرد انتهائنا من تحضير المعطيات من أجل التحليل، يمكننا أن نُفتر ونشرع في الكتابة في الحال حول هذه الملاحظة أو تلك التي تمت تهيئتها.

قد ينبثق عن هذه المعطيات المعالجة العديد من الأفكار المتنوعة، لهذا فقد نجد أنفسنا بسهولة في متاهة ولا نستطيع أن نعرف كيف نواصل التحرير إن تعجلنا. إن الكتابة العفوية في هذه الحالة لا ينصح بها، بل لابد من الشروع في تحرير مخطط حول ما نريد أن نبينه في التقرير والحصول على الموافقة عليه إذا كان الأمر يقتضي ذلك. ينبغي على التقرير أن يأخذ بعين الاعتبار الجمهور الذي نتوجه إليه وأن يكون مكتوبا بأسلوب لائق بالكتابات العلمية. بالإضافة إلى ذلك، يجب معرفة مواصفات التصور العام للتقرير الذي ينبغي أن يتضمن عددا معينا من العناصر التي لا غنى عنها.

المخطط

مخطط التقرير
مشروع كتابي حول اختيار أجزاء التقرير وموقعهم ومحتواهم.

قبل البدء في تحرير تقرير البحث، فمن الضروري إعداد **مخطط التقرير** الذي بفضله سيكون التقرير منسجما ومنظما بكيفية منطقية ومقنعة ؛ وأكثر من ذلك، فإن المخطط يسمح بالتحقق هل تم إعداد كل شيء أو أننا نسينا بعض العناصر الضرورية للاستدلال، ويمثل المخطط هيكلا للتقرير، فإذا كان الهيكل صلبا ومتينا فإن التقرير سيجعل العرض حول البحث الجاري عرضا جيدا. من جهة أخرى، فإن إعداد المخطط يفرض التفكير حول ما أنجزناه ووضع نظام لمجموع المعلومات التي سننقلها إلى الجمهور الذي سيطلع على التقرير، ومن هؤلاء : الأساتذة، الزملاء، أفراد المجموعة العلمية، الهيئة التي مولت البحث، وسائل الإعلام أو أشخاص آخرين مستهدفين.

إن المخطط ليس مسودة للفهرس الذي سيظهر لاحقا في تقرير البحث، لكن إذا كان المخطط يحتوي على كل العناصر المطلوب معالجتها، فإن المواضيع الأساسية ستكون موجودة في الحالتين. إن بعض أجزاء المخطط متفق عليها، مثل المقدمة والخاتمة ؛ أما الأجزاء الأخرى فإنها تخضع لتنظيم وترتيب المواضيع ووزن كل موضوع تم انتقاؤه. مع كل هذا يبقى أن جوهر المخطط هو، أولا وقبل كل شيء، إبراز الأجزاء الأساسية التي تكون البرهنة أو تطور العرض في نظام يلائم أكثر ؛ ثم نقوم بعد ذلك بتفصيل المحتوى حتى نحدد بدقة حول ماذا سيكون التساؤل في كل قسم، وهذا ما يسمح بتجنب التكرارات.

إن المخطط المفهومي هو من دون شك، هنا أيضا، دليل مفيد جدا، انطلاقا كذلك من أن المخطط هو بمثابة ترجمة مفصلة للفرضية أو لهدف

البحث المحدد منذ البداية، يمكننا أن نجد سواء في المفاهيم، إذا كانت قبلية، أو في الأبعاد والمتغيرات الأقسام الرئيسية للتقرير. حسب اتساع مايجب تحريره، فإن كل قسم من هذه الأقسام سيكون موضوعا لفصل أو يشير مبحثا أو أكثر من فصل. بمجرد تحديد أهم أجزاء التقرير وضبطها، ومع أخذ بعين الاعتبار للتحليل الذي نريد القيام به، سيكون بإمكاننا القيام بتجزئتها، وذلك حسب كل ملاحظة نريد الإشارة إليها؛ ثم نقوم بعد ذلك بالتحقق هل نظام العرض المفصل بطريقة ما يسمح للجمهور المستهدف أن يتابع البرهنة ويفهمها. لا ينبغي أن يغيب عن أنظارنا أبدا أثناء إعداد المخطط أن التقرير سيكون محل قراءة، وأن القراء والقارئات هم الذين سيحكمون على شمولية، على مدى وضوح وانسجام وصرامة البرهنة. إذا كان هذا التقرير بمثابة عمل مدرسي، فإن ما يتطلبه الأمر هو الموافقة على المخطط من طرف الأستاذ أو الأستاذة المعنية. سنتأكد هكذا من فهمنا الجيد للبرهنة المطلوب القيام بها مع عدم نسياننا للعناصر التي تعتبر أساسية لعملية التقييم.

الجمهور المستهدف وطريقة إيصال المعلومات

لا ينبغي علينا أن ننسى، أثناء تحرير التقرير، الجهة التي سيوجه إليها، ذلك لأن استقباله الجيد نوعا ما يتوقف إلى حد معتبر على مدى أخذنا بعين الاعتبار للجمهور المستهدف. إذا كنا نتوجه به إلى أستاذنا أو أستاذتنا، ينبغي علينا أن نأخذ في الحسبان متطلباته الخاصة ؛ والأكثر من ذلك، ينبغي علينا أن نبرهن له على قدراتنا المعرفية ولا نعتبر أن الأستاذ يدرك كل شيء ! كما ينبغي أن نعمل دائما وكأنّ الأستاذ لا يعلم طالما أن دوره يتجلى أكثر في التحقق مما نعرفه.

إذا توجهنا إلى العلماء، فينبغي علينا أولا أن نمدهم بكل العناصر الضرورية لإعادة إنتاج البحث. أما إذا توجهنا إلى الممولين للبحث، فالأمر يقتضي أولا الاستجابة للطلبات التي من أجلها تم تمويل البحث. أخيرا إذا ما توجهنا إلى الجمهور العام، فينبغي علينا أن نتجنب قدر المستطاع اللغة المتخصصة.

العامل الآخر الذي ينبغي أخذه بعين الاعتبار يتعلق بظروف إيصال المعلومات. إذا كان الأمر يتعلق بإيصال المعلومات في إطار درس أو آجال نهاية الدورة، فالمهم هو أن نشير وبصفة واضحة إلى كيفية تتبعنا لكل

المراحل المحددة وكذلك تقديم، بصفة عامة، أداة جمع المعطيات المحضرة التي استعملت سواء في جمع المعطيات أو في تحليلها. أما في حالة إيصال المعلومات إلى الجمهور العلمي مثل مداخلة في ملتقى أو مؤتمر، فالمهم هو التركيز على الجانب الأكثر خصوصية في البحث الذي قدمت من أجله الدعوة أو الذي تم اقتراحه على المنظمين. أما إذا تعلق الأمر بالكتابة في مجلة علمية، فلابد من التوفيق بين فن الشمولية والإيجاز قدر المستطاع، لأن عدد الصفحات المتفق عليه محدود.

بخصوص الاستجابة لطلب هيئة ما، فالأمر لا يقتضي فقط الاستجابة للطلب المحدد من طرف المستعملين، لكن أيضا، مع أخذ الاحتياطات المعتادة، تقديم اقتراحات حول ما سوف ينجر عن النتائج المتحصل عليها وأهداف الهيئة نفسها. أما في حالة تحرير كتاب، هنا يتسع الجمهور، وما ينصح به في هذه الحالة، مع تقديمنا للمؤشرات المنهجية الضرورية للمحترفين، هو التركيز أكثر على النتائج بتوضيح وتبسيط، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، الملاحظات التي سبق وأن قمنا بها. أما إذا كان الأمر يتعلق باتصال مع الجمهور الواسع عن طريق مقال أو سلسلة من المقالات في جريدة أو مجلة ذات فائدة عامة أو في أية وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري، فعلى المعني أن يركز أقواله وأحاديثه على الفائدة من البحث وعلى نتائجه الأساسية. أخيرا، إذا كان الهدف من البحث هو أن يصل إلى مختلف أنواع الجمهور في ظروف مختلفة، فيمكننا الرجوع هنا إلى النصيحة التي قدمها Baker (1988) والتي مفادها أنه لابد أولا من كتابة التقرير إلى المرسل إليه الأصلي ثم التوجه نحو الفئات والهيئات الأخرى المستهدفة، مع التأكد من المعرفة الجيدة للجمهور الواسع الذي نستهدفه في كل حالة والقيام بذلك في شكل ملائم.

الأسلوب

رغم وجود قواعد عديدة يحتذى بها في العرض الجيد لتقرير البحث، إلا أنها تظل خاضعة لمبدأين أساسيين ينبغي أن يوجها كل عملية التحرير وهما : إقناع الجمهور المستهدف وجلب اهتمامه. إن الإقناع يعني الحرص على البرهنة على شيء ما طوال عملية التحرير. ينبغي إذن أن يشعر الجمهور المستهدف أننا نجعله يتدرج ويتقدم في فهمه للموضوع و أننا بالتالي سنوصله، عن طريق المشاهدات والحجج

والاستدلالات ومقولات أخرى، إلى الاعتراف بصدق ما نقدمه له. وبالتالي نستطيع جلب اهتمامه عن طريق إبراز فائدة الموضوع والعناية الفائقة التي أوليناها له ومدى تحكمنا الجيد في كيفية قول وكتابة الأشياء حتى تكون قراءة النص سهلة. هكذا نحذف من النص كل ما يجعله ثقيلا، غامضا وغير دقيق. لقد اقترح Letourneau (1989) القيام بتحرير أولي نسعى من خلاله إلى إقناع الجمهور المستهدف ثم نتبعه بتعديل في النص يسمح عندئذ بالاهتمام فقط بالشخص المعني.

انطلاقا من كل ما سبق، فإن الأسلوب هو طريقة التعبير كتابيا ؛ لكن طريقة التعبير تتنوع حسب ما نكتبه. قد يكون رواية، شعرا، نصا قانونيا... أو تقريرا لبحث علمي. في هذه الحالة الأخيرة، فإنه يطلب أن تتوفر بعض المميزات المتعلقة باللغة المستعملة (Arcand et Bourbeau 1985، Berthiaume et Lamoureux 1981). تتمثل هذه المميزات في الموضوعية، البساطة، الوضوح والدقة.

الموضوعية

كما هو الشأن في كل مرحلة من مراحل البحث العلمي، فلابد من التحلي بالموضوعية هنا أيضا، ذلك لأن المسألة لا تتطلب عرض الباحث لحالاته الشعورية ولا الحكم على ما لاحظه، بل عرضه بكيفية غير ذاتية، كما لو أن دوره لا يتعدى دور الوسيط بين الجمهور القارىء والمشاهدات. لهذا، وباستثناء الظروف الخاصة التي يصعب فيها علينا أن نحيط أو نلم بكل التفاصيل، فإننا لا نكتب بصيغة ضمير المخاطب في المفرد أو الجمع، كما ينبغي علينا أن نتحلى بالتواضع أثناء الحديث عن القائم بالتجربة أو الملاحظة أو المستجوب الذي قام بهذا العمل أو ذاك أو الذي يحكم على هذه الواقعة أو تلك المشار إليها في التقرير.

البساطة

لابد من السعي إلى البساطة، بمعنى أنه لا ينبغي ممارسة تأثيرات (مثل المفاجأة، السخط أو الشفقة)، بل لابد من تقديم الوقائع بكيفية صارمة ومن دون محسنات، وهكذا سنكون معتدلين في أقوالنا وأعمالنا، يشعر الجمهور القارىء نتيجة لذلك أننا قد احترمنا ردود أفعاله الخاصة بدلاً من توجيهه.

الوضوح

يكتسي الوضوح في تقرير البحث كما في كل أشكال الاتصال الأخرى أهمية بالغة إذا ما أردنا أن نوصل الرسالة إلى القارىء بصفة جيدة. لابد علينا إذا أن نسعى جاهدين إلى استعمال المصطلحات التي يسهل فهمها، أي أن نتجه أكثر فأكثر إلى استعمال المصطلحات الأقل غموض كلما كان ذلك ممكنا. أما بالنسبة إلى المصطلحات الجديدة والمتعددة المعاني أو المتخصصة، فلابد من تحديدها جيدا مع الإشارة إلى المعنى الذي تتضمنه أثناء استعمالها. باختصار، لاينبغي أن يكون لكل كلمة نستعملها أكثر من معنى واحد، مما يضفي على النص طابعه الأحادي الذي يميز الخطاب العلمي عامة.

أنظر الفصل 2، «نوعية الألفاظ والمفردات»

الدقة

إن الدقة هي أيضا خاصية أساسية من خصائص أسلوب تقرير البحث العلمي. إن جمهور القراء ينتظر منا أن نقدم له شهادات مضبوطة وصحيحة وليست تقريبية. لابد أن تظهر الدقة في المعطيات التي نقدمها سواء كانت هذه المعطيات كيفية أو كمية، حتى يكون بإمكان جمهور القراء تقييم حدود الواقع الملاحظ ومظاهره.

والمثال الآتي هو مثال خيالي لأقوال تبدو أنها علمية، غير أنها تسير في الاتجاه المعاكس للمميزات الأربع التي أشرنا إليها أعلاه.

في استطاعتي أن ألاحظ أن الكنديين الأكثر غنى في منتصف الثمانينيات لم يكونوا منزعجين من الاستحواذ على 40.8% من كل المداخيل الكندية، تاركين للكنديين الأكثر فقرا القسط الضعيف، وهو ما يمثل 5.5% من كل المداخيل.

وبأسلوب أكثر علمية يمكننا إعادة كتابة هذه الأقوال التي تظهر معطياتها الأساسية في الجدول رقم 12، الذي نسينا الإشارة اليه في المثال السابق:

إن المعطيات الإحصائية الكندية حول المداخيل بعد حذف ضرائب العائلات والأشخاص الذين يعيشون وحدهم في سنة 1986 تبين في الجدول 12، أن 20% من الكنديين الذين لديهم المداخيل الأكثر ارتفاعا، (الخمس الأعلى) يحصلون على 40.8%

من الدخل الوطني،ونجد في الحد الأقصى الآخر، الـ 20 % من الكنديين الذين لديهم المداخيل الأقل ارتفاعا، (الخمس الأدنى)، يتقاسمون 5,5 % من مجموع المداخيل. إننا نلاحظ، وبالتناسب مع العدد، أن الخمس الأعلى يحصل على مداخيل تفوق بثماني مرات تقريبا مداخيل الخمس الأدنى (40,8 % مقارنة بـ 5,5 %)

جدول 12

التوزيع بالخمس للمداخيل بعد حذف ضرائب العائلات والأشخاص الذين يعيشون وحدهم، كندا، 1986 (بـ %)

التوزيع	نسبة الدخل الوطني
خمس أدنى	5,5
خمس ثاني	11,4
خمس ثالث	17,5
خمس رابع	24,7
خمس أعلى	40,8
مجموع المداخيل	100.0

ملاحظة : يقرأ السطر الأول من الجدول كالآتي : الخمس الأدنى، وهو ما يمثل الـ 20 % من العائلات والأشخاص الذين لهم وحدهم المداخيل الأكثر تدنيا في كندا، ويتحصلون على 5,5 % من مجموع مداخيل كندا.

المصدر :

STATISTIQUE CANADA (1988) Catalogue 13-210, p.13.

إن إعادة الكتابة هذه، ستنشأ عنها في بداية الأمر مسافة معينة بين ما تمت ملاحظته وردود الأفعال السريعة وذلك من أجل موضوعية أكثر، وبالتالي فإن عبارات مثل «لم يكونوا منزعجين» أو «أثناء تكون قد حذفت من أجل عرض جيد للمشاهدات. لهذا فإن هذه التغيرات لا تمنع من الإشارة إلى التفاوتات في المداخيل كما يظهر في نهاية النص. إن إعادة الكتابة ستكون بعد ذلك بأسلوب بسيط، هذا ما يجعل الأقوال تحمل صفة الاعتدال والرزانة مع بقائها صارمة (استعمال أفعال مثل : «يتقاسمون» و «يحصل»، بدلا من «استحواذ» و«ترك القسط الضعيف»). إن الهدف من استعمال مثل هذا الأسلوب هو الوضوح إلى أقصى حد ممكن، وهذا ما يدفعنا إلى الإشارة إلى الجدول الذي تعتمد أو ترتكز عليه الأقوال وبذلك نستطيع أن نقيم نقاطا للمقارنة. زيادة على ذلك، فإن أسلوب إعادة الكتابة سيتميز بوضوح أكثر، بفضل الإشارة الدقيقة إلى سنة الكشف، وكذا حديثنا عن المداخيل الأكثر ارتفاعا أوأقلها بدلا من الحديث عن الفقراء والأغنياء، لأن هذين المصطلحين الأخيرين يمكنهما أن يضفيا غموضا (نقص في الوضوح والدقة) ما دام أن الغنى لا يمكن خلطه بالمدخول لأن الأغنياء هم الأثرياء بالنسبة إلى ما يملكونه وليس بالنظر أكثر وبكل بساطة إلى ما يربحون. بالفعل، إننا نستطيع الحصول على مدخول عالٍ ونصرفه طبقا لوتيرة الحصول عليه، وهذا ما لا يجعل من الشخص الذي يتحصل على مدخول عالٍ شخص ثري. تتطلب الدقة إذن الحديث فقط عن المداخيل التي لها علاقة بالجدول.

في الأخير، فإن هذه الخصال هي التي تضمن، إلى حد بعيد، اهتمام جمهور القراء ومثابرته. أكثر من ذلك، فإن أفضل طريقة للتصرف أو العمل ستكون، إلى أقصى حد ممكن، بكتابة النص في الحاضر. كما يتطلب الأمر أيضا جعل القراء مهتمين بلب الموضوع. يضاف إلى هذا أن نوعية لغة الكتابة واستعمال مفردات متنوعة سيساهم من دون شك في النوعية الجيدة للأسلوب.

التصور العام

يقدم تقرير البحث في شكل خاص سواء على المستوى المادي أو في بنائه الداخلي. يضاف إلى ذلك أن النص يعتمد على معطيات تمت تهيئتها وإدراجها في أماكن لائقة ومحددة بصفة جيدة.

الجانب الشكلي

ينبغي أن تكون قراءة التقرير سهلة. إن المطلوب إذا هو أن يرقن في أسطر مضاعفة. هناك بعض الخصوصيات التي يمكن أن تكون مطلوبة كإعداد وتهيئة النص وتجميعه وذلك حسب المؤسسة التي يجري فيها البحث، وعادة ما نستعمل ورقا أبيض من حجم 21 × 27 سنتمتر ؛ ونترك هوامش من الجهات الأربع للصفحة. فالهامش الذي يكون على اليمين عادة ما يكون إلى حد ما أوسع من الهوامش الثلاثة المتبقية، أي حوالي (3 سنتمتر مقارنة بـ2 سنتمتر)، وذلك من أجل الربط والتغليف.

الفصل وأقسامه الفرعية

يمثل الفصل في التقرير وحدة مستقلة في ذاتها. ما يتم معالجته في الفصل هو جانب من جوانب المشكلة لا أكثر ولا أقل. هكذا سنتجنب التكرار. يمكن أن يتضمن هذا الجانب أو يستوعب ما خصّص لمفهوم أو بُعد أو متُغير، كما يمكن أن يخصص إلى جانب من جوانب التحقق من الفرضية. وعادة ما يبدأ الفصل بفقرة تقديمية للموضوع الذي هو محل تناول وكذلك تقديم العناصر التي سيتم التطرق إليها أو معالجتها والتي يمكن تجزئتها أيضا. ويتعرض تقدم الفصل إلى مختلف العناصر المنتقاة في نظام يضمن برهنة منطقية تدريجية ومقنعة. هكذا نعرض ملاحظاتنا حول جانب من مشكلة البحث في علاقتها بالفرضية أو هدف البحث. ينتهي الفصل بفقرة تكون بمثابة الخلاصة التي تتضمن حوصلة لأهم ما يجب الاحتفاظ به في هذا الفصل في علاقته بالبرهنة المتبناة. إن إعادة القراءة التي تتبع خلاصة كل فصل من فصول التقرير سوف تكون بمثابة دعم ثمين للحوصلة التي ستتضمنها خلاصة التقرير.

يمكن أن يقسم الفصل إلى مباحث أو مباحث جزئية، ويتكون عادة كل تفرع من مجموعة فقرات تمثل من جهتها نقطة هامة في البرهنة. تحدد هذه النقطة بعنوان يظهر في بداية المبحث أو في بداية المبحث الجزئي؛ ويجب علينا أن نتوقع هذه النقاط الأساسية أثناء إعدادنا لمخطط التقرير.

ترتيب الصفحات

إننا نقوم بترقيم الصفحات من المقدمة إلى نهاية التقرير بأرقام عربية (1، 2، 3، إلخ.). ونحسب كل الصفحات حتى عندما لا نسجل رقم الصفحة التي تبدأ بها الأقسام الأساسية للتقرير.

ترقيم الصفحات

لقد أشار Dionne (1990) إلى نظامين أساسيين لترقيم الأقسام والأقسام الفرعية للتقرير، وهو ترقيم إما أن يكون عشريا أو عاديا. إن النظام العشري يمنح رقما لكل جزء كبير من التقرير، مثلا لكل فصل (1، 2، 3، إلخ.). إن أقسام كل جزء أو فصل تحمل رقما مسبوقا بنقطة وبرقم الجزء أو الفصل. هكذا، فإن أقسام الجزء أو الفصل 1 ترقم 1.1 ، 2.1، 3.1، 4.1، إلخ. فإذا أضفنا فروعا إلى كل قسم، هنا تظهر أرقام أخرى، مسبوقة بنقطة ثانية وبرقم القسم أين تسجل (1.1.1، 2.1.1، 3.1.1، 1.2.2، 2.2.2، 3.2.2، إلخ.). أما النظام العادي فيجمع، بالتناوب، بين الأرقام والحروف. فالأجزاء الكبرى تعين برقم روماني وتتبع، في نظام تنازلي للأقسام، بحرف كبير وبرقم عربي وبحرف صغير مثل (I, A, 1, a، إلخ.).

دعائم النص

إن الجداول، المخططات، الأشكال، الاقتباسات وتسجيلات الملاحظة هي دعائم للنص، وفي هذا المعنى فإنها تساند الأقوال المكتوبة وتدعمها، إلا أنها لا تعوضها مهما كان الحال. مثلاً، يمكننا استخراج مجموعة من المشاهدات من كل نوع من جدول لأنه لا يقدم هو نفسه اتجاها ما لقراءته. إن الباحث أو الباحثة هما اللذان يستخرجان، على ضوء الفرضية، العناصر الأساسية التي يجب مراعاتها، وبالتالي فإن الجدول يساعدهما كدعامة في برهنتهما. في نفس هذا المعنى نستطيع، مثلا، أن نقدم اقتباسا من مقابلة ما أو ملاحظة مسجلة أو مقطع من وثيقة أو تعريفا إحصائيا. هذا يدل بصيغة أخرى على أن التفكير والتحليل المعبر عنه بكلمات وجمل هو الذي له الأولوية في تقرير البحث في العلوم الإنسانية، وأن كثرة الأشكال والجداول مثلا ليس دليلا في حد ذاته على أن العمل سيكون بفضلهما أكثر علمية.

من جهة أخرى، يجب تقديم الجداول والعروض المرئية مصحوبة بعنوان يمثل وصفا دقيقا وبسيطا للمحتوى مع ترقيمها. يجب أن يحمل أول جدول رقم 1 والجدول الثاني رقم 2 وهكذا دواليك، ولأغراض ترتيبية أيضا يمكننا الشروع في إعادة ترقيم الجداول في كل فصل على شرط أن يكون رقم الجدول مسبوقا بنقطة وبرقم الفصل. هكذا يتم إدراج أي جدول أو عرض مرئي لأنه تمت الإشارة إليه في النص.

محتوى التقرير

يتضمن تقرير البحث العلمي عددا من العناصر الضرورية التي تمنحه ميزاته الخاصة. حسب الأهمية التي توليها لكل واحد من هذه العناصر، فإنه سيكون موضوعا لجملة أو لفقرة أو عدة فقرات أو لمبحث أو لفصل من التقرير، وقد يكون ربما موضوعا لفصول متعددة أو لأكبر جزء من التقرير. غير أن معطيات مشكلة البحث، المنهجية المستخدمة، التحليل والتأويل، الخاتمة والمقدمة ينبغي أن تكون موجودة في كل تقارير البحث العلمي.

محددات المشكلة المدروسة

محددات مشكلة البحث
عناصر تحديد المشكلة المدروسة.

تمثل محددات مشكلة البحث العناصر الجوهرية لتقرير البحث. حتى تسهل الفهم على الجمهور المستهدف من القراء، لابد علينا أن نشير إلى الطريقة المعتمدة للإحاطة بمشكلة البحث. لهذا، وبعد التصريح بموضوع الدراسة، ينصح بتحديد ما يأتي :

- القصد، أي معرفة هل البحث أساسي أو تطبيقي ؛
- الهدف، أي ماهو الهدف الذي نسعى إليه (هل هو الوصف أو التصنيف، التفسير، الفهم.) ؛
- المعارف الوثائقية، أي ماذا فهمنا من خلال اطلاعنا على هذه الوثائق خلال ما يسمى بالاطلاع على الأدبيات الموجودة حول موضوع البحث ؛
- سؤال البحث أو ماذا نريد دراسته بصفة خاصة ؛
- الجواب المتوقع أو القصد المعلن، أو بكلمات أخرى، ماهي الفرضية أو هدف البحث الذي وضعنا.

إن الحصول على معلومات حول هذه النقاط الخمس من طرف الباحث هو وسيلة تسمح له بفهم مجمل اهتمامات الانطلاق واتجاه الطريقة المتبعة لاحقا. فعلا، فإن لكل بحث منبعه المتميز الذي لا يمكن الاستغناء عنه نظرا إلى ما يكتسيه من أهمية في الفهم الشامل لعمل البحث ككل.

المنهجية المستعملة

لقد تمت الاشارة إلى أهمية المنهج، باعتباره إجراءات يجب على الباحث أن يضعها محل تنفيذ لكي يؤدي بحثه بكيفية جيدة. على ضوء هذه الإجراءات المنهجية تقوم المجموعة العلمية بالحكم على العمل المنجز. في الواقع فإن المنهجية الصارمة هي وحدها الكفيلة بالوصول إلى النتائج الصادقة. إذا كانت المنهجية المستعملة في البحث محل جدال، فإن النتائج هي الأخرى ستكون محل جدال، ونظرا إلى ذلك فإنه لمن الأهمية القصوى أن تُعْرَض المنهجية وتوضح في تقرير البحث ؛ ويجب أن يتضمن هذا الأخير :

انظر الفصل 1، «أهمية المنهج».

- تعريف المفاهيم الأساسية ؛
- عرض مجموعة الأدوات (l'instrumentation) المستعملة، أي التقنية المختارة، مع تبرير هذا الاختيار، ووصف الأداة التي تم إعدادها ؛
- ذكر خصائص مجتمع البحث والعينة، بالإضافة إلى الاعتبارات الخاصة بكيفية إجراء جمع المعطيات والقواعد الأخلاقية المطلوب التقيد بها.

إذا قدّمنا لباحث أو باحثة ما كل المعلومات الدالة والأساسية، فسيكون بإمكانهما إعادة إنتاج نفس البحث، بمساعدة هذه المعلومات الدالة، إن هما تقيدا بالعناصر الثلاثة المشار إليها أعلاه. طالما أن هذا الجانب يسمح للزملاء بالنقد ويضمن الموضوعية في العلم، فإنه لا غنى عنه بالنسبة إلى أي باحث.

انظر الفصل 1، «أهمية النقد».

إن المنهجية المفضلة في البحث الذي يجري القيام به يمكن أن تؤثر في طريقة تحرير محتوى التقرير. هكذا، فإن تقرير البحث الذي يتم انطلاقا من المنهج التجريبي يمكن أن يأخذ عادة شكلا مختصرا ومصحوبا بجزء مفصل حول وصف التجربة ؛ أما تقرير البحث الذي

انظر الفصل 4، «ثلاثة مناهج نموذجية في العلوم الانسانية».

يقوم على المنهج التاريخي فإنه يتضمن أقوالا يطول الاستدلال عليها باعتبارها تتطلب إدماج العديد من الوثائق والمراجع ؛ أما في البحث الذي يقوم على منهج البحث الميداني فيجب نقل كل الملاحظات سواء بمساعدة الاقتباسات إذا كان الأمر يتعلق بمقابلات أو بمساعدة الجداول إذا كان الأمر يتعلق باستمارة أو بأي محتوى كمي آخر، أو بمساعدة البراهين الدقيقة إذا كان الأمر يتعلق بمقاطع أكثر كيفية. يمكن لهذه الملاحظات أيضا أن تطبق جزئيا على المنهجين السابقين اللذين لا يستثنيان اللجوء إلى تقنيات متنوعة.

عرض التحليل والتأويل

من الطبيعي أن نُبَلِّغَ في تقرير بحثنا عن الاكتشافات التي توصلنا إليها انطلاقا من المعطيات التي تحصلنا عليها. أمام الكم الهائل من المعطيات التي قمنا بجمعها ينبغي علينا إبلاغ القراء وتوجيههم إلى تلك المعلومات التي سنحتفظ بها وكذلك رأينا فيها، وذلك من خلال جمل مثل :

- نقدم ملاحظات حول المعطيات الأساسية المتحصل عليها بمساعدة أداة الجمع، والتي تم تحضيرها بهدف التحليل ؛
- نقيم الفرضية لتحديد صحتها التامة أو الجزئية أو بطلانها وذلك برجوعنا إلى كل واحدة من الملاحظات التي تمت، إن كانت هناك ملاحظات ؛ أما إذا كنا قد حددنا بدلا من ذلك هدفا للبحث، ففي هذه الحالة نقوم بتقييم مدى قربنا أو بعدنا عن هذا الهدف ؛
- نوسع المناقشة، باستخراج نتائج ما قمنا به وما لاحظناه وما قيمناه.

هكذا نكون قد تعمقنا في المادة المجمعة وحاولنا استخراج كل الثراء الذي يمكن أن تتضمنه. إننا نستطيع من خلال هذه النقاط الثلاث إبراز الجوانب المبتدعة والاكتشافات النادرة وإعادة النظر في المعارف أو طرق العمل المعتادة ؛ بكلمة واحدة، سنعثر من خلالها على الفائدة المرجوة من البحث الجاري.

الخاتمة والمقدمة

إذا كانت خاتمة التقرير ومقدمته تظهران وأنهما من المسلمات لأننا نجدهما في معظم النصوص المكتوبة، فإنهما يكتسيان هنا بعض المميزات الخاصة. سنتناول أولا الخاتمة لأنها تأتي بعد التحليل والتأويل، ولأن المقدمة لا تحرر بطريقة مقبولة ونهائية إلا إذا كنا نعرف بدقة ما يحتوي التقرير، أي بعد انتهائنا من تحرير الأجزاء الأخرى بما فيها الخاتمة.

الخاتمة. إن لخاتمة التقرير ثلاث وظائف أساسية :

حوصلة
عملية ذهنية مفادها جمع العناصر الأساسية ضمن كل مهيكل.

- إننا نقدم من خلالها **حوصلة** لتحليل المعطيات وتأويل النتائج بعبارات أخرى، إننا نقوم بالجمع ثم نستنتج أهم ما يجب الاحتفاظ به في البحث. من جهة، وإذا ما استعدنا مثال تحليل الساعة، فإن هذا التحليل يتضمن تفكيكها إلى أجزائها المختلفة، ومن جهة أخرى فإن الحوصلة تعني إعادة تركيبها لإظهار العناصر الأساسية في سيرها. يمكن أن تتم نفس العملية في إطار بحث، عن طريق عرض ترتيب جديد لعناصر المشكلة. إن الأمر لا يتعلق وبكل بساطة بتلخيص التقرير ولكن بضبط جوهره، انطلاقا مما تم تحليله وتأويله. هنا يعطى التقييم النهائي للفرضية، وتكون كل الفروقات التوضيحية الدقيقة التي من الضروري الإشارة إليها قد أعطيت بالفعل.

- كما نسجل أيضا المعارف الجديدة أو المختلفة المكتسبة من خلال تجربة البحث هذه. هكذا نبلغ عن الطريق الذي قطعناه مقارنة بالمعارف السابقة التي كنا نملكها حول موضوع الدراسة أو حول المنهجية المستعملة. قد نشير مثلا إلى اكتشاف نادر أو تعديل في طريقة العمل، أو إلى جانب جديد ينبغي أخذه بعين الاعتبار، أو إلى طريقة مختلفة في تصوّر السؤال أو إلى موقع آخر ينبغي زيارته أو إلى كل اعتبار قد يأتي بإسهام إضافي في بناء المعارف.

- كما نقترح في الخاتمة أيضا آفاقا للبحث لأولئك الذين يريدون التعمق أكثر في المسألة ؛ والمنتظر هنا هو تلك الامتدادات الممكنة للبحث، أي ما يجب القيام به من أجل اكتشافات أكثر عمقا للموضوع. هكذا نكون إذن قد وضعنا حدودا لبحثنا الخاص.

نلاحظ أن الخاتمة حتى وإن لم تتطلب تحريرا مطولا، فلا يجب إهمالها. إنها تضيف معلومات أساسية إلى التقرير تسمح لنا بفهم مدى عمقها وقيمتها؛ لهذا يجب أن نخصص لها وقتا كافيا حتى لا تكون الأقوال التي أضفناها إلى التقرير متناقضة مع الملاحظات. أما في حالة إجراء البحث من طرف فرقة، فإنه لا غنى عن المناقشة أثناء إعدادها. فعلا، فإنه لا يمكننا ترك مهمة تحرير الخاتمة إلى أحد الأعضاء فقط، لأن هذا الأخير لن تكون له بالضرورة سوى نظرة جزئية عن مجموع التحليل وذلك انطلاقا من مساهمته الخاصة في هذا المجال، وبالتالي فإن محتوى سيعاني بالتأكيد نقص النظرة الشاملة والاقتراحات المشتركة. أخيرا، فإن الخاتمة، كما سنستنتج، ليست مكانا مفضلا نصب فيه ما نحب ونتذوق أو نكره أثناء قيامنا بالبحث.

المقدمة. بانتهائنا من كتابة المقدمة سننتهي من تحرير تقرير البحث. قد يبدو الأمر غريبا أننا نكتبها في النهاية رغم أنها تظهر في بداية التقرير. سندرك أهمية ذلك أفضل عندما نعرف أننا سندعو جمهور القراء في المقدمة لقراءة التقرير وأننا نكون بالتالي أكثر تأكد من أننا كتبناه بطريقة لا يكون فيها تضليل لجمهور القراء هذا حول ما سيجده، لهذا ينبغي أن تتضمن المقدمة النقاط الأساسية الثلاث الآتية :

- هناك أولا تقديم الموضوع أو المشكلة التي ستعالج ويكون هذا التقديم قصيرا جدا إلا إذا أدرجنا فيه معطيات المشكلة.
- بعد ذلك أو بالموازاة، تأتي البرهنة على مدى أهمية الموضوع. إذا ما قررنا العمل حول مسألة ما بدلا من أخرى، واستثمرنا في ذلك وقتا وطاقة، فهذا يدل على الأهمية التي نوليهاإياها. هذه هي الأهمية التي ينبغي علينا إشراك الآخرين فيها؛ لهذا، بالإضافة إلى تقديم الموضوع، لابد أن نبين أين تكمن أهمية، جاذبية وفائدة أم سرعة معالجته. لذلك يجب على الباحثين والباحثات النزهاء على المستوى الأخلاقي أن يكشفوا عن القيم التي استرشدوا بها.

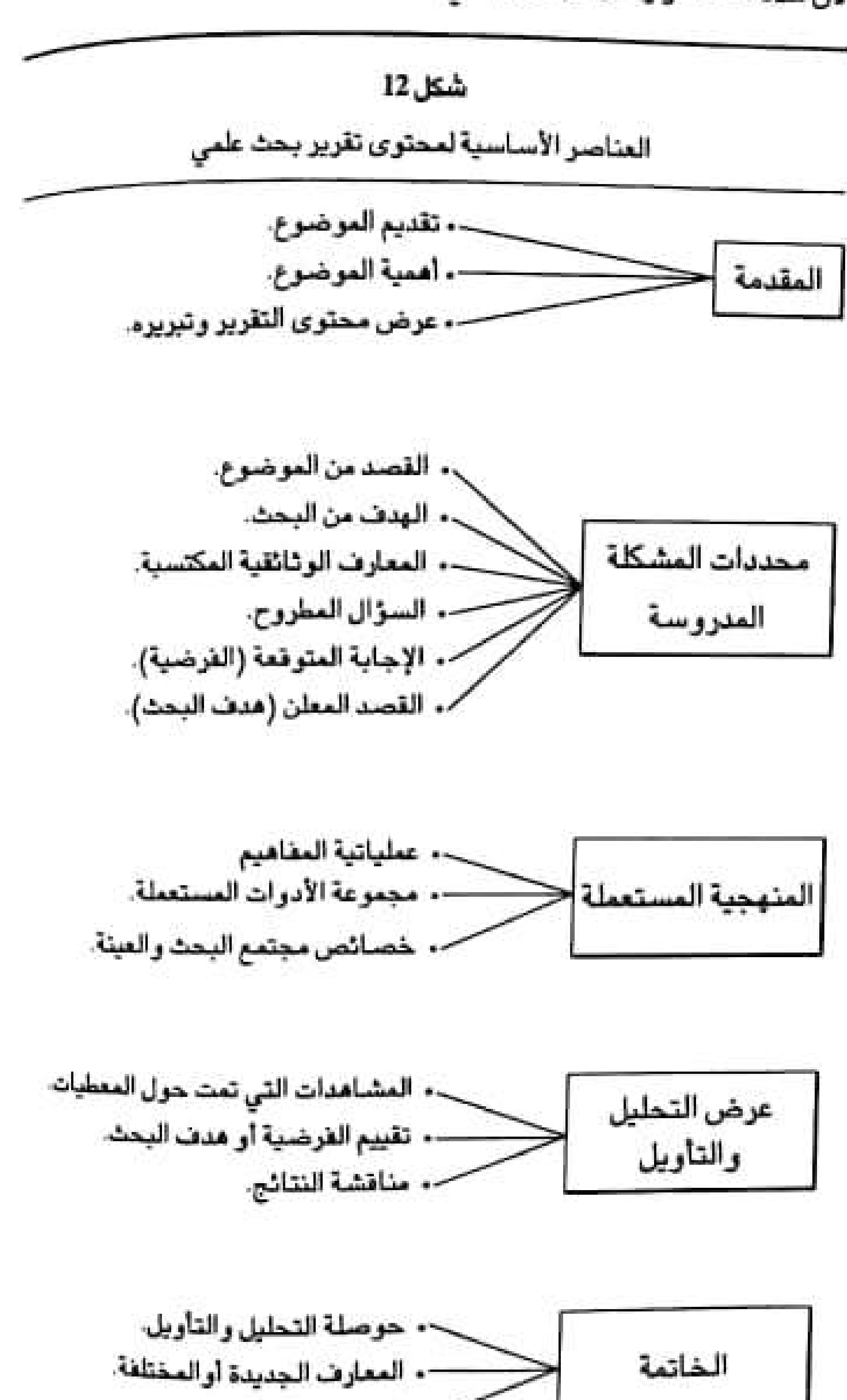
انظر الفصل 3، «الأسئلة الأربعة الرئيسية».

- أخيرا، وانطلاقا من أن كل مقدمة في أي بحث تستعمل كدليل يوجه الجمهور القارئ، لابد أن نشير على هذا الجمهور إلى ما سيجده أثناء متابعة قراءته وأن نعرفه بعناصر محتوى التقرير. يتم هذا بترقيم مختلف أجزاء أو فصول التقرير مع تبرير طبيعة نظام تسلسلها.

إن المحتوى الضروري لتقرير البحث العلمي قد تم اختصاره في الشكل 12. تجدر الإشارة هنا إلى أن كل واحد من العناصر السبعة عشر المتطرق إليها في هذا الشكل لا يمثل بالضرورة مبحثا متميزا أو خاصا من التقرير لأن هذه العناصر يمكن تجميعها في أماكن مختلفة

شكل 12

العناصر الأساسية لمحتوى تقرير بحث علمي



الصفحات التمهيدية

إن الصفحات التمهيدية هي تلك الصفحات التي تسبق مقدمة التقرير. نجد أولا صفحة العنوان. ينبغي أن تتضمن هذه الصفحة على الأقل إسم كاتب أو كتاب التقرير، العنوان المعبر الممنوح للتقرير وتاريخ نشره أو تسليمه. أما إذا سلم في إطار درس، فلابد من إضافة إسم الأستاذ أو الأستاذة الموجه إليه هذا التقرير وعنوان الدرس الذي يدخل فيه هذا العمل. ينبغي ترتيب كل هذه العناصر على كل الصفحة بصفة متباعدة ومتوازنة.

يأتي بعد ذلك الفهرس، وهو العنوان الذي نسجله في أعلى الصفحة. سنجد في العمود المبين على اليمين الفصول مرقمة، مصحوبة بالعناوين الدالة على محتواها، وكذلك عناوين الأقسام والأقسام الفرعية للتقرير ؛ وفي عمود أكثر ضيق، موجود في أقصى يسار الصفحة سنسجل في مقابل كل عنوان رقم الصفحة التي يبدأ بها هذا الجزء أو ذاك في التقرير. يمكن أن يكون ذلك متبوعا بصفحات أخرى من التقديم، مثل قائمة الجداول التي يشتمل عليها التقرير مع الإشارة إلى الصفحة التي يتواجد بها كل جدول في التقرير، قائمة الأشكال، الرسوم البيانية، الأطر أو خصوصيات أخرى. إن كل هذه الصفحات التمهيدية أو المخصصة للتقديم نتبع فيها عادة طريقة الترقيم الرومانية (I، II، III، IV، إلخ.)، وذلك لنميزها عن الصفحات الأخرى.

إطـــار 12

والخاتمة. ثم تأتي العناصر المتبدلة والمتغيرة في المكان الممنوح لكل جانب وإلى الانتقاء الذي لابد أن يتم نظرا إلى المدة الزمنية الممنوحة لنا. كما ينبغي أيضا أن تأخذ في الاعتبار طبيعة جمهور الحضور (من ناحية المعرفة، الأحكام المسبقة والحساسيات، إلخ)، وضرورة جعله يفهم جيدا (نطق الكلمات، وتيرتها المتنوعة والحركات المنسجمة، توجيه النظر بالدرجة الأولى إلى المستمعين، إلخ) والتسلسل في الأقوال (عرض المخطط وإبراز الانتقالات وإيجاز النقط السابقة قبل تقديم النقطة الجديدة التي ستتناولها). لقد أكد Dionne (1990) على ضرورة التحضير قبل العرض الشفهي وذلك من أجل احترام الوقت الممنوح لنا في كل عرض شفهي، وأن ننطق جيدا وبوضوح وأن تكون أنظارنا موجهة إلى المستمعين ؛ وقد نطلب كذلك من الآخرين ما ينبغي تحسينه. أما في حالة تقديم العرض من طرف الفرقة فإن تحضيره الجماعي يسمح بالنقد المتبادل ويضمن كذلك التنسيق الضروري بين الجميع. أخيرا فإنه يمكننا التفكير في إمكانية اللواحق الأخرى مثل : السبورة، الوثيقة الموزعة، الخريطة الكبيرة، العرض السمعي البصري وذلك حتى يتمكن الباحث من تمرير رسالته أو خطابه بكيفية أفضل. غير أنه لا يمكن للواحق أن تعوض في كل حالة من يقوم بالعرض الشفهي، لهذا لابد من استعمالها بطريقة عقلانية والتعليق عليها.

إن العرض الشفهي هو وسيلة جيدة لجعل الجمهور الواسع يهتم ببحثنا، على شرط أن يتم ذلك بنوع من الحماس. في البداية لابد من توضيح الأهمية التي أوليناها للموضوع، ثم لابد علينا ألا نقرأ نصنا أمام المستمعين، لأن رتابة التجزئة والتفصيل المعروضة بهذا الشكل هي أفضل طريقة لإبعاد اهتمامهم وتركيزهم، لهذا ودون أن يكون لزاما علينا حفظ نصنا على ظهر القلب علما أن ذلك أيضا لا يحل مشكلة الرتابة فإنه يمكننا أن نستعين ببطاقات صغيرة نسجل عليها عناوين الأفكار الرئيسية التي نريد عرضها. بإلقائنا نظرة خاطفة على البطاقات فإننا نتأكد بذلك من التتابع والاستمرارية مع الاحتفاظ بحضورنا أمام المستمعين ومقابلتهم.

حتى يظهر العرض الشفهي أنه قد تم بسهولة وبكل عفوية وطبيعيا جدا، لا بد من تحضيره وإعداده بدلا من ارتجال ذلك.

الصفحات الملحقة

بعد خاتمة التقرير، عادة ما تظهر عناصر أخرى. إن إحدى أهم هذه العناصر التي لا غنى عنها متمثلة في قائمة المراجع. إننا ملزمين بالإشارة إلى مجموع المراجع التي استندنا إليها واستخدمناها كدعائم للبحث وذلك حتى يكون في مقدور أشخاص آخرين أيضا أن يتعرفوا عليها. يمكن أن تكون هذه القائمة متبوعة بملاحق أو ذيول (appendices) مرقمة بأرقام خاصة أو بحروف، وهي متضمنة لمعلومات مكملة وغزيرة لو أوردناها في النص الأساسي لأثقلته دون فائدة. قد تمثل هذه الملاحق مثلا في مجموع معطيات التجربة، معطيات لم تقدم سابقا، أداة الجمع، إجراءات الترميز وقائمة الأماكن التي تمت زيارتها وهلم جرا.

الموجز

في تقارير البحوث التي تُستمد منها مقالات تنشر في مجلات علمية خاصة، يظهر الموجز، أي ملخص مختصر جدا يحرر على هامش النص الأساسي، ويوضع في البدايات الأولى من التقرير أو في نهايته تماما وذلك حسب خطة التحرير المطبقة. إنه يعد وينشر ليشير إلى القارىء إن كانت المسألة التي تناولها التقرير تتطابق مع اهتماماته دون أن يشرع في قراءة النص الأساسي من أجل معرفة ذلك.

التقييم

إن تقييم تقرير ما، عموما، يدل أيضا على أن المراحل السابقة للبحث قد تم تناولها بصفة جيدة وذلك انطلاقا من بعض المقاييس البسيطة جدا.

إلى أخرى) وأنه يتبع تدرج منطقي لأن الأمر يتعلق بالبرهنة على شيء ما. بكلمات أخرى يمكننا الانتقال من نقطة إلى أخرى دون أن نتيه في الطريق. إن مختلف أجزاء النص تكون إذن مترابطة ويتسلسل بعضها مع بعض دون انقطاع في هذا التقرير. ينبغي كذلك أن نبقى في صميم الموضوع المعالج، أي لا نبتعد عن المشكلة أو المسألة المعالجة إلى درجة أننا نتيه في التفاصيل التي لا فائدة منها.

ثم نختبر بعد ذلك صرامة النص. ينبغي أن تكون الأقوال متماشية مع المشاهدات، إذ لا يعقل أن نترك الملاحظات تعبر عن أي شيء بالنسبة إلى الفرضية، خاصة أثناء قيامنا بتأويلها. وعليه لابد أن نكون دقيقين وأن تكون البراهين التي ننتجها قوية، كما يشترط علينا التحلي بالنزاهة دون محاولة البحث في جعل المعطيات تعبر عن أشياء لا تعكسها حقا. في نفس المعنى، وفي حالة ما إذا استعرنا بعض المعطيات والأفكار أو بعض التفسيرات من مؤلفين آخرين، فلابد من الإشارة إلى ذلك بوضوح ودقة.

أخيرا نقوم بمراقبة مدى شمولية التقرير، أي لابد أن تكون كافة العناصر الملائمة أو الضرورية للبرهنة ولعرض التقرير قد تم إدراجها فيه. لهذا فإن القيام بالمصادقة المسبقة على مخطط التقرير يعتبر بمثابة احتراس جيد في هذا الصدد.

باختصار، كي يحظى التقرير بقبول جيد، لابد أن يتوفر فيه الوضوح، الانسجام، الصرامة والشمولية. من البديهي أن مثل هذه الأهداف لا يمكن بلوغها بمجرد القيام بالتحرير الأول، حيث ينبغي قراءة النص وإعادة قراءته واخضاعه لتصحيحات قبل أن نمنحه صيغته النهائية. في نفس الوقت، هناك وسيلة أخرى فعالة لبلوغ الهدف المنشود، وتتمثل هذه الوسيلة في منح التقرير لأحد الأصدقاء للإطلاع عليه وإبداء رأيه فيه. كما أن قراءة التقرير بصوت مرتفع تستطيع في حد ذاتها أيضا أن تساعدنا على اكتشاف بعض الثغرات والفجوات التي ينبغي علينا تصحيحها. إن الفرق بين تقرير جيد وتقرير ضعيف كما يشير إلى ذلك (Dixon et coll. 1987) يعود إلى الوقت والجهد اللذين نخصصهما له انتباهنا من كذلك

خـاتمة

إن تقرير البحث لا يتم إعداده من أجل أن يخاطب الباحث نفسه. لذلك لا ينبغي الادعاء أن جمهور القراء يعرف أشياء يمكنه الاستغناء عنها. إن جمهور القراء لا يستطيع تصور ما نسينا أن نقوله له. والأكثر من ذلك فإنه ليس في مقدوره التنبؤ بالغيب. بالإضافة إلى ذلك فإن الأخلاق تتطلب عدم التغاضي عن أي شيء جوهري، لأن الموضوعية تتطلب توفير إمكانية النقد الحقيقي من طرف الآخرين. ينبغي إذن على الباحث أو الباحثة أن يتميّز بالشفافية وعليه أن يعرض إجراءاته ويبررها حتى يكون في استطاعة الباحثين الآخرين تقييم مدى علمية البحث.

أنظر الفصل 1، «أهمية النقد».

أنظر الفصل 3، «المجموعة العلمية».

زيادة على ذلك، لا بد أن نكون متواضعين حول ما أنجزناه، لأنه لا يمكن إجراء البحث إلا على ظاهرة محدودة في المجال والزمان. إننا لا نستطيع إذن التأكيد قطعا أن تحليلاتنا ستطبق كما هي وبحذافرها في أطر وأزمنة أخرى. من جهة أخرى، إنه لمن المهم أن نذكر، في الخاتمة، مثلا، بحدود عملنا، لأن هذا يعتبر بمثابة حماية أساسية ضد الانتقادات التي قد توجه إلينا والتي قد تؤاخذنا على أننا لم نأخذ بعين الاعتبار هذا الجانب أو ذاك من جوانب المشكلة المدروسة.

في آخر التقرير، فإن المبتدئ الذي يباشر لأول مرة بحثا ميدانيا واسعا نوعا ما سيشعر عند انتهائه منه برضى وارتياح تام. هذا يعني أنه عندما ننجح في إنجاز مثل هذا العمل مرحلة بمرحلة، فمن المؤكد طبيعيا أن نشعر بارتياح حقيقي، أو بالأحرى عندما نرى الثمار كلما تقدمنا في العملية شيئا فشيئا. من جهة أخرى، فإن إنجاز البحث يسمح لنا بإعطاء أقصى ما نملك سواء على المستوى العاطفي، عن طريق الالتزام بالعمل المطلوب، أو على المستوى الفكري عن طريق كل العمليات الذهنية التي لابد من القيام بها. في هذا المعنى، فإن القيام بالبحث يمكن مقارنته بالتكوين المتواصل.

ملخص

مصطلحات أساسية

- .تحليل
- .تحليل وصفي
- .تحليل تفسيري
- .تحليل فهمي
- .تحليل تصنيفي
- .تأويل
- .خطأ متعلق بالظروف المادية
- .خطأ نسبي
- .خطأ التأويل
- .خطأ التقرير الموجز
- .تعميم
- .مخطط التقرير
- .محددات مشكلة البحث .حوصلة

قبل الشروع في تحرير تقرير البحث العلمي نقوم في المقام الأول بتحليل المعطيات. هذا التحليل يمكن أن يكون وصفيا، أي الإسهاب في تفصيل مشكلة البحث ؛ كما يمكن أن يكون هذا التحليل تفسيريا : نحاول في هذا المجال توضيح الروابط والعلاقات الموجودة بين عناصر المشكلة ؛ كما يمكن أن يكون هذا التحليل من جهة ثالثة فهميا : نسعى هنا إلى عرض المعاني التي يقدمها الأفراد. أخيرا، يمكن أن يكون هذا التحليل تصنيفياً : نهدف في هذه الحالة إلى تجميع عناصر المشكلة.

في المقام الثاني، ننتقل إلى تأويل نتائج التحليل. يشتمل التأويل على إبراز نتائج المشاهدات المتوصل إليها.

لن يكون التقرير ذو مصداقية إلا إذا سعينا إلى تجنب بعض أنواع الأخطاء مثل : الخطأ المتعلق بالظروف المادية وذلك بتقييمنا لمدى صحة المعطيات ودقتها، ثم الخطأ النسبي، حيث ينبغي أن نأخذ في الاعتبار الإطار أو الوقت الذي مر، ثم خطأ التأويل وهو ألا نحمل المعطيات أكثر مما تطيق، ثم خطأ التقرير الموجز وذلك بأخذ بعين الاعتبار خصائص الأفراد وظروف البحث.

قبل تحرير التقرير بأتم معنى الكلمة، يكون من الضروري إعداد المخطط، أي مشروع اختيار الأجزاء، ترتيبها ومضمونها. انطلاقا من ثلاثة عوامل فإن تقرير البحث قد يركز على بعض النقاط أكثر من نقاط أخرى، وأولى هذه العوامل هي أن نأخذ بعين الاعتبار الجمهور المستهدف : فإذا كان التقرير موجها إلى أستاذ، ينبغي أن نتأكد من معرفتنا الجيدة لمطالبه الخاصة، وألا نكتب وفقا لما يعرفه ؛ أما إذا كان التقرير موجه إلى العلماء بصفة عامة، فإننا سنقدم لهم كل العناصر الضرورية لإعادة إنتاج البحث. أما إذا كان موجه إلى ممولين، فإننا سنستجيب أولا إلى الطلب . أما إذا كان موجه إلى الجمهور بصفة عامة ينبغي علينا تجنب اللغة المتخصصة. بعد ذلك ينبغي مراعاة ظروف إيصال المعلومات أو تقديمها : هل سيوجه إلى فئة معينة من القراء أو إلى جمهور من المحترفين، مجلة علمية، الهيئة الممولة، كتاب للنشر، التوزيع

على جمهور واسع. إن كل واحدة من هذه الوضعيات أو الحالات تتطلب الإلحاح عل هذا الجانب أو ذاك من البحث أكثر من هذا الجانب أو ذاك.

حتى يكون تقديم تقرير البحث ناجحا، لابد من إقناع الجمهور المستهدف وجعله يهتم بذلك، لهذا ينبغي أن يكون الأسلوب موضوعيا، بسيطا، واضحا ودقيقا. من الضروري أيضا تحري قواعد التقديم المستعملة في المؤسسة. من الطبيعي أن يمثل كل فصل وحدة في حد ذاتها والتي يمكن أن تتضمن أجزاء بعناوين فرعية ملائمة لها، وجداول وأشكال توضيحية مرقمة تستعمل لتدعيم النص المرقن والمرقم الصفحات.

يتكون تقرير البحث العلمي من بعض العناصر الأساسية. ينبغي أن تحتوي المقدمة على تقديم الموضوع وشرح نسبي للأهمية التي نوليها إياه وعرض لعناصر المحتوى مع تبريره. هذا المحتوى يجده الجمهور القارئ في التقرير. كما يتضمن التقرير أيضا : محددات المشكلة وهي : القصد من البحث وهدفه، المعارف الوثائقية المكتسبة، السؤال المطروح، الفرضية أو الهدف المستمد من السؤال المطروح. لابد أيضا من استعراض المنهجية المستعملة ومجموعة الأدوات المستعملة مع الإشارة إلى خصائص عناصر مجتمع البحث أو العينة. بعد ذلك نقوم بالتحليل والتأويل باستنتاجنا للمشاهدات الأساسية المستمدة من المعطيات، بتقييمنا للفرضية أو الهدف المتوخى ومناقشتنا للنتائج. أخيرا ننهي بحثنا بحوصلة التحليل والتأويل وذلك باستعراض المعارف الجديدة والمتنوعة التي اكتسبناها وبالإشارة إلى الامتدادات الممكنة للبحث (أنظر الشكل ١٢). نقوم بعد ذلك بإعداد الصفحات التمهيدية والصفحات الملحقة ونكتب ملخصا إن كان الأمر يتطلب ذلك. أخيرا، لابد من إدراك أن تقييم التقرير يتوقف على مدى وضوحه، انسجامه، صرامته وشموليته.

أسـئـلة

1. في حوزتنا معطيات متنوعة حول انتخاب. إننا نعرف أنه في إمكاننا القيام بأربعة أنواع من التحليل. إعط مثالا على الأقل عما يمكننا دراسته حول كل نوع منه.

2. عند تحليلنا لجدول أو لرسم بياني أو شكل، ما هو الموجه الرئيسي الذي نتبعه بالضرورة في كل ذلك ؟

3. ما معنى تأويل النتائج، وعلى أي أساس يمكن اعتباره أكثر ذاتية من التحليل ؟

4. لقد لاحظ شخص ما خطأ متعلق بالظروف المادية، فما معنى هذا ؟ حدد النصيحة التي يمكننا تقديمها للشخص الذي وقع في هذا الخطأ. أجب عن نفس السؤال بالنسبة إلى الخطأ النسبي، خطأ التأويل وخطأ التقرير الموجز.

5. ما الذي يميز بين مخطط الفهرس المحتمل وتقرير البحث ؟

6. عين فيما يخص كل عنصر من العناصر الموالية إن كان يندرج ضمن محددات المشكلة المدروسة أو ضمن المنهجية المستخدمة أو ضمن التحليل أو ضمن التأويل أو ضمن الخاتمة أو ضمن المقدمة. وضح بالنسبة إلى كل جواب ماذا يعني هذا العنصر الأساسي في التقرير :

أ. عرض مختلف أجزاء التقرير ؛

ب. خصائص مجتمع البحث المدروس ؛

ج. القصد من وراء موضوع البحث ؛

د. المناقشة حول النتائج ؛

هـ. حوصلة تحليل المعطيات وتأويل النتائج.

7. عندما نوضح مدى اهتمامنا بموضوع البحث في المقدمة، فما هو المطلوب على مستوى الأخلاق ؟ إشرح.

8. بين معتمدا على مثال، ما يجب القيام به أو عدم القيام به فيما يخص أسلوب الكتابة المعتمد في تقرير البحث، وكيف يكون هذا الأسلوب موضوعيا، بسيطا ودقيقا.

9. بصفة عامة، إلى ماذا يعود التقرير الجيد للبحث، ما الذي نريد التحقق منه إذن بصفة خاصة ؟ صف كل عنصر من العناصر التي نتحقق منها.

ملحق 1
المراحل باختصار

المرحلة الأولى

تحديد المشكلة

الخطوة أ : الطرح

ما ينبغي القيام به :

- اختيار موضوع بحث.
- الاطلاع على الأدبيات الموجودة حول هذا الموضوع.
- تدقيق مشكلة البحث من خلال أربعة أسئلة رئيسية وهي :
  1. لماذا نهتم بهذه المشكلة (أي القصد) ؟
  2. ما الذي نطمح بلوغه (الهدف) ؟
  3. ماذا نعرف إلى حد الآن (المعلومات المتحصل عليها من خلال الاطلاع على الأدبيات) ؟
  4. أي سؤا بحث سنطرح (الواقع المطلوب معرفته) ؟

الخطوة ب : العملياتية

ما ينبغي القيام به :

- طرح فرضية أو تحديد هدف البحث بالإجابة عن سؤال البحث.
- القيام بالتحليل المفهومي.
- تحديد المتغيرات (المستقلة والتابعة)، إن كان الأمر يقتضي ذلك.
- إعداد إطارا مرجعيا بمساعدة الأسئلة الأربعة الرئيسية الآتية :
  1. ماهي خصائص مجتمع البحث المستهدف ؟
  2. ماهي الفترة أو الفترات من حياة الأفراد المطلوب ملاحظتها ؟
  3. ماهي الموارد المادية المتوفرة لدينا ؟
  4. ماهو الوقت المتوفر لدينا ؟

المرحلة الثانية

البناء التقني

الخطوة أ : اختيار تقنية البحث

ما ينبغي القيام به :

- الاطلاع على التقنيات المتوفرة.
- اختيار تقنية مناسبة.
- تبرير اختيار هذه التقنية.
- تحديد الكيفية التي سنستعمل هذه التقنية وفقها.

الخطوة ب : بناء أداة الجمع

ما ينبغي القيام به :

- استيعاب الإطار المفهومي.
- التأكد من معرفة القواعد التي يجب اتباعها.
- بناء أداة جمع المعطيات :
  - إطار الملاحظة، أو
  - مخطط أو دليل المقابلة، أو
  - وثيقة أسئلة، أو
  - مخطط تجريبي، أو
  - فئات تحليل المحتوى، أو
  - سلسلات رقمية.

المرحلة الثالثة

جمع المعطيات

الخطوة أ : انتقاء عناصر مجتمع البحث

ما ينبغي القيام به :

- الاطلاع على أنواع المعاينات وأصنافها.
- اختيار نوع المعاينة وصنفها أو تركيبة ما.
- تبرير هذا الاختيار.
- تحديد الإجراء الذي سيستخدم في الانتقاء.

الخطوة ب : استعمال التقنيات

ما ينبغي القيام به :

- تخطيط عملية الجمع.
- مباشرة الاتصال أو تجديده مع الأشخاص أو الوثائق.
- التأكد من معرفة طريقة استعمال التقنية، أي التأكد من الاستعمال الجيد لـ :
  - الملاحظة، أو
  - المقابلة، أو
  - الاستمارة، أو
  - التجريب، أو
  - التفيئة، أو
  - السلسلة.

المرحلة الرابعة

التحليل والتأويل

الخطوة أ : تحضير المعطيات

ما ينبغي القيام به :

- القيام بالترميز إن كان الأمر يقتضي ذلك.
- التحقق من المعطيات الصالحة للاستعمال.
- تحويل المعطيات إلى سند ملائم.
- مراجعة المعطيات.
- تهيئة المعطيات.

الخطوة ب : تقرير البحث

ما ينبغي القيام به :

- تحليل المعطيات.
- تأويل النتائج.
- وضع مخطط التقرير.
- تحرير تقرير مع أخذ بعين الاعتبار قواعد التقديم
- إيصال المعلومات.

ملحق 2
العمل ضمن فرقة

قد تكون مقاومتنا أقل حدة للفردانية والمنافسة وإرادات التسلط وفقدان شخصية العلاقات الانسانية لو بدأ تكويننا للعمل ضمن فرقة منذ تواجدنا بالمدرسة [...].

ROGER MUCCHIELI

إن الفرقة هي أولا وقبل كل شيء عدد قليل من الأشخاص يتجمعون بهدف إنجاز شيء ما. إن التواجد في مجموعة لا يعني بالضرورة التواجد في فرقة، ذلك لأن العمل في فرقة يتطلب التزاما شخصيا للعمل مع الآخرين والمساهمة في نجاح المجموع، وفي غياب هذا الالتزام فلا يكون هناك انسجام لأن هذا الأخير ضروري لوجود الفرقة. إن كل شخص يعرف أنه يمثل جزءا من فرقة عندما يشعر أنه مرتبط بالآخرين في مهمة مشتركة، سواء لمنافسة فرقة أخرى أو لإنجاز مهمة تتجاوز إمكانيات الشخص بمفرده.

فائدته

إن العمل ضمن فرقة هو ممارسة يزداد انتشارها أكثر فأكثر في الميدان العلمي، مثلما هو الشأن في المجالات العديدة الأخرى. لقد لوحظ أن العمل ضمن فرقة يفيد بصورة أكثر وأفضل مما لو تم تجميع الجهود الفردية التقريبية. إذ يسمح بالقيام بحجم كبير من العمل في مدة زمنية قصيرة نسبيا ؛ ثم إن المعلومة الناتجة ستكتسب نوعية عن طريق النقد الذي يصبح ممكنا بفضل تبادل وجهات النظر. يؤدي هذا التبادل بدوره إلى معرفة أفضل بنوعية مساهمة كل عضو. كما سيسمح، من جهة أخرى، باتخاذ قرارات تتميز بوضوح أحسن بفضل الإمكانيات الواسعة المتاحة التي سمح بها هذا العمل ضمن فرقة. كل ذلك يحفز الجهود الذهنية، ويكون بمثابة المنبع الحاث الذي لا يمكن إهماله عندما تزداد حدة العمل ويتوسع مجاله، أو عندما يستمر لعدة أسابيع أو أكثر. وحسب أحد الاقتصاديين المشهورين وهو (Galbraith 1968 : 75) فإن العمل ضمن فرقة هو ذو فعالية مؤكدة بالنسبة إلى المؤسسة الكبيرة.

عدد أفرادها

يدور العدد المثالي لأعضاء الفرقة حول خمسة، ستة أو سبعة أشخاص ؛ ورغم أن Mailhiot (1966) ينصح بعدم اختيار عدد زوجي للتمكن من إصدار أغلبية، فإنه يتفق مع Mucchielli (1989) حول العددين الآخرين. كما ينصح كذلك بألا تكون الفرقة متكونة من شخصين إثنين بسبب التوترات الناتجة عن الألفة والمودة والمعارضات التي لا مفر منها والتي قد تتجلى بوضوح. أما بالنسبة إلى الفرقة المتكونة من ثلاثة، فإذا كان Mucchielli لا يرى في ذلك سوى حد من إمكانيات التفاعلات، فإن Mailhiot يرى في ذلك أن أحد الأعضاء سيشعر دائما أنه مرفوض إما عن خطأ أو عن صواب. أما إذا تكونت الفرقة من أربعة أو خمسة طلبة في بحث ما في العلوم الإنسانية، فإن ذلك قد يؤدي في مناسبات عديدة إلى نجاح كبير. وتصبح مراعاة الانسجام وغنى التفاعلات وتقسيم الأعمال والحفاظ على نظرة شاملة إلى الوضع ممكنة في إطار هذه الأعداد. ويتفق المؤلفان من جهة أخرى بالتأكيد على أن فرقة العمل لا يمكن أن تتجاوز عشرة أو إثنا عشر عضوا دون أن يؤثر ذلك في وحدة الفرقة حتى ولو تعلق الأمر بصعوبات المشاهدة والاستماع الدائم لكل الأعضاء المتواجدين حول الطاولة. وهذا ما ينشأ عنه فرق فرعية معارضة.

انسجامها

تجمع فرقة العمل أشخاصا يدخلون في تفاعل مع بعضهم البعض ووجها لوجه، وهذا ما يجعلنا إذن منشغلين بانسجام الفرقة مثل انشغالنا أيضا بالعمل المطلوب إنجازه، ذلك لأن هذين الواقعين تربطهما علاقات وطيدة لنجاح المشروع.

ويعود تماسك الفرقة إلى اعترافنا بمساهمة كل عضو فيها بالإشارة، مثلا، إلى الفكرة الجيدة والعمل الجيد اللذان يبرزان كلما تم تشجيع الأعضاء المشاركين وإعطائهم قيمة مما يجعلهم أكثر رضى وارتياحا. إن هذا التدعيم يساعد أكثر في بروز قدرات غير منتظرة في الفرقة. وهذه التشجيعات لا تمنع من ظهور بعض المنافسة بين الأعضاء، كما أنها تكون بمثابة المحفز إذا ما اتجهت نحو المهمة وسمحت لهم بإبراز قدراتهم الخاصة الواحد تلو الآخر. فعلا، فإن صلابة الفرقة تنبع كذلك من هذا الاعتراف بالتكامل بين المشاركين والذي يمثل أرضية لثرائها. وفي مثل هذا الجو فكل واحد سيشعر أنه مدفوع إلى العمل والتعاون وتكوين مجموع منتج، وبكلمة أخرى فإن كل فرد سيقتنع هو نفسه والآخرين أنهم عناصر منفردة وضرورية لإنجاح العمل الجاري.

نظرا إلى كون العمل ضمن فرقة لا ينتهي عند حدود تبادل الأفكار المجردة، وبالتركيز الدائم على المهمة المطلوب إنجازها، فعلى المشاركين أن يهتموا وأن يأخذوا بعين الاعتبار الروابط العاطفية والشعورية التي يقيمونها فيما بينهم. فعلا، فإن المستويات الشعورية والفكرية في الفرقة ستمتزج أكثر وبالتالي فإن تجاهلها سينتج عنه تعقيدا. ففي البداية، مثلا، فإن كل عضو يكون في حاجة إلى تأكيد وجوده في الفرقة. إنها لحظة حاسمة، وطالما أن كل عضو لم يشعر بعد بقبوله كشخص فإنه لا يستطيع تنمية شعور ولائه للفرقة، في حين أن هذا الشعور بالولاء هو من الضروريات لإنجاز المهمة وتخطي النزاعات الداخلية الممكنة.

وحتى لو فهمنا حاجة كل واحد وواحدة إلى القبول فإنه لا مفر من وقوع بعض التوترات التي يمكن أن تظهر بين اللحظة والأخرى لأسباب عديدة، لهذا فإن تجاهل هذه الظواهر هو أفضل طريقة في تفاقم المشاكل، كما يمنع من إيجاد الحلول المناسبة. وإذا كان من الطبيعي أن نعاني بعض الصعوبات أثناء المسار فإنه ليس من الطبيعي ألاّ نحلها. وعند شرحهم لإدراكاتهم فلابد على أعضاء الفرقة، وذلك حسب الحالة، من إظهار اللباقة أو المهارة والصرامة والتوضيحات العديدة، وعليهم خاصة بالأمانة. ولابد من التذكير أنه ينبغي على الجميع إيجاد مكانته، وبعبارة أخرى فإنه ينبغي أن تؤخذ دوافع ومحفزات كل عضو بعين الاعتبار.

إن انسجام الفرقة يرتبط إذن بالتقاء جهود كل الأعضاء من أجل تحقيق المهمة. وللقيام بذلك فإن الشعور أو الانفعال الإيجابي أو السلبي من هذا الطرف أو ذاك من الأعضاء ينبغي ألاّ يطفو أو يهيمن على العمل المطلوب إنجازه. إن الصداقة، مثلا، ليست ضمانة افعالية أكبر في الفرقة، بل قد تكون عائقا إذا ما كانت مرادفة للتحيز. كما يمثل الاعتقاد أنه في إمكاننا القيام بعمل أحسن بمفردنا في حد ذاته عائقا كبيرا للمشاركة الحقيقية في الفرقة وفي إنجاح العمل المشترك، ذلك لأن العمل في فرقة يفترض الاعتراف بضرورة التكامل بين الزملاء والزميلات، وبالتالي فإن معرفة الذات والآخرين ينبغي أن يمثل جزءا من الاهتمامات.

وما يؤسف له هو أن اندماج الأعضاء في فترة معينة ومن أجل مهمة معينة لن يكون دائما ممكنا، ولا يحدث بما فيه الكفاية من أجل أن يكون الإنتاج حقا ثمرة جهود كل أعضاء الفرقة.

كما قد يواجه أعضاء فرقة البحث في الواقع عدة عراقيل منتظمة. ودون رصد شامل لقائمة هذه العراقيل، فقد يكون الأمر خاصا بنزاعات عميقة متعلقة بشخصية أعضاء هذه الفرقة، أو مواقف إيديولوجية متطرفة، أو كسل مزمن، إلخ. لابد إذا من

للتفكير وبسرعة في حلول أخرى بدلا من الإبقاء على الفرقة كما هي. ومن الناحية العددية، فقد يتعلق الأمر بالانقسام إلى مجموعتين، والأفضل في هذه الحالة يكون بتكوين فرقتين مستقلتين أو الاشتراك في فرق أخرى موجودة إن كان ذلك ممكنا. أما إذا كان الأمر يتعلق بأقلية (شخص أو شخصين) فإن على الأغلبية أن تعالج فورا، كلما كان ذلك ممكنا، موضوع الخلاف مع الفرقة. كما يجب جلب الأقلية لإدراك مدى حدة الخلاف. إذا كان الخلاف خطيرا فيجب اقتراح حل آخر بدلا من الولاء إلى المجموعة ذات الأغلبية. ويتطلب هذا الإجراء قناعة ومقدرة في اتخاذ القرارات كرمز بديهي يدل على مدى رشد الأفراد وكذلك الفرق.

سيرها

يجب أن تكون شبكة العلاقات والتفاعلات المتعددة التي تقيمها الفرقة موجهة وذلك إذا ما أرادت الفرقة أن تحافظ على تركيزها على المهمة. لذلك فمن الضروري أن تتهيكل الفرقة حتى تسير مهمتها بكيفية جيدة ؛ ونتيجة لذلك لابد من تقسيم العمل بين أعضائها. وينبغي أن يكون لدى الجميع فهما مشتركا وأن يقبل كل واحد منهم بالمهمة المسندة إليه، ولكي يكون تقسيم العمل هذا منتجا ويلقى في نفس الوقت رضى كل عضو في الفرقة فلابد أن يكون نتيجة لتفكير متبصر، ومن جهة أخرى، هذا لا يمنع من التعاون والدعم عندما تتهيأ الفرصة. زيادة على ذلك، فإن الأمر يقتضي أثناء المناقشة أن تمنح أدوار لكل عضو، وأن يكون فهمهم مشتركا مرة أخرى، إما بإعطائهم الكلمة الواحد تلو الآخر، لتثبيت حدود الوقت، لتحفيز كل عضو على التعبير، لإبراز نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف، لاقتراح أرضيات للحلول أو للوصول إلى إجماع. إن أهم الوظائف والمسؤوليات التي يمكننا إيجادها في كل فرقة هي وظائف ومسؤوليات المنشط، المنسق، المكلف بالعلاقات العامة، الوثائقي والكاتب.

المنشط أو المنشطة. إنه الشخص الذي يسهر على السير الحسن للمناقشات داخل الفرقة، ويتأكد بالأخص أن لكل شخص حرية تامة في التعبير. إنه يمنح الكلمة عند الحاجة إليها، ويكون دائما في الاستماع إلى الفرقة ليعرف، مثلا، متى ينبغي تغيير طريقة التصرف أو أخذ قسط من الراحة، إلخ.

المنسق أو المنسقة. إنه الشخص المكلف بتقسيم المهام بين أعضاء الفرقة، إنه يسهر كذلك على التخطيط العام لمعرفة إلى أين وصلت الفرقة وإلى أين هي متجهة. كما يضمن، إن اقتضى الأمر، الدفاع عن الفرقة.

المكلف أو المكلفة بالعلاقات العامة. إنه الشخص الذي يتكفل بالاتصال بالخارج إن اقتضى الأمر ذلك، والذي ينبغي أن يكون متميزا بفصاحة اللسان أمام الجمهور، كما يجب أن يعرف كذلك كيف يستقبل النقد الموجه إلى الفرقة من الخارج وتوظيفه في تقوية العمل الداخلي وتدعيمه مع أخذ بعين الاعتبار الملاحظات الدالة والهادفة. كما ينبغي عليه أيضا أن يحضر عروضه وذلك انطلاقا من اطلاعه ومعرفته الجيدة بكل عمل فرقته وتمكنه من تبليغ ذلك بوضوح وبساطة.

الوثائقي أو الوثائقية. إنه الشخص الذي يحتفظ بكل وثائق الفرقة مما يسمح لأعضائها بإيجادها بسرعة وذلك بفضل ترتيبها الملائم، وهكذا فإنه يضمن المراجعة السريعة لما تم عمله سابقا : الحوصلات، التقارير، البطاقات، الاستنساخ، إلخ.

الكاتب أو الكاتبة. إنه الشخص الذي يقوم بإعداد تقرير الاجتماع وتقديمه بعد ذلك إلى الأستاذ المشرف أو إلى الأشخاص المعنيين في أقرب الآجال الممكنة. حتى وإن أوكلت هذه المهمة إلى شخص معين، فالأفضل أن يمارس كل عضو في الفرقة، الواحد تلو الآخر، وظيفة الكاتب، لأن هذه الوظيفة تتطلب الاستماع المستمر للآخرين والمهارة في صياغة ما يقال كتابيا، وانطلاقا كذلك من أن هذه الوظيفة قد تكون متفاوتة وعديمة التجانس في علاقتها بالوظائف الأخرى.

أما فيما يتعلق بالوظائف الأخرى، ما عدا الأمانة، فالأحسن أن يتولاها أحد أعضاء الفرقة بصفة دائمة، وبهذه الكيفية فإن هذا الأخير سينمي لا محالة مهاراته بشرط أن يمنح له الوقت الكافي لممارستها. ومع ذلك فقد يحدث و ألا يشعر الشخص بالارتياح في وظيفة قد يكون هو نفسه قد توسل إلى الحصول عليها في البداية أو تلك التي يفضل الأعضاء الآخرين ويتمنون ممارستها من طرف شخص آخر، فقط من أجل أن تتم المناقشة في هذا الصدد في إطار احترام متبادل بين كل الأعضاء، فالتغيير يمكن أن يتم دون اصطدامات ويدفع بالتالي الفرقة إلى ديناميكية أكثر. لا ينبغي إذن أن نخشى إدخال التعديلات، خاصة إذا لم ننتظر طويلا لاقتراحها.

إن الفترات الثلاث الحاسمة في كل عمل الفرقة هي : المناقشة، القرار، التنفيذ (Mailhiot 1966). فإذا كان الأمر يتعلق بفرقة حقيقية، فإن النقاش يكون قد سمح لكل الأعضاء بالإدلاء بآرائهم، ويكون القرار قد تم اتخاذه بالإجماع، أي بعد اتفاق طوعي من طرف الجميع، كما يكون كل عضو قد برهن على قدرته في العمل والدعم الخاص الذي يتعذر استبداله.

الجهد الفردي

تبين كل هذه الجوانب الخاصة بالعمل ضمن فرقة أنه ينبغي على كل عضو أن يكون نشيطا أثناء اللقاءات طالما ينتظر منه أن يتدخل ويستمع وأن يعرف الآخرين ويعرفونه ويشجع ويبرهن على تضامنه ويؤدي وظيفة ويخطط لعمله بين كل لقاء واللقاء الذي يليه. وهذه النقطة الأخيرة تؤدي إلى الإشارة إلى ما تعودنا عدم التذكير به عندما نتحدث عن الفرقة وهو ما يتعلق بالعمل الأساسي الذي ينبغي أن يقوم به كل عضو بصفة فردية بين لقاء وآخر، إنه قاعدة أو أساس كل نجاح للفرقة. فإذا لم نفكر، بين اللقائين، فيما هو مطلوب حله من طرف الفرقة، وإذا لم نقم بإنجاز أو دراسة ما تتطلبه المرحلة اللاحقة، فإن عمل الفرقة سيكون ناقصا إن لم يكن مشلولا. ذلك أن الاجتماعات هي أولا وقبل كل شيء عبارة عن تركيب مشترك لعمل كل عضو انطلاقا من التخطيط الذي تم وضعه في اللقاء السابق. كما يحدث وأن يكون جزء كبير من المتطلبات، إن لم يكن معظم العمل، سيتم بين هذين اللقاءين. هنا تبرز بالضبط المساهمة الهامة لكل عضو من ناحيته في نجاح الفرقة. انطلاقا من ذلك إذا فإن الجهد الفردي هو شرط مسبق وضرورة لابد منها لعمل الفرقة. إن الالتقاء بين الأفراد والاعتقاد أن التفكير سويا وتبادل الأفكار فيما بينهم يكفيان لتقدم العمل هو بمثابة وهم. فإذا كانت هذه الأعمال ضرورية فإن التفكير والعمل الفردي لا يقلان أهمية.

إن العمل في فرقة يتطلب إذن التزاما شخصيا من أعضائها للقيام بعمل مشترك. وعلى أساس هذا الشرط ينتج أيضا قبول المستلزمات الأخرى للعمل في الفرقة والتي تتمثل في : التوجه نحو هدف، تقسيم العمل والتنظيم المهيكل. في النهاية، فإن التوازن في العلاقات العضوية داخل المجموعة إذا كان مرافقا للتوجه المستمر نحو تحقيق المهمة يعتبران بمثابة أفضل ضمانة للنجاح.

ملحق 3

جدول الأعداد العشوائية

17031	15532	16006	89840	44231	55053	57859	98736	97770	69560
46068	23960	51491	69217	69235	52827	19263	89194	24726	67945
29287	08655	33171	62097	54727	75276	94979	95023	33087	05835
13452	95111	24993	18476	45482	16698	38247	59071	26588	48372
54822	41406	14108	61813	81646	97975	26103	73433	15984	12248
61157	86506	36521	74559	95909	83124	58410	92789	40796	26484
06297	36767	53523	14324	87207	05735	81259	21006	37041	18175
06380	50714	29468	36676	92934	32241	33596	58725	54268	29531
16922	55536	02285	32303	12394	89836	73410	98591	00932	98470
75522	42808	52924	24688	24178	84663	78611	45748	11730	64919
77676	33246	65833	68819	01858	50522	94887	45814	43572	18939
92087	86889	84083	14650	08095	95590	97963	09335	97474	97457
12320	78625	16733	63782	45620	66638	71798	64974	61135	82160
52356	13378	53650	93061	87111	49832	64647	44638	41368	19047
07901	28539	89636	10385	62725	06591	28382	55094	88209	76728
56343	35970	02447	06844	40971	85887	47863	46252	37497	58570
58144	15741	01028	08871	01297	10732	74618	63693	67541	30104
99547	74293	07796	27114	58187	02955	91212	15016	99462	87670
09414	37290	84727	45600	94054	69968	96711	03620	13178	61944
04277	01667	72412	36426	97145	83220	16067	10268	19617	36639
07364	66305	45505	68845	96583	22892	42200	68326	18363	77033
65558	07846	35533	50124	72186	22898	50040	06093	98906	39580
70782	33400	30616	78710	92467	94177	57873	04405	52316	98513
00265	05446	80843	50570	66276	17289	82648	35778	83999	52254
23675	13661	97400	11151	28082	41771	32730	94989	04214	13908
80817	08512	43918	39234	45514	39559	44774	89216	28606	40950
28426	57962	36149	23071	01274	36321	42625	52913	92319	46602
21699	83058	78365	90291	41255	88742	90959	71911	12364	36500
76196	25126	75243	06455	09699	27259	87118	61898	34070	30663
29910	23090	03597	94026	22920	24888	12060	94269	26857	86418
88434	97038	07584	91689	20272	28419	31588	02629	10304	40897
19631	04682	73840	11159	07635	44424	73856	59622	19881	11576
09207	26807	35382	28345	56942	55028	05253	20412	32181	29668
47677	11154	22639	37745	18850	27436	46074	24186	31239	89847
72402	94986	61941	09619	45721	28566	64866	59213	76003	16418
70210	45782	18412	43100	08253	60693	24399	31778	74211	35853
36947	45782	18412	43100	08253	60693	24399	31778	74211	35853
50512	87468	29926	36505	30657	18856	76880	35595	73896	04326
62112	73064	46212	02202	73464	48659	10954	02926	00794	24981
82353	20212	18866	97787	13678	63246	68120	39120	33821	86064

Source : ROBERT TRUDEL, RACHAD ANTONIUS (1991). *Méthodes quantitatives appliquées aux sciences humaines* (p. 509). Montréal, Centre éducatif et culturel.

معجم

تحليل analyse :

عملية ذهنية تتضمن تفكيك الواقع إلى عناصره بهدف معرفة طبيعته.

تحليل تصنيفي analyse classificatrice :

تحليل يهدف إلى جمع الظواهر أو عناصر الواقع حسب مقاييس متنوعة.

تحليل فهمي analyse compréhensive :

تحليل يهدف إلى فهم الواقع من خلال معاني يعطيها الأفراد لتصرفاتهم.

تحليل مفهومي analyse conceptuelle :

سيرورة تجسيد مفاهيم الفرضية أو هدف البحث.

تحليل المحتوى analyse de contenu :

تقنية غير مباشرة للتقصي العلمي تطبق على المواد المكتوبة، المسموعة أو المرئية والتي تصدر عن الأفراد أو الجماعات حيث يكون المحتوى غير رقمي، ويسمح بالقيام بسحب كيفي أو كمي بهدف التفسير، الفهم والمقارنة.

تحليل الإحصائيات analyse de statistiques :

تقنية غير مباشرة للتقصي العلمي مطبقة على المواد أو الوثائق المتعلقة بأفراد أو جماعات، وهي ذات محتوى رقمي يسمح بسحب كمي من أجل التفسيرات الاحصائية والمقارنات الرقمية.

تحليل وصفي analyse descriptive :

تحليل يهدف إلى عرض مفصل لموضوع ما.

تحليل تفسيري analyse explicative :

تحليل يهدف إلى وضع عناصر الموضوع في علاقة ببعضها البعض.

تناول approche :

طريقة خاصة غير تقليدية في استعمال النظرية العلمية.

وفق منهج avec méthode :

بصرامة وبرغبة في التنظيم.

قاعدة مجتمع البحث base de population :

قائمة تشمل كل عناصر مجتمع البحث.

إطار الملاحظة cadre d'observation :

أداة لجمع المعطيات يتم بناؤها من أجل ملاحظة وسط معطى.

إطار مرجعي cadre de référence :

مجموعة موجهات خاصة بتخطيط البحث.

فئات تحليل المحتوى catégorie d'analyse de contenu :

أداة لجمع المعطيات تبنى من أجل استخراج العناصر الدالة في وثيقة.

تفيئة catégorisation :

ترتيب معطيات محصل عليها حسب منطق تصنيف محدد مسبقا.

تصنيف classification :

تجميع أشياء أو ظواهر انطلاقا من مقياس واحد أو عدة مقاييس.

ترميز codage :

إجراء لتفيئة المعطيات الخام وترقيمها .

انسجام cohérence :

علاقة منطقية بين الألفاظ المستعملة.

فهم compréhension :

اكتشاف طبيعة ظاهرة إنسانية مع أخذ بعين الاعتبار المعاني المعطاة من طرف الأشخاص المبحوثين.

مفهوم concept :

تصور ذهني عام ومجرد لظاهرة أو أكثر وللعلاقات الموجودة بينها.

تكثف أفقي condensation horizontale :

القيام بمقارنة بين المعطيات الكيفية في الدراسة طبقا لكل بعد.

تكثف افتراضي

condensation propositionnelle :

عملية توحيد المعطيات الكيفية ضمن زاوية واحدة أو عدة زوايا تظهر فائدتها أثناء البحث.

تكثف عمودي condensation verticale :

عملية تقليص المعطيات الكيفية ضمن كل وحدة تحليل.

معرفة علمية connaissance scientifique :

نوع من المعرفة المتنامية باستمرار وهي موجهة نحو دراسة الظواهر والتحقق منها.

ثبات بين مرمزين constance intercodeur :

ميزة يحملها مرمزين أو أكثر يقومون بسحب الوحدات بنفس الطريقة.

ثبات constance :

خاصية بحث يتم ضمانها باستعمال أداة لجمع المعطيات بنفس الطريقة خلال كل فترة الجمع.

ثبات لدى مرمز constance intracodeur :

ميزة مرمز يسحب الوحدات دائما بنفس الطريقة.

محتوى مستتر لوثيقة

contenu latent d'un document :

ماهو كامن أو مضمر في وثيقة.

محتوى ظاهري لوثيقة

contenu manifeste d'un document ,

ماهو واضح ومصاغ حقيقة في وثيقة.

محددات مشكلة البحث

coordonnées du problème de recherche,

عناصر تحديد المشكلة المدروسة.

تصديق corroboration :

تأكيد صدق حدث متحصل عليه عن طريق دراسة عدة وثائق تذكر هذا الحدث.

نقد خارجي critique externe :

إثبات أصالة وثيقة باستعمال إجراءات متنوعة وكذلك من خلال مساءلة خاصة بالمنهج التاريخي.

نقد داخلي critique interne :

إثبات مصداقية محتوى الوثيقة باستعمال إجراءات متنوعة، وكذلك من خلال مساءلة خاصة بالمنهج التاريخي.

حلقة البحث cycle de la recherche :

حركة دائرية للفكر والنشاط العلميين والتي تمر أساسا من التصور، من المنهجية ومن الملاحظات.

استنباط علمي déduction scientifique :

استدلال مستمد من افتراضات عامة بغية التحقق من صحتها في الواقع.

وصف description :

تمثيل مفصل وصادق لموضوع أو ظاهرة ما.

تطوّر علمي développement scientifique :

نمو مستمر للمعارف الخاصة بالعلم.

فرق دال différence significative :

فرق في النتائج المتحصل عليها من عيِّنتين أو بين نتائج عيِّنة ونتائج مجتمع البحث الذي أخذت منه العينة والذي لا نستطيع إرجاعه إلى الصدفة.

بعد dimension :

احد مكونات أو جانب من جوانب المفهوم والذي يشير إلى مستوى معين من واقع هذا الأخير.

توجيهية، عدم توجيهية، نصف توجيهية :directivité, non-directivité, semi-directivité

حد أدنى أو أقصى أو نسبي من الحرية المتروكة للمشاركين في البحث.

معطيات خام données brutes :

معلومات تم الحصول عليها من الواقع المدروس ولم يجر تحويلها بعد.

معطيات أولية données primaires :

معلومات جديدة ناتجة عن البحث.

معطيات ثانوية données secondaires :

معلومات أنتجت آنفا ويجري استعمالها من أجل غايات البحث.

معطيات موحدة données unitaires :

معلومات مرتبطة بكل عنصر أو فرد من أفراد مجتمع البحث أو العينة.

عينة échantillon :

مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين.

معاينة échantillonnage :

مجموعة من العمليات تسمح بانتقاء مجموعة فرعية من مجتمع البحث بهدف تكوين عينة.

معاينة عرَضية échantillonnage accidentel :

سحب عينة من مجتمع البحث حسبما يليق بالباحث.

معاينة عشوائية بسيطة
: échantillonnage aléatoire simple

أخذ عينة بواسطة السحب بالصدفة من بين مجموع عناصر مجتمع البحث.

معاينة عنقودية
: échantillonnage en grappes

أخذ عينة من مجتمع البحث بواسطة السحب بالصدفة لوحدات تشمل كل واحدة منها على عدد معين من عناصر مجتمع البحث هذا.

معاينة غير احتمالية
: échantillonnage non probabiliste

نوع من المعاينة حيث يكون احتمال انتقاء عنصر من عناصر مجتمع البحث ليصبح ضمن العينة غير معروف والذي لا يسمح بتقدير درجة تمثيلية العينة المعدة بهذه الطريقة.

معاينة حصصية
: échantillonnage par quotas

سحب عينة من مجتمع البحث بانتقاء العناصر المفيأة طبقا لنسبتهم في هذا المجتمع.

معاينة احتمالية
:échantillonnage probabiliste

نوع من المعاينة يكون فيها احتمال الانتقاء معروفا بالنسبة إلى كل عناصر مجتمع البحث والذي يسمح بتقدير درجة تمثيلية العينة.

معاينة طبقية échantillonnage stratifié :

أخذ عينة من مجتمع البحث بواسطة السحب بالصدفة من داخل مجموعات فرعية أو طبقات مكونة من عناصر لها خصائص مشتركة.

معاينة نمطية échantillonnage typique :
سحب عينة من مجتمع بحث بانتقاء عناصر مثالية من هذا المجتمع.

سلالم échelles :
تقنيات تستعمل لمنح علامات للأفراد بهدف ترتيبهم.

عدد إجمالي effectif :
مجموع كلي لعناصر ضمن مجتمع البحث.

مقابلة المجموعة entrevue de groupe :
مقابلة بحث لمعرفة ردود أفعال مجموعة معينة من الأفراد الذين يشتركون في شيء ما.

مقابلة البحث entrevue de recherche :
تقنية مباشرة للتقصي العلمي تستعمل إزاء الأفراد الذين تم سحبهم بكيفية منعزلة، غير أنها تستعمل، في بعض الحالات، إزاء المجموعات، من أجل استجوابهم بطريقة نصف موجهة والقيام بسحب عينة كيفية بهدف التعرف بعمق على المستجوبين.

ابستيمولوجيا épistémologie :
دراسة نقدية لتكون العلوم، قيمتها وأهميتها.

خطأ التقرير الموجز
erreur de compte rendu :
خطأ يعود إلى عدم أخذ بعين الاعتبار خصائص المخبرين وظروف البحث.

خطأ المعاينة erreur d'échantillonnage :
عدم الدقة التي لا مفر منها عندما يجري التقصي على عينة والتي لا يمكن تقديرها في حالة المعاينة الاحتمالية.

خطأ متعلق بالظروف العادية erreur de fait :
معطى خاطىء تم الحصول عليه.

خطأ التأويل erreur d'interprétation :
حكم متحيز على الواقع.

خطأ الملاحظة erreur d'observation :
تقصير الباحث أو الباحثة أثناء تعريف عناصر مجتمع البحث أو انتقائها.

خطأ نسبي erreur relative :
فرق في المعطيات المتحصل عليها والمرتبط بعوامل السياق أو الزمن.

روح علمية esprit scientifique :
سلوك يتميز ببعض الاستعدادات الذهنية الأساسية في الطريقة العلمية.

مراحل البحث étapes d'une recherche :
فترات متتالية لنشاط علمي.

حوصلة السؤال état de la question :
تقرير موجز للمعلومات المتوصل إليها حول موضوع بحث.

أخلاق علمية éthique scientifique :
مجموعة من المبادىء والواجبات الأخلاقية المرتبطة بسير نشاط البحث.

تجربة expérience :
فعل إثارة الظاهرة بهدف دراستها.

تجريب expérimentation :
تقنية مباشرة للتقصي العلمي، عادة ما تستعمل تجاه الأفراد في إطار التجربة التي تتم بكيفية موجهة والتي تسمح بسحب عينة كمية بغرض تفسير الظواهر والتنبؤ الإحصائي بها.

تجريب مسند expérimentation invoquée :
حالة لا يستطيع فيها المجرب التحكم في المتغير المستقل.

تجريب مثار expérimentation provoquée :
حالة يتدخل فيها المجرب لإقحام المتغير المستقل.

تجريب مصطنع expérimentation simulée :
تقنية تجريب تتم عن طريق الإعلام الآلي وباستعمال نماذج مبسطة عن الواقع.

تفسير explication :
كشف عن علاقات تصف ظاهرة أو عدة ظواهر.

قابلية الإنجاز faisabilité :
ميزة ما يمكن إنجازه بالنظر إلى الموارد البشرية والمادية وكذلك الشروط التقنية والزمنية المحددة.

صدق fiabilité :
خاصية بحث كيفي يتفق بموجبها مختلف الباحثين حول الملاحظات التي قاموا بإجرائها.

أمانة fidélité :
ميزة أداة تسمح بالحصول على نتائج متشابهة عندما نستعملها عدة مرات.

شكل figure :
عرض بياني أو وصفي للمعطيات المتحصل عليها.

وثيقة الأسئلة formulaire de questions :
أداة لجمع المعطيات يتم بناؤها من أجل إخضاع الأفراد لمجموعة من الأسئلة.

إدماج المعطيات fusion des données :
تقنية إعلام آلية للربط بين بنكين أو أكثر من بنوك المعلومات.

تعميم généralisation :
استدلال يمكن بواسطته إسقاط النتائج المتحصل عليها من عينة أو من مجموعة على كل مجتمع البحث أو على مجموعة أخرى مشابهة.

رسم بياني graphique :
عرض في شكل صور لسلسلة من المعطيات المنظمة أو للعلاقات بين هذه المعطيات.

سيرة حياة histoire de vie :
مقابلة بحث بهدف جمع ما يروى عن ماضي شخص ما.

فرضية hypothèse :
تصريح يتنبأ بعلاقة بين حدين أو أكثر ويتضمن تحقيق أمبريقي.

مؤشر indicateur :
عنصر لبعد ما يمكن أن يلاحظ في الواقع.

دليل indice :
قياس كمي يجمع مجموعة من المؤشرات من طبيعة واحدة.

استقراء علمي *induction scientifique* :
استدلال مستمد من ملاحظة وقائع خاصة، بهدف استخلاص افتراضات عامة.

مخبر informateur :
شخص من ضمن مجموعة الأشخاص الذين يستهدفهم البحث.

مخبر أساسي informateur clé :
شخص يعرف الوسط الذي تجرى فيه الملاحظة ويمارس بعض التأثير فيه.

معلومات غير ملائمة informations inadéquates :
معلومات ناقصة، غير معبرة أو مضبوطة وغير مميزة أو ثانوية تمنح من طرف عناصر مجتمع البحث.

تأويل النتائج interprétation des résultats :
استدلال يهدف إلى إعطاء دلالة للتحليل.

مَخْبَــر laboratoire :

محل مخصص ومجهز بهدف إجراء تجارب علمية.

أدبيات حول موضوع
: littérature sur un sujet

مجمـوع وثـائـق ومنشـورات متعلـقـة بموضـوع معين.

قـانـون loi :

صيغة عامة تنص على ميزة شيء أو على علاقة بين الظواهر، يتم التحقق منه وفق منهج محدد.

دليل الترميز manuel de codage :

دليل تسجل فيه كل المعلومات والقرارات الخاصة بتفيئة المعطيات المتحصل عليها وترقيمها.

قياسات وصفية mesures descriptives :

مقادير عددية تساعد في تمييز مجموعة من المعطيات ووصفها.

مــنهج méthode :

مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدف.

منهج البحث الميداني méthode d'enquête :

طريقة تناول موضوع بحث باتباع إجراءات تقصي مطبقة على مجتمع بحث.

منـهـج تجــريبي
: méthode expérimentale

طريقة لدراسة موضوع بحث بإخضاعه للتجربة وجعله دراسة قائمة على السببية.

منهج تاريخي méthode historique :

طريقة لتناول وتأويل حادثة وقعت في الماضي، وفق إجراء البحث والفحص الخاص بالوثائق.

مناهج كيفية méthodes qualitatives :

مجموعة من الإجراءات لتحديد الظواهر.

مناهج كمية méthodes quantitatives :

مجموعة من الإجراءات لقياس الظواهر.

منـهج علمي méthode scientifique :

طريقة جماعية لاكتساب المعارف القائمة على الاستدلال وعلى إجراءات معترف بها للتحقق في الواقع.

منهجية méthodologie :

مجموعة المناهج والتقنيات التي توجه إعداد البحث وترشد الطريقة العلمية.

تهيئـة المعطيات mise en forme :

وسائل مستعملة في عرض المعطيات المتحصل عليها.

تـرقيم numérotation :

منح رقم لكل عنصر منتقى من مجتمع البحث ولكل زاوية نجري من خلالها الفحص، ولكل وضعية ضمن هذه الزاوية.

هدف البحث objectif de recherche :

تصريح عن غاية للإجابة عن سؤال البحث، تستلزم القيام بتحقق أمبريقي.

موضوعية objectivité :

ميزة من يتطرق إلى الواقع بأكبر صدق ممكن.

مــلاحظة observation :

فعل فحص الظاهرة بكل اهتمام وعناية.

ملاحــظــة من دون مشــاركة
: désengagée observation

حالة لا يشارك فيها الملاحظ أو الملاحظة في حياة الأشخاص الموجودين تحت الدراسة.

ملاحظة مستترة observation dissimulée :
حالة لا يدري فيها الأشخاص الملاحظون أنهم محل دراسة.

ملاحظة في عين المكان : en situation observation
تقنية مباشرة للتقصي العلمي تسمح بملاحظة مجموعة ما بطريقة غير موجهة من أجل القيام عادة بسحب كيفي، بهدف فهم المواقف والسلوكات.

ملاحظة مكشوفة observation ouverte :
حالة يعرف فيها الأشخاص الملاحظين أنهم محل ملاحظة.

ملاحظة بالمشاركة observation participante :
حالة يشارك فيها الملاحظ أو الملاحظة في حياة الأشخاص الموجودين تحت الملاحظة.

ملاحظة منتظمة observation systématique :
تسجيل متكرر للسلوكات الظاهرة بهدف الوصول إلى التنبؤ بها.

عملياتية opérationnalisation :
سيرورة عملية تجسيد سؤال البحث بهدف جعله قابلا للملاحظة.

تفتح ذهني ouverture d'esprit :
موقف يسمح بتصور طرق جديدة في التفكير.

نموذج نظري paradigme :
مجموعة من القناعات وطرق العمل المشتركة بين مجموعة من العلماء في مدة زمنية معينة.

مقياس paramètre :
عنصر يجب أخذه بعين الاعتبار عند تقييم الإمكانيات الخاصة بإنجاز البحث.

ظواهر phénomènes :
وقائع مدركة بصفة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الحواس والتي تمثل موضوع المعرفة العلمية.

مخطط التقرير plan de rapport :
مشروع كتابي حول اختيار أجزاء التقرير وموقعهم ومحتواهم.

مجتمع البحث population :
مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى والتي يجرى عليها البحث أو التقصي.

دقـة précision :
ميزة أداة حساسة بالمظاهر المتنوعة لموضوع الدراسة.

دقـة لفظ précision d'un terme :
ميزة ماهو دقيق.

مشكلة بحث problème de recherche :
عرض هدف البحث في شكل سؤال يتضمن إمكانية التقصي بهدف إيجاد إجابة.

مشروع البحث projet de recherche :
عرض كتابي يعطي وصفا مفصلا للبحث العلمي المراد إنجازه.

افتراض proposition :
عرض يعبر عن علاقة قائمة بين عنصرين أو أكثر بواسطة كلمات أو رموز.

سؤال مغلق question fermée :
سؤال يفرض على المبحوث أن يقوم باختيار جواب من بين عدد معين من الإجابات المقبولة المقدمة.

سؤال توجيهي question-filtre :
سؤال في الوثيقة يشير إلى المبحوث أن يواصل بطريقة مختلفة حسب الإجابة المقدمة.

سؤال مفتوح question ouverte :

سؤال لا يفرض أي إلزام على المبحوث في صياغة إجابته.

استمارة questionnaire :

تقنية مباشرة للتقصي العلمي تستعمل إزاء الأفراد، وتسمح بإستجوابهم بطريقة موجهة والقيام بسحب كمي بهدف إيجاد علاقات رياضية والقيام بمقارنات رقمية.

استمارة الملء الذاتي auto-administré questionnaire :

وثيقة أسئلة تملأ من طرف المبحوث نفسه.

استمارة بالمقابلة questionnaire-interview :

وجيز أسئلة يطرحها المستجوِب الذي يقوم (في نفس الوقت) بتسجيل الإجابات المقدمة من طرف المستجوَب.

مساءلة questionnement :

فعل التساؤل حول ظاهرة ما.

استدلال raisonnement :

فعل التصور عن طريق الذهن.

بحث تطبيقي recherche appliquée :

بحث يهدف إلى تقديم توضيحات حول مشكلة ما بنية تطبيقها ميدانيا.

بحث تصنيفي recherche classificatrice :

هو بحث يسعى إلى جمع وترتيب عدة ظواهر وفقا لمقياس أو أكثر.

بحث مقارن recherche comparative :

بحث يهتم بدراسة مجموعة من الأشخاص بهدف مقارنتها بمجموعة أو بعدة مجموعات.

بحث فهمي recherche compréhensive :

يكمن هدف هذا البحث في إدراك أو فهم المعنى الذي يعطيه الأفراد لتصرفاتهم.

بحث وصفي recherche descriptive :

بحث يهدف إلى تمثيل ظاهرة أو موضوع ما بكل تفاصيله.

بحث متعاقب recherche diachronique :

هو نوع من البحث يتم فيه دراسة تطور موضوع معين خلال مدة زمنية متعاقبة.

بحث تخصصي recherche disciplinaire :

بحث يجرى في تخصص واحد فقط.

بحث بالمعاينة recherche échantillonnée :

هو ذلك البحث الذي يجرى على جزء من مجتمع البحث.

بحث في مخبر recherche en laboratoire :

بحث يجرى في مكان مخصص لذلك.

بحث تفسيري recherche explicative :

بحث يهدف إلى إقامة علاقة بين الظواهر.

بحث أساسي recherche fondamentale :

نوع من البحوث يدور موضوعه حول النظريات والمبادىء القاعدية والذي يهدف إلى تطوير المعارف الخاصة بمجال دون مراعاة الانعكاسات التطبيقية.

بحث شامل recherche globale :

بحث يهتم بدراسة كل أفراد مجتمع البحث.

بحث متداخل التخصصات interdisciplinaire recherche :

هو بحث يساهم فيه تخصصين أو أكثر بصفة مشتركة حول نفس الموضوع.

بحث محلي، جهوي، وطني، دولي أو عالمي
recherche locale, régionale, nationale, internationale ou mondiale :

هو نوع من البحث يتم القيام به على مستوى محلي ضيق أو على جزء مهم نسبياً من إقليم أو على مستوى وطن، أو على مستوى بلدين أو أكثر أو على مستوى عالمي.

بحث مونوغرافي
: recherche monographique

بحث يجرى على وحدة واحدة فقط من مجتمع البحث.

بحث متعدد التخصصات
: pluridisciplinaire recherche

بحث يقوم به باحثون وباحثات من تخصصين أو أكثر حول نفس الموضوع ولكن بكيفية منفصلة.

بحث كيفي recherche qualitative :

عملية جمع معطيات غير قابلة للقياس.

بحث كمي recherche quantitative :

عملية جمع معطيات تتوفّر فيها ميزة القياس.

بحث علمي recherche scientifique :

نشاط يتمثل في جمع المعطيات وتحليلها بهدف الإجابة عن مشكلة بحث معينة.

بحث يجرى على وثائق
: recherche sur des documents

بحث يستمد معلوماته من وثائق.

بحث ميداني recherche sur le terrain :

بحث يقرب الباحث أو الباحثة من مجتمع البحث محل الدراسة.

بحث متزامن recherche synchronique :

دراسة موضوع معين في مدة زمنية واحدة.

بحث عابر للتخصصات
: recherche transdisciplinaire

بحث يجرى قصد صياغة ممارسة وخطاب علميين مشتركين بين عدة تخصصات.

عرض مرئي للمعطيات
: représentation visuelle des données

طريقة لتنظيم معطيات البحث وعرضها.

تمثيلية عيّنة
: représentativité d'un échantillon

ميزة عينة يتم إعدادها بطريقة تنطوي على نفس خصائص مجتمع البحث الذي أخذت منه.

مراجعة المعطيات révision des données :

الكشف عن المعلومات الخاطئة وحذفها.

استعراض الأدبيات
: revue de la littérature

فحص معمق، منظم وشامل لما نشر حول موضوع ما.

تشبع بالمصادر saturation des sources :

بفضل الخاصية المتكررة للمعلومات يصل الباحث، في البحث الكيفي، إلى عدد كاف من العناصر لإنشاء عينته.

مخطط أو دليل المقابلة schéma d'entrevue :

أداة لجمع المعطيات تبنى من أجل أن تسأل بصفة معمقة شخص أو مجموعة من الأشخاص.

مخطط تجريبي schéma expérimental :

أداة لجمع المعطيات تبنى من أجل إخضاع العناصر للتجربة.

علـم science :

مجموعة منسجمة من المعارف المتعلقة ببعض فئات الظواهر أو المواضيع المنتجة طبقا لمنهج وطريقة خاصين، أي البحث.

علوم الطبيعة sciences de la nature :

علوم تتخذ من المجالات الفيزيقية والحيوية موضوعاً للدراسة.

علوم إنسانية sciences humaines :

علوم تتخذ من الكائن البشري موضوعاً للدراسة.

علمي scientifique :

شخص متخصص في ميدان من ميادين العلوم يتعاطى البحث النظري أو الأمبريقي.

سلسلات رقمية séries chiffrées :

أداة لجمع المعطيات يتم بناؤها بهدف إقامة المحددات التي يتم على أساسها جمع معطيات رقمية.

عتبة الدلالة seuil de signification :

حد نتقبل فيما دونه بالعلاقة الدالة بين متغيّرين.

سبر الاتجاه sondage de tendance :

تقصي متدرج في الزمن يتم في فترات زمنية مختلفة بطرح نفس الأسئلة تقريباً على أفراد مختلفين.

سبر فوري sondage instantané :

تقصي يتم في مدة زمنية واحدة.

سبر مكرّر sondage par panel :

تقصي يجرى أكثر من مرة واحدة على نفس الأفراد.

حوصلة synthèse :

عملية ذهنية مفادها جمع العناصر الأساسية ضمن كل مهيكل.

جدول الأعـداد العشوائية
: table des nombres au hasard

سحب إعلام آلي انطلاقاً من قائمة لأرقام عشوائية سبق نشرها.

جدول ذو مدخلين tableau à deux entrées :

جدول يعرض تجمع من المعطيات ويشير إلى توزيعها حسب متغيّرين بهدف إقامة علاقة بين هذين المتغيّرين عموماً.

جدول ذو مدخل واحد
: tableau à une entrée

جدول يعرض تجمع من المعطيات لها علاقة بمتغيّر واحد فقط.

جدول فئوي tableau en classes :

جدول يعرض معطيات مجمعة في فئات مقلصة مقارنة بمجمل فئات المتغيّر.

حجم العيّنة taille de l'échantillon :

عدد العناصر المنتقاة لتكوّن عينة.

تقنية بحث technique de recherche :

مجموعة من إجراءات وأدوات التقصي المستعملة منهجياً.

تقنية العمى المزدوج
: technique du double aveugle

إمكانية تستعمل بطريقة تجعل كل الأشخاص الخاضعين للتجربة والقائمين بها لا يعرفون من هي المجموعة التجريبية ومن هي مجموعة المراقبة.

تقنية العمى البسيط
: technique du simple aveugle

إمكانية يستعان بها، تجعل عناصر التجربة لا يعرفون إلى أية مجموعة ينتمون.

ميدان الدراسة terrain d'études :

مكان إجراء الملاحظة.

اختبار احصائي test statistique :

إجراء يهدف إلى تحديد إن كانت الملاحظات التي أجريت على عينة صحيحة بالنسبة إلى كل مجتمع البحث، وهل توجد علاقة بين متغيرين.

نظرية théorie :

مجموع من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها.

سحب إعلام آلي tirage informatisé :

إجراء احتمالي للمعاينة ننشئ بواسطته أعدادا عشوائية عن طريق البرمجة.

سحب يدوي tirage manuel :

إجراء احتمالي للمعاينة نختار بواسطته يدوياً من بين كل عناصر مجتمع البحث.

سحب منتظم tirage systématique :

إجراء احتمالي للمعاينة نختار بواسطته من تجمعات وفي مدى منتظم عناصر من مجتمع البحث.

تحويل المعطيات transfert des données :

تسجيل المعطيات في سند يسمح بمعالجتها.

شفافية transparence :

موقف الباحث أو الباحثة الذي يضع إجراءات بحثه في متناول زملائه.

فرز عشوائي tri à l'aveuglette :

إجراء غير احتمالي للمعاينة يقوم على سهولة الوصول إلى المبحوثين.

تقييم بواسطة المقارنة triangulation :

وسيلة للتقييم العلمي من خلال إجراءات المقارنة المتنوّعة.

فرز بشكل الكرة الثلجية tri boule de neige :

إجراء غير احتمالي للمعاينة معزز بنواة أولى من أفراد مجتمع البحث والذين يقودوننا إلى عناصر أخرى يقومون هم بدورهم بنفس العملية وهكذا.

فرز المتطوّعين tri de volontaires :

إجراء غير احتمالي للمعاينة يستدعي بموجبه أفراد للمشاركة في تجربة ما.

فرز قائم على الخبرة tri expertisé :

إجراء غير احتمالي للمعاينة يقوم به شخص أو عدة أشخاص يسمحون لنا بالوصول إلى عناصر مجتمع البحث.

فرز موجّه tri orienté :

إجراء غير احتمالي للمعاينة موجه من طرف نوع من التشابه مع مجتمع البحث المستهدف.

وحدة العد unité de numération :

طريقة لحساب وحدات الدلالة المستخرجة.

وحدة الوصف unité de qualification :

تسجيل تفنيري لوحدات الدلالة المستخرجة.

وحدة الدلالة unité de signification :

جزء أو مقطع من الاتصال يوضع في فئة معينة.

أحادية اللفظ univocité d'un terme :

ميزة ما يحدد في معنى واحد فقط ودون أي غموض.

صحة validité :

مطابقة بين معطيات متحصل عليها وهدف البحث.

صحة خارجية validité externe :

تطابق بين ظواهر مدروسة ومصطلحات مستعملة في تعريفها.

صحة داخلية validité interne :

انسجام منطقي بين العناصر المحددة للبحث.

متغير variable :

ميزة خاصة بأشخاص، بأشياء أو بأوضاع مرتبطة بمفهوم والتي يمكن أن تأخذ قيماً متنوّعة.

متغير تابع variable dépendante :

متغير يؤثر فيه المتغير المستقل

متغير مستقل variable indépendante :

متغير يجب أن يكون له تأثير في المتغير التابع.

تحقق vérification :

إجراءات تأكيد الظواهر.

تحقق من المعطيات vérification des données :

تقييم معطيات متحصل عليها بهدف التأكد من أنها قابلة للاستعمال بغرض التحليل.

تحقق أمبريقي vérification empirique :

خاصية من خصائص البحث العلمي تحتوي على مقارنة الافتراضات بالواقع من خلال ملاحظة هذا الأخير.

بيبليوغرافيا

ACFAS (1995). «L'intégrité en recherche». *Interface*, vol. 16, n° 1 (janvier-février), p. 42-53.

AKTOUF, OMAR (1987). *Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations*. Sillery, Presses de l'Université du Québec / HEC Presses, 213 p.

ANGERS, MAURICE (1969). *Promotion et bilinguisme*. Ottawa, Ministère des Postes, 59 p.

ANGERS, MAURICE (1973). *Pouvoir dans la famille et planification des naissances en milieu défavorisé urbain québécois*. Québec, Université Laval, Laboratoire de recherches sociologiques, cahier n° 4, 509 p.

ARCAND, RICHARD, BOURBEAU, NICOLE (1995). *La communication efficace*. Anjou, Centre éducatif et culturel, 426 p.

BABY, FRANÇOIS, CHÊNE, JOHANNE, DUGAS, HÉLÈNE (1992). *Les femmes dans les vidéoclips : Sexisme et violence*. Québec, Les publications du Québec, Conseil du statut de la femme, 50 p.

BACHELARD, GASTON (1967). *La formation de l'esprit scientifique*, 2ᵉ éd. Paris, Librairie philosophique J. Vrin, 256 p.

BACHELOR, ALEXANDRA, PURUSHOTTAM, JOSHI (1986). *La méthode phénoménologique de recherche en psychologie : Guide pratique*. Québec, Presses de l'Université Laval, 123 p.

BAKER, THERESE L. (1988). *Doing Social Research*. Montréal, McGraw-Hill, 483 p.

BAUMOL, WILLIAM J., BLINDER, ALAN S., SCARTH, WILLIAM M. (1986). *L'économique : Principes et politiques*. Montréal, Éditions Études vivantes, 579 p.

BEAUREGARD, LOUISE, WILSON, LISE (1983). *Comment effectuer un travail de recherche*. Montréal, Cégep de Maisonneuve, 22 p.

BELLEAU, PIERRE (1989). *La méthode historique*, Montréal, Cégep de Maisonneuve, 10 p.

BERNARD, CLAUDE (1963). *Introduction à l'étude de la médecine expérimentale*. Paris, Les Chefs-d'Oeuvre classiques et modernes, 364 p.

BERTHIAUME, FRANÇOIS, LAMOUREUX, ANDRÉE (1981). *Initiation à la recherche en psychologie*. Montréal, HRW, 152 p.

BLAIS, ANDRÉ (1987). «Le sondage», «Les indicateurs». Dans *Recherche sociale* (p. 317-357; p. 153-173). Benoît Gauthier (dir). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

BLANCHET, ALAIN, GHIGLIONE, RODOLPHE, MASSONNAT, JEAN, TROGNON, ALAIN (1987). *Les techniques d'enquête en sciences sociales*. Paris, Bordas, 197 p.

BOURDIEU, PIERRE, CHAMBOREDON, JEAN-CLAUDE, PASSERON, JEAN-CLAUDE (1968). *Le métier de sociologue*. Paris, Mouton / Bordas, 430 p.

CHALMERS, ALAIN (1991). *La fabrication de la science*. Paris, La Découverte, 166 p.

CHEVRIER, JACQUES (1992). «La spécification de la problématique». Dans *Recherche sociale*, 2ᵉ éd. (p. 49-77).

Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

COHEN, YOLANDE (1985). «Une perplexité de mise : Situation de la recherche 1962-1984 (II)». *Recherches sociographiques*, vol. XXVI, n° 3, p. 521-525.

CONSEIL DES UNIVERSITÉS DU QUÉBEC (1988). *Étude sectorielle en sciences sociales : Rapport préliminaire*. Montréal, Comité pour l'étude sectorielle en sciences sociales.

CRÊTE, JEAN (1992). «L'éthique en recherche sociale». Dans *Recherche sociale*, 2ᵉ éd. (p. 227-247). Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

DAUNAIS, JEAN-PAUL (1987). «L'entretien non directif». Dans *Recherche sociale* (p. 247-275). Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

DEAN, LARRY M., WILLIS, FRANK N., HEWITT, JAY (1984). «Initial interaction distance among individuals equal and unequal in military rank». Dans *An Introduction to Experimental Design in Psychology*, 3ᵉ éd. (p. 137-148). Robert L. Solso et Homer H. Johnson (dir.). New York, Harper & Row.

DEMERS, BERNARD (1982). *La méthode scientifique en psychologie*, 2ᵉ éd. Montréal, Décarie éditeur, 205 p.

DE PRACONTAL, MICHEL (1986). *L'imposture scientifique en dix leçons*. Paris, La Découverte, 255 p.

DESCARTES, RENÉ (1966). *Discours de la méthode*. Paris, Flammarion, 252 p. Reproduction de l'édition de 1637.

DESLAURIERS, JEAN-PIERRE (1991). *Recherche qualitative : Guide pratique*. Montréal, McGraw-Hill, 142 p.

DIONNE, BERNARD (1990). *Pour réussir*. Montréal, Éditions Études vivantes, 202 p.

DIXON, BEVERLY R., BOUMA, GARY D., ATKINSON, BRIAN J. (1987). *A Handbook of Social Science Research*. Oxford, Oxford University Press, 225 p.

DROLET, GAÉTAN, LÉTOURNEAU, JOCELYN (1989). «Comment se documenter et maximiser son travail en bibliothèque». Dans *Le coffre à outils du chercheur débutant* (p. 16-46). Jocelyn Létourneau (dir.). Toronto, Oxford University Press.

FESTINGER, LÉON, KATZ, DANIEL (1974). *Les méthodes de recherche dans les sciences sociales*, t.1, t.2. Paris, PUF, 753 p.

FORTIN, ANDRÉE (1987). «L'observation participante : Au coeur de l'altérité». Dans *Les méthodes de la recherche qualitative* (p. 23-33). Jean-Pierre Deslauriers (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

FOUREZ, GÉRARD (1988). *La construction des sciences*. Bruxelles, De Boeck Université, 235 p.

GAGNON, NICOLE, HAMELIN, JEAN (1979). *L'homme historien : Introduction à la méthodologie de l'histoire*. St-Hyacinthe, Edisem Inc., 127 p.

GALBRAITH, JOHN KENNETT (1968). *Le nouvel état industriel*. Paris, Gallimard, 416 p.

GAUTHIER, BENOÎT (1992). «La recherche-action». Dans *Recherche sociale*, 2ᵉ éd. (p. 517-533). Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

GAUTHIER, BENOÎT, TURGEON, JEAN (1992). «Les données secondaires». Dans *Recherche sociale*, 2ᵉ éd. (p. 453-481). Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

GINGRAS, FRANÇOIS-PIERRE (1992). «Sociologie de la connaissance». Dans *Recherche sociale*, 2ᵉ éd. (p. 17-46).

Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

GOULD, JULIUS, KOLB, WILLIAM L. (dir.) (1964). *A Dictionary of the Social Sciences*. New York, The Free Press of Glencoe / l'UNESCO, 761 p.

GOUVERNEMENT DU QUÉBEC (1995). *Le Québec statistique*, 60ᵉ éd. Québec, Bureau de la statistique du Québec, 819 p.

GRAWITZ, MADELEINE (1986). *Méthodes des sciences sociales*, 7ᵉ éd. Paris, Dalloz, 1104 p.

GRAWITZ, MADELEINE (1988). *Lexique des sciences sociales*, 4ᵉ éd. Paris, Dalloz, 384 p.

GUILLAUME, MARC (1986). *L'état des sciences sociales en France*. Paris, La Découverte, 587 p.

HUBERMAN, A. MICHAEL, MILES, MATTHEW B. (1991). *Analyse des données qualitatives : Recueil de nouvelles méthodes*. Bruxelles, De Boeck Université, 480 p.

KUHN, THOMAS S. (1972). *La structure des révolutions scientifiques*. Paris, Flammarion, 246 p.

LACOSTE, YVES (1966). *Ibn Khaldoun : Naissance de l'histoire, passé du tiers-monde*. Paris, Maspéro, 267 p.

LANDRY, RÉJEAN (1992). «La simulation sur ordinateur». Dans *Recherche sociale*, 2ᵉ éd. (p. 483-514). Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

LANGLOIS, SIMON (1985). «Situation de la recherche 1962-1984 (II)». *Recherches sociographiques*, vol. XXVI, nº 3, p. 495-499.

LAPERRIÈRE, ANNE (1987). «L'observation directe». Dans *Recherche sociale* (p. 225-246). Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

LASVERGNAS, ISABELLE (1987). «La théorie et la compréhension du social». Dans *Recherche sociale* (p. 113-128). Benoît Gauthier (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

LAURENDEAU, MARC (1974). *Les Québécois violents*. Montréal, Les Éditions du Boréal Express, 240 p.

LAZARSFELD, PAUL (1965). «Des concepts aux indices empiriques». Dans *Le vocabulaire des sciences sociales*, t. I (p. 27-36). R. Boudon et P. Lazarsfeld (dir.). Paris, Mouton.

L'ÉCUYER, RENÉ (1987). «L'analyse de contenu : Notion et étapes». Dans *Les méthodes de la recherche qualitative* (p. 49-65). Jean-Pierre Deslauriers (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

LÉTOURNEAU, JOCELYN (dir.) (1989). *Le coffre à outils du chercheur débutant*. Toronto, Oxford University Press, 227 p.

LORENZ, KONRAD, POPPER, KARL (1990). *L'avenir est ouvert*. France, Flammarion, 175 p.

LOTO-QUÉBEC (1989). *Caractéristiques des consommateurs de loteries* (sondage fait par Réalités canadiennes de Montréal). Montréal, Loto-Québec, 16 p.

LOUBET DEL BAYLE, JEAN-LOUIS (1986). *Introduction aux méthodes des sciences sociales*. Toulouse, Privat, 234 p.

MAILHIOT, BERNARD (1966). «Autorité et tâches dans les petits groupes». Dans *Le pouvoir dans la société canadienne-française* (p. 183-209). Fernand Dumont et Jean-Paul Montmigny (dir.). Québec, Presses de l'Université Laval.

MASSÉ, PIERRETTE (1992). *Méthodes de collecte et d'analyse de données en communication*. Sillery, Presses de l'Université du Québec, 253 p.

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA SCIENCE DU QUÉBEC (1989).

Le programme révisé de sciences humaines du collégial. Québec, Direction générale de l'enseignement collégial, 262 p.

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA SCIENCE DU QUÉBEC (1992). *Répertoire de la coordination des disciplines et des programmes : Comités pédagogiques 1991-1992*. Québec, Direction générale des études collégiales.

MOLES, ABRAHAM A. (1995). *Les sciences de l'imprécis*. Paris, Seuil, 360 p.

MUCCHIELLI, ROGER (1969). *L'entretien de face à face dans la relation d'aide*. Paris, Les Éditions sociales françaises, 124 p.

MUCCHIELLI, ROGER (1970). *Le questionnaire dans l'enquête psycho-sociale*. Paris, Les Éditions sociales françaises, 121 p.

MUCCHIELLI, ROGER (1987). *L'interview de groupe*, 6e éd. Paris, Les Éditions sociales françaises, 162 p.

MUCCHIELLI, ROGER (1988). *L'analyse de contenu des documents et des communications*, 6e éd. Paris, Les Éditions sociales françaises, 189 p.

MUCCHIELLI, ROGER (1989). *Le travail en équipe*, 5e éd. Paris, Les Éditions sociales françaises, 155 p.

OUELLET, ANDRÉ (1982). *Processus de recherche : Une approche systémique*. Sillery, Presses de l'Université du Québec, 268 p.

OUELLET, ANDRÉ (1994). *Processus de recherche : Une introduction à la méthodologie de la recherche*. Sillery, Presses de l'Université du Québec, 276 p.

OUELLET, FRANCINE (1987). «L'utilisation du groupe nominal dans l'analyse des besoins». Dans *Les méthodes de la recherche qualitative* (p. 67-80). Jean-Pierre Deslauriers (dir.). Sillery, Presses de l'Université du Québec.

PAPALIA, DIANE E. (1989). *Le développement de la personne*. Paris, Vigot, 556 p.

PASCAL, BLAISE (1963). *Oeuvres complètes*. Paris, Seuil, 676 p.

PERRY, JOHN A., PERRY, ERNA K. (1988). *The Social Web*, 2e éd. New York, Harper & Row, 483 p.

PINTO, ROGER, GRAWITZ, MADELEINE (1967). *Méthodes des sciences sociales*, 2e éd. Paris, Dalloz, 934 p.

PIOTTE, JEAN-MARC (1985). «Situation de la recherche 1962-1984 (II)». Dans *Recherches sociographiques*, vol. XXVI, nº 3, p. 512-513.

POPPER, KARL R. (1959). *The Logic of Scientific Discovery*. Toronto, University of Toronto Press, 480 p. (En français : *La logique de la découverte scientifique*, Paris, Payot, 1973.)

POURTOIS, JEAN-PIERRE, DESMET, HUGUETTE (1988). *Épistémologie et instrumentation en sciences humaines*. Bruxelles, Pierre Mardaga éditeur, 235 p.

QUIVY, RAYMOND, VAN CAMPENHOUDT, LUC (1988). *Manuel de recherche en sciences sociales*. Paris, Dunod, 271 p.

SABOURIN, MICHEL (1988). «Méthodes d'acquisition des connaissances». Dans *Fondements et étapes de la recherche scientifique en psychologie*, 3e éd. (p. 37-58). Michèle Robert (dir.). St-Hyacinthe, Edisem.

SABOURIN, MICHEL, BÉLANGER, DAVID (1988). «Règles de déontologie en recherche». Dans *Fondements et étapes de la recherche scientifique en psychologie*, 3e éd. (p. 367-392). Michèle Robert (dir.). St-Hyacinthe, Edisem.

SEGUIN, FERNAND (1987). *La bombe et l'orchidée*. Montréal, Libre Expression, 203 p.

SELLTIZ, CLAIRE, JAHODA, MARIE, DEUTSCH, MORTON, COOK, STUART W. (1959). *Research Methods In Social Relations*. New York, HRW, 622 p.

SELLTIZ, CLAIRE, WRIGHTSMAN, LAURENCE S., COOK, STUART W. (1977). *Les méthodes de recherche en sciences sociales*. Montréal, HRW, 606 p.

SELYE, DR HANS (1973). *Du rêve à la découverte*. Montréal, Éditions La Presse, 445 p.

THUILLIER, GUY, TULARD, JEAN (1993). *La méthode en histoire*. Paris, Presses universitaires de France, «Que sais-je?» n° 2323, 127 p.

THUMIN, FREDERICK J. (1984). «Identification of Cola Beverages». Dans *An Introduction to Experimental Design in Psychology*, 3e éd. (p. 113-121). Robert L. Solso et Homer H. Johnson (dir.). New York, Harper & Row.

TREMBLAY, MARC-ADÉLARD (1968). *Initiation à la recherche dans les sciences humaines*. Montréal, McGraw-Hill, 425 p.

TRUDEL, ROBERT, ANTONIUS, RACHAD (1991). *Méthodes quantitatives appliquées aux sciences humaines*. Montréal, Centre éducatif et culturel, 545 p.

UNIVERSITÉ HARVARD (1978). «Rapport de l'université Harvard sur le Tronc commun» (traduction du MEQ). *The Chronicle of Higher Education*, 34 p.

VINCENT, DIANE (1989). «Comment mener une enquête auprès d'informateurs». Dans *Le coffre à outils du chercheur débutant* (p. 144-156). Jocelyn Létourneau (dir.). Toronto, Oxford University Press.

VINET, ALAIN (1975). «La vie quotidienne dans un asile québécois». Dans *Recherches sociographiques*, vol. XVI, n° 1, p. 85-112.

VOYER, JEAN-PAUL (1982). *L'échantillonnage dans une enquête : Digest au sujet des théories de l'échantillonnage*. Québec, Université Laval, Département de mesure et évaluation, 47 p.

طبع هذا الكتاب في جانفي 2008
بمطابع **دار القصبة للنشر**
حي سعيد حمدين، رقم 6، 16012، الجزائر.
الهاتف : 11 / 10 79 54 021 الفاكس : 77 72 54 021
الموقع الإلكتروني : www.casbaheditions.net
البريد الإلكتروني : casbah@casbaheditions.net
الجزائر، 2008.